بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله تعالى وسلم على محمد نبيه الكريم صلاة نستجير بها من عذاب الجحيم وننال بها في الدارين نحن وأحبتنا أرفع التكريم بجاه من قال توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم.

الحمد لله الذى من علينا بجزيل الانعام وأتحفنا بما لا نطيق شكره من أياديه الجسام وتفضل علينا بالتوفيق لأجل نعمائه فآمنا به وبكتبه وملائكته وجميع أنبيائه وخصنا بخيرته من خلقه ونخبته من أصفيائه، ومن يكون آدم فمن دونه من الأنبياء في القيامة تحت لوائه أرسله إلى كافة الثقلين بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وجعله للمقربين إماما وللأنبياء والمرسلين ختاما ولما به صلاح العباد في الدارين قواما ونظاما وخصه بالشفاعة الكبرى في الموقف الهائل حين تبرأ منها أكابر الرسل الأماثل صلى الله تعالى وسلم عليه وعليهم وعلى آله وأزواجه وأصحابه الأخيار ما همعت ديم معارفه على قلوب الأبرار وما تغنى الحمام بالأسحار ومادام النظر في سيره وشمائله قرة للأبصار وروضة تنزه للأفكار وعدد ما وصل إلى العباد من المواهب في هذه الدار وما يصل إليهم في تلك الدار وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا نظير وأن محمدا عبده ورسوله شهادة عبد معترف بالتقصير ونتوسل إلى ربنا اللطيف القدير أن يثبتنا عليها في الحياة الدنيا وبعد الممات وأن يبدل بمحض فضله وكرمه سيئاتنا حسنات، إنه جواد كريم ورؤوف رحيم، له الفضل العظيم والطول العميم.

أما بعد فيقول العبد الفقير إلى رحمة مولاه الحليم الكبير المجلسي المالكي الأشعري عبد القادر بن محمد بن محمد سالم بن محمد سعيد بن عمر بن أبي السيد بن أبي بكر بن عليّ بن يمغدش ومعناه بالعربية السالم بن وديعة الله بن عبد الله بن أحمد بن يفت، ومعناه اخيار بن

يدر ومعناه بإعجام الدال الحسن وبإهمالها يعيش بن إبراهيم الأموي، وإبراهيم هذا يقال والله أعلم انه من ولد عمر بن عبد العزيز، لا يخفى أن الإشتغال بالعلوم من أشرف المكاسب والاعتناء بها من أفضل المراتب وشرف كل علم إنما هو بحسب شرف المعلوم فلهذا كان الإهتمام بعلم السيرة النبوية فضله عظيم وخطبه جسيم لأنه هو الكفيل ببيان أحوال نبينا العلية وأطواره الشريفة الزكية من لدن كان في بطن آمنة الشريفة حملا إلى انتقاله إلى دار كرامته ولحوقه بالرفيق الأعلى صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم ولذا كان من أشرف العلوم قدرا وأرفعها منزلة وأطيبها ذكرا، فاليه ترتاح الأنفس والطباع وبه تلتذ الأفواه وتتشنف الأسماع وبرسمه ترشح المحابر والأقلام وباشادة ما اشتمل عليه تفرح الليالي والأيام، فهو حديث لا يمل منه، يا ليتنا لم نله قط عنه. وقد اعتنى بالتأليف فيه من أهل الإسلام كثير من الأكابر الأجلة الأعلام فتبوؤوا من المجد السنام وحازوا من الشرف أعلى مقام وقربوا في تآليفهم للأنام ما كان من السيرة صعب المرام ما بين منثور يروق عند العيان ومنظوم يزري بالدر على نحور الخرد الحسان، جزاهم الله تعالى عنا أحسن الجزاء ومن علينا وعليهم بالعفو والإرضاء، ومن أجمع ما رأينا فيه كتاب «المواهب» وشرح الزرقاني عليه وفيه أنشد لسان الحال ما صدق المقال:

هذا كتاب لو يباع بوزنه ذهبا لكان البائع المغبون

ومن أشهر المختصرات المؤلفة فيه في هذه الأقطار النظم المسمى ب: «قرة الأبصار» فقد تداولته الكبار والصغار وهو كتاب قد طابق منه الإسم المسمى، فكم احتوى عليه من أخبار صاحب العز الأحمى والقدر المنيف الأسمى عليه أفضل السلام وأعلاه وأزكى الثناء وأعذبه وأحلاه، لكنه في هذه الناحية لا شرح له يحل رموزه ويفتح ألفاظه ويبرز كنوزه فحملني التطفل على الدخول في خدمة هذا الجناب العالي والانتماء إلى ظل حماه المتعالي على أن صرفت قصدي إلى شرح هذا الكتاب فشرحته بعون الملك الوهاب شرحا يبين ألفاظه لمن يتعاطاه من

الطلاب وذكرت فيه الغزوات النبوية وجل ما اطلعت عليه من بعث وسرية ولم آل جهدا في تبيين ما يحتاج إليه من البيان لكن من هو مثلي عرضة للذهول والنسيان وسميته «نزهة الأفكار في شرح قرة الأبصار» وإلى الله تعالى الضراعة في أن يجعله لوجهه الكريم وأن يحمينا نحن وأحبتنا من عذاب الجحيم وأن ينيلنا بمحض فضله رفيع الدرجات وأن يحلنا من الفردوس أعالي الغرفات. وجعلت اعتمادي في هذا الشرح على الزرقاني وشروحه وسيرة العراقي وشرح المناوي عليها وعيون الأثر وغير ذلك وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال الناظم رحمه الله تعالى وهو الشيخ العابد الحافظ الفائق لأقرانه عبد العزيز اللمطي نسبا المالكي مذهبا الأشعري اعتقادا المدني دارا وقد ألف كتابه هذا في بيت عائشة رضي الله تعالى عنها، كذا قاله شارح لهذا النظم رأيته ولم يعرف بنفسه والله تعالى أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

الكلام على البسملة هنا من ثمانية أوجه: معنى مفرداتها ومعنى تركيبها وإعرابها وسبب الإبتداء بها وحكمها وفضلها وقرآنيتها وكتابتها وأذكر جميعها إن شاء الله تعالى على طريق الاختصار وبالله تعالى التوفيق.

أما معنى مفرداتها فالباء يصح أنها للمصاحبة والمصطحبان هما العمل المبدو بها أو البادي ومدخول الباء والمراد منها التبرك والتبرك منسحب على جميع العمل فكأن المبتدئ بها يقول أفعل كذا متبركا فيه ببسم الله ويصح أن الباء للاستعانة وباء الاستعانة هي الداخلة على آلة الفعل، فكأن باسم الله هي الواسطة في حصول الفعل ببركة الإسم الشريف فمآل المعنيين هنا واحد وقيل الباء للالصاق وقيل للاستعلاء المجازي والإسم هو اللفظ الدال بالوضع على معنى ما فيتناول الإسم النحوي وقسيميه وقوله تعالى وعلم آدم الأسماء كلها يعم جميع ذلك وهو هنا اسم جنس أضيف إلى معرفة فيعم جميع أسماء الله تعالى فالتبرك بجميع الأسماء.

والله علم خاص بالذات الموصوفة بكل كمال المنزهة عن كل ما يتصف به الحوادث والأكثر على أنه غير مشتق وعلى أنه مشتق قال الإمام السنوسي الأقرب أنه مشتق من أله بالمكان إذا أقام به.

قال:

ألهنا بدار لا تبين رسومها ... كأن بقاياها وشام على اليد

وقيل مشتق من أله إلهة كعبد عبادة وزنا ومعنى فإله بمعنى مألوه أي معبود وقيل من لاه بمعنى ارتفع ومنه قيل للشمس إلهة، قال:

تروحنا من اللهباء قسرا ... واعجلنا الإلهة أن تغيبا

أو بمعنى احتجب، ومنه:

لاهت فما عرفت يوما بخارجة ... يا ليتها برزت حتى عرفناها

وقيل من وله إذا تحير لأنه تتحير في عظمته العقول ومذهب سيبويه أنه هو أعرف المعارف وحكي أنه ريئ في النوم فأخبر ان الله

فعل به خيرا كثيرا لقوله إنه هو أعرف المعارف والرحمن هو المنعم بالنعم التى لا تدخل تحت كسب العباد كبعث الرسل والرحيم المنعم بالنعم التى تدخل تحت كسبهم وغيرها فهو أعم من الرحمن على هذا ولهذا صح إطلاقه على غيره تعالى.

أو الرحمن ذو الرحمة العامة في الدنيا على جميع الخلق والرحيم ذو الرحمة الخاصة بالمومنين في الآخرة أو الرحمن المنعم بجلائل النعم كمية وكيفية والرحيم المنعم بدقائقها كمية وكيفية وأخر عن الرحمن لاختصاص الرحمن به تعالى وأما معنى تركيبها فاعلم أنها نقلت من الخبر إلى الإنشاء فهي لإنشاء التبرك لأنه يحصل عند النطق بها واما اعرابها فالمجرور متعلق بمحذوف والمختار كونه فعلا ويقدر مؤخرا ليدل على الحصر والرد على الكفار في ابتدائهم بأسماء آلهتهم خاصا كأولف هنا لا عاما كأبدأ والعمل المشروع فيه يعين العامل المحذوف فكل فاعل يضمر أي يقدر في ضميره عاملا مناسبا لما شرع فيه من أكل أو قراءة مثلا، وقيل المجرور خبر مبتدء محذوف واسم الجلالة مضاف إليه وليست إضافته بيانية لأن المقصود من الأول الأسماء ومن الثاني الذات ولذا وصف بما بعده على طريق النعت أو البيان أو البدل وقيل الأول بدل من الجلالة والرحيم نعت للرحمن. وأما سبب الابتداء بها فالاقتداء بالقرآن العظيم وسنة نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم وقد أجمع علماء كل أمة أن الله افتتح كل كتاب بها وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يبدأ بها في رسائله وكان أولا يكتب باسمك اللهم حتى نزلت باسم الله مجريها فكتب بسم الله فلما نزل قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن كتب بسم الله الرحمن فلما نزلت بجملتها في سورة النمل كتبها.

وفي الحديث: «كل امر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم أقطع» وفي رواية «أبتر»، وفي رواية «أجذم» أي ناقص البركة وإن تم حسا، وأما حكمها فتجب مرة في العمر وتسن في الأكل والشرب وتندب في سوى ذلك مما تشرع فيه وتكره في المحرم والمكروه وقيل تحرم في

المحرم، وذكر غير واحد أنها تجب في الذكاة، وقال الأمير: ان الواجب في الذكاة مطلق ذكر اسم الله تعالى ومما تشرع فيه: الشعر المحتوي على علم أو وعظ أو مدحه صلى الله عليه وسلم.

فائدة:

نظم بعضهم ما يجب مرة في العمر من الكلام فقال:

هاك جميع ما من القول يجب	في العمر مرة وما زاد استحب
بسملة حمدلة والهيللة	استغفر الله كذا والحوقلة
والحكم في التسبيح والتكبير	كذا وتعويذ بذي التقدير
ثم الصلاة معها السلام	على الذي اقتدى به الأنام

وأما فضلها فصحح الحاكم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله له بكل حرف أربعة آلاف حسنة ومحى عنه أربعة آلاف سيئة ورفع له أربعة آلاف درجة». وقال: «من قال بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم صرف الله عنه سبعين بابا من البلاء أدناها الهم والغم واللمم». وقال: «ستر ما بينكم وبين الجن أن تقولوا بسم الله الرحمن الرحيم». وقال: «خير الناس وخير من مشى على الأرض المعلمون كلما خلق الدين جددوه أعطوهم ولا تستأجروهم فإن المعلم إذا قال للمعلم قل بسم الله الرحمن الرحيم فقالها كتب الله للصبي ولوالديه وللمعلم براءة من النار».

وأما قرآنيتها فمذهبنا أنها ليست من القرآن وإنما هي رقية تنزل مع كل نبي وترتفع معه إلا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بقيت رحمة لأمته. ومذهب الشافعي أنها آية من الفاتحة فمن تركها بطلت صلاته. وقيل آية من كل سورة وقيل بعض آية من كل سورة وقيل آية في الفاتحة وجزء آية في غيرها وقيل بالعكس وقيل آية فذة. ومحل الخلاف في غير التى في «النمل» وأما هي فلا خلاف أنها من القرآن.

وأما كتابتها فعن معاوية أنه صلى الله عليه وسلم قال: «ألق الدواة

وحرف القلم وأقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم وضع قلمك على أذنك اليسرى فإنه أذكر لك » اهـ.
يقال لاق الدواة ثلاثيا كباع وألاقها رباعيا أصلحها فلاقت هي أي صلحت والمراد أن يلزق مدادها على صوفة ونحوها، وتحريف القلم جعل أحد شقيه أطول من الأخر قال بعضهم الأقصر هو الأيسر وهو الذى يلي الكاغد، وإقامة الباء جعلها غير منعطفة، وتفريق السين إبعادها من الميم أو تفريق رؤوسها، ومعني لا تعور الميم اتركها مفتوحة، ومعنى حسن الله، اكتبها بخط حسن وقلم حسن ومداد حسن، ومد الرحمن أن يمد بين الميم والنون، وتجويد الرحيم كتابتها كتابة جيدة. والباء ترسم قدر نصف الألف فالقدر الذى جرى عرفك في كتابة الألف اجعل الباء نصفه وحروفها الرسمية تسعة عشر عدد الزبانية فمن ذكرها نجا منهم.

(الحمد لله الذى بأحمدا ... هدى إلى أقوم نهج من هدى)

قوله الحمد لله مبتدأ وخبره، والذى نعت لله وهو موصول وصلته قوله هدى، ومن مفعوله ،وبأحمدا يتعلق بهدى، وكذا إلى أقوم. ونهج بالتنوين مضاف إليه ما قبله ومعناه أن الوصف بكل كمال ثابت ومستحق لله تعالى الذى هدى أي أرشد من أراد هدايته إلى أقوم الطريق وهي طريق الإسلام بسبب نبينا أحمد صلى الله تعالى عليه وسلم. والنهج الطريق الواضح وهذا المعنى أخذه من قوله تعالى: {وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم} وقوله تعالى: {إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم}. قال صاحب الأنوار: الهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير. وقوله تعالى: {فاهدوهم إلى صراط الجحيم} وارد على التهكم، وهداية الله تعالى تتنوع أنواعا: الأول إفاضة القوى التى يتمكن بها المرء من الاهتداء إلى مصالحه كالعقل والحواس، والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل وإليه أشار تعالى حيث قال: {وهديناه النجدين} وقال: {فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى}، والثالث الهداية بإرسال الرسل {إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم}، {وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم}، والمستقيم المستوي يعنى طريق الخير أو

الإسلام، والرابع كشف السرائر على القلوب وإراءة الأشياء كما هي بالوحي أو الإلهام .وهذا يختص به الأنبياء والأولياء وإياه عنى بقوله: {أولئك الذين هدى الله فبهديهم اقتده} وقوله: {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا} نقله الزرقاني في شرح المواهب.

فائدة:

لم يتسم أحد بأحمد قبله، صلى الله عليه وسلم. قال ابن حجر: والمشهور أن أول من سمي به بعده، صلى الله عليه وسلم، والد الخليل بن أحمد لكن زعم الواقدي أنه كان لجعفر بن أبي طالب ابن اسمه أحمد وحكى ابن فتحون في ذيل الاستيعاب ان اسم أبي حفص بن المغيرة الصحابي أحمد، ويقال في والد أبي السفر إن اسمه أحمد. قال الترمذي: أبو السفر هو سعيد بن محمد ويقال ابن أحمد، اهـ من الزرقاني في موضع آخر.

والحمد لغة هو الوصف بالجميل على الجميل الاختياري أو القديم، والوصف ذكر الصفة منسوبة الى المتصف بها فلا يكون إلا بالكلام، وبالجميل مخرج للوصف بالقبيح بذم وبما ليس جميلا ولا قبيحا كزيد تميمي إذا قصد مجرد الإعلام بنسبه، وعلى الجميل مخرج للوصف بالجميل لأجل قبيح كقولك للبخيل ما أجوده في مقام التهكم. ومجموع الإختياري أو القديم مخرج للوصف برشاقة الخد. والحمد عرفا الثناء باللسان أو القلب أو غيرهما من الأركان بسبب ما أسدى إلى الحامد فالأول أخص موردا لأنه لا يكون إلا بالكلام وأعم متعلقا لأنه يكون في مقابلة نعمة وغيرها، والثاني أعم موردا لحصوله بالكلام وغيره وأخص متعلقا إذ لا يكون إلا في مقابلة نعمة فبينهما عموم وخصوص من وجه.

(حمدا جديدا دائم البقاء)

قوله حمدا منصوب بفعل محذوف أي أحمده حمدا، ولا يصح أن يعمل فيه قوله الحمد لأن المصدر لا يخبر عنه إلا بعد تمام معمولاته. وقوله جديدا أي طارئا بعد الحمد الأول مع أنه دائم البقاء والظاهر أن الحمد

الأول حمد منه لله تعالى لأنه يستحق الحمد لذاته والثاني حمدٌ له لإنعامه فلا يتكرر مع الأول كما يرشد له قوله: (مكافيا) أي مساويا، (ترادف) أي تتابع، (الآلاء) أي النعم. فكلما تجددت لي نعمة منه تعالى تجدد مني حمد له تعالى. واعلم أن مقابلة الحمد لجميع النعم يعجز عنها الخلق غاية العجز لأن التوفيق للحمد نعمة جليلة تقتضي حمدا وهلم جرا.. قال:

لك الحمد مولانا على كل نعمة ومن جملة النعماء قولي لك الحمد
فلا حمد إلا أن تمن بنعمة تعاليت لا يقوى على حمدك العبد

تنبيه:

اختلف في تعيين الفاضل من الحمد، فقيل: الحمد لله بجميع محامده كلها ما علمت منها وما لم أعلم على جميع نعمه كلها ما علمت منها وما لم أعلم، وقيل: اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وقيل: الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده. قال الشيخ يوسف بن عمر وينبني على ذلك مسألة فقهية فيمن حلف ليحمدن الله تعالى بأفضل محامده، فمن أراد أن يخرج من الخلاف فليحمد بجميعها، اهـ. نقله الحطاب.

وأتى الناظم رحمه الله بالحمدلة بعد البسملة اقتداء بالقرآن العظيم وعملا بقوله، صلى الله عليه وسلم: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم» أو قال: «أبتر» أو قال: «أجدع» أو قال: «أقطع» أي ناقص الشرف.

(ثم الصلاة والسلام تترا على أجل المرسلين قدرا)

أردف الحمد بالصلاة والسلام على من وصلت النعم المحمود عليها بواسطته، صلى الله عليه وسلم، امتثالا لقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما} وعملا بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «كل أمر ذي بال لا يبدأ بذكر الله ثم بالصلاة عليّ فهو أقطع». والصلاة من الله تعالى انعامه، ومن العبد طلبه منه تعالى كانت على

نبي أو غيره، وكل ما ذكروه فيها يرجع إلى هذا، قاله في «نور البصر».
وهي وإن كان معناها طلب الرحمة التى هي الانعام فيها معنى زائد عليه وهو التعظيم ولذلك اختلفوا في جواز الدعاء له صلى الله عليه وسلم بالرحمة وإن كان الراجح جوازه. والسلام من الله تعالى انعامه بالسلامة، ومن العبد طلب ذلك منه تعالى قاله في «نور البصر» أيضا.
والصلاة مبتدء والسلام عطف عليه وخبره المجرور بعده. وتترا حال أي متتابعة فإن كانت ألفها للتأنيث فهي حال من الصلاة وإن كانت منونة، والألف فيها كالألف في زيدا من رأيت زيدا، فهي حال من السلام أو من كل منهما. وهذا كقوله تعالى: {أرسلنا رسلنا تترا} قال الخازن أي مترادفين يتبع بعضهم بعضا، وقال في «الضياء» تترا بلا تنوين للجمهور وبه لابن كثير وأبي عمرو أي متتابعين والتاء بدل من واو لأنه من المواترة وهي المتابعة بين الأشياء اهـ. وقال ابن جزي تترا مصدر وهو موضوع موضع الحال أي متواترين والتواتر التتابع اهـ.

وقال في القاموس وجاؤوا تترا وينون وأصله وترا أي متتابعين وواتره مواترة ووتارا تابع أو لا تكون المواترة بين الأشياء إلا إذا وقعت بينهما فترة وإلا فهي مداركة ومواصلة اهـ.

وقوله على أجل المرسلين قدرا أي أفضلهم منزلة عند الله تعالى. ولا شك أنه، صلى الله عليه وسلم، أفضل من جميع الرسل والملائكة وجميع الخلق اجماعا ولا يدخل في الخلاف الجاري في التفضيل بين الأنبياء والملائكة. قال السراج البلقيني: ولا تظن بأحد من أيمة المسلمين أنه يتوقف في أفضليته، صلى الله عليه وسلم، على جميع الملائكة وسائر الأنبياء ومن زعم أن هذا ليس مما كلفنا به فزعمه باطل بل هذا من مسائل أصول الدين الواجبة الاعتقاد على كل مكلف اهـ. نقله محمد الأيسي في شرحه للهمزية في البيت الأول. وكون هذا عقيدة نحوه للهيثمي عن الزركشي وغيره. وقال السنوسي في شرح الجزائري: أفضليته صلى الله عليه وسلم على جميع المخلوقات تكاد أن تكون مما علم من الدين ضرورة وهو صلى الله عليه وسلم خارج عن الخلاف في

التفضيل بين الأنبياء والملائكة اهـ.

(وآله)، عطف على أجل، وآله الصحيح في مذهبنا أنهم بنو هاشم قيل وبنو المطلب وهو مذهب الشافعي، وقيل ما خرج من لؤي آل له، وهو قول أصبغ، وقيل ما خرج من غالب وقيل آله: أتباعه. قال الزرقاني في شرح المواهب: وفي انهم بنو هاشم أو والمطلب أو عترته وأهل بيته أو بنو غالب أو أتقياء أمته واختير في مقام الدعاء وأيد بأنه إذا اطلق شمل الصحب والتابعين لهم بإحسان أقوال اهـ منه.

(وصحبه) اسمٌ جمع صاحب، والصاحب في الأصل الملازم وفي العرف إذا أضيف له صلى الله عليه وسلم كل من لقيه مؤمنا به وإن لم يلازمه ولا روى عنه ولا رآه لعمى أو غيره مميزا أو غيره حيث يحكم بإسلامه لإسلام أبيه ومن ارتد منهم والعياذ بالله تعالى ثم أسلم عاد له اسم الصحابي على المرجح ولابد من كون اللقاء قبل الوفاة فيخرج من لقيه بعدها كأبي ذؤيب ولا يدخل الأنبياء الذين اجتمع بهم ليلة الإسراء ولا الملائكة لأن المراد الاجتماع على الوجه المتعارف.

(ومن سلك سبيلهم) أي ذهب واتبع طريقهم ،وسلك يتعدى بنفسه وقد يتعدى بالهمزة وعداه بعضهم بالباء، والسبيل والطريق والصراط ألفاظ مترادفة كلها تذكر وتؤنث.

(ما دار) أي تقلب **(نجم في فلك)** والفلك جسم لطيف مستدير الشكل مشتمل على أجرام صقيلة نورانية تتحرك بتحركه دائما وتلك الأجرام هي الكواكب، والقمر في الفلك الذى يلينا وهو السماء الدنيا، والفلك الثاني السماء الثانية وهو العطارد والثالث وهو السماء الثالثة للزهرة كرطبة والرابع للشمس والخامس للمريخ وهو نجم الحمرة ويقال له كوكب الدم وكوكب النار للدلالة على ذلك في زعمهم والفلك السادس وهو السماء السادسة للمشتري والسابع لزحل اهـ.

وكل ما يظهر من المنازل والكواكب في الفلك الثامن وهو فوق السماء السابعة بألف عام كما قال بعضهم وأصغرها أكبر من الأرض بمائتين وعشرين مرة كما في بعض شراح الرسالة، عند قوله ولا ينظر

في النجوم إلا ما يستدل به على القبلة نقله في شرح المقنع. ولبعضهم بيت نقله الحفني في شرح الجامع الصغير في ترتيب الدراري في الأفلاك وهو:

زحلُ اشترى مريخه من شمسه   فتزاهرت لعطارد الأقمار

ويسمى زحل كيوان والمقاتل والشيخ ويسمى المشتري البرجيس ويسمى عطارد بالكاتب وفي طوالع البيضاوي ممزوجا ببعض كلام الشيخ زكريا والأفلاك تسعة محيط بعضها ببعض الأول منها الفلك الأعظم وهو بلسان أهل الشرع العرش المجيد وهو الجسم المحيط بسائر الأجسام ويسمى الفلك الأطلس لكونه غير مكوكب وتحت الفلك الأعظم فلك الثوابت وسميت بذلك لبطء حركتها ثم بعده سبعة أفلاك: فلك زحل على الترتيب المار إلى أن وصل إلى فلك القمر وهو سماء الدنيا، اهـ.

وقال العضد في المواقف ممزوجا ببعض كلام غيره المقصد الأول أن الحكماء زعموا أن الأفلاك تسعة: فلك الأفلاك وهو المسمى عندهم بالفلك الأطلسي لأنه غير مكوكب والمسمى بالعرش المجيد في لسان الشرع وتحته فلك الثوابت وهو الكرسي ثم فلك زحل إلى أن وصل إلى فلك القمر، قال وهو سماء الدنيا. اهـ.

وفي الطوالع والمواقف أن الأفلاك شفافة لا لون لها إذ لو كانت ملونة لحجبت الأبصار عن رؤيتها ورؤية ما وراءها لأن كل ملون كذلك واللازم باطل ولم ير شيء من الكواكب فكذلك الملزوم اهـ. ومقتضاهما أن الأفلاك السبعة هي السماوات وفي كلام بعضهم أنها أجسام لاصقة بالسماوات والله أعلم.

وقال الزرقاني في شرح المواهب: ذهبت طائفة من أهل الكلام إلى أن العرش فلك مستدير من جميع جوانبه محيط بالعالم من كل جهة وربما سموه الفلك التاسع والفلك الأطلس قاله ابن كثير وليس بجيد لأنه قد ثبت في الشرع ان له قوائم تحمله الملائكة والفلك لا قوائم له وأيضا فالعرش في اللغة سرير الملك وليس فلكا والقرآن إنما نزل بلغة العرب

فهو سرير تحمله الملائكة كالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات اهـ.

تنبيهان:

الأول: قال في المواهب اللدنية: قال الحليمي المقصود بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم التقرب إلى الله تعالى وقضاء بعض حق النبي صلى الله عليه وسلم علينا وتبعه ابن عبد السلام فقال ليست صلاتنا على النبي صلى الله عليه وسلم شفاعة له فإن مثلنا لا يشفع لمثله لكن الله تعالى أمرنا بمكافأة من أحسن إلينا فإن عجزنا عنها كافيناه بالدعاء، فأرشدنا الله لما علم من عجزنا عن مكافأة نبينا إلى الصلاة عليه ونحوه للشيخ المرجاني وقال ابن العربي: فائدة الصلاة عليه ترجع إلى المصلي عليه لدلالة ذلك على نصوص العقيدة وإظهار المحبة والاحترام للواسطة الكريمة صلى الله عليه وسلم اهـ. منه. ونقله العارف بالله أبو زيد الفاسي في حاشيته على كيمياء السعادة.

الثاني: سئل الإمام السنوسي عن قول الفقهاء ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مقبولة قطعا هل هو صحيح أم لا؟ فأجاب: بأنه رأى ذلك منصوصا للإمام الشاطبي، قال وهو مشكل إذ لو قطع بقبولها لقطع للمصلي عليه بحسن الخاتمة، ثم أجاب بأن معنى القطع بالقبول أنه إذا ختم له بحسن الخاتمة وجد حسناتها مقبولة حتما بخلاف سائر الحسنات لا يوثق بقبوله ولو مات صاحبه على الإيمان ويحتمل أن قبولها إذا صدرت من صاحبها على وجه محبته له عليه السلام فيقطع بانتفاعه بها في الآخرة، ولو في تخفيف العذاب إذا قضي عليه به، ولو على وجه الخلود لعظم موضع محبة أشرف الخلق. ألا ترى أن تخفيف العذاب عن أبي لهب يوم الاثنين لعتقه من بشرته بولادته عليه الصلاة والسلام اهـ.

وبحث اللمطي في هذا الجواب بأنه احتمال عقلي لا دليل عليه، لأن النصوص مصرحة بإحباط عمل الكافر. قال وأما أبو لهب فخرج بالنص فلا يقاس عليه.

(**وبعد**) ظرف زمان بني لشبهه بحرف الجواب، كنعم في الاستغناء به عما بعده وعامله محذوف، أي وأقول بعد البسملة والحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تنبه (**فاعلم**) أيها المخاطب أي تحقق؛ (**ان خير**) أي أفضل، (**ما اقتفى**) من العلوم أي اتبعه وتعلمه أو علمه وألف فيه؛ (**ذو**) أي صاحب؛ (**همة**) هي قوة الانبعاث في الشيء وطلبه بالصدق بقطع الشواغل عما سواه؛ (**سيرة**) خبر أن وهو مضاف لقوله (**خير مقتفي**) بصيغة اسم مفعول أي متبع وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ والسيرة بكسر السين هيأة السير وجمعها سير أي طريقته وهيأته وحالته ثم خصت بحاله في غزواته ونحوها نقله الشيخ محمد بن عبد الباقي في شرح المواهب ولا يخفى عظيم فضل الاهتمام بسيرته صلى الله عليه وسلم لأن شرف كل علم بحسب شرف معلومه وهذا العلم هو الكفيل ببيان أحواله صلى الله عليه وسلم العلية وأطواره الشريفة من لدن كان في بطن أمه إلى انتقاله إلى دار كرامته ولحوقه بالرفيق الأعلى صلى الله عليه وسلم تسليما. (**وها أنا**) ها حرف تنبيه وأنا مبتدأ وخبره قوله (**أذكر**) أي أبين ويكثر استعمال ها التنبيه مع ضمير رفع منفصل بشرط أن يكون مرفوعا بالإبتداء بخلاف ما قام إلا أنا فلا تدخل على أنا وبشرط أن يخبر عنه باسم إشارة نحوها أنتم هؤلاء، وشذ قوله:

أبا حكم ها أنت خصم مجادل

قاله الدماميني واستعملها الناظم بدون اسم إشارة (**في هذا الرجز**) أحد البحور المعروفة يعنى نظمه هذا (**من ذاك**) أي من علم السيرة النبوية (**ما**) مفعول أذكر أي الذى (**فيه**) لمن حفظه وشرحه (**سداد**) بكسر السين وفتحها أي غنى وكفاية (**من عوز**) أي احتياج وعدم يعنى انه جمع في هذا النظم من علم السيرة ما يغني من تعلمه ويكفيه حتى لا يحتاج إلى غيره قال في المصباح السداد بالكسر ما تسد به القارورة وغيرها واختلف في سداد من عيش وسداد من عوز لما يرمق به العيش وتسد به الخلة فقال ابن السكيت والفارابي وتبعه الجوهري بالفتح

والكسر واقتصر الأكثر على الكسر منهم ابن قتيبة وثعلب والأزهري لأنه مستعار من سداد القارورة. اهـ. من شرح الزرقاني للمواهب بلفظه. وفي القاموس وسداد من عوز وعيش لما يسد به الخلة قد يفتح أو يجر وإذا تأملته علمت أن قول مولاي إبراهيم في شرحه هو بكسر السين لا بالفتح مخالف لما مر وذكر في شرحه هنا أن المامون قال يوما بحضرة النضر بن شميل انه صلى الله عليه وسلم قال: «ان الرجل إذا تزوج المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز» بفتح السين، فقال النضر بكسر السين، فقال له المامون أوتلحنني يا نضر؟ قال لا ولكن لحن هشيم الذى حدثك. فأجازه المامون بجائزة سنية وقال النضر سبحان الله كُسرت سين أعطاني الله عليها كذا وكذا..

(المبتغي التحصيل من أولي الهدى)

المجرور متعلق بقوله سداد والمبتغى الطالب والتحصيل تمييز ما أراد حصوله ومعرفته وأولى الهدى أصحابه والهدى التوفيق، يعنى أنه يبين في هذا النظم من علم السيرة النبوية ما فيه الكفاية لمن يطلب معرفة ما يريد حصوله من أصحاب التوفيق حتى لا يحتاج إلى غير هذا النظم لكثرة ما جمع من مسائل هذا الفن إذ قد حصل له من هذا النظم ما يسد خلته ويغنيه من احتياجه. وفي القاموس العَوَزُ بالتحريك الحاجة عوز الشيء كفرح لم يوجد والرجل افتقر كأعوَزَ.

(عسى بنفعهم به أن أرشدا) هذا في المعنى بيان للسبب الحامل له على النظم فأفاد أنه إنما نظمه لأجل رجائه أن يرشد أي يوفق بسبب نفعه للناس بنشر العلم لكثرة ثواب من يعلم الناس الخير والنفع إيصال الخير ودفع الضر وأن أرشدا خبر عسى وبنفعهم معمول أرشدا وقدم على أن لأنه مجرور يتسع فيه ما لا يتسع في غيره كقوله:

كان جزائي بالعصا أن أجلدا

وفي القاموس رشد كنصر وفرح اهتدى وأرشده الله، والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه اهـ..

(سميته) أي هذا النظم أي وضعت له هذا الاسم **(بقرة الأبصار)** جمع

بصر يقال قرت عينه تقر بالكسر والفتح قرة بالضم وقرورا أي سكنت وثبتت لأنها رأت ما كانت متشوفة إليه وأقر الله عينه، واسمها طابق مسماها، فإن من حصلها وفهم معناها تم مرامه وشفي غليله لكثرة ما حصل له من علم السير وسكن بصره فلم يتشوف إلى غيره **(في سيرة المشفع المختار)** أي طريقته وأحواله والمشفع من قبلت شفاعته والشّفاعة لغة الضم ومنه الشفع ضد الوتر لأنه ضم واحد لآخر وكذا الشفعة لأنها ضم أحد الشريكين نصيب صاحبه إلى نصيبه هو والشفاعة ضمك للغير في جاهك قاله القرطبي في المفهم في شرح مسلم، والجاه الشرف ورفعة القدر، والمختار المفضل على جميع الخلائق يعني بهذا نبينا وحبيبنا وقرة أعيننا وملاذنا ووسيلتنا إلى ربنا محمدا صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم ولا شك أنه المنفرد بالشفاعة العظمى في الموقف الهائل حين ضاق بالخلائق الخناق واتهم البرآء أنفسهم وكشف عن ساق نسأل الله تعالى بمنه أن يميتنا على ملته ومحبته وأن يحشرنا في زمرته نحن وأحبتنا بجاهه العظيم فقد قال عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم: «توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم» **(مرتبا)** حال من فاعل أذكر **(له)** أي لهذا الرجز **(على الأبواب)** جمع باب وهو في اللغة فرجة في ساتر يتوصل بها من داخل إلى خارج وبالعكس حقيقة في الذوات كباب الدار ومجازا في المعاني كما هنا فقوله بيان نسبة إلخ.. هو الباب الذي يتوصل منه إلى معرفة نسبه، صلى الله عليه وسلم، التي هي وراء الساتر الحائل دون معرفته والساتر هو الجهل فمن دخل من هذا الباب توصل إلى ما وراء ذلك الساتر، ورتب الناظم رحمه الله مسائل السيرة النبوية على أحواله، صلى الله عليه وسلم، فذكر كل حال في باب معبرا عن الباب بالبيان لأن ذلك أيسر لمن أراد الوقوف على مسألة منه فإنه إذا كانت أبوابه مرتبة مذكورا كل نوع منها خاص في باب بانفراده سهل طلب تلك المسألة على طالبها إذ لا يبحث عنها إلا في باب واحد بخلاف ما إذا كانت أنواع مسائله كلها مذكورة في باب واحد من غير ترتيب فإنه يعسر على الطالب الوقوف على تلك المسألة

التى يريد الوقوف عليها إذ لا يدري في أي موضع من الكتاب كما أشار له بقوله: **(مقربا)** حال أيضا ومفعوله قوله، **(مقاصد الطلاب)** والمقاصد جمع مقصِد بكسر الصاد كما قاله الزرقاني على المواهب وهو الأمر الذى يقصَد والطلاب جمع طالب يعنى أنه رتبه على أبواب فذكر كل نوع خاص في باب بعد باب آخر حال كونه مقربا أي مسهلا ما يقصده طلاب الوقوف على كل مسألة بانفرادها إذ لا يطلب إلا في باب نوعها الخاص بها، ولما ذكر أنه يذكر في هذا الرجز ما يسد خلة المحتاج إلى معرفة هذا العلم وأنه يرتبه على أبواب متعددة ليسهل طلبه على طالبه وكان مقصده ذلك لا قدرة له على اتمامه إلا بعون الله تعالى تبرأ من حوله وقوته تواضعا لله تعالى فقال سائلا منه تعالى أن يعينه على ذلك:

(ومن ممد الكون في انعامه استوهب العون على اتمامه)

المجرور معمول لقوله استوهب وقدمه لإفادة الحصر والامداد من معانيه الإعطاء {أمدكم بأنعام وبنين} ويعدى لمفعول ثان بالباء والناظم عداه بفي وعليه، ففي بمعنى الباء، ومن معانيه الإمهال وهو اللائق بفي. والله تعالى أعلم. والكون المكون فهو يعم جميع الحوادث، والعون التقوية على الأمر ومعنى البيت عليه أنه يسأل العون على اتمام هذا الرجز على وفق مراده من الله تعالى لا من سواه فهو الذى امهل جميع الخلائق في انعامه أي أخرهم ولم يعاجلهم بالعقوبة مع كثرة الكفر والعصيان في إنسهم وجنهم وهذا استعطاف منه لله تعالى ليحصل له مراده، وممد اسم فاعل من أمده رباعيا ومعنى أستوهب العون أطلب منه أن يهبني أي يعطيني العون على اتمام هذا النظم وإنما سأله ذلك لأنه لا قوة له على اتمامه إلا بعون الله تعالى وفي هذا المعنى قال بعضهم:

إذا كان عون الله للمرء خادما تهيأ له من كل صعب مراده
وإن لم يكن عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده

(والنفع للراوي وللمروي عنه بجاه المصطفى النبي)

قوله والنفع بالنصب عطف على العون، أي ومن الله تعالى أسأل النفع لكل من روى شيئا من علم السيرة أي نقله ولكل مروي أي منقول عنه ممن تقدم أو تأخر فيدخل فيه الناظم ومن نقل هو عنه ومن نقل عن الناظم هذا النظم المحتوي على السيرة الغراء وهو دعاء عام بعد خاص وهو قوله أستوهب العون على اتمامه. وبدأ بنفسه لأنه صلى الله عليه وسلم كان إذا دعى بدأ بنفسه، وقال تعالى حكاية عن نوح: {رب اغفرلي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات} وفي الخبر: «الدعاء إذا عم نفع وإذا خص ارتفع» وتوسل في هذا المطلب بجاه أشرف الخلق صلى الله عليه وسلم تسليما، والنفع إيصال الخير ودفع الضر والجاه الشرف ورفعة القدر، والمصطفى المخلص من الكدر، ولفظ النبي على وجهين في اللغة: مهموز وغير مهموز، فأما المهموز فيصح أنه بمعنى مُفعل بصيغة اسم الفاعل لأنه من أنبأ لأنه مخبر عن الله تعالى ويصح أنه بمعنى مفعل بصيغة اسم المفعول لأنه مُنبأ أي مُخبر ويصح أنه من نَبَا بمعنى ارتفع ففي القاموس نبا الشيء يعنى بالهمزة بمعنى ارتفع ويصح انه مأخوذ من النبيء بالهمز على وزنه وهو الطريق الواضح لأنه طريق إلى الله تعالى وأما غير المهموز فيصح أن أصله الهمز وترك الهمز تسهيلا ويصح أن يكون واويا فيحتمل معنيين أحدهما أنه من النبوة وهي الارتفاع والثاني أنه من النبي على وزنه وهو الطريق أيضا قاله المحقق اليوسي في حواشي الكبرى **(عليه)** الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم **(أزكى)** أي أكثر وأفضل **(صلوات الباري)** أي رحماته المقترنة بالتعظيم والإجلال والباري الخالق لجميع المخلوقات من برأ الله الخلق خلقهم **(وآله وصحبه)** تقدم قريبا تفسيرهما **(الأبرار)** أهل الصدق والطاعة والإحسان الذين اختارهم الله تعالى لصحبة خير خلقه صلى الله عليه وسلم، وفي الحديث: «إن الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيئين والمرسلين واختار لى منهم أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير أصحابي وفي أصحابي

كلهم خير »، وفي الحديث: « مثل أصحابي مثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام إلا به » وفيه: « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » ذكرها في الشفا.

تنبيهان:

الأول: قال في الشفا عامة أهل العلم متفقون على جواز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم قال شارحه ابن سلطان أي من سائر الأنبياء بل هي مستحبة لما روى البيهقي والخطيب مرفوعا صلو على أنبياء الله ورسله فإن الله بعثهم كما بعثني فيستحقون الصلاة كما استحقها اهـ. وفي الشرح بعد هذا ما يفيد أنه لا خلاف في جواز الصلاة على غير الأنبياء تبعا وفي الشفا ان الذى ذهب إليه المحققون ما قاله مالك وسفيان وروي عن ابن عباس واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين أنه لا يصلى على غير الأنبياء قال شارحه المذكور أي افرادا وإنما تجوز اتباعا اهـ.

الثاني: أتى الناظم بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عقب الدعاء لأن ذلك أرجى لإجابته ففي الحديث: « كل دعاء محجوب دون السماء فإذا جاءت الصلاة علي صعد الدعاء »، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه الدعاء والصلاة معلق بين السماء والأرض لا يصعد الى الله منه شيء حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم؛ وعن علي كرم الله تعالى وجهه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وقال وعلى آل محمد قاله في الشفا، وقوله الصلاة أي المفروضة والنافلة وقوله معلق أي كل منهما وقوله إلى الله أي محل قبوله أو مكان عرشه وقوله منه أي مما ذكر قاله ابن سلطان. ولما فرغ من خطبة نظمه شرع في ذكر نسب هذه الدرة الشريفة والذات المطهرة المنيفة لينجز ما بذكره وعد ويتمم من مرامه ما قصد فقال:

(بيان نسبة النبي المصطفي صلى عليه ربنا وشرفا)

قوله بيان خبر مبتدء محذوف والنسب محركة والنسبة بالكسر

والضم القرابة أو في الآباء خاصة قاله في القاموس أي هذا بيان نسب النبي صلى الله عليه وسلم المجمع عليه إلى عدنان إذ بذكر نسبه يقع تمييزه عن غيره ويظهر شرفه على من سواه بانتقاله من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة وبالعكس وفي معالم التنزيل كان آدم يسمع من تخطيط أسارير جبهته نشيشا فقال يا رب ما هذا فنودي يا آدم هذا تسبيح ولدك محمد مزج بمائك فيكون لك ولدا وأنت له أب فنعم الوالد ونعم المولود، ثم انتقل ذلك الجزء من صلب آدم إلى رحم حواء ومنها إلى صلب شيث ومنه إلى رحم قيصلة ومنها إلى صلب أنوش وهكذا كان ينتقل وكان يؤخذ في كل مرتبة عهد وميثاق على أن لا يوضع ذلك الجزء إلا في المطهرات اهـ. نقله مولاي ابراهيم في شرحه، والنشيش: الصوت. وقوله صلى الله عليه وسلم تقدم معناه، وربنا مالكنا جميع الحوادث ومبلغنا إلى كمالنا شيئا فشيئا وأصل الرب مصدر يقال ربه ربا ورباه تربية وربيه تربيبا وربته ترتبيتا وربته ربتا أي بلغه إلى كماله شيئا فشيئا فمن الأول لئن يربني رجل من قريش أحب إلى من أن يربني رجل من هوازن، ومن الثاني:

ربيتـــــه حتى إذا تمعددا ... وآض نهدا كالحصان أجردا

ومن الثالث:

بيضا مرازبة غلبا أساورة ... أسدا تربب في الغيضات أشبالا

ومن الرابع:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بجمهور حزوى حيث ربتني أهلي

وقيل أصله راب فخفف بحذف الألف كما فعل في برّ. وقوله وشرفا أي أعلاه والشرف العلو وهذا دعاء بلفظ الخبر وهو صلى الله عليه وسلم أشرف الخلق نسبا وأعزهم نفرا من قبل أبيه وأمه فهو نخبة بني هاشم خلاصة قريش وصميمها ولله در القائل:

قد أورث المجد عبد الله شيبة عن ... عمرو بن عبد مناف عن قصيهم

فجاء فيهم بمن جال السماء ومن ... سمى على النجم في سامي بيوتهم

فالعرب خير أناس ثم خيرهم ... قريشهم وهو فيهم خيرهم

قوم إذا قيل من قالوا نبيكم منا فهل هذه تلفى لغيرهم

وفي الحديث: «إن الله اصطفى من ولد ابراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفاني من بنى هاشم». قال الترمذي حديث صحيح. وفي حديث الطبراني ان الله اختار خلقه فاختار منهم بنى آدم ثم اختار من بنى آدم العرب ثم اختارني من العرب فلم أزل خيارا من خيار. وقوله ان الله اختار خلقه أي ممن لو تعلقت بهم الإرادة ووجدوا كانوا دونهم في الفضل لكونهم لم يختاروا أي اختارهم ممن يقدر وجودهم فلا يراد أن الاختيار إنما يكون من شيء إذ لابد من مختار ومختار منه اهـ حرره الزرقاني في شرح المواهب وفي الحديث: «كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد» بمعنى أن نبوءته محكوم بها ظاهرة بين خلق روح آدم وخلق جسده حيث نبأه في عالم الأرواح وأطلعها على ذلك وأمرها بمعرفة نبوأته والاقرار بها فمن خصائصه صلى الله عليه وسلم إلى خروجه من ظهر آدم قبل نفخ الروح ونبأه وأخذ عليه الميثاق قبل نفخ الروح في آدم إذ هو المقصود من خلق النوع الإنساني إذ لولاه ما خلق، انظر الزرقاني. ولبعضهم:

ألا بأبي من كان ملكا وسيدا وآدم بين الماء والطين واقف

فذاك النبي الأبطحي محمد له في العلا مجد تليد وطارف

أتى بزمان السعد في آخر المدى وكان له في كل عصر مواقف

أتى لانكسار الدهر يجبر صدعه فأثنت عليه ألسن وعوارف

إذا رام أمرا لا يكون خلافه وليس لذاك الأمر في الكون صارف

أنشدها القسطلاني في المواهب لغيره. وقوله في آخر المدى بفتحتين يعنى الزمان الأخير من أزمنة الأنبياء وقوله مواقف أي أحوال لتقدم خلقه وقوله وعوارف جمع عارفة ومعناه أن الأمور المعروفة في الشرع أثنت عليه لإظهاره لها وذبه عن معارضتها قاله الزرقاني.

(ونسب المختار محفوظ إلى عدنان بالإجماع عند الفضلا)

يعني أن آباءه صلى الله عليه وسلم إلى جده عدنان أجمع العلماء وهم

مراده بالفضلاء على عددهم ومعرفتهم وإن اختلفوا في أسماء بعضهم وأما ما فوق ذلك ففيه اختلاف كثير، قال ابن دحية أجمع العلماء والاجماع حجة على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما انتسب إلى عدنان ولم يجاوزه، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان ثم يمسك ويقول كذب النسابون، قال الله تعالى {وقرونا بين ذلك كثيرا}.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: إنما ينسب إلى عدنان وما فوق ذلك لا يدرى ما هو. وقوله إنما ينسب بتحتية فنون النبي صلى الله عليه وسلم أو بنونين أي معاشر قريش وقوله لا يدرى بياء ونون وفي سيرة العسقلاني اختلف فيما بين عدنان وإسماعيل اختلافا كثيرا ومن إسماعيل إلى آدم متفق على أكثره وفيه خلاف يسير في عدد الآباء وفيه خلف أيضا في ضبط بعض الأسماء. وقال عروة بن الزبير ما وجدنا أحدا يعرف بعد معد بن عدنان.

وسئل مالك عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم فكره ذلك، قيل له فإلى اسماعيل فكره ذلك أيضا وقال على سبيل الانكار من أخبره حتى يعتمد عليه وكذا روي عنه أنه كره ذلك في رفع نسب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلى آدم وإذا كان كذلك فالذي ينبغي لنا الاعراض عن ما فوق عدنان لما فيه من التخليط والتغيير للألفاظ وصعوبة تلك الأسماء مع قلة الفائدة في ذكرها اهـ من المواهب وشرحها.

ورأيت في شرح لهذا النظم لم يسم مؤلفه نفسه أن معرفة آبائه صلى الله عليه وسلم المجمع عليهم واجبة على كل مؤمن. وفي مطالع المسرات بعد قول دلائل الخيرات النبي العربي القرشي الزمزمي المكي التهامي ما نصه هذه الأوصاف المذكورة هنا مما يجب اعتقاده في حقه صلى الله عليه وسلم إذ هي من جملة مشخصاته المعينة له اهـ.

(وها أنا أشير لاسم كل منهم بحرف منه مستقل)

ها حرف تنبيه وأنا مبتدء وأشير خبره ومرّ ما يقال فيه، وبحرف متعلق بأشير ومنهم صلة لحرف أي حرف من اسم كل واحد منهم

ومستقل صفة لحرف والإشارة تأدية المعنى بلفظ غير صريح.

أخبر الناظم رحمه الله أنه يشير -أي في البيت الآتي- لاسم كل واحد من آباء النبي صلى الله عليه وسلم تسليما وآبائهم إلى عدنان بحرف من اسم كل واحد مستقل بذلك الحرف أي كاف في تعيين من أشير إليه به لقصد الاختصار وضيق النظم والبيت الذى فيه الحروف المشار بها إلى أسمائهم هو قوله: مع إلخ.

ولنذكر عمود نسبه صلى الله عليه وسلم أولا على طريق الاختصار متواليا فأقول كما قال في المواهب: اعلم أنه عليه الصلاة والسلام لم يشترك معه في ولادته من أبويه أخ ولا أخت لانتهاء صفوتهما إليه وقصور نسبهما عليه ليكون مختصا بنسب جعله الله تعالى للنبوأة غاية ولتمام الشرف نهاية فإذا علمت شرف نسبه وطهارة مولده علمت أن هذا النبي العربي الأبطحي القرشي الهاشمي المنتخب من خير بطون العرب حسبا وأعرقها نسبا وأكرمها من قبل أبيه وأمه ومن أكرم بلاد الله تعالى على الله هو محمد صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

(مع) أما الميم فهي إشارة لاسم نبينا صلى الله عليه وسلم محمد الذى سماه به جده عبد المطلب فطابق ما سماه الله تعالى به فقيل له لم سميت ابنك محمدا وليس من أسماء آبائك ولا قومك؟ فقال رجوت أن يحمده أهل السماء والأرض فحقق الله رجاءه والمحمد الذى تكاملت فيه الخصال المحمودة، قال الأعشى:

إليك أبيت اللعن كان وجيفها ... إلى الماجد القرم الجواد المحمد

وأما العين فهي إشارة إلى والد المصطفى صلى الله عليه وسلم عبد الله، قال الحافظ لم يختلف في اسمه الذبيح وكنيته أبو قثم بقاف فمثلثة وهو من أسمائه صلى الله عليه وسلم مأخوذ من القثم وهو الإعطاء أو الجمع، يقال للرجل الجموع للخير قثوم وقثم وقيل كنيته أبو

محمد وقيل أبو أحمد، قاله ابن الأثير اهـ فإن قلنا بالمشهور من وفاته والمصطفى صلى الله عليه وسلم حمل فلعله كنى بالإلهام وإلا فالأمر ظاهر قاله الزرقاني.

(شه) أما الشين فهي إشارة لاسم جده شيخ البطحاء عبد المطلب بكسر اللام بصيغة اسم الفاعل كما في المصباح وفي «الحلة السيراء» انه بفتح اللام شيبة الحمد مركب إضافي سمي به كما قال ابن قتيبة لأنه كان يرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤوس الجبال فكان يقال مطعم طير السماء والفياض لجوده وفيه يقول الشاعر:

على شيبة الحمد الذى كان وجهه   يضيء ظلام الليل كالقمر البدر

وهو قول ابن اسحاق وهو الصحيح كما قال السهيلي وقيل سمي به لأنه ولد في رأسه شيبة وقيل لأن آباه أوصى أمه بذلك ولعل وجه إضافته إلى الحمد رجاء أنه يكبر ويشيخ ويكثر حمد الناس له فحقق الله ذلك. فكثر حمدهم له لأنه مفزع قريش في النوائب وسيدهم كمالا وفعالا وكان مجاب الدعوة وحرم الخمر على نفسه، قال ابن الأثير وهو أول من تَحَنَّثَ بحراء كان إذا دخل رمضان صعده وأطعم المساكين وقال ابن قتيبة اسم شيبة عامر وتابعه على ذلك صاحب القاموس وقال أبو عمران ذلك لا يصح وكنية شيبة أبو الحارث وهو أكبر ولده وقيل كنيته أبو البطحاء وسمي عبد المطلب لأن أباه هاشما لما حضرته الوفاة قال لأخيه المطلب أدرك عبدك يشرب، وقال له ذلك استعطافا وقيل إن عمه المطلب جاء به إلى مكة رديفه وهو بهيأة بذة فكان يسأل عنه فيقول هو عبدي حياء من أن يقول ابن أخي فلما أدخله مكة أحسن حاله وأظهر أنه ابن أخيه فلذلك قيل له عبد المطلب وعاش مائة وأربعين سنة فيما قاله الزبير بن بكار وجزم به السهيلي وقيل مائة وعشرين وصدر به مغلطاي نقله الزرقاني وأما الهاء فإشارة لهاشم واسمه عمر وسمي هاشما لأنه أول من هشم الثريد بمكة لأهل الموسم ولقومه أولا في سنة المجاعة فإنه لما أصاب أهل مكة شدة رحل إلى فلسطين فاشترى منها

دقيقا كثيرا وكعكا وقدم به مكة فأمر به فخبز ثم نحر جزورا وجعلها ثريدا عم به أهل مكة ولم يزل يفعل ذلك حتى استقلوا، وفيه يقول ابن الزبعرى:

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

والثريد بمثلثة ما اتخذ من لحم وخبز، قال:

إذا ما الخبز تادمه بلحم فذاك أمانة الله الثريد

وفي المنتقى كان هاشم أفخر قومه وأعلاهم وكانت مائدته منصوبة لا ترفع لا في السراء ولا في الضراء وكان نور رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه يتوقد شعاعه ولا يراه حبر إلا قبل يده ولا يمر بشيء إلا سجد له تغدوا إليه قبائل العرب ووفود الأحبار يحملون بناتهم يعرضون عليه أن يتزوج بهن حتى بعث إليه هرقل ملك الروم وقال إن لى ابنة لم تلد النساء أجمل منها ولا أبهى وجها فاقدم علي حتى أزوجكها فقد بلغني جودك وكرمك وإنما أراد نور المصطفى الموصوف عندهم في الإنجيل فأبى هاشم، قال ابن اسحاق وهو أول من مات من بني عبد مناف واختلف في سنه فقيل عشرون وقيل خمس وعشرون سنة قاله الزرقاني.

(عق) أما العين فإشارة لعبد مناف من أناف ينيف إذا ارتفع لقب بذلك لأن أمه حبى بضم الحاء المهملة وموحدة مشددة ممالة أخدمته صنما عظيما لهم يسمى مناة ثم نظر أبوه قصي يوما فرآه يوافق عبد مناة بن كنانة فحوله إلى عبد مناف واسمه كما قال الشافعي المغيرة منقول من الوصف والهاء للمبالغة سمي به تفاؤلا أنه يغير على الأعداء وساد في حياة أبيه وكان مطاعا في قريش ويدعى القمر لجماله، قال الواقدي وكان فيه نور رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده لواء نزار وقوس إسماعيل وذكر الزبير عن موسى بن عقبة أنه وجد في كتابة في حجر أنا المغيرة بن قصي آمر بتقوى الله العظيم، وبصلة الرحم وإياه عنى القائل بقوله:

كانت قريش بيضة فتفلقت فالمخ خالصه لعبد مناف

ومات بغزة. وأما القاف فإشارة لقصي تصغير قصى بفتح فكسر فياء ساكنة أي بعيد لأنه بعد عن عشيرته في بلاد قضاعة حين احتملته فاطمة بنت سعد العذري وكرهوا اجتماع ثلاث ياءات فصغروه على فعيل مثل فليس واسمه مجمع قال الشاعر:

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر

في مكة بعد تفرقهم في البلدان، ذكر ثعلب في أماليه أنه كان يجمع قومه يوم العروبة فيذكرهم ويامرهم بتعظيم الحرم ويخبرهم أنه سيبعث فيهم نبي، وقوله به جمع بالتثقيل للمبالغة وفي الخميس كان اسمه زيد فسمي مجمعا لما جمّع من أمر قريش فسمي مجمّعا، اهـ.

وبعد البيت المتقدم:

وأنتم بنو زيد وزيد أبوكم به زيدت البطحاء فخرا على فخر

وقيل اسمه يزيد وكان قصي أول بني كعب أصاب ملكا طاع له به قومه وكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء وحاز شرف مكة جميعا وكان جلدا جميلا وعالم قريش وأقولها بالحق.

(كم) أما الكاف فإشارة لكلاب وهو إما منقول من مصدر كالبت العدو مكالبة وكلابا ومعناه المشارة وإما من جمع كلب للحيوان المعروف كأنهم يريدون الكثرة كما يسمون بسباع وأنمار. وسئل اعرابي لم تسمون أبناءكم بشر الأسماء، نحو كلب وذئب وعبيدكم بأحسن الأسماء نحو مرزوق ورباح؟ فقال إنما نسمي أبناءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا يريد أن الأبناء عدة للأعداء وسهام في نحورهم فاختاروا لهم هذه الأسماء دون عبيدهم لأنهم لا يقصد منهم قتال غالبا بل كان ذلك عارا عند العرب وقيل لقب بكلاب لمحبته كلاب الصيد وكان يجمعها فمن مرت به قال هذه كلاب ابن مرة واسمه حكيم وقيل عروة، هذا كله من المواهب وشرحها.

وأما الميم فإشارة لمرة بضم الميم علم منقول من وصف الرجل بالمرارة والتاء للمبالغة وكنيته أبو يقظة وأولاد مرة ثلاثة: كلاب وتميم ويقظة.

(كل) أما الكاف فإشارة لكعب قال ابن دريد منقول من كعب القناة

سمي بذلك لشرفه وارتفاعه في قومه فكانوا يخضعون له حتى أرخوا بموته إلى عام الفيل فأرخوا به، ثم بموت عبد المطلب، وقيل من الكعب الذى هو قطعة السمن الجامد وهو أول من جمع الناس لمجرد الوعظ يوم العروبة وكانت تجتمع إليه قريش فيه فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ويعلمهم بأنه من ولده ويامرهم بالإيمان به إن أدركوه وينشد مع ذلك أبياتا منها قوله:

يا ليتني شاهد نجواء دعوته   إذا قريش تبغي الحق خذلانا

وقوله نجواء بنون وجيم أي دعوته السر إشارة إلى ما في ابتداء الدعوة من الخفاء قبل الأمر بالصدع ومده ضرورة وفي نسخة فحواء بفاء فحاء مهملة أي معنى ومده ضرروة. وقوله تبغي بضم الفوقية وفتح الموحدة وكسر الغين المعجمة من بغاه الشيء بالتخفيف طلبه شدد مبالغة وفي نسخة: حين العشيرة تبغي الحق خذلانا، بفتح فسكون فكسر مخففا، والمراد أنه يتمنى إدراك زمن دعوته صلى الله عليه وسلم للناس وقريش يعارضونه ويطلبون خذلان دينه لينصره ويظهر دينه وكان كعب فصيحا خطيبا وكان يأمر بتعظيم الحرم وعلمه هو به صلى الله عليه وسلم من الوصية المستمرة من آدم أن من كان فيه النور لا يضعه إلا في المطهرات لأن ختام الأنبياء منه وكان طاهرا أو من الكتب القديمة أن من كان بصفة كذا كان محمد من ولده والأول أظهر، وروى أبو نعيم عن كعب الأحبار أن بين موت كعب ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم خمس مائة وستين سنة، انظر الزرقاني. وأما اللام فإشارة إلى لؤي بضم اللام وبالهمز وتبدل واوا، تصغير لأى كعصى وهو الثور الوحشي قاله ابن الانباري، قال ويحتمل أنه تصغير لأي بوزن عبد وهو البطء ويؤيده قوله:

فدونكم بني لؤي أخاكم   ودونك مالكا يا أم عمرو

واختار السهيلي الثاني وقال أبو حنيفة اللأ البقرة وقال الأصمعي هو تصغير لواء الجيش وقيل منقول من لوى الرمل وكنيته أبو كعب وكان له سبعة ذكور.

(غف) أما الغين فإشارة لغالب منقول من اسم فاعل مشتق من الغلب بالتحريك أو بفتح فسكون ويقال غلبة بهاء وأما الفاء فإشارة إلى فهر بكسر الفاء وسكون الهاء فراء منقول من الفهر الحجر الطويل الأملس، قاله السهيلي وقال الخشني الفهر حجر ملء الكف يذكر ويؤنث وخطأ الأصمعي من أنثه وفي الفتح الفهر الحجر الصغير وفي الارشاد الطويل والأملس واسمه قريش. وعن الزهري أن أمه سمته قريشا وأبوه سماه فهرا وقيل فهر لقبه وقيل بالعكس وإليه تنسب قريش ونسب للأكثر، قال الزهري وهو الذى أدركت عليه من أدركت من نساب العرب أن من جاوز فهرا فليس من قريش فما كان فوقه فكناني لا قرشي على الصحيح قاله في المواهب. قال الزرقاني صححه الدمياطي والعراقي وغيرهما. **(من)** أما الميم فإشارة لمالك، اسم فاعل من ملك، قال الخميس سمي مالكا لأنه كان ملك العرب وأما النون فإشارة للنضر واسمه قيس ولقب بالنضر لنضارة وجهه وجماله وله من الذكور مالك والصلت ويخلد بفتح التحتية وسكون المعجمة وضم اللام فدال مهملة وبه يكنى أبوه ولكن لم يعقب إلا من مالك وذهب الأكثرون إلى أن النضر هو قريش وبه قال الشافعي قال النووي وهو الصحيح المشهور وصححه أيضا الحافظ العلائي وعزاه للمحققين وللعراقي.

أما قريش فالأصح فهرُ جماعها والأكثرون النضر

قال الحافظ: وعندي أنه لا خلف في ذلك لأن فهرا جماع قريش ثم أن أباهم مالكا لم يعقب غيره وكذلك النضر لا عقب له إلا مالك فاتفق القولان بحمد الله تعالى فقريش ينتهي نسبها كلها إلى فهر وقيل قريش هو إلياس وقيل مضر وقيل قصي، قال البرهان وهو باطل وكأنه قول رافضي لأنه يقتضي أن أبا بكر وعمر ليسا من قريش فإمامتهما باطلة وهو خلاف إجماع المسلمين. واختلف في سبب تسمية قريش فقيل منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة من أقوى دواب البحر سميت به لقوتها لأنها تاكل ولا توكل وتعلو ولا تعلى وكذلك قريش أخرج البخاري في تاريخه أن ابن عباس سأله عمرو بن العاص فقال ان

قريشا تزعم أنك أعلمها فلم سميت قريش قريشا؟ فقال بأمر بين. فقال فـفـسـره لنـا. فـفـسـره: قال هل قال فيه أحد شعرا؟ قال نعم. وقد قال الشمرخ بن عمرو الحميري:

وقـريش هي التى تسكن البحـ ـر بهـا سـميت قـريش قـرشـا
تأكل الغث والسمين ولا تـتـ ـرك فيه لذي جناحين ريشا
هكذا في البلاد حي قريش ياكلون البلاد أكلا كميشا
ولهم آخر الزمان نبي يكثر القتل فيهم والخُموشَا
يملأ الأرض خيله ورجال يحشرون المطي حشرا كشيشا

وأكلا كميشا أي سريعا والخموش الخدوش قاله الزرقاني وقيل من التقريش وهو التفتيش لأنهم يفتشون عن خلة الناس فيسدونها وقيل لأنهم كانوا يتجرون من قرش كضرب إذا تجر وقيل من الاقراش وهو وقوع الرايات والرماح بعضها على بعض وقيل غير ذلك، وقريش البطحاء من دخل مكة مع قصي والظواهر من أقام بظاهر مكة ولم يدخل الأبطح.

(كخم) أما الكاف فإشارة إلى كنانة بكاف مكسورة فنونين مفتوحتين بينهما ألف ثم هاء منقول من الكنانة التى هي الجعبة بفتح الجيم وسكون العين المهملة سمي بذلك تفاؤلا بأنه يصير كالكنانة الساترة للسهام فكان سترا على قومه وقيل سمي به لأنه لم يزل في كن من قومه وكان عظيم القدر يجتمع إليه العرب لعلمه وفضله بينهم وأما الخاء فإشارة لخزيمة تصغير خزمة وهي مرة من الخزم وهو شد الشيء وإصلاحه وقال الزجاجي يجوز أنه من الخزم بفتح فسكون تقول خزمته فهو مخزوم إذا أدخلت في أنفه الخزام وقيل تصغير خزمة بكسر فسكون برة في أنف البعير يشد فيها الزمام، قال في الغرر ولم أر من تعرض لوجه المناسبة لنقله مما ذكر، قال ابن عباس مات خزيمة على ملة ابراهيم.

تنبيه:

ذكر الزبير بن بكار وتبعه السهيلي أن خزيمة لما مات خلف ابنه كنانة على زوجته برة بنت إد بن طابخة فتزوجها فولدت له النضر علي ما كانت تفعله الجاهلية من أن أحدهم إذا مات خلف على زوجته أكبر بنيه من غيرها وقد قال تعالى: {ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف} أي من تحليل ذلك قبل الإسلام. قال وفائدة الإستثناء ليلا يعاب نسب النبي صلى الله عليه وسلم وليعلم أنه لم يكن في أجداده سفاح اهـ. وتعقب هذا الحافظ القطب الحلبي بما حاصله أن هذا غلط نشأ من اشتباه وذلك أن أبا عثمان الحافظ قال ان كنانة خلف على زوجة أبيه فماتت ولم تلد ذكرا ولا أنثى فنكح ابنة أخيها وهي برة بنت مرّ بن إد بن طابخة فولدت له النضر، قال الحافظ وإنما غلط كثير لما سمعوا أن كنانة خلف على زوجة أبيه لاتفاق اسمهما وتقارب نسبهما، قال وهذا الذى عليه مشائخنا من أهل العلم ومعاذ الله أن يكون أصاب نسبه صلى الله عليه وسلم نكاح مقت وقد قال: «مازلت أخرج من نكاح كنكاح الاسلام،» ومن قال غير هذا فقد أخطأ والحمد لله الذى طهره من كل وصم تطهيرا اهـ.

قال الدميري وهذا أرجو به الفوز للحافظ في منقلبه وأن يتجاوز عنه ما سطره في جميع كتبه اهـ. وقد صوب مغلطاي كلام الحافظ وأن خلافه غلط ظاهر، قال وهذا الذى يثلج به الصدر ويذهب حره ويزيل الشك ويطفؤ شرره قال الشامي وهو من النفائس التى يرحل إليها والسهيلي تبع الزبير بن بكار والزبير كأنه تبع الكلبي وهو متروك بل لو نقله ثقة لم يقبل لمخالفة الأحاديث الناطقة بخلافه اهـ.

وكذا ما قيل أن هاشما خلف على واقدة زوجة أبيه بفرض صحته وليست جدة للنبي صلى الله عليه وسلم، فإن أم عبد المطلب أنصارية ولذا كانت الأنصار أخوال المصطفى صلى الله عليه وسلم، اهـ. نقله محمد بن عبد الباقي.

وأما الميم فإشارة لمدركة والتاء للمبالغة منقول من اسم فاعل من

الإدراك لقب به لأنه أدرك كل عز وفخر كان في آبائه وكان فيه نور المصطفى صلى الله عليه وسلم ظاهرا بينا واسمه عمرو عند الجمهور وهو الصحيح وقيل عامر وتنوين كخم غير معتبر.

(أمـن) أما الهمزة فإشارة إلى إلياس والمعروف أنه اسمه وفي سيرة مغلطاي اسمه حبيب وهمزته همزة قطع، ثبت في الدرج عند ابن الأنباري وهي مكسورة وفي الخميس إنما سمي إلياس لأن أباه كبر ولم يولد له فولد على الكبر الياس فسمي إلياس وكنيته أبو عمر وله أخ يقال له الناس وهو عيلان قال ابن الأنباري وهو إفعال من قولهم أليس الشجاع الذى لا يفر. قال الشاعر:

اليس كالنشوان وهو صاح

ووافق ابن الأنباري علي كسر همزته طائفة وقال قاسم بن ثابت هو بفتحها وهي همزة وصل من اليأس ضد الرجاء واللام للتعريف وأنشد قاسم على ذلك قول قصي:

أمهتي خندف وإلياس أبي

قال الإمام السهيلي وهذا أصح من قول ابن الأنباري وهو أول من أهدى البدون إلى البيت ويذكر أنه كان يسمع في صلبه تلبية النبي صلى الله عليه وسلم في الحج ولما أدرك إلياس أنكر علي بنى إسماعيل ما غيروا من سنن آبائهم وبان فضله عليهم ولان جانبه لهم حتى جمعهم رأيه ورضوا به فردهم إلى سنن آبائهم وكان ذا جمال بارع وهو وصي أبيه ولم تزل العرب تعظمه تعظيم أهل الحكمة كلقمان وأشباهه وكان يدعى كبير قومه وسيد عشيرته ولا يقطع أمر دونه، ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: «لا تسبوا إلياس فإنه كان مؤمنا»، ولما مات إلياس أسفت عليه زوجته خندف أسفا شديدا ونذرت أن لا يأويها بيت ولا تقيم في بلد فتركت بنيها منه وساحت في الأرض حتى هلكت حزنا عليه ومات يوم الخميس فنذرت أن تبكيه كلما طلعت الشمس يوم الخميس حتى تغيب وضربت الأمثال بحزنها عليه انظر الزرقاني. وأما الميم فإشارة لمضر قيل سمي به لأنه كان يحب اللبن الماضر أي الحامض

وفيه نظر لأنه يستدعي أن يكون له اسم غير هذا قبل أن يتصف بهذه الصفة. نعم يمكن أن يكون هذا اشتقاقه ولا يلزم أن يكون متصفا بهذه الصفة وقيل لبياضه وقيل لأنه كان يمضر القلوب لحسنه وجماله، وفي الخميس لأنه أخذ بالقلوب ولم يكن يراه أحد إلا أحبه، وفي السبل: اسمه عمرو وكنيته أبو إلياس ومن حكمه: من يزرع شرا يحصد ندامة، وخير الخير أعجله، فاحملوا أنفسكم على مكروهها واصرفوها عن هواها فيما أفسدها فليس بين الصلاح والفساد إلا صبر فُواق بضم الفاء وتفتح ما بين الحلبتين وهو أول من سن الحداء للإبل وذلك أنه سقط وهو شاب فانكسرت يده فقال يا يداه يا يداه، وكان من أحسن الناس صوتا فآبت إليه الإبل من المرعى فلما صح وركب حدى وقيل بل كسر مولى له فصاح فاجتمعت إليه الإبل فوضع الحداء وزاد الناس فيه. وأخرج ابن سعد من مرسل عبد الله بن خالد قال صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا مضر فإنه كان قد أسلم» اهـ من الزرقاني.

وفي القاموس مضر اللبن كنصر وفرح وكرم حمض وابيض ثم قال ومضر بن نزار كزفر أبو قبيلة وهو مضر الحمراء سمي به لولوعه بشرب اللبن الماضر أو لبياض لونه اهـ. وسمي مضر الحمراء لأنه أعطي الذهب من ميراث أبيه وأعطي ربيعة الخيل انظر القاموس.

وأما النون فإشارة لنزار بكسر النون من النزور وهو القليل. قيل سبب ذلك أنه لما ولد ونظر أبوه إلى نور محمد صلى الله عليه وسلم بين عينيه وهو نور النبوءة الذى كان في الأصلاب فرح فرحا شديدا ونحر وأطعم وقال إن هذا كله نزر لحق هذا المولود فسمي نزار بذلك وبهذا جزم السهيلي وتبعه النور والخميس وزاد انه خرج أجمل أهل زمانه وأكبرهم عقلا وقال أبو الفرج الأصبهاني سمي بذلك لأنه فريد عصره واقتصر عليه الفتح والإرشاد وقيل لقب به لنحافته، قال الماوردي كان اسمه خلدان وكان مقدما وانبسطت له اليد عند الملوك وكان مهزول البدن فقال له ملك الفرس ما لك يا نزار، قال وتفسيره يا مهزول فغلب عليه هذا الاسم وكنيته أبو إياد وقيل أبو ربيعة ويقال إن

قبر نزار بذات الجيش قرب المدينة قاله الزرقاني.

(مـــع) أما الميم فإشارة إلى معد بفتح الميم المهملة وشد الدال ابن الانباري يحتمل انه مفعل من العد أو من معد في الأرض إذا أفسد وقيل غير ذلك قاله في الفتح وقال الخميس: سمي معدا لأنه كان صاحب حروب وغارات على بني إسرائيل ولم يحارب أحدا إلا رجع بالنصر والظفر وكنيته أبو قضاعة وقيل أبو نزار قاله الزرقاني وذكره في القاموس في فصل العين وفي فصل الميم ولفظه في فصل العين ومعد بن عدنان أبو العرب أو الميم أصلية لقولهم تمعدد أي تزيا بزي معدٍ في تقشفهم أو تنسب إليهم أو تصبر على عيشهم. وأما العين فإشارةً إلى عدنان من العدن أي الإقامة وعن ابن عباس قال كان عدنان ومعد وربيعة وخزيمة وأسد على ملة إبراهيم فلا تذكروهم إلا بخير. وروى الزبير بن بكار مرفوعا: « لا تسبوا مضرا ولا ربيعة فإنهما كانا مسلمين » وله شاهد عند ابن حبيب من مرسل ابن المسيب.

(إلى هنا زكن) المجرور معمول لزكن معناه علم والإشارة لعدنان ونائب زكن راجع من النسب الشريف أي علم نسبه صلى الله عليه وسلم إلى عدنان. وأما ما فوق عدنان من النسب فلم يعلم كما تقدم.

فائدتان:

الأولى: لما نفخ في آدم الروح صار نور محمد صلى الله عليه وسلم يلمع من جبهة آدم كالشمس المشرقة رواه ابن عباس ثم كان في وجه وصيه على أولاده ابنه شيث بكسر المعجمة فتحتية ساكنة فمثلثة وهو مصروف وقيل لا يصرف بناء على أن الثلاثي الأعجمي الساكن الوسط يجوز صرفه وعدمه، قال في الهمع وهو فاسد وقال السهيلي هو بالسريانية شياث وبالعبرانية شيثَ ومعنى شيث هبة الله وفي الشامية يقال شاث بإمالة الشين وكان شيث أجمل أولاد آدم وأشبههم به وأحبهم إليه وأفضلهم وأنزل الله عليه خمسين صحيفة وولد شيث وحده على المشهور كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل معه أخت. ثم

بعدما أوحى الله تعالى إلى شيثَ ان اتخذ ابنك أنوش صفيا ووصيا علم أنه نعيت إليه نفسه فأوصى ولده أنوش بفتح الهمزة فنون مضمومة آخره شين معجمة ومعناه الصادق ويقال يا نش بتحتية فنون مفتوحة فمعجمة لوصية آدم وهي أن لا يضع هذا النور الذى كان في وجه آدم كالشمس إلا في المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية جارية تنتقل من قرن إلى قرن أي من واحد إلى واحد وسماه قرنا تجوزا إلى أن أوصل الله النور الى عبد المطلب وولده عبد الله ولم يوص عبد المطلب ولده بذلك لتعاطيه تزوجه من آمنة مع علمه بمكانها وأن نكاحها لا أثر فيه من الجاهلية فكفاه ذلك عن الوصية وذلك النور موجود في جميع الآباء ويجوز تفاوته فيهم انظر الزرقاني، وما ذكره من ضبط شيث أنه بالتحتية نحوه في شرح الشفا لابن سلطان وفي مطالع المسرات وكذا في الحلة السيراء أنه كقيل ولم أر الهمز في واحد منهم.

الثانية: اعلم ان الله تعالى طهر هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية كما ورد في الأحاديث المرضية فروى البيهقي عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء، ما ولدني إلا نكاح الإسلام» والسفاح الزنا والمراد به هنا أن تسافح المرأة رجلا مدة ثم إذا أعجبته وأعجبها يتزوجها بعد ذلك، وهذا التفسير للقسطلاني، قال شارحه ولولي كما قال شيخنا أن يراد به ما هو أعم فإن جملة الأحاديث دلت على نفي جميع نكاح الجاهلية عن نسبه من نكاح زوجة الأب لأكبر بنيه والجمع بين الأختين ونكاح البغايا وهو أن يطأ البغي جماعة متفرقون فإذا ولدت ألحق بمن غلب عليه الشبه منهم ونكاح الاستبضاع وهو ان المرأة إذا طهرت من الحيض قال لها زوجها أرسلي لفلان استبضعي منه ويعتزلها زوجها حتى يبين حملها فإن بان أصابها زوجها إن أحب ومن نكاح الجمع وهو أن يجتمع رجال دون عشرة ويدخلوا على بغي كلهم يطؤها فإذا وضعت ومر لها ليال بعده أرسلت إليهم فلا يتخلف رجل منهم فتقول قد عرفتم الذى كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمى من أحبت فلا يستطيع نفيه

وان لم يشبهه اهـ.

وقال الكلبي كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان في أمر الجاهلية وفي الحديث خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي رواه الطبراني وابن عساكر وروى أبو نعيم عن ابن عباس مرفوعا «لم يلتق أبواي قط على سفاح، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذبا»، وروى ابو نعيم عنه صلى الله عليه وسلم عن جبريل قال: «قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أر رجلا أفضل من محمد عليه الصلاة والسلام، ولم أر بنى أب أفضل من بنى هاشم» وأخرجه الطبراني والإمام أحمد والبيهقي والديلمي وابن لال وغيرهم قال الحافظ ابن حجر لوائح الصحة لائحة على صفحات هذا المتن وقال ابن تيمية وليس فضل العرب لقريش فبني هاشم بمجرد كون النبي صلى الله عليه وسلم منهم وإن كان هذا من الفضل بل هم في أنفسهم أفضل أي باعتبار الأخلاق الكريمة والخصال الحميدة. قال وبذلك يثبت للنبي صلى الله عليه وسلم أنه أفضل نفسا ونسبا وإلا ثبت الدور انظر الزرقاني.

ولما ذكر نسبه صلى الله عليه وسلم جره ذلك إلى ذكر حفر زمزم وذكر الذبيحين لأن حافرها عبد المطلب جده وحفرها هو بسبب كون عبد الله ذبيحا، فقال:

(وشيبة) هو عبد المطلب شيبة الحمد **(إذ)** أي حين فهو ظرف زماني مضاف للجملة بعده والعامل فيه قوله الآتي همت وقوله **(بئر زمزم)** مفعول حفر ومضاف إليه ما قبله ومعنى **(حفر)** أراد حفرها وشرع فيه كما يأتي وحفر كضرب **(همت بمنعه)** من اتمام حفرها **(قريش)** فاعل همت وذلك أنه جعل يحفرها ثلاثة أيام فلما بدى له الطي كبر وقال هذا طي إسماعيل فقاموا إليه فقالوا إنها بئر أبينا إسماعيل وإن لنا فيها حقا فأشركنا فيها فأبى فقال عدي بن نوفل بن عبد مناف، يا عبد المطلب تستطيل علينا وأنت فذ لا ولد لك ولم يكن له يومئذ ولد إلا

الحارث فقال له أبا القلة تعيرني والله لئن آتاني الله عشرة من الولد ذكورا لأنحرن أحدهم عند الكعبة رواه ابن سعد والبلاذري وفي الخميس سفه عليه وعلى ولده ناس من قريش ونازعوهما وقاتلوهما قاله الزرقاني وإلى هذا أشار بقوله **(فنذر)** كضرب ونصر أي إلتزم بالحلف كما مرّ فيحتمل أنه المراد بالنذر ويحتمل أن الإلزام تكرر مرة بالنذر ومرة بالحلف قاله محمد بن عبد الباقي. وفي عبارة المواهب المثالة لعبارة الناظم **(إن جاءه)** أي ولد له من **(البنين)** أي الذكور **(عشره)** بفتح الشين وكسرها **(يحمونه)** أي يمنعونه **(من البغاة)** جمع باغ وهو الظالم وإنما كانوا بغاة لأنهم أرادوا منعه من أمر اختصه الله تعالى به بل هي في الحقيقة إنما قصد بها النبي صلى الله عليه وسلم وهو ولده فهي لعبد المطلب لا لغيره **(الفجره)** جمع فاجر وهو المنبعث في المعاصي **(لينحرن واحدا)** منهم عند الكعبة **(تقربا* به)** مفعول لأجله أي لأجل التقرب لله، وعبارة المواهب وشرحها ليذبحن أحدهم قربانا لله عند الكعبة **(فلما رام)** أي طلب وقصد عبد المطلب **(نحره)** أي نحر ولده الذى خرج القدح عليه وهو عبد الله والد المصطفى صلى الله عليه وسلم وكان أحب ولد عبد المطلب إليه لرؤية نور المصطفى صلى الله عليه وسلم في وجهه كما في الزرقاني **(أبى)** أي امتنع **(منه)** أي من نحره **(قريش)** لعزه وشرفه فيهم فقاموا إليه في أنديتهم وقالوا له والله لا ندعك تذبحه حتى تعذر فيه إلى ربك بأن تسأل الكاهنة فإنها إن ذكرت أنه يذبح كان ذلك عذرا عندهم ولإن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه ويذبحه وتكون سنة مستمرة في قومك لأنك رئيسهم فيقتدون بك فما بقاء الناس على هذا. وقال له المغيرة بن عبد الله بن عمر وابن مخزوم وكان عبد الله بن أختهم والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه انظر الزرقاني. **(فمضى)** عبد المطلب أي ذهب وركبوا معه **(لخيبرا)** حصن قرب المدينة **(مستامرا)** حال من فاعل مضى أي حال كونه مشاورا **(كاهنها)** أي خيبر فيما يصنع أي شخصها الموصوف بالكهانة وذلك أنهم قالوا له انطلق إلى فلانة الكاهنة وعند

ابن اسحاق وانطلق إلى الحجاز فإنه به عرافة لها تابع من الجن وهو على حذف مضاف أي أحد أرض الحجاز فلعلها أن تامرك بأمر فيه فرج لك فركبوا حتى أتوها بخيبر والكاهنة قيل اسمها قطبة ذكره عبد الغني في كتاب الغوامض وذكر ابن اسحاق ان اسمها سجاح والذى في الروض سجساح فلما أتوها قص عليها عبد المطلب القصة فقالت لهم ارجعوا عني حتى يأتيني تابعي فلما خرجوا من عندها قام عبد المطلب يدعو الله ثم غدوا عليها فقالت لهم قد جاءني الخبر، كم الدية عندكم؟ فقالوا عشرة من الإبل، فقالت ارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم إلى موضع ضرب القداح ثم قربوا عشرة من الإبل ثم اضربوا عليه وعليها القداح فإن خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا في الإبل عشرة أخرى ثم اضربوا أيضا هكذا حتى يرضى ربكم ويخلص صاحبكم، فإذا خرجت على الإبل فانحروها فقد رضي ربكم ونجى صاحبكم وإلى هذا أشار بقوله **(فأمرا)** أي الكاهن عبد المطلب **(أن)** بفتح الهمزة تفسيرية **(استهم عليه)** أي على عبد الله أي اضرب عليه بالسهام أي القداح **(والآبالي)** جمع إبل **(فإن عليه)** أي على عبد الله **(خرجت)** القداح بالذبح **(في الحال)** أي الزمن الذى ضربت القداح فيه عليه وعلى الإبل **(فزد عليه)** أي على العدد الذى ضربت عليه وعلى عبد الله القداح **(عشرة)** أخرى **(واقترعا)** أي أضرب عليه وعلى عبد الله القداح أيضا وهكذا حتى تقع القداح على الإبل **(حتى)** غاية للزيادة **(إذا السهم)** أي القدح، **(عليها)** أي الإبل **(وقعا* فانحر)** الإبل فداء له **(فإن ربه)** أي الولد **(قد رضيا* بأنها)** أي الإبل **(له)** أي لولدك **(فداء)** خبر إن ويتعلق به المجرور قبله أي فإن وقوع السهم على الإبل أمارة على رضى ربك بفداء ولدك بالإبل فانحرها ودع ولدك وكأنها غلب على ظنها أن السهم واقع على الإبل لا محالة قال جميعه في المواهب وشرحها **(فعيا)** فعل أمر من وعى أي حفظ والألف بدل من نون التوكيد الخفيفة تتميم للبيت، **(ففعل)** عبد المطلب بعد ان رجع هو وقومه إلى مكة **(الذي به قد أمرا)** أي أمرته به الكاهنة فقربوا عبد الله وقربوا عشرة من الإبل وقام عبد المطلب يدعو الله تعالى، قاله

الزرقاني فخرج القدح في كل مرة على ولده فلم يزل يزيد عشرة ويضرب عليه وعلى الإبل القداح **(حتى انتهت)** الإبل **(لمائة)** أي وصلتها فوقع السهم على الإبل **(فنحرا)** عبد المطلب الإبل **(من بعد ضربها)** أي السهام على الإبل وولده **(ثلاثا)** أي ثلاث مرات وذلك أنه لما وقع السهم على الإبل أول مرة قالت قريش ومن حضر قد انتهى. رضى ربك يا عبد المطلب، فقال لا والله حتى أضرب عليها بالقداح ثلاث مرات فضربها ثلاث مرات كلها تخرج على الإبل فنحرت وتركت لا يصد عنها إنسان ولا طائر ولا سبع،

(وهي) بسكون الهاء أي الإبل **(لا تعدو)** أي لا تجاوز **(العشار)** جمع عشراء وهي النوق التي أتى على حملها عشرة أشهر أو ثمانية أو هي كالنفساء من النساء، قاله في القاموس، **(الكوم)** جمع كوماء وهي العظيمة السنام **(فيما نقلا)** ومراده أن المائة كلها عشار كوم ولم أقف على أوصافها في كتاب معتمد غيره والله تعالى أعلم، **(فكان)** مفرعا على ما قبله **(والد النبي)** صلى الله عليه وسلم **(المفتدى)** بصيغة اسم المفعول صفة لوالد **(بمائة)** من الإبل **(فداؤه من الردى)** أي الهلاك ووالد اسم كان وفداؤه مبتدء وخبره قوله بمائة والجملة خبر كان ومن الردى يتعلق بقوله فداؤه **(وكان ذاك)** المال المفتدى به **(سنة)** أي شريعة مستمرة إلى يوم القيامة **(في أمته)** أي أتباعه صلى الله عليه وسلم **(عن نفس كل مؤمن في فديته)** لم أجد من تكلم على هذا والظاهر أن قوله عن نفس يتعلق بمحذوف صفة لسنة أي سنة مؤداة عن نفس كل مؤمن يتعلق بذلك المحذوف أيضا قوله في فديته والضمير للمؤمن ويكون أطلق الفدية على الدية تجوزا ويصح على بعد أن الضمير في فديته راجع للوالد ويتعلق أيضا بمحذوف أي كان ذلك المال المؤدى في فديته أي عبد الله سنة في أمة النبي صلى الله عليه وسلم مؤداة عن نفس كل مؤمن والله تعالى أعلم. ولنذكر حين تم شرح هذه الأبيات رؤيا عبد المطلب التي هي سبب حفره لزمزم وما يتعلق بها وذكر البرقي عن ابن عباس سميت زمزم لأنها زمت بالتراب ليلا تاخذ يمينا وشمالا ولو تركت

لساحت على الأرض حتى تملأ كل شيء. وقال الحربي لزمزمة الماء وهي صوته وقال أبو عبيد لكثرة مائها وليس بخلاف حقيقي فقد تكون التسمية لجميع ذلك، وتسمى زمزم وزمازم وتسمى همزة جبريل بتقديم الميم على الزاي وهزمة جبريل بتقديم الزاي وتسمى طعام طعم وشفاء سقم وهي بئر إسماعيل التى سقاه الله حين ظمأ وهو صغير فالتمست له أمه ماء فلم تجده فقامت على الصفا تدعو الله وتستسقيه لإسماعيل ثم أتت المروة ففعلت مثل ذلك فبعث الله جبريل فهمز بعقبه في الأرض وظهر الماء وسمعت أمه أصوات السباع فخافت عليه فأقبلت نحوه فوجدته يفحص بيده عن الماء تحت خده ويشرب. قال السهيلي وحكمة همز جبريل بعقبه دون يده أو غيرها الإشارة إلى أنها تعقبه أي إسماعيل ووارثه وهو محمد صلى الله عليه وسلم، اهـ. من الزرقاني.

وفي القاموس همزه يهمزه غمزه بيده فصارت فيه حفرة ثم قال وهزم البئر حفرها اهـ. فمعنى همزة جبريل وهزمته واحد والله أعلم.

وفيه ماء زمزم كجعفر وزمازم كعلابط كثير وفيه زمه شده، اهـ. والمراد بحفر عبد المطلب لها إظهارها وتجديدها بعد أن بالغ الجرهمي في طمها أي دفنها وتسويتها وذلك أن عمرو بن الحارث بن مضاض بكسر الميم وضمها كما في الزرقاني لما بغي قومه بحرم الله وظلموا من دخلها من غير أهلها وأكلوا ما يهدى للكعبة وقيض الله لهم من أخرجهم من مكة فعمد عمرو إلى غزلان من ذهب وسيوف وأدراع وحجر الركن كما عند ابن هشام وغيره فجعلها في زمزم وبالغ في طمسها وفر إلى اليمن بقومه فلم تزل زمزم من ذلك العهد مجهولة إلى حفر شيبة الحمد لها بسبب رؤياه التى دلت عليها وعينت له موضعها وروى ابن اسحاق عن علي قال قال عبد المطلب إني لنائم في الحجر إذ أتاني آت فقال احفر طيبة! فقلت وما طيبة؟ فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني وقال احفر برة! فقلت وما برة؟ فذهب عني فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال أحفر المضنونة! فقلت وما المضنونة؟ فذهب عني فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه

فجاءني فقال أحفر زمزم! قلت وما زمزم؟ قال: لا تنزف أبدا ولا تذم، تسقي الحجيج الأعظم، بين الفرث والدم، عند نقرة الغراب الأعصم، عند قرية النمل. برة بفتح الموحدة وشد المهملة سميت بذلك لكثرة منافعها وسعة مائها، قال في الروض وهو اسم صادق عليها لأنها فاضت للابرار وغاضت عن الفجار والمضنونة بضاد معجمة ونونين لأنه ضُنّ بها عن غير المؤمن فلا يتضلع منها منافق قاله وهب. وفي رواية الزبير بن بكار أن عبد المطلب قيل له أحفر المضنونة ضننت بها عن الناس إلا عليك ولا يزف بكسر الزاء لا يفرغ ماؤها ولا يلحق قعرها ولا تذم بمعجمة لا توجد قليلة الماء من قولهم بئر ذمة أي قليل ماؤها. قال والغراب الأعصم فسره النبي صلى الله عليه وسلم بأنه الذى إحدى رجليه بيضاء فلما بين لعبد المطلب شأنها ودل على موضعها غدى بمعوله ومعه ولده الحارث ليس له يومئذ ولد غيره فجعل يحفر ثلاثة فلما بدى له الطي كبر وقال هذا طي إسماعيل فقاموا إليه فقالوا إنها بئر أبينا إسماعيل وإن لنا فيها حقا فأشركنا معك فيها، قال ما أنا بفاعل. إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم. قالوا له فأنصفنا فإنا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها. قال فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم عليه. قالوا كاهنة سعد بن هذيم وكانت بإشراق الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بنى عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر فخرجوا حتي إذا كانوا بمفازة بين الحجاز والشام وظمأ عبد المطلب وأصحابه حتى أيقنوا بالهلكة فاستقوا من معهم من قبائل قريش وقالوا إنا نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم، فلما رأى ما صنع القوم قال ماذا ترون؟ قالوا ما رأينا إلا نتبع رأيك، فأمرنا بما شئت. فأمرهم بحفر قبورهم، وقال من مات واروه أصحابه حتى يكون الآخر فضيعته أيسر من ركب وقعدوا ينتظرون الموت عطشا ثم قال والله إن إلقاءنا بأيدينا للموت عجز لنضربن في الأرض عسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد وركب راحلته فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وأصحابه ثم نزل فشربوا واستقوا حتى ملؤوا

أسقيتهم ثم دعى قبائل قريش فقال هلموا إلى الماء فقد سقانا الله فاستقوا وشربوا ثم قالوا قد والله قضي لك علينا يا عبد المطلب، والله لا نخاصمك في زمزم أبدا إن الذى سقاك الماء بهذه الفلاة هو الذى سقاك زمزم فارجع إلى سقايتك راشدا، فرجع ورجعوا معه وخلوا بينه وبينها وفي رواية أنه وجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عنها بين إساف ونائلة اللذين كانت قريش تنحر عندهما ذبائحهم فجاء بالمعول وقام يحفر حيث أمر فقامت إليه قريش فقالوا والله لا نتركك تحفر بين وثنينا اللذين ننحر عندهما فقال لابنه الحارث رد عني حتى أحفر فوالله لأمضين لما أمرت، فلما عرفوا أنه غير تارك خلوا بينه وبين الحفر، فلما تمادى به الحفر وجد الغزالين والأسياف والأدراع التى دفنتها جرهم، فقالت قريش انا معك في هذا شرك، فقال لا، ولكن هلم إلى أمر نصف بيني وبينكم نضرب عليها القداح، قالوا كيف نصنع؟ قال: اجعل للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين، فمن خرج قدحاه على شيء كان له ومن تخلف قدحاه فلا شيء له، فجعل قدحين أصفرين للكعبة وأسودين له وأبيضين لقريش، فخرج الأصفران على الغزالين والأسودان على الأسياف والأدراع وتخلف قدحا قريش فضرب الأسياف بابا للكعبة وضرب بالباب الغزالين من ذهب فكان أول ذهب حليته الكعبة ثم لما حفرها كانت له عزا وفخرا على قريش وعلى سائر العرب.
وقوله فعمد بفتح الميم ومضارعه بكسرها كذا المنقول ورأيت في بعض الحواشي أن في بعض شروح الفصيح انه يجوز فيه العكس. وقوله إسافَ بكسر الهمزة وفتح المهملة مخففة ونائلة بنون فألف فتحتية صنمان عند الكعبة، قال الكلبي إساف رجل من جرهم ونائلة امرأة من جرهم وكان يعشقها فحجا فدخلا البيت فوجدا غفلة من الناس وخلوة من البيت ففجر بها فمسخا فوجدوهما ممسوخين فوضعوهما موضعهما ليتعظ بهما الناس فلما طال مكثهما عبدا. نقله الزرقاني مفرقا. ثم لما كمل لعبد المطلب بنون عشرة بعد حفره لزمزم بثلاثين سنة كما عند ابن سعد والبلاذري وقر الله بهم عينه نام ليلة عند الكعبة فرأى قائلا

يقول له يا عبد المطلب أوف بنذرك فاستيقظ فزعا مرعوبا وأمر بذبح كبش وأطعمه للفقراء والمساكين ثم نام فرأى أن قرب ما هو أكبر من ذلك فاستيقظ وقرب ثورا ثم نام فرأى أن قرب ما هو أكبر من ذلك فانتبه وقرب جملا وأطعمه للفقراء والمساكين ثم نام فنودي أن قرب ما هو أكبر من ذلك، قال وما هو أكبر من ذلك؟ قال قرب أحد أولادك الذى نذرته! فاغتم غما شديدا، وجمع أولاده وأخبرهم بنذره ودعاهم إلى الوفاء فقالوا إنا نطيعك فمن تذبح منا قال ليأخذ كل واحد منكم قدحا والقدح بالكسر السهم قبل أن يراش وينصل ثم ليكتب فيه اسمه ثم إيتوا به ففعلوا وأخذوا قداحهم ودخلوا على هبل بضم الهاء وفتح الموحدة صنم عظيم عندهم من عقيق أحمر على صورة الإنسان مكسور اليد اليمنى أدركته قريش كذلك فجعلوا له يدا من ذهب وكان في جوف الكعبة وكان تحته بئر يجمع فيه ما يهدى للكعبة وكانوا يعظمونه ويضربون عنده بالقداح، قال ابن اسحاق كان عنده قداح سبعة كل قدح في كتاب قدح العقد إذ اختلفوا من يحمله وقدح فيه نعم للأمر إذا أرادوه وقدح فيه لا وقدح فيه منكم وقدح فيه ملصق وقدح فيه من غيركم وقدح فيه المياه إذا أرادوا حفرها فكانوا إذا أرادوا الختان أو النكاح أو دفن ميت أو شكوا في نسب ذهبوا إلى هبل بمائة درهم وجزور فأعطوها الذى يضرب بها ثم ما خرج عملوا به، فدفع عبد المطلب إلى القيم القداح وقام يدعو الله تعالى ويقول اللهم إني نذرت لك نحر أحدهم وإني أقرع بينهم فأصب بذلك من شئت، ثم ضرب السادن للقداح فخرج على عبد الله فقبض عبد المطلب على يد ولده عبد الله وأخذ الشفرة إلى آخر ما مر من منع قريش له.

نكتة حسنة:

استشكل كون عبد المطلب نذر ذبح أحد بنيه إذا بلغوا عشرة بأن حمزة والعباس إنما ولدا بعد وفائه بنذره، وأولاده إنما كانوا عشرة بهما، وأجيب بأن بعض العلماء قال أولاده اثنى عشر وقيل ثلاثة عشر فكانوا عشرة بدونهما وقال بعضهم الولد يقع على البنين وبنيهم حقيقة لا

مجازا، وكان عبد المطلب قد اجتمع له من ولده وولد ولده عشرة رجال حين وفى بنذره وهذا أحسن لسلامته من الإشكال انظر المواهب وشرحها.

ولما ذكر أن الوالد الشريف وقع عليه قدح الذبح ففدي، جره ذلك إلى الخلاف الذى جرى في ولد إبراهيم هل الذى أمر بذبحه وفدي إسماعيل جده صلى الله عليه وسلم أو هو إسحاق على نبينا وجميعهم الصلاة والسلام فقال **(والخلف في ثاني الذبيحين)** أي ثانيهما بالنسبة لوالده صلى الله عليه وسلم، فهو ذبيح بلا خلاف **(ورد)** أي جاء عن الصحابة فمن بعدهم من العلماء **(فجلهم)** أي أكثرهم قال في القاموس: وجل الشيء وجلاله بضمهما معظمه **(إسحاق)** بالرفع خبر مبتدء محذوف والجملة محكية بقول محذوف، أي قال هو إسحاق أو بالنصب بجعل محذوف خبر جلهم أي فجلهم فجعل الذبيح الثاني إسحاق **(وهو)** بسكون الهاء أي كون الذبيح الثاني إسحاق **(المعتمد)** أي الصحيح فقال به من الصحابة عمر وعلي وابن مسعود والعباس رضي الله عنه ومن التابعين ومن بعدهم كعب الأحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء ومقاتل والزهري والسدي، قاله الخازن نقله الوالد حفظه الله في الريان وفي شرح المواهب مع هؤلاء وقال به القاسم بن زيد والقاسم بن أبي برة وعبد الرحمن بن سابق ومكحول والحسن وإليه ذهب مالك واختاره ابن جرير وجزم به عياض والسهيلي وعزاه ابن عطية والقرطبي للأكثرين **(وقال قوم)** الذبيح الثاني **(هو إسماعيل)** فقال به جماعة من الصحابة منهم ابن عمر وابن عباس في رواية عنه وعبد الله بن سلام وقال به سعيد بن المسيب والشعبي ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي قاله الخازن نقله في الريان أيضا وفي الزرقاني أنه رجحه جماعة وقال أبو حاتم إنه الصحيح والبيضاوي أنه الأظهر ثم قال والحاصل كما قال السيوطي أن الخلاف فيه مشهور بين الصحابة ومن بعدهم ورجح كل منهما اهـ **(وكل قول)** منهما **(فله دليل)** يرجحه، قال الخازن وكلا القولين يروى عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم. واحتج الأول بقوله تعالى: {**فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي**} أمر بذبح من بشره به وليس في القرآن أنه بشر بولد سوى إسحاق كما في هود {**بشرناه بإسحاق**} وكما في قوله تعالى: {**فبشرناها بإسحاق**} فثبت أن أول الآية وآخرها يدل على أنه الذبيح واحتج بما ذكر من كتابة يعقوب لولده يوسف بمصر من يعقوب بن اسحاق ذبيح الله واحتج الثاني بأن الله ذكر البشارة بعد الفراغ من قصة المذبوح فدل على أن الذبيح غيره. وبقوله تعالى في هود: {فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب} فكيف يامر بذبح إسحاق وقد وعد بيعقوب بعده ووصف إسماعيل بالصبر دون إسحاق في قوله: {وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين} وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق العدل لأنه وعد أباه بالصبر على الذبح وبأن عمر بن عبد العزيز سأل رجلا من علماء اليهود أسلم وحسن إسلامه أي ابني إبراهيم أمر بذبحه فقال إسماعيل ثم قال يا أمير المؤمنين إن اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم. يا معشر العرب ان يكون أبوكم هو الذى أمر الله بذبحه ويدعون أنه إسحاق أبوهم وبأن قرني الكبش كانا معلقين على الكعبة في أيدي بنى إسماعيل إلى احتراق البيت في زمن ابن الزبير. وفي البيضاوي أن ما روي من كتابة يعقوب لما مرّ لم يثبت وفي ابن جزي اختلف في الذبيح هل هو إسماعيل أو إسحاق فقال ابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين هو إسماعيل وحجتهم من ثلاثة أوجه الأول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا ابن الذبيحين يعني إسماعيل عليه السلام ووالده عبد الله، الثاني أن الله تعالى قال بعد تمام قصة الذبيح {وبشرناه بإسحاق} الآية، فدل على أن الذبيح غيره، الثالث أن إبراهيم جرت له قصة الذبح بمكة وإنما كان معه بمكة إسماعيل وذهب علي وابن مسعود وجماعة من التابعين إلى أن الذبيح إسحاق وحجتهم من وجهين الأول أن البشارة بالولد إنما كانت بإسحاق لقوله تعالى: {فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب} الثاني أنه روي أن يعقوب كان يكتب من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله. اهـ

من الريان باختصار.

وروى الحاكم في المستدرك وابن جرير وابن مردويه عن معاوية قال كنا عند رسول صلى الله عليه وسلم فأتاه اعرابي فقال يا رسول الله خلفت البلاد يابسة أي مجدبة لا خصب فيها والماء أي محلاته التى يصيبها يابسة لعدم الماء وخلفت المال عابسا أي متغيرا مهزولا هلك المال وضاع العيال فعد عليّ أي اعطني شيئا مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه. وهذا الحديث احتج به معاوية على من قال انه إسحاق. واحتج من قال انه إسحاق بحديث الدارقطني مرفوعا الذبيح إسحاق وتأولوا الأول بأن العرب تسمى العم أبا قال تعالى: {أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت} إلى قوله: {وإله آبائكم إبراهيم وإسماعيل}، فجعل إسماعيل أبا وهو عم. اهـ من المواهب وشرحها.

وجزم تقي الدين السبكي بأن الذبيح إسماعيل ورده بعضهم وأنشد لبعضهم في المواهب:

ان الذبيح هديت إسماعيل نطق الكتاب بذاك والتنزيل
شرف به خص الإله نبينا وأبانه التفسير والتاويل

(ثالثها) أي لأقوال **(الوقف)** عن تعيين الذبيح من ولد إبراهيم عليه السلام. قال الناظم وهو مروي **(عن الزجاج فاسلك سبيلا)** أي طريقا ذا استقامة **(غير ذي)** أي صاحب **(اعوجاج)** والاعوجاج ضد الاستقامة **(بيان)** خبر مبتدأ محذوف أي هذا بيان **(مولد)** أي ولادة أي وقت ولادة **(النبي المجتبى)** أي الذى اختاره الله تعالى وفضله على جميع مخلوقاته صلى الله عليه وسلم **(صلى عليه الله ما هب الصبا)** هبت الريح تهبُّ بالضم، ثارت والصبا ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش، قاله في القاموس، قال في المواهب اللدنية ولما انصرف عبد الله مع أبيه من نحر الإبل مرّ على إمرأة من بنى عبد العزى عند الكعبة واسمها فيما صدر به مغلطاي قُتيلة بضم القاف وفتح الفوقية فتحتية ساكنة فلام فهاء تأنيث وقيل رقيقة بنت نفيل بن أسد أخت ورقة وكانت تسمع من

أخيها أنه كائن في هذه الأمة نبي، فقالت حين نظرت إلى وجهه وفيه نور المصطفى صلى الله عليه وسلم وكان عبد الله أحسن رجل ريئ في قريش لك مثل الإبل التى نحرت عنك وقع علي الآن أي جامعني ولعله كان من شرعهم ان المرأة تزوج نفسها بلا ولي ولا شهود لأنها لم تكن زانية ولا مريدة له بل هي عفيفة وقالت له ذلك لما رأت في وجهه من نور النبوءة رجاء أن تحمل بهذا النبي الكريم فأبى الله أن يجعله إلا حيث شاء، فقال لها أنا مع أبي ولا أستطيع فراقه ولو لم أكن معه لوقعت عليك بوجه جائز كتزويجي بك وقيل أجابها بقوله:

أما الحرام فالحمام دونه	والحل لا حل فأستبينه
فكيف بالأمر الذى تبغينه	يحمي الكريم عرضه ودينه

قوله فالحمام في رواية فالمماة وقوله والحل لا حل أي لعدم تزوجي بك وقوله فأستبينه أي أطلب ظهوره وأعمل بمقتضاه وتبغينه تطلبينه ويحمي يمنع وعرضه كلما يحمد عليه أو يذم من نفسه أو أسلافه أي لا يفعل ما يدنس عرضه أو دينه. وعند أبي نعيم لما خرج عبد المطلب بابنه ليزوجه مرّ على كاهنة من تَبَالةَ بفتح الفوقية فموحدة خفيفة فألف فلام فتاء تأنيث موضع باليمن وآخر بالطائف متمسكة بدين اليهود قد قرأت الكتب يقال اسمها فاطمة بنت مرٍ الخثعمية فرأت نور النبوءة في وجهه وذكر نحو ما تقدم من دعائه إلى نكاحها وإبايته، زاد البرقي فلما أبى قالت :

إني رأيت مخيلة نشأت	فتلألأت بحناتم القطر
فسمي لها نور يضيء به	ما حوله كإضاءة الفجر
ورأيت سقياها حيا بلد	وقعت به وعمارة الفقر
ورأيتها شرفا ينوء به	ما كل قادح زنده يوري
لله ما زهرية سلبت	منك الذى استلبت وما تدري

ثم خرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زُهرة بضم الزاء بن كلاب وهو يومئذ سيد بني زهرة نسبا وشرفا فزوجه ابنته آمنة وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسبا أي من جهة الأب

وموضعا أي من جهة الأم فأمها برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي وأم أمها حبيب بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب فزعموا أن عبد الله لما تزوج آمنة وقع عليها مكانه فحملت بالنبي صلى الله عليه وسلم ثم خرج من عندها بعد ما أقام عندها ثلاثا وكانت تلك السنة عندهم فأتى المرأة التى عرضت عليه ما عرضت فقال لها ما لك لا تعرضين علي ما عرضت بالأمس فقالت فارقك النور الذى كان معك بالأمس فليس لى بك حاجة لأني إنما أردت أن يكون النور في فأبى الله إلا أن يجعله حيث شاء. وعن العباس أنه لما بنى عبد الله بآمنة أحصوا مائتي امرأة من بني عبد مناف وبني مخزوم متن أسفا على ما فاتهن من عبد الله. اهـ. من المواهب وشرحها والإكتفاء.

(وحملت آمنة الزهرية) بضم الزاء نسبة إلى زهرة بن كلاب فهي بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب وزعم ابن قتيبة والجوهري ان زهرة امرأة كلاب وغلب على ولدها النسب إليها مردود كما في الفتح وقال السهيلي منكر غير معروف. وما مرّ من أن وهبا هو المزوج لها هو المشهور. وقيل كانت في حجر عمها وهيب وهو المزوج لها واقتصر عليه اليعمري، قاله الزرقاني **(طوبى لها)** بضم الطاء مصدر طاب الشيء لذّ ومعناه فرح لها وقرة عين بحملها بسيد الوجود صلى الله عليه وسلم فهي مبتدء وخبره المجرور وقيل عطية ونعم وهو مقتبس من حديث يأتي قريبا **(بأكمل البرية)** أي الخلق كله فهو صلى الله عليه وسلم أكملهم خلقا وخُلقا ونسبا والمجرور متعلق بحملت وكذا قوله **(في رجب الفرد)** هو شهر الله المعظم وسمي فردا لانفراده عن غيره من الأشهر الحرم وهي أربعة ثلاثة متوالية وهو منفرد عنها وجمعها بعضهم بقوله:

ذو قعدة ذو حجة محرم ورجب الفرد شهور حرم

وحملها في يوم الإثنين منه، وقيل يوم الاثنين في أيام منى وبه صدر في المواهب واقتصر عليه في الحلة السيرا ففيها وحملت به أيام التشريق في شعب أبي طالب عند الجمرة الوسطى يوم الاثنين فأما آدم فأطواره كلها يوم الجمعة وأطوار نبينا صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين

حتى لا يتوهم شرفه بشرف الزمان والمكان فالزمان والمكان يشرفان به صلى الله عليه وسلم اهـ.

(بدار وهب* والدها) متعلق أيضا بحملت **(وقيل بل)** حملت به صلى الله عليه وسلم **(في الشعب)** بكسر المعجمة أي شعب أبي طالب ولفظ المواهب ممزوجا ببعض الشرح فزعموا كما قال ابن إسحاق أنه دخل عليها عبد الله حين ملكها مكانه فوقع عليها أي جامعها زاد الزبير بن بكار يوم الإثنين من أيام منى وقيل من شهر رجب في شعب أبي طالب عند الجمرة الوسطى كما هو المنقول عن الزبير قال النجم وهذا موافق لمن ذهب إلى أن ميلاده في رمضان، وأما القول بأنه في رجب فمنطبق على أن ميلاده في ربيع وزعم الحاكم أن سنّ عبد الله حينئذ ثلاثون سنة والصحيح خلافه وهو ما جزم به السهيلي من أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بينه وبين أبيه ثمانية عشر عاما اهـ. ثم قال في المواهب وقال سهل بن عبد الله التستري فيما رواه الخطيب لما أراد الله خلق محمد صلى الله عليه وسلم في بطن آمنة ليلة رجب وكانت ليلة جمعة أمر الله تعالى في تلك الليلة رضوان خازن الجنان أن يفتح الفردوس ونادى مناد في السماوات والأرض ألا إن النور المخزون المكنون الذى يكون منه الهادي في هذه الليلة يستقر في بطن آمنة ويخرج إلى الناس بشيرا ونذيرا. وفي رواية كعب الأحبار أنه نودي تلك الليلة في السماء وصفاحها أي جوانبها والأرض وبقاعها ان النور المكنون الذى منه رسول الله صلى الله عليه وسلم انتقل في بطن أمه فيا طوبى لها ثم يا طوبى وأصبحت يومئذ أصنام الدنيا جميعها منكوسة أي مقلوبة على رؤوسها وكانت قريش في جدب شديد وضيق عظيم فاخضرت الأرض وحملت الأشجار وأتاهم الرِّفد بالكسر أي الخير الكثير من كل جانب فسميت تلك السنة سنة الفتح والإبتهاج اهـ وما ذكر من حملها به ليلة الجمعة لا ينافي كون أطواره عليه السلام يوم الإثنين لأنه في الأطوار الظاهرة كالولادة وما هنا ما قبلها قاله الزرقاني. والتستري نسبة إلى تُسْتَر بضم الفوقية الأولى وفتح الثانية بينهما مهملة ساكنة

آخره راء مهملة كما ضبطه النووي وغيره، وحكي ضم الفوقيتين وفتح الأولى وضم الثانية مدينة بالأهواز. وطوبى الحسنى والخير قاله في القاموس وقال غيره فرح وقرة عين وقال الضحاك عطية وقال عكرمة نعم وفي حديث ابن اسحاق أن آمنة كانت تحدث أنها أوتيت أي رأت في المنام حين حملت بالنبي صلى الله عليه وسلم فقيل لها انك حملت بسيد هذه الأمة وقالت ما شعرت بأني حملت به ولا وجدت ثقلا ولا وحما إلا أني أنكرت رفع حيضتي والثِقل بكسر المثلثة وفتح القاف وتسكن، الفتور والوحم بفتحتين وحكِي بكسر الحاء شهوة الحبلى، وحيضتي هنا، بكسر الحاء. قالت وأتاني آت وأنا بين النائمة واليقظانة فقال هل شعرت بأنك حملت بسيد الأنام ثم أمهلني حتى إذا دنت ولادتي أتاني فقال قولي إذا وضعتيه:

أعيذه بالواحد ... من شر كل حاسد

ثم سميه محمداً وعند غير ابن إسحاق وعلقي عليه هذه التميمة فانتبهت وعند رأسي صحيفة من ذهب مكتوب فيها:

أعيذه بالواحد ... من شر كل حاسد
وكل خلق رائد ... من قائم وقاعد
عن السبيل حائد ... على الفساد جاهد
من نافث وعاقد ... وكل خلق مارد
ياخذ بالمراصد ... من طرق الموارد

قال العراقي هكذا ذكر هذه الأبيات بعض أهل السير وجعلها من حديث ابن عباس ولا أصل لها. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال من دلالة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو إمام الدنيا وسراج أهلها ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوسا وفرت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارة وكذلك أهل البحار يبشر بعضهم بعضا وله في كل شهر من شهور حمله نداء في الأرض ونداء في السماء أن أبشروا فقد آن أن

يظهر أبو القاسم صلى الله عليه وسلم. وعن غيره لم يبق في تلك الليلة دار إلا أشرقت ولا مكان إلا دخله النور ولا دابة إلا نطقت، وقوله رائد أي طالب له بسوء وقوله على الفساد جاهد، أي يتحمل للمشقة في تحصيله حتى كأنه استعلى عليه والنافث الساحر والعاقد من يعقد عقداً في خيط وينفخ فيها بشيء يقوله بلا ريق أو معه بيان لجاهد والموارد المواضع التي يجتمع بها الناس وطرق المياه المقصودة للاستقاء.

فائدة:

اختلف في مدة الحمل به صلى الله عليه وسلم فقيل تسعة أشهر كاملة وبه صدر مغلطاي قال في الغرر وهو الصحيح وقيل عشرة أشهر وقيل ثمانية وقيل سبعة وقيل ستة ذكرها في المواهب وشرحها.

(بيان مولد النبي الهادي) أي المرشد للخلق إلى الدين الحق **(صلى عليه خالق العباد)** أي أعطاه صلاة أي رحمة مقرونة بالتعظيم **(عام قدوم)** أي مجيء **(الفيل)** الذى قص الله تعالى ما فعل بأهله والعياذ بالله تعالى في سورة الفيل **(للأقوام)** أي قريش لهدم الكعبة، ومراده أن النبي صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل، قال ابن الجوزي اتفقوا على أنه ولد عام الفيل وكذا قال ابن الجزار لكن قال مغلطايَ في الاتفاق نظر لكثرة الخلاف **(بإثر)** بكسر الهمزة وسكون المثلثة وفي الزرقاني في قصة إتيانه صلى الله عليه وسلم لثقيف في شرح قول المواهب ولما انصرف عنهم اتبع أثره عروة بن مسعود ما نصه إثره بتثليث الهمزة وفتح المثلثة وإسكانها اهـ.

(خمسين من الأيام) أي ولد بعد مجيء الفيل بخمسين يوما، وهذا الذى ذكر الناظم هو الذى شهره القسطلاني تبعا لجماعة منهم السهيلي وقيل ولد بعده بخمسة وستين يوما وبه قال أبو جعفر محمد بن علي قال ولد صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين لعشر خلون من ربيع الأول وكان قدوم الفيل لنصف المحرم فبين الفيل ومولده خمس وخمسون ليلة نقله في المنتقى، وذكر اليعمري في عيون الأثر عن الخوارزمي أن قدوم

الفيل يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم وكان أول المحرم تلك السنة يوم الجمعة وقيل ولد بعد قدومه بشهر وقيل بعد قدومه بأربعين يوما وقيل لم يولد عام الفيل بل ولد بعده قيل بسنتين وقيل بعشر سنين، قال مغلطاي وهذا الأخير لا يصح وقيل ولد بعد الفيل بخمس عشرة سنة ورد وقيل غير ذلك، والمشهور أنه ولد بعد الفيل لأن قصة الفيل كانت توطئة لنبوءته وتأسيسا لظهوره وقد كثرت الخوارق قبله إرهاصا بكسر الهمزة أي تأسيسا لرسالته كقصة الفيل وكثرة الهواتف به وإخبار الكهنة وغير ذلك. والصحيح الذى عليه الجمهور، بل حكى بعضهم عليه الاتفاق أنه ولد بمكة فقيل في الدار التى كانت بيد عقيل بن أبي طالب وصارت لمحمد بن يوسف أخي الحجاج وهي بزقاق المدكك بدال مهملة قيل ان المصطفى صلى الله عليه وسلم وهبها لعقيل فلم تزل بيده حتى توفي عنها فباعها ولده محمد بن يوسف. وقيل إن عقيلا باعها بعد الهجرة تبعا لقريش حين باعوا دور المهاجرين فأدخل محمد بن يوسف ذلك البيت الذى ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم في داره ولم تزل كذلك حتى حجت خيزران جارية المهدي أم هارون الرشيد فأفردت ذلك البيت وجعلته مسجدا يصلى فيه، وفي الروض أن الدار التى لمحمد بن يوسف بنتها زبيدة زوجة الرشيد مسجدا حين حجت وهي عند الصفا وقيل إنه ولد بالشعب بكسر الشين المعروف بشعب بنى هاشم وقيل ولد بالرَّدم بفتح الراء وسكون الدال المهملتين أي ردم بنى جمح وقيل لم يولد بمكة بل ولد بعسفان، قال في النور وهي قرية جامعة على ستة وثلاثين ميلا من مكة اهـ. لكن هذا القول لا يعول عليه، قاله محمد بن عبد الباقي **(في يوم الإثنين من الشهر الأغر)** الغرة بياض في الوجه وغرة المال خياره وغرة القوم شريفهم والأغر الأبيض من كل شيء ووصفه بكونه أغر لإضاءته بوجود المصطفى صلى الله عليه وسلم فيه دون غيره من الشهور، فيا لها من خصوصية ما أعظمها، ومراده به ربيع الأول **(في ثالث الشهر) الذى** هو ربيع **(أو الثاني عشر)** منه وهو المشهور عند الجمهور، قاله ابن كثير، قال محمد بن عبد

الباقي وهو الذى عليه العمل وبالغ ابن الجوزي وابن الجزار فنقلا فيه الإجماع، وقال القسطلاني هو الذى عليه عمل أهل مكة قديما وحديثا في زيارتهم موضع مولده في هذا الوقت **(أو لثمان من ربيع الأول)** أي بعد مضي ثمان منه، قال قطب الدين القسطلاني وهو اختيار من له معرفة بهذا الشأن واختاره الحميد الأندلسي وحكى القضاعي إجماع أهل الميقات عليه ورواه الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم وكان عارفا بالنسب وقيل ولد لعشرة مضين من ربيع حكاه مغلطاي والدمياطي وصححه، وقيل لثمان عشرة خلت منه وقيل لثمان بقين منه وقيل ولد لليلتين خلتا منه وقيل لسبع عشرة خلت منه، وقيل في يوم اثنين من ربيع غير معين. **قال جامعه** سمح الله له القول الأول في كلام الناظم لم أره والأقوال الأخر الثمانية حصلها القسطلاني سبعة منها في تعيين اليوم الذى ولد فيه من ربيع والثامن أنه غير معين منه وقيل ولد في ربيع الآخر وقيل في رمضان وقيل في يوم عاشورا، وهو غريب لا يعرف، وقيل ولد في رجب واختلف هل ولد بالليل أو النهار والمشهور أنه ولد في النهار مع بقاء الظلمة كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أنه ولد عند طلوع الفجر وروى أبو نعيم عن عمرو بن قتيبة قال سمعت أبي وكان من أوعية العلم قال لما حضرت آمنة الولادة قال الله للملائكة افتحوا أبواب السماء كلها وأبواب الجنان وألبست الشمس يومئذ نورا عظيما وكان قد أذن الله تعالى أي أراد تلك السنة أي التى حمل فيها بالنبي صلى الله عليه وسلم لنساء الدنيا الحاملات منهن أن يحملن ذكورا كرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم اهـ وكانت تقول أتاني آت حين مر من حملي ستة أشهر في المنام وقال يا آمنة إنك قد حملت بخير العالمين فإذا ولدته فسميه محمدا واكتمي شأنك، قالت ثم أخذني ما يأخذ النساء ولم يعلم بي أحد وإني لوحيدة في المنزل وعبد المطلب في طوافه فسمعت وجبة عظيمة وأمرا عظيما هالني أي رؤية -عين بصيرة- كأن جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادي فذهب عني الرعب ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء أي بآنية شربة أوأطلق الشربة على

محلها وهو المشربة بكسر الميم مجازا من تسمية المحل باسم الحال فيه فتناولتها فشربتها. وفي رواية وكنت عطشى فشربتها فإذا هي أحلى من العسل فأصابني نور عال ثم رأيت نسوة كالنخل طوالا كأنهن من بنات عبد مناف يحدقن بي فبينما أنا أتعجب وأنا أقول وا غوثاه من أين علمن بي؟ فقلن لي نحن آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وهؤلاء من الحور العين واشتد بي الأمر وإني أسمع الوجبة في كل ساعة أهول وأعظم مما تقدم، فبينما أنا كذلك إذ بديباج بكسر الدال ويجوز فتحها نوع من الحرير أبيض قد مد بين السماء والأرض وإذا بقائل يقول خذاه عن أعين الناس قالت ورأيت رجالا قد وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق من فضة ثم نظرت فإذا أنا بقطعة من الطير قد أقبلت حتى غطت حجرتي، مناقيرها من الزمرذ وأجنحتها من الياقوت فكشف الله عن بصري فرأيت مشارق الأرض ومغاربها ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة، قال شارحه ولعل الحكمة في ذلك الإشارة إلى أن دينه يعم المشارق والمغارب ويعلو مكة ويصير بيننا كالأعلام فأخذني المخاض، قال البيضاوي بفتح الميم وكسرها مصدر مخضت المرأة إذا تحرك الولد في بطنها للخروج، فوضعت محمدا صلى الله عليه وسلم فنظرت إليه فإذا هو ساجد قد رفع أصبعيه إلى السماء كالمتضرع المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء حتى غشيته فغيبته عني ثم سمعت مناديا ينادي طوفوا به مشارق الأرض ومغاربها وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته. وقولها من بنات عبد مناف شبهت بهن لاشتهارهن بين النساء بالطول والجمال. ومن عجائب ولادته أيضا روي عن عائشة رضي الله عنها قالت كان يهودي قد سكن مكة فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلم، قال انظروا فإنه ولد في هذه الليلة نبي هذه الأمة بين كتفيه علامة فانصرفوا فسألوا فقيل لهم قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام، فذهب اليهودي معهم إلى أمه

فأخرجته لهم فلما رأى اليهودي العلامة خر مغشيا عليه وقال ذهبت النبوءة من بني إسرائيل أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب، ومن عجائب أمره أنه ولد مختونا وذكروا معه ستة عشر كلهم ولد مختونا ونظمهم السيوطي فقال:

وسبعة مع عشر قد رووا خلقوا وهم ختان فخذ لازلت مأنوسا
محمد آدم إدريس شئث ونو ح، سام هود شعيب يوسف موسى
لوط سليمان يحي صالح زكر ياء وحنظلة الرسي مع عيسى

وقوله حنظلة لم يزد في تعريفه على أن قال وحنظلة بن صفوان.

فائدة:

كما ولد صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين بعث فيه فهو أول يوم أوحي إليه فيه، كما رواه مسلم، وهاجر فيه ودخل المدينة فيه ووضع الحجر الأسود موضعه فيه، ونزلت فيه {اليوم أكملت لكم دينكم} وفتحت مكة فيه على قول والمعروف أنها افتتحت يوم الجمعة وتوفي صلى الله عليه وسلم فيه، انظر الزرقاني **(موافق)** حال كون المولد المفهوم من ولد موافق **(النيسان)** بفتح النون وكسرها وسكون الياء رابع الشهور الرومية وهو إبريل بكسر الهمزة وابتداؤها من ينّيْر بشد النون وسكون الياء قاله اليوسي **(عند)** جماعة العلماء **(الأول)** بضم الهمزة أي المتقدمة وأشار بهذا إلى أنه صلى الله عليه وسلم ولد في فصل الربيع وهو أعدل الفصول وأنشد القسطلاني في ذلك لغيره:

يقول لنا لسان الحال منه وقول الحق يعذل للسميع
فوجهي والزمان وشهر وضعي ربيع في ربيع في ربيع

قوله فوجهي الفاء جواب شرط مقدر أي إن سألت عن صفاتي فوجهي إلخ.. وربيع الأول وجهه عليه السلام شبهه بالربيع في اعتداله وحسنه والثاني الفصل والثالث شهر ربيع النبوي. قال محمد بن سعيد السوسي وقد نظم شيخنا القاضي أسماء الشهور القبطية والسريانية

فقال:

ولشهور القبط * حقق تفز بالقسط * توت وبابه وهتور * على التوالي بالشهور * كيهك طوب يات * امشير برهمات * برمودة بشنس * بؤونة لالبس * ثم أبيب مسرى * له فقدر قدرا.

ثم قال:

ومن أغشت الابتدا * حكي على طول المدى * ثمت بالسريانيه * خذ عدها علانيه * أولها تشرين * كالثاني إذ يبين * وبعد كانون ظهر * وما يلي به اشتهر * سباط مع آذارا * نيسان مع أيارا * ثم حزيران أتى * تموز أيضا ثبتا * آب وأيلول ورد * وهو الأخير في العدد * والبدء من اكتوبرا * فحققن الخبرا.

وتوت بمثناتين من فوق أولاهما مضمومة وبينهما واو ساكنة وبابه بموحدتين بينهما ألف وآخره هاء، وهتور بفتح الهاء وضم المثناة الفوقية، وكيهك بكاف وتحتية مفتوحة وهاء وفي نسخة بتقديم الهاء على الياء وطوب بضم الطاء المهملة وامشير بفتح الهمزة وسكون الميم وشين معجمة مكسورة بعدها ياء ساكنة وراء وبرهمات بفتح الموحدة وسكون الراء وبرمودة بفتح الموحدة وسكون الراء وميم بعدها واو ساكنة فدال مهملة فهاء وبشنس بموحدة مفتوحة وشين معجمة ونون ساكنة فسين مهملة وبؤونة بهمز بين الموحدة والواو وأبيب بفتح الهمزة وكسر الباء فياء ساكنة وموحدة ومسرى بضم الميم وسكون السين المهملة وقوله تشرين كالثاني أي تشرين الأول وتشرين الأخير بشين معجمة ساكنة وراء مهملة مكسورة بعدها ياء ساكنة فنون وكانون الأول وكانون الأخير على وزن فاعول وسُباط بضم وإذار بقصر الهمزة ومدّ الذال وإيار بتشديد المثناة التحتية وحزيران بحاء مهملة مفتوحة فزاي فراء بينهما ياء ساكنة فألف فنون وتموز بفتح التاء وضم الميم مشددة بعدها واو ساكنة، وآب بمد الهمزة، وأيلول بفتح الهمزة وسكون التحتية اهـ. من شرح المقنع لمؤلفه وفي البناني يرهمات بياء تحتية وهو مخالف لما مر عن السوسي أنه بالموحدة وفيه

بؤونة على وزن شؤونة اهـ.

وفي القاموس أن إذار بذال معجمة وأن تشرين بكسر أوله وفيه حزيران إسم شهر بالرومية. قال في التاج يفتح فكسر والمشهور على الألسنة بضم ففتح اهـ. وقال قبل هذه ان سعيدا افترى ضبطه بالتصغير اهـ. واكتوبر بفتح الهمزة وسكون الكاف والواو الساكنة بعد التاء المضمومة قاله السوسي.

(في عام) متعلق بمولد **(جفظ من سني الأسكندري)** قوله جفظ قال الشريف مولاي إبراهيم في شرحه هو بالجيم والفاء المروسة والظاء المشالة لأن الذى بين ولادة النبي صلى الله عليه وسلم ووفاة الأسكندري الرومي ثلاث وثمانون وثمانمائة سنة على ما حكاه في جامع الأصول وقيل اثنتان وثمانون على ما صدر به، قال ولا تعارض بينهما إذ لعله لم يعتبر الكسر في القول الأول واعتبره في الثاني، قال والجاري على الألسنة من قراءة حفظ بالحاء المهملة لا أصل له وجلب على ذلك كلام جامع الأصول. والمراد به ذو القرنين الأصغر وهو الذى قتل دارا وسلب ملكه وتزوج بابنته اهـ. منه.

واقتصر اليوسي في شرح المقنع علي أنه صلى الله عليه وسلم ولد سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة سنة لتاريخ ذي القرنين والله أعلم.

(بطالع الجدي) والظاهر ان الباء للمصاحبة والجدي هو أحد البروج ومنازله سعد الذابح وسعد بلع وثلث سعد السعود ومراده والله تعالى أعلم أنه صلى الله عليه وسلم ولد مصحوبا بطالع الجدي ويصح أنه أراد بعض طوالعه وهو سعد السعود ولم يرد أنه ولد بذلك البرج لما سيأتي وإنما مراده أن مولده صلى الله عليه وسلم طلع به نجم كل سعد على البرايا لأنه هو الواسطة في نيل كل نعمة في الدارين ويصح أنه أراد جميع طوالع الجدي لأنه صلى الله عليه وسلم طلع به سعد الذبح والبُلع على من كذبه وأشرك بالله وطلع به سعد السعود على من آمن به قال الإمام السنوسي وقد حجر الله تعالى نعمه أن يصل منها إلى مخلوق شيء إلا بواسطته صلى الله عليه وسلم اهـ.

ما أرسل الرحمن أو يرسل من رحمة تصعد أو تنزل
في ملكوت الله أو ملكه من كل ما يختص أو يشمل
إلا وطه المصطفى عبده نبيه مختاره المرسل
واسطة فيها وأصل لها يعلم هذا كل من يعقل

وإنما لم أحمله على ظاهره لأن مولده صلى الله عليه وسلم في فصل الربيع في النيسان وهو إبريل كما هو معلوم وقد قال الناظم: موافق النيسان، والجدي من بروج فصل الشتاء كما سنبينه إن شاء الله وقد قيل إنه عليه السلام ولد عند طلوع الغفرة وهو من منازل الميزان وهو أول بروج فصل الخريف. وفي القسطلاني: وقيل انه ولد عند طلوع الغفرة وهو مولد الأنبياء ثم قال وقيل انه ولد ليلا، قال الزرقاني في شرحه أي من غير تعيين لكونه عند طلوع الغفرة اهـ. واقتصر السوسي في شرح المقنع على أنه صلى الله عليه وسلم ولد عند طلوع الغفرة في شهر إبريل ولفظه وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم ولد ليلة الإثنين عند طلوع الغفرة في شهر إبريل والشمس في الحمل اهـ. وكذا في المواهب وشرحها أنه ولد في برج الحمل، أي ولد والشمس في برج الحمل كما هو لفظ السوسي وبرج الحمل منازله النطح والبطين وثلث الثريا، وكونه عليه السلام ولد والشمس في برج الحمل هو الذى يلائم أنه ولد في إبريل ويلائم كونه عند طلوع الغفرة في إبريل أي طلوعها ليلا في إبريل وإن كان مولده ليلا فيه خلاف وبيان ذلك أن تكون الشمس في برج الحمل وتكون الغفرة إذ ذاك في ابريل من مطالع الليل. وأما حمل كلام المؤلف على ظاهره فلم يظهر لى أنه يلائم كون ولادته عليه السلام في النيسان كما ذكر المؤلف وغيره هذا مع أني أعلم قوة كون المولد عند طلوع الفجر لكن لم اهتد أيضا لالتئامه مع القول بأنه ولد عند الغفرة هذا معنى البيت عندي وقلته ارتجالا والله تعالى أعلم بالصواب. وقولي الجدي واحد البروج وهي اثنى عشر برجا أولها الحمل بالتحريك ثم الثور فالجوزاء، فالسرطان، فالأسد فالسنبلة ثم الميزان، فالعقرب، فالقوس، فالجدي وهو عاشرها، فالدلو فالحوت وقد

أشار بعضهم لها على الترتيب فقال:

حمل الثور جوزة السرطان ورعى الليث سنبل الميزان
ورمى عقرب بقوس لجدي نزح الدلو بركة الحيتان

قال بعض شروح المقنع: البروج عند المنجمين عبارة عن أجزاء قسم الفلك عليها بحسب سير الشمس ومكثها في كل جزء منها شهرا فتقطع الفلك كله في إثنى عشر شهرا وقسموا الفلك لأجل ذلك على اثنى عشر جزءا وسميت تلك الأجزاء بروجا أولها الحمل إلى آخرها ثم لما كانت تقيم في كل برج ثلاثين يوما قسموا كل برج ثلاثين جزءا ثم قسموا تلك الأجزاء دقائق مفردها دقيقة والبروج عند العرب عبارة عن جماعة من النجوم على صورة حيوان أو صورة آلة في رؤية العين فسميت كل جماعة باسم تلك الصورة التى هي عليها والفرق بين قسمة العرب وقسمة المنجمين مع ان كلا منهما على اثنى عشر برجا ان قسمة العرب محسوسة مدركة بالرؤية غير متساوية وقسمة المنجمين معقولة غير محسوسة مدركة بالذهن مستوية فأخذ المنجمون تسمية العرب لأجزائهم المرئية ووضعوها على أجزائهم الذهنية. وأما المنازل فهي عند العرب ثمانية وعشرون وعند المنجمين عبارة عن ثمانية وعشرين جزءا مستوية قسم الفلك عليها قسمة متوهمة معقولة ومقدار كل منزلة ثلاث عشرة درجة تنقص سُبع درجة فلذلك كانت الشمس تقيم في كل واحد ثلاثة عشر يوما إلا الجبهة فأربعة عشر فتقطعها جميعا في عام واحد اهـ. منه. وقوله ثم قسموا كل برج ثلاثين جزءا هي الدرجات والدرجات هي المقسومة إلى الدقائق وقال محمد بن سعيد في شرحه الكبير وكذلك تقسم البروج على الفصول الأربعة فلكل فصل ثلاثة بروج فلفصل الربيع الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة لفصل الصيف والميزان والعقرب والقوس للخريف والجدي والدلو والحوت للشتاء وكل برج له منزلتان وثلث، فللحمل النطح والبطين وثلث الثريا وللثور ثلثا الثريا والدبران وثلثا الهقعة وللجوزاء ثلثا الهقعة والهنعة والذراعان إلى أن قال وللميزان غفرة

وزوبانيان وثلث اكليل والميزان أول بروج الخريف وللجدي سعد الذابح وبلع وثلث سعد السعود فالجدي أول بروج الشتاء فلو ولد عليه السلام في طالعه لكانت الولادة في الشتاء وحينئذ فلا تكون في إبريل لأنه من شهور الربيع لكنه ولد في الربيع فليست ولادته صلى الله عليه وسلم في طالع الجدي قاله كاتبه وفقه الله لما يرضاه وأحسن بمحض فضله عقباه.

(وكان المشتري * مع زحل في وسط السماء) مراده والله أعلم أن هذين الدريين وهما المشتري ويقال له البرجس والقاضي وزحل بوزن عمر معدول عن زاحل ويقال له الشيخ والكيوان والمقاتل كانا في وقت مجتمعين في وسط السماء **(تقارنا)** اصطحبا الظاهر انها حال مؤكدة **(بالعقرب)** أي برج العقرب أحد بروج الخريف **(الغراء)** أي الشهيرة ومحل زحل في الفلك السابع والمشتري في السادس والله أعلم.

وإذا كانت الشمس مع البطين في برج الحمل كانت العقرب في وسط السماء في الليل والله تعالى أعلم. والفلك مر قول العلماء فيه عند قول الناظم:

مـــا دار نجـــــم في فــــلك

وأن الأفلاك هي السماوات السبع والكرسي والعرش وقال المنجمون حقيقة الفلك جسم لطيف مستدير الشكل كفلكة المغزل وبعضها على بعض كقشور البصلة ونحن في وسطها أقربها إلينا الذى في سماء الدنيا وهو أصغرها والثاني أكبر منه وكذا كل فلك أكبر من الذى تحته وأصغر من الذى فوقه وانظر يا أخي إلى عظيم قدرته حين جعلنا نرى الكواكب في السموات السبع وما فوقها مع بعد المسافة وغلظ الحجاب فإنما بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل واحدة كذلك وقيل ان الفلك السابع والثامن بينهما مسيرة ألف عام ثم حجب عنا ما هو أدنى وأدنى من ذلك كالثوب يغطي الإنسان لا ندري ما تحته هل بياض أو سواد مع قرب المسافة ورقة الحجاب، إن ربك فعال لما يريد لا إله إلا هو اهـ من شرح المقنع لمؤلفه.

تتمة:

محالُّ الدراري السبعة عند أهل الحساب أشار لها في المقنع بقوله:

فالتسعة الأفلاك كان القمر | منها بتالينا وثان أكبر
فيها عطارد وجيم زهره | للشمس دال ها لنجم الحمره
مريخ والسادس مشتر زحل | لسابع والغير في الثامن حل
وتاسع عار حواها كلا | فدار، عز ربنا وجلا

يعني أن الأفلاك تسعة سبعة هي في السماوات السبع وهي التى فيها الدراري السبعة والثامن فوق السماوات السبع وهو الذى فيه كل نجم سوى الدراري والتاسع فوق الثامن ولكنه عار من الكواكب وفيه جميع الأفلاك الثمانية يدور بها كل يوم وليلة دورة واحدة عز ربنا إذ غلب جميع هذه الاشياء العظيمة فهي تحت قهره. ومحل القمر الفلك الذى يوالينا والثاني أكبر منه وفيه عطارد والثالث المشار له بالجيم للزهرة والرابع للشمس والخامس للمريخ والسادس للمشتري والسابع لزحل. وفي الحديث: «رأيت ليلة أسري بي النجوم معلقة بسلاسل من نور في أيدي الملائكة»، وقال بعض شروح الرسالة أصغر كوكب في السماء أكبر من الأرض بمائة وعشرين مرة اهـ من شرح المقنع الكبير لمؤلفه ولبعضهم في ترتيب الدراري في الأفلاك بادئا بأعلاها بيت وهو:

زحل اشترى مريخه من شمسه | فتزاهرت لعطارد أقمار

نقله الحفني. وقوله عام قدوم الفيل لم يذكر المصنف قصة الفيل ولنذكرها على وجه الاختصار إظهارا لإكرام من وقعت لأجله وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وحاصلها أنه لما كان المحرم والنبي صلى الله عليه وسلم حمل على الصحيح كما مرّ قدم ابرهة بفتح الهمزة والراء ابن الصباح الأشرم لهدم الكعبة لما ولي اليمن من قبل النجاشي وسبب ملكه لليمن أن بعض أهلها من أصحاب الأخدود لما أكثر فيهم ملكهم القتل وهو ذو نواس آخر من ملك اليمن من حمير فرّ إلى قيصر يستغيثه فكتب له إلى النجاشي ليغيثه فأرسل معه أميرين إلياط

وابرهة بجيش عظيم فقتلوا ملك اليمن واستولوا عليه ثم اختلفا فقتل إلياط بعد أن شرم أنف ابرهة وحاجبه وعينه وشفته فبرئ واستقل بالملك فغضب عليه النجاشي فأرسل تحفا إليه حتى رضي فأقره ولهذا سمي الأشرم وقيل لأن أباه ضربه فشرم أنفه وجبينه ثم إن ابرهة رأى ان الناس يتجهزون أيام الموسم فقال أين يذهبون فقيل يحجون بيت الله بمكة قال ما هو قيل من الحجارة قال وما كسوته قيل ما يأتي من هنا، قال والمسيح لأبنين لكم خيرا منه فبني كنيسة بصنعاء بأنواع الرخام ونقل لها الحجارة المنقوشة بالذهب والفضة من قصر بلقيس وحلى الكنيسة بالذهب والفضة وأنواع الجواهر ونصب فيها صلبانا من ذهب وفضة ومنابر من عاج وغيره كان يشرف منها على عدن لارتفاع بنائها ولذا سماها القليس بضم القاف وفتح اللام مشددة ومخففة فتحتية ساكنة فسين مهملة أو بفتح القاف وكسر اللام لأن الناظر لها تسقط قلنسوته عن رأسه، فأراد صرف الحج إليها وكتب للنجاشي إني بنيت كنيسة باسم الملك لم يكن مثلها أريد صرف حج العرب إليها وأمنعهم من الذهاب لمكة فلما شاع ذلك في العرب خرج رجل من كنانة مغضبا فتغوط فيها ولحق بأرضه، وقيل أججت فيها فتية من العرب نارا فحلف ليهدمن الكعبة حجرا حجرا فكتب إلى النجاشي بذلك وسأله أن يبعث له فيله "محمودا" فلما قدم الفيل خرج في ستين ألفا فلما سمعت العرب بخروجه رأوا جهاده حقا عليهم فخرج رجل من ملوك اليمن اسمه ذو نفر بنون ففاء فراء فقاتله فهزم هو وأصحابه وأتى به في وثاق فحبسه عنده ثم مضى فلما كان بأرض خثعم خرج إليه نفيل الخثعمي في قبيلته ومن تبعه من العرب فهزموا وأسر نفيل فلما هم بقتله قال لا تقتلني فإني دليلك بأرض العرب فخرج به يدله فلما مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب في رجال ثقيف فقالوا أيها الملك إنما نحن عبيدك سامعون مطيعون ولست تريد هذا البيت يعنون بيت اللات إنما تريد الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك فبعثوا معه أبا رغال فلما بلغ الجيش المغمس وهو موضع بطريق الطائف كمعظم

ومحدث على ثلثي فرسخ من مكة مات أبو رغال فرجمت العرب قبره فهو القبر الذى يرجم إلى اليوم ثم أرسل ابرهة خيلا له عليها رجل من الحبشة يقال له الأسود بن مفصود بفاء وصاد مهملة وأمره بالغارة فاستاق إبل قريش وغنمها وفيها مائتا بعير لعبد المطلب وقيل له فيها أربعمائة ناقة وهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بالحرم بقتاله ثم عرفوا انهم لا طاقة لهم فتركوه وركب عبد المطلب في قريش فلما طلع جبل ثبير استدارت دارة غرة رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبهته واشتد شعاعها حتى صار مثل الشمس ومعنى استدارة الدارة حصولها فلما نظر عبد المطلب إلى ذلك قال يا معشر قريش ارجعوا فقد كفيتم هذا الأمر فوالله ما استدار هذا النور مني إلا أن يكون لنا الظفر فرجعوا ثم إن ابرهة أرسل حناطة بضم المهملة الحميري وقال سل عن سيد أهل هذا البلد ثم قل له ان الملك لم يأت لحربكم إنما جاء لهدم هذا البيت فإن لم تتعرضوا دونه فلا حاجة له بدمائكم فإن هو لم يرد حربا فأتني به فسأل فقيل له عبد المطلب فقال ما أمره به ابرهة فقال عبد المطلب والله لا نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم فإن يمنعه فهو بيته وحرمه وإن يخلي بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه قال حناطة فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه فتكلم أنيس سائس فيل ابرهة فقال أيها الملك هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك وهو صاحب عز مكة ويطعم الناس في السهل والوحوش والطير في رؤوس الجبال فأذن له ابرهة وكان عبد المطلب أجمل الناس وأعظمهم فعظم في عين ابرهة فأجله أن يجلس تحته وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه فنزل عن سريره وجلس على بساطه وأجلسه معه إلى جنبه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك قال حاجتي أن يرد علي مائتي بعير أصابها فقال لترجمانه قل له كنت أعجبتني حين رأيتك ثم قد زهدت فيك تكلمني في مائتي بعير وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك لا تكلمني فيه، فقال عبد المطلب إني أنا رب الإبل وإن للبيت ربا سيمنعه. قال ما كان ليمنع مني، فقال أنت وذاك،

فرد عليه إبله فقلدها وأشعرها وهللها وجعلها هديا للبيت وبثها في الحرم فرجع عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في شعب الجبال والشعاب اهـ. ويروى ان حناطة لما نظر إلى وجه عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشيا عليه فكان يخور كما يخور الثور عند الذبح فلما أفاق خر ساجدا لعبد المطلب وقال أشهد أنك سيد قريش حقا ثم أخبره بمراد ابرهة ويروى أن عبد المطلب لما حضر عند ابرهة أمر أنيسا بضم الهمزة وفتح النون وسكون المثناة سائس فيله الأكبر الأبيض العظيم الذى كان لا يسجد للملك ابرهة كما كانت تسجد له الفيلة أن يحضره بين يديه ليرهب به شيبة الحمد فأحضره فلما نظر إلى وجه عبد المطلب برك كما يبرك البعير وخر ساجدا وأنطق الله تعالى الفيل وقال السلام على النور الذى في ظهرك يا عبد المطلب واستشكل كون النور في عبد المطلب على المشهور من أنه كان عليه السلام حملا في بطن أمه إذ ذاك وأجيب بأن الله تعالى أحدث نورا في عبد المطلب يحاكي النور الذى استقر في آمنة مع زيادة حتى صار في وجهه كالشمس وأطلع عليه الفيل فسجد إكراما له قاله الزرقاني ثم ان ابرهة لما بلغ المغمس برك الفيل فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك فوجهوه الي المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه الى مكة فبرك، وفي ذلك يقول أمية ابن أبي الصلت:

إن آيات ربنا بينات ... ما يماري بهن إلا الكفور

برك الفيل بالمغمس حتى ... ظل يحبو كأنه معقور

ويروى أنه لما برك ضربوه في رأسه ضربا شديدا ليقوم فأبى ونحوه قول ابن اسحاق فضربوا رأسه بالطبرزين ليقوم فأبى فأدخلوا محاجنهم في مراقه فبزغوه بها ليقوم فأبى. والطبرزين بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة وسكونها آلة عوجاء من حديد والمحاجن جمع محجن عصى معوجة وقد يكون في طرفها حديد والمراق أسفل البطن وبزغوه بفتح الموحدة وزاي مشددة فغين معجمتين شرطوه بحديد

المحاجن ثم بعد بروك الفيل أرسل الله عليهم طيرا أبابيل أي جماعات قال الشافعي أمام كل جماعة طائر يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق مع كل طائر ثلاثة أحجار حجر في منقره وحجران في رجليه وعلى كل حجر اسم من يقع عليه واسم أبيه لا تصيب أحدا منهم إلا أهلكته وكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره فإن كان راكبا خرج من مركبه فخرجوا هاربين يتساقطون بكل طريق ويسألون عن نفيل ليدلهم على الطريق إلى اليمن فقال نفيل:

أين المفر والإله الطالب والأشرم المغلوب ليس الغالب

وأصيب ابرهة بالجدري وما مات حتى تساقطت أنامله أنملة أنملة وسال منه الصديد والقيح والدم وما مات حتى انصدع قلبه. وحكمة إظهار شناعة امر أبي رغال حتى صار يرجم دون نفيل مع أنه كان دليلا لهم أيضا أنه إنما جعل نفسه دليلا وقاية له من القتل فكان كالمكره على ذلك بخلاف أبي رغال فإن قومه تلقوا ابرهة بالسلم واختاروه دليلا له وهو بكسر الراء وخفة المعجمة واللام. اهـ.

من الزرقاني **(فغاضت المياه)** هذا من عجائب ولادته صلى الله عليه وسلم يعني فلما ولد صلى الله عليه وسلم غاضت المياه أي نقصت تلك الليلة حتى لم يبق منها شيء ويعني بالمياه بحيرة ساوة بسين مهملة بعدها ألف بعدها واو مفتوحة فهاء تأنيث تصغير بحرة وهي بحيرة عظيمة بين همذان وقم وكانت أكثر من ستة فراسخ في الطول والعرض وكانت تركب فيها السفن ويسافر إلى ما حولها من البلاد فنشف ماؤها في تلك الليلة بالكلية وأصبحت يابسة كأن لم يكن بها شيء من ماء حتى بنيت موضعها مدينة ساوة الموجودة إلى اليوم. وفي المواهب أن بحيرة طبرية غاضت تلك الليلة قال في ترتيب المطالع وهي بالشام لزمتها التاء وهي تصغير بحرة وهي بحيرة عظيمة يخرج منها نهر، بينها وبين الصخرة ثمانية عشر ميلا، قال البكري طولها عشرة أميال وعرضها ستة أميال اهـ. لكن المعروف بالغيض إنما هو بحيرة ساوة من قرى بلاد فارس كانت بحيرة كبيرة إلى آخر ما قدمت من وصفها وقال

فأما بحيرة طبرية فباقية إلى اليوم وأجيب بأن غيض كليهما ثابت في الأحاديث فمن أثبت غيض بحيرة طبرية أراد أنها نقصت نقصا لا ينقص مثله في زمان طويل وأن ماءها غار ثم عاد لما فيها من العيون النابعة التى تمدها الأمطار اهـ من الزرقاني.

وذكر في الشفا أن بحيرة طبرية غاضت. قال شارحه ابن سلطان وطبرية بفتحتين مدينة معروفة بناحية الأردن ذات حصن بينها وبين بيت المقدس نحو مرحلتين والبحيرة مصغرة مع أنها عظيمة وغيضها نقصها، هذا والمعروف ان الغائضة هي بحيرة ساوة من قرى بلاد فارس اهـ.

(والنيران * قد خمدت) كنصر وسمع يعنى أنه من عجائب ولادته صلى الله عليه وسلم خمود نار فارس التى كانوا يعبدونها فإنها خمدت أي انطفأت تلك الليلة وكان لها ألف عام لم تخمد فكأنها طفئت بماء بحيرة ساوة قاله ابن سلطان وقال البوصيري:

وعيون للفرس غارت فهل كان لنيرانهم بها إطفاء

وروى البيهقي وأبو نعيم والخرائطي وابن عساكر وابن جرير كلهم من حديث مخزوم بن هانئ عن أبيه وأتت عليه مائة وخمسون سنة قال لما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وغاضت بحيرة ساوة ورأي الموبذان فذكر الحديث بطوله قاله الزرقاني ورؤيا الموبذان التى أشار إليها تأتي قريبا إن شاء الله **(وانصدع الإيوان)** أي انشق وسقطت شرفاته والإيوان بالكسر وأصله بواوين فاعل كديوان ويقال بوزن كتاب وهو الصفة العظيمة يعنى إيوان كسرى بكسر أوله ويفتح لقب ملوك الفرس كقيصر لملوك الروم وتبع لملوك اليمن والنجاشي لملوك الحبشة قاله ابن سلطان وفي القاموس الإيوان بالكسر الصفة العظيمة كالأزج كالإوان ككتاب اهـ. يعنى انه من عجائب ولادته صلى الله عليه وسلم ارتجاس إيوان كسرى وسقوط شرفاته ليلة ولادته والارتجاس الصوت الشديد

من الرعد ومن هدير البعير كما ضبطه البرهان وفي نسخ ارتجاج بجيمين أي تحركه واهتزازه فكأنه لما صوت تحرك وهو بناء أزج بفتحتين أي بنى طولا فإنه ارتج حتى سمع صوته وانشق لا لخلل في بنائه وقد كان بناؤه بالمدائر محكما مبنيا بالآجر الكبار والجص، سمكه مائة ذراع في طول مثلها وقد أراد الخليفة الرشيد هدمه لما بلغه أن تحته مالا عظيما فعجز عن هدمه وإنما أراد الله أن يكون آية باقية لنبيه صلى الله عليه وسلم قاله الزرقاني.

(وخرس الملوك) يقال خرس كفرح، انعقد لسانه عن الكلام ومراده والله أعلم انهم لما رأوا ما حدث تلك الليلة من الحوادث الخارقة العادة علموا أنه حدث عظيم وخطب جسيم فارتج عليهم في الكلام لما رأوا من الحوادث العظام حتى صاروا يبعثون إلى من يظن به علم بهذا الشأن من علماء أهل الكتاب والكهان فهذا هو مراده بخرسهم والله أعلم. ألا ترى ما روي أن كسرى لما سقطت شرفات إيوانه لم يدر ما سبب ذلك ولم يتكلم فيه، فبعث عبد المسيح الغساني إلى سطيح يسأله هل له علم بذلك. روي أنه لما ولد صلى الله عليه وسلم ارتعد إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة وكتب إليه صاحب اليمن بأن بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة وكتب إليه صاحب فارس بأن النيران التى كانوا يعبدونها خمدت تلك الليلة ولم تكن خمدت قبل ذلك بألف عام وكتب إليه صاحب الشام بأن وادي السماوة انقطع جريه تلك الليلة ثم أخبره الموبذان ومعناه القاضي والمفتي بلغتهم أنه رأى إبلا صعابا تقود خيلا عرابا فانتشرت في بلادهم، فأرسل عبد المسيح الغساني إلى سطيح الكاهن يستخبره علم ذلك وكان سطيح جسدا ملقى لا جوارح له ووجهه في صدره ولم يكن له رأس ولا عنق لا يقدر على الجلوس إلا إذا غضب انتفخ وقد قيل له أنى لك هذا العلم فقال لى صاحب من الجن استمع أخبار السماء من طور سيناء حين كلم الله موسى عليه السلام فهو يؤدي إليه من ذلك ما يؤدي فلما قدم عبد المسيح عليه وجده قد أشفى على الموت فسلم عليه فلم يرد عليه جوابا فأنشأ عبد المسيح يقول:

أصم أم يسمع غطريف اليمن	أم باد فازلم به شأو العنن
يا فاضل الخطبة أعيت من ومن	أتاك شيخ الحي من آل سنن
وأمه آمن آل ديب بن حجن	أبيض فضفاض الرداء والبدن
رسول قيل العُرب يسري في الوسن	لا يرهب الرعد ولا ريب الزمن
تجوب بالأرض علنداة شزن	ترفعني وجن وتهوي بي وجن
حتى أتى عاري الجآجي والقطن	تلفه في الرحل بوغاء الدمن

الغطريف: السيد وباد: يبود بالباء المروسة هلك وازلم: قبض أو ولى وشأو العنن. الموت والفضفاض: الواسع والقيل: الملِك، وأصله التشديد، وهو ذو القيل النافذ، والعلنداة: الناقة الشديدَة، الشزن: الغليظ، والوجن: جمع وجن، سكنت جيمه تخفيفا وهو متين الأرض ذو الحجارة الصغار، والجآجئ: جمع جؤجؤ وهو الصدر وجعل كل شيء منه جؤجؤا فلهذا جمعه والبوغاء: التراب الهاب، والدمن: جمع دمنة وهي ما قرب من الدار تبول فيه المواشي وتبعر. فلما سمع سطيح شعره رفع رأسه وقال عبد المسيح على جمل مشيح، أي مسرع جاء إلى سطيح وقد أشفى على الضريح، بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الإيوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان، رأي إبلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها، عبد المسيح إذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة يعني السيف وخمدت نار فارس وغاضت بحيرة ساوة وغاض وادي السماوة فليس الشام لسطيح شاما يملك منهم مليك وملكات على عدد الشرفات وكل ما هو آت آت. ثم مات سطيح مكانه. قالوا وكان أقصى ملكهم عشرة رجال وامرأتين فنقص عن عدد الشرفات ولعله أخطأ في النقل وقد فتحت بلادهم على يد عمر رضي الله عنه وذلك بدعائه صلى الله عليه وسلم أن يمزقوا كل ممزق فلم يكن ملك للفرس بعد هذا كله، ذكره الإمام السنوسي في شرح وسطاه وسطيح بفتح فكسر كاهن بني ذؤيب من غسان بفتح معجمة وتشديد مهملة لم يكن في بدنه عظم سوى رأسه وزعم الكلبي أنه عاش ثلاث مائة سنة وأنه خرج مع الأزد أيام سيل العرم قاله ابن سلطان. وفي الحلة السيرا أن اسمه ربيع بن

ربيعة بن عدي بن مازن بن ذؤيب وأنه له رأس وكفان ويطوى طي الثوب من ترقوته إلى رجله. اهـ.
وقوله والقطن في القاموس، القطن محركة ما بين الوركين والسماوة بفتح السين المهملة وتخفيف الميم مفازة بين الشام والكوفة.

تنبيه:

لم يذكر القسطلاني ولا الزرقاني أن ملوك الفرس نقصوا عن اربعة عشر عدد الشرفات كما قال السنوسي بل ظاهره هما خلافه ونص المواهب وقد ملك منهم عشرة أربع سنين وملك الباقون إلى خلافة عثمان اهـ. وآخر ملكهم يزدجرد قتل في أول خلافة عثمان قاله السهيلي انظر الزرقاني، **(والأصنام * تنكست)** أي سقطت على وجوهها ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم **(فما لها قيام)** أي انتصاب والأصنام جمع صنم بالتحريك، قال في القاموس الصنم محركة الوثن يعبد، وقال الوثن محركة الصنم، اهـ، وقال اليوسي في حاشية الكبرى الصنم والوثن شيء واحد هكذا في الصحاح والقاموس وفرق ابن التلمساني بينهما بأن الصنم ما له صورة جعلت تمثالا والوثن ما لا صورة له وقال السهيلي في الروض يقال لكل صنم من حجر أو غيره صنم ولا يقال وثن إلا لما كان من غير صخرة كالنحاس ونحوه اهـ، فيكون الصنم أعم على هذا والله تعالى أعلم. اهـ. كلامه.
وللإمام الشقراطي:

ضاءت لمولده الآفاق واتصلت	بشرى الهواتف في الإشراق والطفل
وصرح كسرى تداعى من قواعده	وانقض منكسر الأرجاء ذا ميل
ونار فارس لم توقد وما خمدت	مذ ألف عام ونهر القوم لم يسل
خرت لمبعثه الأوثان وانبعثت	ثواقب الشهب ترمي الجن بالشعل

قوله وانقض بمهملة سقط من أصله وبمعجمة أسرع سقوطه، ونار فارس أي التى كانوا يبعدونها وكان لبيوتها سدنة ينتابون إيقادها فلم يخمد لها لهب في ليل ولا نهار إلى ليلة مولده عليه السلام. وقوله لم

توقد أي كأنها لم توقد تلك الليلة مع تعاطيهم إيقادها بل خمدت، قاله الشيخ محمد بن عبد الباقي ومن عجائب ولادته أيضا انه صلى الله عليه وسلم لما ولد قال في أذنه رضوان خازن الجنان أبشر يا محمد فما بقي لنبي علم إلا وقد أعطيته، فأنت أكثرهم علما وأشجعهم، اهـ من المواهب.

تنبيه:

إنما فسرت قوله وخرس الملوك بما مرّ لأني لم أر ممن تعرض لعجائب ولادته عليه الصلاة والسلام من ذكر ذلك وإنما رأيته في الحمل به. ففي المواهب عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال كان من دلالة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ان كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة وهو إمام الدنيا وسراج أهلها ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوسا. قال الزرقاني بأن صار أعلاه أسفله، قال الزرقاني وفي الخميس وكلت الملوك حتى لم يقدروا في ذلك اليوم على التكلم وفرت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب وكذلك أهل البحار يبشر بعضهم بعضا أن ابشروا فقد آن أن يظهر أبو القاسم صلى الله عليه وسلم اهـ. وقد مرّ بعضه ويحتمل أن هذا هو الذى أشار له الناظم لقرب زمن الولادة من زمن الحمل ويصح ان ذلك وقع لهم أيضا عند الولادة والله تعالى أعلم. **(بيان)** خبر مبتدء محذوف وكذا كل ما فيه من لفظ بيان أي هذا بيان **(موت والد المختار)** صلى الله عليه وسلم **(و)** بيان **(كم له كان من الأظآر)** أي يذكر في هذه الأبيات موت أعز فتى في قريش وأفضله وأجمله وهو عبد الله الشريف ابن شيخ البطحاء عبد المطلب وهو والد المختار المفضل على جميع الأولين والآخرين عليه أفضل صلاة المصلين وأزكى سلام المسلمين ويذكر فيها أيضا عدد ما كان له صلى الله عليه وسلم من الأظآر جمع ظئر بالكسر وهي العاطفة على ولد غيرها المرضعة له، فقوله وكم عطف على موت كما قررت فهو مجرور بإضافة

كم إليه ولا يعمل في كم متقدم عليها إلا مضاف أو حرف جر وقد ذكر العلماء أن مرضعاته صلى الله عليه وسلم عشر: أمه آمنة أرضعته تسعة أيام وقيل ثلاثة أيام وقيل سبعة أيام وما وقع لبعضهم من سبعة أشهر وهم وهي أول من أرضعه وما رواه ابن سعد من أن أول من أرضعته ثويبة فالأولية نسبية ثم بعد أمه الكريمة ثويبة أرضعته أياما قلائل قبل قدوم حليمة وأرضعت قبله حمزة وبعده أبا سلمة المخزومي وحليمة السعدية التى فازت بجناية سعدها منه قاله ابن الجوزي وابن المنذري وعياض وغيرهم وخولة بنت المنذر بن زيد أم بردة الأنصارية وامرأة من بنى سعد غير حليمة أرضعته عند حليمة وأم أيمن ذكرها القرطبي والمشهور أنها من الحواضن لا من المراضع وأم فروة ذكرها المستغفري وثلاث نسوة من سُليم، قال في الاستيعاب مُرّ به صلى الله عليه وسلم على نسوة أبكار من سُليم فأخرجن ثديهن فوضعنها في فيه فدرت قال بعضهم ولذا قال: «أنا ابن العواتك من سُليم» اهـ، لكن قال السهيلي عاتكة بنت هلال أم عبد مناف عمة عاتكة بنت مرة أم هاشم وعاتكة بنت الأوقص أم وهب جده صلى الله عليه وسلم لأمه ثلاث عواتك ولدنه صلى الله عليه وسلم ولذا قال أنا ابن العواتك من سُليم وقيل في تأويل هذا الحديث أن ثلاث نسوة من بنى سليم أرضعنه كل تسمى عاتكة والأول أصح نقله الزرقاني. **(ومات عبد الله)** بن عبد المطلب، والده عليه السلام، **(وهو حمل)** جملة حالية والحال ان المصطفى صلى الله عليه وسلم حمل في بطن أمه الكريمة وقد مضى لها شهران من حملها على ما صدر به في المواهب وقيل قبل ولادته بشهرين وكونه توفي عنها وهي حامل قول ابن اسحاق وخالفه كثير من الفقهاء فقالوا إن النبي صلى الله عليه وسلم كان في المهد حين توفي أبوه قيل ابن شهرين وقيل أكثر من ذلك قاله الكلاعي والقول بأنه كان في المهد قال السهيلي هو قول أكثر العلماء واحتج له بقول عبد المطلب لأبي طالب:

أوصيك يا عبد مناف بعدي بمئتم بعدَ أبيه فرد

فارقه وهو ضجيع المهد. اهـ.

والمهد ما يمهد للصبي ليربى عليه من مهدت له المكان أي وطأته له ولينته قاله الزرقاني. وقال في المواهب قيل توفي عنه وهو ابن شهرين وقيل ابن سبعة اشهر وقيل ابن ثمانية وعشرين شهرا والراجح المشهور الأول اهـ يعني أن كون عبد الله مات وهو حمل رجحه الواقدي وابن كثير والبلاذري وابن سعد والذهبي والحجة لهم ما في المستدرك عن قس بن مخرمة، قال توفي أبو النبي صلى الله عليه وسلم وأمه حبلى به قال الحاكم صحيح على شرط مسلم، قاله محمد بن عبد الباقي وكان عبد الله قد خرج تاجرا مع قريش فرجع من غزة ضعيفا فمروا بالمدينة فتخلف مريضا عند أخواله أي أخوال أبيه بني عدي بن النجار فأقام عندهم مريضا شهرا فلما قدم أصحابه مكة سألهم عبد المطلب عنه فقالوا خلفناه مريضا فبعث إليه أخاه الحارث وقال ابن الأثير الزبير فوجده قد توفي بالمدينة ودفن بها في دار التابعة بفوقية فموحدة فعين مهملة كما في الزهر الباسم وهو رجل من بني عدي بن النجار وقيل دفن بالابواء وقالت آمنة زوجته ترثيه:

عفا جانب البطحاء من آل هاشم ... وجاور لحدا خارجا في الغماغم
دعته المنايا دعوة فأجابها ... وما تركت في الناس مثل ابن هاشم
عشية راحوا يحملون سريره ... تعاوره أصحابه في التزاحم
فإن تك غالته المنون وريبها ... فقد كان معطاء كثير التراحم

جعلت خلوها منه خلوا من آل هاشم مبالغة لعدم قيام غيره منهم مقامه فقولها وجاور لحدا إلخ.. الغماغم بغينين معجمتين وميمين أي الأغطية والمراد بها الأكفان التى لف فيها والمجرور حال وقولها خارجا صفة للحد فكأنها قالت وجاور حال كونه مدرجا في أكفانه لحدا بعيدا عن أماكن أهله ومعنى تعاوره إلخ.. أي تداوله أصحابه مع التزاحم عليه ففي بمعنى مع وريب المنون أسبابها المؤدية لها وعبر بأن التى هي للشك لاستبعاد وقوع الموت به استعظاما له وجواب الشرط محذوف أي أسف الناس عليه لأنه كان معطاء الخ.. فالفاء للتعليل انظر الزرقاني. وروي أنه لما توفي عبد الله قالت الملائكة يا إلهنا وسيدنا بقي نبيك

يتيما فقال الله تعالى أنا له حافظ ونصير وقيل لجعفر الصادق لقب بذلك لأنه ما كذب قط لم يتم النبي صلى الله عليه وسلم قال لئلا يكون عليه حق لمخلوق ويتم بكسر التاء كما اقتصر عليه الجوهري وزاد المجد فتحها والمصباح ضمها قاله الزرقاني **(وكم حوت من شرف هذيل)** فاعل حوت يقال حواه واحتوى عليه جمعه وأحرزه وكم تكثيرية مفعول حوت والشرف العلو **(لما غدت)** أي صارت **(بنتهم السعدية)** نسبة إلى جدها وخبر غدت قوله **(من أمهات)** جمع أم وأمهة والأكثر في جمع العاقل أمهات ويقال أمات **(أشرف البرية)** أي أفضل الخلق كلهم صلى الله عليه وسلم . وقول الناظم رحمه الله: وكم حوت من شرف هذيل إلخ.. سبق لسان بلا شك لأن هذيلا بن مدركة كما هو معلوم وكون مرضعته صلى الله عليه وسلم حليمة من بني سعد بن بكر بن هوازن أظهر من أن يستدل عليه وهوازن أخو منصور والد سليم وهما ابنا عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر وكأنه غره أن في هذيل قبيلة يقال لها بنو سعد منهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وهي مماثلة في الاسم لبني سعد بن بكر ولما سبى رسول الله صلى الله عليه وسلم هوازن قالوا له يا رسول الله إنما في الحظائر عماتك وخالاتك كن يكفلنك ولو أنا أرضعنا الحارث بن أبي شمر أو النعمان بن المنذر ثم أنزل بنا مثل ما أنزلت بنا رجونا عطفه وأنت خير المكفولين، فخيرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سباياهم وأموالهم فاختاروا السبي فرده عليهم وهي حليمة بنت أبي ذؤيب مصغرا واسمه عبد الله بن الحارث بن شجنة بكسر الشين المعجمة فجيم ساكنة فنون فهاء تأنيث هكذا في النور وفي الشامية بشين مهملة ابن جابر بن رزام بكسر الراء ثم زاي فألف فميم ابن ناصر بن سعد بن بكر بن هوازن هكذا في الاستيعاب وقيل غير ذلك قاله في شرح المواهب وفي الحلة السيرا أما بنو سعد بن بكر بن هوازن فهم أظآره صلى الله عليه وسلم منهم حليمة بنت أبي ذؤيب واسمه الحارث بن عبد الله بن شحته بن قاصرة بن فصية بالفاء تصغير فصاة وهي النواة أو حب الزبيب ويروى قصية

بالقاف بن نصر بن سعد بن بكر والصحيح أنها أسلمت وأسلم زوجها أيضا وأسلمت بنتها الشيماء أو الشماء اهـ. المراد منه.

وفي الزرقاني في موضع آخر قيل بنت عبد الله بن الحارث وقيل بنت الحارث بن عبد الله إلخ.. وقال في الشفا لما جيء بأخته من الرضاعة الشيماء أو الشماء في سبايا هوازن بسط لها رداءه اهـ. وهي بفتح الشين المعجمة وسكون التحتية أو بلا ياء وهي ممدودة، قال الحجازي أسلم أبوها الحارث بمكة وأسلمت هي واسمها جدامة بجيم مضمومة فمهملة فألف فميم وقيل خذافة بمعجمة مكسورة وذال معجمة وبفاء وقيل بميم وقال الحلبي الشيماء فيها قولان هل هي بنت حليمة أو اختها اهـ، قيل انها فازت هي وأبواها وأخوها بسعادة الإسلام وزيادة الإكرام ببركته عليه السلام وقوله أبوها يعنى أباها وأمها حليمة وقال الحافظ الدمياطي لا يعرف لحليمة صحبة ولا إسلام والمرأة التى بسط لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أختها الشيماء وروى ابن عبد البر أن حليمة جاءت النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقام لها وبسط لها رداءه وفي سيرة مغلطاي وصحيح ابن حبان وغيره ما يدل على إسلامها اهـ، من شرح ابن سلطان.

وفي الزرقاني ان ابن أبي خثيمة وابن عبد البر وابن الجوزي وابن المنذر والحافظ ابن حجر وغيرهم قد ذكروا حليمة في الصحابة قال وحسبك بهذا حجة قال وقول ابن كثير لم تدرك البعثة رده الحافظ بأن عبد الله بن جعفر حدث عنها عند أبي يعلى والطبراني وابن حبان وهو إنما ولد بعد البعثة وزعم أبي حيان النحوي أنها لم تسلم مردود فقد ألف مغلطاي فيها جزءا سماه التحفة الجسيمة في إثبات اسلام حليمة وارتضاه علماء عصره.

فأما أبو حيان فليس من فرسان هذا الميدان يذهب إلى زيده وعمره اهـ. كلامه.

وقد ذكروا انه لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل من يكفل هذه الدرة اليتيمة التى لا يوجد لمثلها قيمة قال الطَّيُور نحن نكفله

ونغتنم خدمته العظيمة وقالت حيوانات البر نحن أولى بذلك منكم، ننال شرفه وتعظيمه، فنادى لسان القدرة أن يا جميع المخلوقات ان الله كتب في سابق حكمته القديمة أن نبيه الكريم يكون رضيعا لحليمة الحليمة وذكر العزفي أن عبد المطلب وقت دخول حليمة سمع هاتفا يقول:

إن ابن آمنة الأمين محمدا خير الأنام وخيرة الأخيار
ما إن له غير الحليمة مرضع نعم الأمينة هي على الأبرار
مأمونة من كل عيب فاحش ونقية الأثواب والأزرار
لا تسلمنه إلى سواها إنه أمر وحكم جا من الجبار

وذكر ابن الطراح ومغلطاي والحافظ وأبو المظفر ان حليمة كانت ترقص النبي صلى الله عليه وسلم وهي تقول:

يا رب إذ أعطيته فأبقه وأعله إلى العلا ورقه
(وفي رواية وأرقه)
وادحض أباطيل العدى بحقه (...)

وقوله وادحض بكسر الحاء حذفت همزته للضرورة أي أذل، وذكر ان الشيماء أخته من الرضاعة كانت تحضنه وتقول:

هذا أخ لي لم تلده أمي وليس من نسل أبي وعمي
فديته من مخول معمي فأنمه اللهم فيما تنمي

رجل مخول معم أي كريم الأخوال والأعمام بكسر الواو والعين وفتحها ومنع الأصمعي الكسر وقال كلام العرب الفتح وقولها فأنمه اللهم من إطلاق السبب وإرادة المسبب، فالكثرة يلزمها القوة فكأنها قالت قوه فيمن قويت وزد رفعته أو بحذف مضاف أي اتم أتباعه. وقالت الشيماء أيضا:

يا ربنا أبق أخي محمدا حتى أراه يافعا وأمردا
ثم أراه سيدا مسودا واكبت أعاديه معا والحسدا
وأعطه عزا يدوم أبدا

قال الأزدي ما أحسن ما أجاب الله دعاءها يعني لرؤيتها إياه بجميع

ما طلبت اهـ من الزرقاني.

وقولها واكبت يقال كبت العدو كضرب رده بغيظه وأذله كما في القاموس، **(وكم رأت)** أي عاينت وأبصرت **(له)** أي النبي صلى الله عليه وسلم **(من الآيات)** أي العلامات الدالة على رسالته ومكانته صلى الله عليه وسلم عند الله تعالى **(حليمة)** ولما كان ما رأت له عليه السلام لا يكاد ينحصر أشار لبعضه بمن التبعيضية فقال **(منها)** أي الآيات المذكورة **(درور الشاة)** أي كثرة لبنها، وفي المصباح درّ اللبن وغيره درا من باب قتل وضرب كثر وشاة دار بغير هاء ودرور اهـ، وأراد بالشاة الجنس يعنى غنمها كلها كما يأتي في قولها فكانت غنمي تروح حين قدمنا به شباعا لبنا بضم اللام وكسرها لغتان حكاهما الجوهري وشد الموحدة أي كثيرة اللبن جمع لبون واعلم أن عادة نساء قبائل العرب التى حول مكة ونواحي الحرم أنهن ياتينها في كل عام مرتين ربيعا وخريفا للرّضعاء يذهبن بهم حتى تتم الرضاعة لأن نساء قريش يرين ارضاع أولادهن عارا عليهن كما قاله العزفي وقال غيره لينشأ الولد غريبا فيكون أنجب له ولسانه أفصح لخبر أنا أعربكم أنا من قريش واسترضعت في بنى سعد وكانت مشهورة في العرب بالكمال وتمام الشرف وقيل لتفرغ النساء للأزواج فلما كان عام ولادته صلى الله عليه وسلم خرجت حليمة كما رواه ابن اسحاق وابن راهويه والبيهقي وأبو نعيم أنها قالت قدمت مكة في نسوة من بنى سعد بن بكر نلتمس الرضعاء في سنة شهباء على أتان لى ومعي صبي لنا وشارف لنا والله ما تبض بقطرة وما ننام ليلنا أجمع مع صبينا ذلك لا يجد في ثديي ما يغذيه ولا في شارفنا ما يغذيه فقدمنا مكة فوالله ما علمت منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه إذا قيل انه يتيم فوالله ما بقي من صواحبي امرأة إلا أخذت رضيعا غيري فلم أعط لما أنا عليه من الضيق فلما لم أجد غيره قلت لزوجي والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ليس معي رضيع لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلناخذنه، فذهبت إليه فإذا به مدرج في ثوب صوف أبيض من اللبن يفوح منه

المسك وتحته حرير أخضر راقد عليه يغط فأشفقت أن أوقظه لحسنه وجماله فدنوت منه فتبسم وفتح عينيه فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء وأنا أنظر فقبلته بين عينيه وأعطيته ثديي الأيمن فأقبل عليه بما شاء من لبن فحولته إلى الأيسر فأبى وكانت تلك حالته بعد، ثم أخذته بما هو فيه إلى أن جئت به إلى رحلي فأقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن فشرب حتى روي وشرب أخوه حتى روي فقام صاحبي تعني زوجها إلى شارفنا تلك فإذا أنها لحافل فحلب لنا ما شرب وشربت حتى روينا وبتنا بخير ليلة وقال صاحبي يا حليمة والله إني لأراك قد أخذت نسمة مباركة فلم يزل الله يزيدنا خيرا. وفي النطق المفهوم فودعت النساء بعضهن وودعت أنا أم النبي صلى الله عليه وسلم ثم ركبت أتاني وأخذت محمدا صلى الله عليه وسلم بين يدي فنظرت إلى الأتان وقد سجدت نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت رأسها إلى السماء الهمها الله ذلك شكرا له أن خصها بكونه صلى الله عليه وسلم على ظهرها ثم مشت حتى سبقت دواب الناس والناس معي يتعجبون ويقلن النساء لي وهن ورائي يا بنت أبي ذؤيب أهذه أتانك التى كنت عليها فأقول تالله انها لهي فيعجبن ويقلن إن لها لشأنا عظيما قالت فكنت أسمع أتاني تقول والله ان لي لشأنا عظيما بعثني الله بعد موتي ورد لي سمني بعد هزالي ويحكي: يا نساء بني سعد انكن لفي غفلة وهل تدرين من على ظهري، على ظهري خير النبيئين وسيد المرسلين وخير الأولين والآخرين وحبيب رب العالمين قالت ثم قدمنا منازل بنى سعد ولا أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها فكانت غنمي تروح علي شباعا لبنا فنحلب ونشرب وما يحلب إنسان غيرنا قطرة لبن حتى كان الحاضر من قومنا يقولون لرعيانهم اسرحوا حيث تسرح غنم بنت أبي ذؤيب فتروح أغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن وتروح أغنامي شباعا لبنا اهـ..

وابن راهويه هو اسحاق اجتمع له الحديث والفقه والصدق والورع براء فألف فهاء مضمومة فتحتية مفتوحة عند المحدثين لأنهم لا يحبون

ويه وبفتح الهاء والواو وسكون التحتية قال الكرماني وهو المشهور وقولها ومعي صبي لنا هو عبد الله بن الحارث قال النووي لا أعلم له إسلاما ولا ترجمة وهوتقصير ففي الإصابة سماه بعضهم عبد الله وذكره في الصحابة والشارف الناقة المسنة وتبض بفتح الفوقية وكسر الموحدة وشد الضاد المعجمة تدر وزوجها هو الحارث بن عبد العزى بن رفاعة السعدي أدرك الإسلام وأسلم ويغط بكسر المعجمة يردد نفسه صاعدا إلى حلقه حتى يسمعه من حوله كما في المصباح والحافل ممتلئة الضرع والنسمة محركة الذات ولبنا بضم اللام وكسرها لغتان حكاهما الجوهري وشد الموحدة كثيرة اللبن جمع لبون ونحلب بضم اللام وكسرها والحاضر القوم المجتمعون على ماء يجتمعون به ولا يرحلون عنه ويقال للمناهل المحاضر للاجتماع والحضور اهـ من الزرقاني. ولله در القائل:

لقد بلغت بالهاشمي حليمة مقاما علا في ذروة العز والمجد
وزادت مواشيها وأخصب ربعها وقد عم هذا السعد كل بني سعد

قالت حليمة لما دخلت به منزلي لم يبق منزل من منازل بني سعد إلا شممنا منه ريح المسك وألقيت محبته في قلوب الناس حتى أن أحدهم كان إذا نزل بجسده أذى يأخذ كفه صلى الله عليه وسلم فيضعه على موضع الأذى فيبرأ سريعا وكذا إذا اعتل لهم بعير أو شاة. وعن العباس رضي الله عنه قال قلت: يا رسول الله دعاني إلى الدخول في دينك أمارة لنبوتك رأيتك في المهد تناغي القمر وتشير إليه بأصبعك فحيث أشرت إليه مال فقال إني كنت أحدثه ويحدثني يلهيني عن البكاء والمناغاة: المحادثة، وقد ناغت الأم صبيها أي لاطفته وشاغلته بالملاعبة والمحادثة. وعن ابن عائذ أول ما تكلم به صلى الله عليه وسلم حين خرج من بطن أمه: الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا وفي شواهد النبوءة أنه صلى الله عليه وسلم لما وقع على الأرض رفع رأسه وقال بلسان فصيح لا إله إلا الله وإني رسول الله ونظم السيوطي جملة من تكلم في المهد فقال:

تكلم في المهد النبي محمد	ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبري جريح ثم شاهد يوسف	وطفل لدى الأخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مرّ بالأمة التي	يقال لها تزني ولا تتكلم
وماشطة في عهد فرعون طفلها	وفي زمن الهادي المبارك يختم

ذكر هذه الأبيات بهذا اللفظ الزرقاني في شرح المواهب في ولادته صلى الله عليه وسلم وقوله وطفل لدى الأخدود هو ان امرأة جيء بها لتلقى في النار لتكفر ومعها صبي فتقاعست فقال لها يا أماه اصبري إنك على الحق. والمبارك يعنى به مبارك اليمامة وكانت قصته في حجة الوداع أوتي بصبي فقال له من أنا فقال له أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صدقت يا صبي، بارك الله فيك، ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة ويعرف حديثه بحديث شاهونة. انظر الشفا. وروى ان حليمة رأت غمامة تظله عليه السلام عندها نقله في الشفا **(وشق صدر أكرم الأنام)** الأنام كسحاب وساباط وأمير الخلق **(وهو ابن عامين وسدس عام)** أي شهرين أشار بهذا إلى ما رواه ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس قال كانت حليمة لا تترك النبي صلى الله عليه وسلم يذهب مكانا بعيدا فغفلت عنه فخرج مع أخته الشيماء في الظهيرة الى البهم فخرجت حليمة تطلبه حتى تجده قالت في هذا الحر قالت أخته يا أمه ما وجد أخي حرا رأيت غمامة تظلل عليه إذا وقف وقفت وإذا سار سارت حتي انتهى إلى هذا الموضع.

وكان صلى الله عليه وسلم يشب شبابا لا يشبه الغلمان قالت حليمة فلما فصلته تعني بعد مضي عامين قدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا لما نرى من بركته فكلمنا أمه وقلنا نود لو تركتيه عندنا حتى يغلظ فإنا نخشى عليه وباء مكة ولم تزل بها حتي ردته معنا فرجعنا به فوالله إنه لبعد مقدمنا بشهرين أو ثلاثة مع أخيه لفي بهم لنا خلف بيوتنا جاء أخوه يشتد فقال ذلك أخي القرشي قد جاءه رجلان

عليهما ثياب بيض فأضجعاه وشقا بطنه فخرجت أنا وأبوه نشتد نحوه فنجده قائما منتقعا لونه فاعتنقه أبوه وقال أي بني ما شأنك قال أتاني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني وشقا بطني ثم استخرجا منه شيئا ثم رداه كما كان فرجعناه معنا فقال أبوه يا حليمة لقد خشيت أن يكون ابني قد أصيب فانطلقي بنا نرده إلى أهله فاحتملناه حتى قدمنا به مكة على أمه فقالت ما ردكما فقد كنتما حريصين عليه قلنا نخشى عليه فقالت ما ذاك فأصدقاني شأنكما فلم تتركنا حتى أخبرناها خبره، قالت أخشيتما عليه الشياطين كلا والله ما للشياطين عليه سبيل وإنه لكائن لابني هذا شأن عظيم فدعاه عنكما اهـ. واسم أخيه عبد الله وفي رواية البيهقي ان اسمه ضمرة والبهم بفتح الموحدة ولد الضأن كذا في النهاية. وقولها قالت في هذا الحر بحذف الهمز أي أفيه تخرجين به. ويشب بكسر الشين. روي أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما صار ابن شهرين كان يتزحلق مع الصبيان إلى كل جانب وفي ثلاثة أشهر كان يقوم على قدميه وفي أربعة كان يمشي ولما مضى له ثمانية أشهر شرع يتكلم بكلام فصيح وفي عشرة أشهر كان يرمي بالسهام وقولها أو ثلاثة شكت ويشتد يسرع ومنتقعا لونه بنون ففوقية فقاف مفتوحة أي متغيرا وقوله رجلان أي ملكان في صورة رجلين وهما جبريل وميكائيل وقوله شيئا هو مضغة سوداء وقوله أصيب أي من الجن وقولها فقدمنا به على أمه أي بعدما ضل منا في باب مكة حين نزلت لأقضي حاجتي فأعلمت بذلك عبد المطلب فطاف بالبيت أسبوعا ودعى الله يرده فسمع مناديا ينادي معاشر الناس لا تضجوا فإن لمحمد ربا لا يضيعه ولا يخذله. قال عبد المطلب يا أيها الهاتف من لنا به وأين هو قال بوادي تهامة فأقبل عبد المطلب راكبا متسلحا فلما صار في بعض الطريق لقي ورقة بن نوفل فسارا جميعا فوجداه صلى الله عليه وسلم تحت شجرة وعن ابن عباس لما رد الله محمدا صلى الله عليه وسلم على عبد المطلب تصدق بألف ناقة كوماء وخمسين رطلا من ذهب وجهز حليمة أفضل الجهاز قاله الزرقاني، قال وظاهر هذا السياق

بل صريحه أن شق الصدر ورجوعه إلى أمه كانا في السنة الثالثة لقوله بشهرين أو ثلاثة وقال ابن عباس رجع إلى أمه وهو ابن خمس سنين وقال غيره ابن أربع حكاهما الواقدي وقال ابن عبد البر ردته بعد خمس سنين ويومين وقال الأموي ابن ست سنين والراجح أنه صلى الله عليه وسلم رجع إلى أمه وهو ابن اربع سنين وان شق الصدر إنما وقع في الرابعة كما جزم به الحافظ العراقي وتلميذه الحافظ بن حجر في سيرته وذكر انه التزم فيها الاقتصار على الأصح مما اختلف فيه نقله الزرقاني وعلى هذا فقوله وهو ابن عامين إلخ، خلاف الراجح. والراجح انه وقع وهو ابن أربع سنين والله تعالى أعلم. وفي الكلاعي قال ابن عباس يقال رجع إلى أمه وهو ابن خمس سنين وكان غيره يقول ردّ إليها وهو ابن أربع سنين اهـ. وعند أبي يعلي وابن عساكر وأبي نعيم أنه صلى الله عليه وسلم قال كنت مسترضعا في بني سعد بن بكر فبينما أنا ذات يوم في بطن واد مع أتراب لي من الصبيان إذا أنا برهط ثلاثة معهم طست من ذهب ممتلأ ثلجا فأخذوني من بين أصحابي فانطلق الصبيان هرابا مسرعين إلى الحي فعمد أحدهم فأضجعني على الأرض اضجاعا لطيفا ثم شق ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي وأنا أنظر إليه لم أجد لذلك مسا ثم أخرج أحشاء بطني ثم غسلها بذلك الثلج فأنعم غسلها ثم أعادها مكانها ثم قام الثاني فقال لصاحبه تنح ثم أدخل يده في جوفي وأخرج قلبي وأنا أنظر إليه وصدعه ثم أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها ثم مال بيده يمنة ويسرة كأنه يتناول شيئا فإذا بخاتم في يده من نور يحار فيه الناظر دونه فختم به قلبي وامتلأ نورا وذلك نور النبوءة والحكمة ثم أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهرا ثم قال الثالث لصاحبه تنح فأمر يده بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي فالتأم ذلك الشق بإذن الله تعالى ثم أخذ بيدي فأنهضني من مكاني ثم قال الأول للثالث زنه بعشرة من أمته فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فرجحتهم ثم قال زنه بألف فرجحتهم ثم قال دعوه فلو وزنتموه بأمته كلها لرجحهم ثم ضموني إلى صدورهم وقبلوا

رأسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع إنك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك:

(وشـــق للبعث وللإســـــراء أيضـا كـمـا قـدجاء في الأنبـاء)

يعني أنه صلى الله عليه وسلم شق صدره الشريف وأخرج قلبه عند مجيء جبريل بالوحي في غار حراء وكذا وقع له الشق ليلة الإسراء فذكر الناظم رحمه الله تعالى أنه وقع له ثلاث مرات الأولى عند حليمة وهو صبي والثانية عند نزول إقرأ باسم ربك والثالثة في قصة الإسراء كما جاء في الأنباء جمع نبأ وهو الخبر يعني الأحاديث الواردة بذلك أما الأولى فقد مر الكلام عليها وأما الثانية فرواها أبو داوود الطيالسي والحارث البغدادي في مسنديهما والبيهقي وأبو نعيم في دلائلهما كلهم عن عائشة أنه صلى الله عليه وسلم نذر أن يعتكف شهرا هو وخديجة فوافق ذلك شهر رمضان فخرج ذات ليلة فقال السلام عليك قال فظننت أنها فجأة الجن فجئت مسرعا حتى دخلت على خديجة فقالت ما شأنك فأخبرتها فقالت أبشر فإن السلام خير ثم خرجت أخرى فإذا أنا بجبريل على الشمس جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب فملت عنه فجئت مسرعا فإذا هو بيني وبين الباب فكلمني حتى أنست منه ثم واعدني موعدا فجئت له فأبطأ علي فأردت أن أرجع فإذا أنا به وبميكائل قد سدا الأفق فهبط جبريل وبقي ميكائيل بين السماء والأرض فأخذني جبريل فألقاني لحلاوة القفى ثم شق عن قلبي فاستخرجه ثم استخرج منه ما شاء الله ان يستخرج ثم غسله في طست من ماء زمزم ثم أعاده مكانه ثم لأمه ثم كفاني كما يكفؤ الإناء ثم ختم في ظهري حتى وجدت مس الخاتم في قلبي اهـ من نسخة مطبوعة من محمد بن عبد الباقي ولعله سقط منه قبل قوله فقال السلام فجاءه جبريل والله أعلم وقوله لحلاوة القفى لم يتعرض لشرحه وفي القاموس حلاوة القفى ويضم وحلاءته وحلواؤه وحلواوه وحلاواه بالضم وسطه جمع حلاوى اهـ والحكمة في هذا الشق ليتلقى النبي صلى الله عليه وسلم ما يوحى إليه بقلب قوي

في أكمل الأحوال من التطهير. وأما الثالثة وهي شقه عند الإسراء فرواها الشيخان وأحمد من حديث قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة أن النبي صلى الله عليه وسلم حدثهم فذكره الشيخان والترمذي والنسائي من طريق الزهري عن انس عن أبي ذر مرفوعا ورواه البخاري من طريق شريك عن أنس رفعه ومسلم والبرقاني وغيرهما من طريق ثابت عن أنس رفعه بلا واسطة فلا عبرة بمن نفاه لأن رواته ثقاة مشاهير قال الحافظ والحكمة فيه الزيادة في إكرامه ليتأهب للمناجاة اهـ. من الزرقاني.

وقال العراقي قد انكر وقوع الشق ليلة الإسراء ابن حزم وعياض وادعيا انه تخليط من شريك وليس كذلك فقد ثبت من غير طريق شريك في الصحيحن وقال القرطبي لا يلتفت إلى إنكاره لأن رواته ثقاة مشاهير وقال العسقلاني استنكر بعضهم وقوع الشق ليلة الإسراء وقال إنما وقع وهو صغير في بني سعد ولا إنكار في ذلك فقد تواترت به الروايات وثبت شق الصدر أيضا عند البعثة ولكل حكمة فالأول وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم وقال هذا حظ الشيطان منك وكان هذا في زمن الطفولية فنشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان اهـ المراد من ابن سلطان.

فائدة:

الراجح أن الشق وغسل القلب الشريف في طست ليس خاصا به صلى الله عليه وسلم بل شاركته فيه الأنبياء كما قاله الشامي وابن كثير والطبري وأخرج هو وسعد بن منصور بإسناد صحيح عن السدي الكبير في قوله تعالى: {فيه سكينة من ربكم} قال طست من ذهب الجنة كان يغسل فيه قلوب الأنبياء، قال الشامي وما صححه الشيخ يعني السيوطي من عدم المشاركة لم أر ما يعضده بعد الفحص الشديد اهـ أنظر الزرقاني. ولمؤلفه عفا الله تعالى عنه بمنه في هذه المسألة ونظائر لها أبيات على طريق السؤال وهي:

أجبني عن الاسرا إلى حضرة الحق أكان لغير الهاشمي من الخلق

وهل هو مخصوص بغسل لقلبه	أم الرسل قد ساوته في الغسل والشق
وهل كان نسج العنكبوت لغيره	أم النسج خصيص الذى جاء بالصدق
وبدإ من الأنصار عد مهاجرا	فحاز بذاك الوصف سبقا على سبق

جواب ما ذكر أن الإسراء بالروح والجسد يقظة من خصائصه صلى الله عليه وسلم كما في المواهب وأن نسج العنكبوت ليس من خصائصه فقد نسجت على داوود مرتين حين كان طالوت يطلبه ونسجت على الغار الذى دخله عبد الله بن أنيس لما بعثه صلى الله عليه وسلم لقتل خالد بن نبيح الهذلي وعلى عورة زيد بن علي بن زين العابدين لما صلب عريانا وأما الأنصاري المهاجري فهو ذكوان بن عبد القيس الزرقي كذا في المواهب وكذا العباس بن عبادة كما في الزرقاني عليها وشق الصدر عند البعثة هو الثالث وقبله شق ثان في قصة له مع عبد المطلب رواها عبد الله بن الإمام أحمد بسند رجاله ثقاة وابن حبان والحاكم وابن عساكر والضياء أن أبا هريرة قال يا رسول الله ما أول ما ابتدئت به من أمر النبوءة قال إني لفي صحراء ابن عشر حجج إذا أنا برجلين فوق رأسي يقول أحدهما لصاحبه أهو هو؟ فقال نعم، فأخذاني فاستقبلاني بوجوه لم أرها لخلق قط وأرواح لم أجدها من خلق قط وثياب لم أرها على أحد قط فأقبلا إلى يمشيان حتى أخذ كل منهما بعضدي لا أجد لأخذهما مسا فقال أحدهما لصاحبه أضجعه فأضجعاني وفي لفظ فقال أحدهما لصاحبه أفلق صدره ففلقاه فيما أرى بلا دم ولا وجع فكان أحدهما يختلف بالماء في طست من ذهب والآخر يغسل جوفي ثم قال شق قلبه فشق قلبي فأخرج الغل والحسد منه فأخرج شبه العلقة فنبذه، قال الشامي هل كان في هذه المرة بختم لم أقف عليه في شيء وأما الثلاث المرات ففي كل منهما يختم. انتهي من الزرقاني.

وروي شق صدره مرة خامسة وهو ابن عشرين ولا يثبت وخلقت هذه العلقة فيه تكملة للخلق الإنساني لأنها من جملة الأجزاء الإنسانية ونزعت منه كرامة ربانية فإخراجها بعد خلقها أدل على مزيد الرفعة وعظيم الاعتناء من خلقه بدونها قاله السبكي اهـ من الزرقاني.

(وكم حوت) أي جمعت وأحرزت، **(ثويبة)** بضم المثلثة وفتح الواو وسكون التحتية فياء موحدة فهاء تأنيث عتيقة أبي لهب اعتقها لما بشرته بولادة النبي صلى الله عليه وسلم **(من بركه)** من الخير الكثير **(لما غدت)** أي حين صارت **(ظئرا)** بكسر الظاء **(له)** أي النبي صلى الله عليه وسلم فإنها أرضعته أياما قلائل قبل مقدم حليمة وتوفيت بمكة سنة سبع من الهجرة قال ابن منده اختلف في إسلامها وقال أبو نعيم لم أر أحدا ذكره إلا ابن منده، وقال ابن الجوزي لا نعلم أنها أسلمت والبرهان لم يذكرها أبو عمر في الصحابة وقال الذهبي يقال انها أسلمت فإذن الراجح عنده انها لم تسلم وقال الحافظ في طبقات ابن سعد ما يدل على أنها لم تسلم لكن لا يدفع به نقل ابن منده قال ولم أقف في شيء من الطرق على إسلامها مع ابنها مسروح اهـ.

وذكر ابن العربي أنه لم ترضعه مرضعة إلا أسلمت نقله السيوطي. ومسروح بفتح الميم وسكون السين المهملة فراء مضمومة فحاء مهملتين قال البرهان لا أعلم أحدا ذكره بإسلام قاله الزرقاني وقد ريء أبو لهب بعد موته أي رآه أخوه العباس فقال له ما لك؟ قال في النار. إلا أنه خفف عني كل ليلة اثنين وأمص من بين أصبعي هاتين ماء وأشار برأس أصبعه وإن ذلك باعتاقي ثويبة حين بشرتني بولادة النبي صلى الله عليه وسلم وبإرضاعها له أي بأمره. قوله اصبعي هاتين الظاهر انهما السبابة والإبهام، وقوله أمص بفتح الميم أفصح من ضمها من باب تعب وقتل، وقوله خفف عني أي بسبب ما أسقاه من الماء وحملناه على أن التخفيف بسبب الماء ليلتئم مع ما رواه البخاري وعبد الرزاق والإسماعيلي أن ثويبة مولاة أبي لهب كان أبو لهب اعتقها فأرضعت النبي صلى الله عليه وسلم فلما مات أبو لهب أوريه بعض أهله بشر خيبة فقال ماذا لقيت؟ قال لم ألق بعدكم، زاد عبد الرزاق رحمة، والإسماعيلي رخاء، وقال ابن بطال سقط المفعول من جميع رواة البخاري ولا يستقيم إلا به غير أني سقيت في هذه، زاد عبد الرزاق وأشار إلى النقرة التى تحت إبهامه، بعتاقتي ثويبة حبيبة بحاء مهملة

مكسورة وتحتية ساكنة وموحدة أي سوء حال وأصلها حوبة وهي المسكنة والحاجة وذكر البغوي أنها بفتح الحاء وللمستملي بخاء معجمة مفتوحة، قال ابن الجوزي وهو تصحيف وروي بالجيم، قال السيوطي هو تصحيف باتفاق. قوله وأشار برأس أصبعه أي أشار إلى تقليل ما يسقاه، قال ابن بطال يعنى أن الله سقاه ماء في مقدار نقرة إبهامه لأجل عتقها وقال غيره أراد بالنقرة التى بين ابهامه وسبابته إذا مد إبهامه فصار بينهما نقرة يسقى من الماء بقدر ما تسعه تلك النقرة وبهذا علم أن النقرة التى أشار إليها على صورته في الدنيا لا على صورة الكفار في جهنم والمراد أنه وصل إلى جوفه بسبب ما يمصه من أصابعه لآنه يؤتى له به من خارج جمعا بين الروايتين. وقد تعسف من قال ما يسقاه ليس من الجنة لأن الله حرمها على الكافرين فإنه لا يتوهم أحد أنه من الجنة سواء قلنا انه مما يمصه أو يؤتى له به من خارج، قاله الزرقاني وهذا لا ينافي ما ورد من إحباط عمل الكافر لأن هذه خصوصية له كما خفف عن أبي طالب حتى كان هو أهون أهل النار عذابا إكراما للنبي صلى الله عليه وسلم انظر إزالة اللبس وفي التوشيح قيل هذا خاص به إكراما للنبي صلى الله عليه وسلم كما خفف عن أبي طالب بسببه، نقله الزرقاني. ولله در حافظ الشام محمد بن ناصر في قوله:

إذا كان هذا كافرا جاء ذمه	وتبت يداه في الجحيم مخلدا
أتى أنه في يوم الاثنين دائما	يخفف عنه بالسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذى كان عمـ	ـره بأحمد مسرورا ومات موحدا

(وبركه * إذ حضنته) قوله وبركة عطف على ثويبة أي وكم جمعت وأحرزت من الخير الكثير بركة إذ حضنته صلى الله عليه وسلم وكنيتها أم أيمن بفتح الهمزة وسكون التحتية، وفتح الميم وبالنون بن عبيد الخزرجي المستشهد يوم حنين وهي حبشية وهي بنت ثعلبة بن حصن اعتقها أبو المصطفى وقيل بل هو صلى الله عليه وسلم وقيل كانت لأمه أسلمت قديما وهاجرت الهجرتين. وفي صحيح مسلم عن الزهري أنها

ماتت بعده صلى الله عليه وسلم بخمسة أشهر وقيل بستة أشهر وكان صلى الله عليه وسلم يقول لها: «أنت أمي بعد أمي»، أي كأمي في رعايتك لي، وتعظيمي والشفقة علي أو في رعايتي لك واحترامي لك وكانت تدل عليه صلى الله عليه وسلم وكان العمران يزورانها بعده. ومن مناقبها ما رواه ابن سعد أنها لما هاجرت أمست بالمنصرف دون الروحاء فعطشت فدلي عليها دلو من السماء برشاء أبيض فأخذته فشربت حتى رويت فكانت تقول ما أصابني بعد تلك الشربة عطش ولقد تعرضت للصوم في الهواجر فما عطشت بعد تلك الشربة، قاله الزرقاني مفرقا، وقوله حضنته في القاموس حضن الصبي حضنا وحضانة بالكسر جعله في حضنه أو رباه اهـ.

وفي عبد الباقي وغيره زيادة الفتح **(ثم بعد الأم * غدى كفيل الجد)** غدى بمعنى صار واسمها مستتر يعود على النبي صلى الله عليه وسلم وخبرها كفيل يعني أنه صلى الله عليه وسلم كفله جده عبد المطلب بعد موت أمه آمنة أي ضمه إليه ورق له رقة لم يرقها على ولده وكان يقربه ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام ويجلس على فراشه وأولاده لا يجلسون عليه وذكر ابن اسحاق أنه كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة وكان لا يجلس عليه من بنيه أحد إجلالا له وكان صلى الله عليه وسلم يأتي حتى يجلس عليه فتذهب أعمامه يوخرونه فيقول عبد المطلب دعوا ابني ويمسح على ظهره بيده ويقول ان لابني هذا لشأنا **(ثم العم)** أي ثم بعد موت جده عبد المطلب وله مائة وعشرون سنة وقيل عشر ومائة وقيل أربعون ومائة كفله عمه أبو طالب واسمه عبد مناف وكان عبد المطلب أوصاه بذلك لكونه شقيق عبد الله دون الحارث وقيل أن عبد المطلب أقرع بينه وبين الزبير وهو شقيق عبد الله أيضا وخرجت القرعة لأبي طالب، وكان عيال ابي طالب إذا أكلوا جميعا أو فرادى لم يشبعوا وإذا أكل المصطفى معهم شبعوا فكان أبو طالب إذا أراد أن يغذيهم أو يعشيهم يقول كما أنتم حتى يأتي ابني فيأتي فيأكل معهم فيفضل من طعامهم، وإذا كان لبنا شرب أولهم ثم يشربون فيروون كلهم

من قعب واحد، وإن كان أحدهم يشرب قعبا وحده فيقول أبو طالب إنه لمبارك. وروى أبو نعيم عن ابن عباس قال كان بنو أبي طالب يصبحون عمشا رمصا ويصبح محمد صلى الله عليه وسلم صغيلا دهينا كحيلا وكان أبو طالب يحبه حبا شديدا لا يحب أولاده كذلك ولذا لا ينام إلا إلى جنبه ويخرج به متى خرج وذكر ابن قتيبة انه كان يوضع له الطعام ولصبية أبي طالب فيتطاولون إليه ويتقاصر هو تكرما منه ونزاهة نفس وأخرج ابن عساكر عن جلهمة بضم الجيم وتفتح ابن عرفطة بضم العين والفاء قال قدمت مكة وقريش في قحط فقائل منهم يقول اعمدوا اللاة والعزى وقائل منهم اعمدوا مناة فقال شيخ وسيم حسن الوجه جيد الرأي أنى تؤفكون وفيكم بقية إبراهيم وسلالة إسماعيل؟ قالوا كأنك عنيت أبا طالب! قال إيها! فقاموا جميعهم فقمت فدققنا عليه الباب فخرج إلينا فثاروا إليه فقالوا يا أبا طالب اقحط الوادي وأجدب العيال فهلم فاستسق، فخرج أبو طالب معه غلام يعنى النبي صلى الله عليه وسلم كأنه شمس دجن تجلت عنه سحابة قتماء وحوله أغيلمة فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام بأصبعه أي أشار به إلى السماء كالمتضرع المتلجئ وما في السماء قزعة فأقبل السحاب من ههنا وههنا وأغدق واغدودق وانفجر له الوادي وأخصب النادي والبادي، وفي هذا يقول أبو طالب يذكر قريشا حين تمالؤوا عليه صلى الله عليه وسلم يده وبركته عليهم من صغره:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشم
فهم عنده في نعمة وفواضل

في قصيدته الآتية إن شاء الله تعالى في ذكر الحصار.

قوله اقحط الوادي بالبناء للفاعل والمفعول والقتماء التى يعلوها سواد غير شديد أي كأنه شمس يوم الغيم حين ينجلي سحابها الرقيق فانها حينئذ تكون مشرقة مقبولة للناس ليست محرقة والقزعة:

القطعة من السحاب. وقوله من ههنا إلخ.. أي من جميع الجهات، وأغدق السحاب كثر ماؤه واغدودق مرادف له والنادي أراد به أهل الحضر، والبادي أهل البادية والثمال الملجأ والغياث وقيل المطعم في الشدة والفواضل الأيادي الجسيمة، عطف خاص على عام وأبيض مجرور برب مقدرة على ما صدر به الحافظ كالكرماني والسيوطي وجزم به في المغني وهو منصوب، قال الحافظ بإضمار أعني أو أخص، قال والراجح أنه بالنصب عطف على سيدا في البيت قبله وهو:

وما ترك قومي لا أبا لك سيدا يحوط الذمار عند ذرب مواكلي

انتهى.

وبه قطع الدماميني في مصابيحه ورد على ابن هشام واستظهره في شرح المغني. ومرفوع خبر مبتدءمحذوف قاله الكرماني وأفاده القسطلاني عن ضبط الشرف في نسخته من البخاري والذمار بالكسر ما يحق على الإنسان حمايته والذرب بذال معجمة بوزن كتف وسكنت راؤه تخفيفا الحاد والمواكل المتكل علي غيره والأرامل المساكين من رجال ونساء انظر المواهب وشرحها، ولما اختلف في سنه عليه الصلاة والسلام حين وفاة أمه وحين وفاة جده عبد المطلب، فقيل ماتت أمه وله أربع سنين وقيل خمس وقيل ست وقيل سبع وقيل ثمان وقيل تسع وقيل هو ابن اثنتي عشرة سنة وشهر وعشرة أيام وقيل مات جده وله ثمان سنين وقيل وشهر وعشرة أيام وقيل تسع وقيل ست وقيل ثلاث وفيه نظر بين الراجح من ذلك فقال:

(وخلفته أمه ابن أربع سنين والجد ابن ضعفها فعي)

قوله خلفته أي تركته خلفها أي ماتت عنه وابن في الموضعين منصوب على الحال والجد بالرفع عطف على أمه يعني أنه صلى الله عليه وسلم ماتت عنه أمه الشريفة وهو ابن أربع سنين وكفله بعدها جده أربع سنين ومات عنه وهو ابن ثمان سنين، أما موت أمه وهو ابن أربع فصدر به مغلطاي وتبعه في المواهب وحكاه العراقي والقول بأنه ابن ست قطع به ابن إسحاق وصدر به العراقي وزاد عليها مائة يوم

واقتصر الحافظ على أنه ابن ست سنين وثلاثة أشهر وأما كون جده مات وهو ابن ثمان سنين فجزم به ابن إسحاق وتبعه العراقي وتلميذه الحافظ هذا كله من المواهب وشرحها وموت أمه الكريمة كان بالأبواء بفتح الهمزة واد بين مكة والمدينة وقيل بشعب أبي ذؤيب رجل من سراة بني عمرو بالحجون بفتح المهملة وضم الجيم جبل بمعلاة مكة الشعب بكسر المعجمة منفرج بين جبلين أو الطريق في الجبل وفي القاموس ودار رائعة أي براء بعدها ألف فتحتية بمكة فيه مدفن آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين خرجت به أمه إلى أخواله أي أخوال جده عبد المطلب بني عدي بن النجار بالمدينة تزورهم ومعها أم أيمن فنزلت به دارا لتابعة رجل من بني عدي وهذه الدار دفن فيها عبد الله بن عبد المطلب كما مر فأقامت به عندهم شهرا فكان صلى الله عليه وسلم يذكر أمورا كانت في مقامه كذلك ونظر صلى الله عليه وسلم إلى الدار وهو في المدينة فقال ها هنا نزلت بي أمي، وأحسنت العوم في بئر بني عدي بن النجار وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون إلى قالت أم أيمن فسمعت أحدهم يقول هو نبي هذه الأمة، وهذه الدار دار هجرته يعني المدينة، فوعيت ذلك كله من كلامهم ثم رجعت به أمه قاصدة إلى مكة سريعا خوفا عليه، عليه السلام من اليهود، فلما كانت بالأبواء توفيت. وعن أسماء بنت رهم بضم الراء المهملة عن أمها قالت شاهدت آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم في علتها التى ماتت بها ومحمد عليه الصلاة والسلام غلام يفع بفتح الفاء أي مرتفع له خمس سنين عند رأسها فنظرت أمه إلى وجهه وقالت:

بارك فيك الله من غلام	يا ابن الذى من حومة الحمام
نجى بعون الملك المنعام	فدي غداة الضرب بالسهام
بمائة من إبل سوام	ان صح ما أبصرت في المنام
فأنت مبعوث إلى الأنام	تبعث في الحل وفي الحرام
تبعث بالتحقيق والإسلام	دين أبيك البر إبرهام

فـالله أنهـاك عن الأصنـام   أن لا تـواليـهـا مع الأقـوام

ثم قالت: كل حي ميت، وكل جديد بال، وكل كبير يفنى، وأنا ميتة، ثم ماتت رضي الله عنها كما قاله الزرقاني.

فكنا نسمع نوح الجن عليها أسفا فحفظنا من ذلك أبياتا هي:

تبكي الفتـاة البـرة الأمـينه   ذات الجـمـال العـفـة الرزينـه

زوجـة عـبـد الـلـه والقـرينـه   أم نـبـي الـلـه ذي السكـينـه

صـارت إلى حـفـرتهـا رهينه   لـو فـديت لفـديت ثمـينـه

وللمنـايا شـفـرة سنينـة   لا تبـقى ظعـانا ولا ظعـينـه

إلا أتت وقطعت وتينة، اهـ.

والتابعة بمثناة فوقية فموحدة فمهملة كما مرّ وموتها بالأبواء هو المشهور وهو قول ابن إسحاق وجزم به العراقي والحافظ ويعارضه ما في الأحاديث أنها بالحجون وجمع بينهما بأنها دفنت أولا بالأبواء ثم نبشت ونقلت إلى مكة والحمام ككتاب الموت وحومة القتال معظمه والمعنى هنا يا ابن الذى نجى من سبب الموت وفدي بلا واو أو به أي أعطي فداءه والمراد بضرب السهام ضرب عبد المطلب القداح على عبد الله وإخوته والسوامي جمع سامية أي مرتفعة القيمة بدون ياء في أكثر النسخ وفي بعضها بياء وهو القياس لأن الياء أصلية، وقوله أخواله لأن أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن حداش بن عامر بن عدي بن النجار وقولها تبعث في الحل وفي الحرام أي في بيان الحلال والحرام أو في أرض الحل والبلد الحرام، أي تبعث في جميع الأرض وقوله تبعث في التحقيق أي لبيان الحق من الباطل، وقال السيوطي وعندي أنه تصحيف وإنما هو بالتخفيف وإبرهام لغة في إبراهيم قرأ بها ابن عامر في مواضع والله منصوب على التوسع أي أنها مقسمة عليك بالله والبرة المطيعة والعفة بفتح العين وشد الفاء والرزينة ذات الوقار انظر الزرقاني.

فائدة حسنة:

وباتباع من قال بها قمنة، اعلم ان بعض العلماء جزم بأن أبويه صلى

الله عليه وسلم في الجنة تمسكا بحديث إحيائهما له وأنهما آمنا به، قال السيوطي مالت طائفة من الأئمة وحفاظ الحديث إلى أن الله أحياهما حتى آمنا به واستندوا في ذلك إلى حديث ضعيف لا موضوع كما قاله ابن الجوزي فقد خالفه في حديثنا هذا كثير من الحفاظ وذكروا أنه ضعيف تجوز روايته في الفضائل والمناقب كالخطيب وابن عساكر وابن شاهين والسهيلي والمحبّ الطبري والعلامة ناصر الدين بن المنير وابن سيد الناس ونقله عن بعض أهل العلم ومشى عليه الصلاح الصفدي والحافظ بن ناصر قال وأخبرني بعض الفضلاء أنه وقف على فتيا بخط شيخ الإسلام ابن حجر أجاب فيها بهذا اهـ وقال العلامة المحقق السنوسي والتلمساني محشي الشفاء لم يتقدم لوالديه صلى الله عليه وسلم شرك وكانا مسلمين لأنه صلى الله عليه وسلم انتقل من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة ولا يكون ذلك إلا مع الإيمان بالله تعالى وما نقله المؤرخون قلة حياء وأدب اهـ.

قال الزرقاني وهذا لازم في جميع الآباء وإن قصراه على الأبوين وإلا لزم المحذور اهـ.

وقال القاضي عياض بكاؤه صلى الله عليه وسلم عند قبر أمه ليس لتعذيبها إنما هو على ما فاتها من إدراك أيامه والايمان به وقد رحم الله تعالى بكاءه فأحياها له حتى آمنت به اهـ.

وقال الإمام السيوطي بعد ذكر الحجج على نجاتهما ثم إني لم أدع أن المسألة اجماعية غير أني اخترت أقوال القائلين بالنجاة لأنه الأنسب بهذا المقام وقال في المواهب بعد الإطناب في هذه المسألة ولقد أحسن ابن ناصر الدمشقي حيث قال:

حبى الله النبيّ مزيد فضل ... على فضل وكان به رؤوفا
فأحيى أمه وكذا أباه ... لإيمان به فضلا لطيفا
فسلم فالقديم بذا قدير ... وإن كان الحديث به ضعيفا

ثم قال القسطلاني والحذر الحذر من ذكرهما بما فيه نقص فإن ذلك قد يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم لأن العرف جار بأنه إذ ذكر أبو

الشخص بما ينقصه أو وصف بوصف به فيه نقص آذى ولده ولا ريب أن أذاه عليه السلام كفر اهـ.

وقال الشيخ محمد بن عبد الباقي بعد كثير من الكلام ما نصه وقد بينا لك أيها المالكي حكم الأبوين فإذا سئلت عنهما فقل هما ناجيان في الجنة إما لأنهما أحييا له حتى آمنا به كما جزم به الحافظ السهيلي والقرطبي وناصر الدين بن المنير وإن كان الحديث ضعيفا كما جزم به أولهم ووافقته جماعة من الحفاظ لأنه في منقبة وهي يعمل فيها بالحديث الضعيف وإما لأنهما ماتا في الفترة قبل البعثة ولا تعذيب قبلها كما جزم به الأبي وإما لأنهما كانا على الحنفية والتوحيد ولم يتقدم لهما شرك كما قطع به الإمام السنوسي والتلمساني المتأخر محشي الشفا فهذا ما وقفنا عليه من نصوص علمائنا ولم نر لغيرهم ما يخالفه إلا ما يشم من نفس ابن دحية وقد تكفل برده القرطبي اهـ بحروفه. وقال السخاوي الذى أراه الكف عن ذلك اثباتا أو نفيا اهـ.

وقال السيوطي ومن لم تقو عنده هذه المسالك ولم يجب عما في مسلم بنسخ ولا غيره فمع ذلك قالوا لا يجوز أن يذكر ذلك، وسئل أبو بكر بن العربي عن رجل قال ان أبا النبي صلى الله عليه وسلم في النار فقال أنه ملعون لقوله تعالى: {إن الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله} الآية ولا أذى أعظم من أن يقال أبوه في النار. وأخرج بن سعد عن ابن عباس قال ما بين آدم إلى نوح من الآباء كانوا على الإسلام وسام بن نوح مؤمن بنص القرآن والإجماع بل ورد في أثر أنه نبي ويدل على أن آباءه صلى الله عليه وسلم ما كانوا مشركين قوله عليه السلام: «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات» وقال تعالى: {إنما المشركون نجس} فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركا، قال الهيثمي أجمع أهل الكتابيين والتاريخ أن آزر لم يكن أبا إبراهيم حقيقة وإنما كان عمه والعرب تسمي العم أبا كما جزم به الفخر بل في القرآن ذلك قال تعالى: {وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل} مع أنه عم يعقوب وقال في الدرج المنيفة الأرجح أن آزر عم إبراهيم لا أبوه انتهى من الزرقاني في

(ثم إلى الشام مع العم ارتحل والعمر فى ثالثة العشر دخل)

المجرور الأول متعلق بارتحل والعم هو أبو طالب وفاعل ارتحل ضمير يعود على النبي صلى الله عليه وسلم والعمر مدة الحياة وهو مبتدء وخبره دخل والجملة حالية أي ثم سافر النبي صلى الله عليه وسلم إلى الشام مع عمه أبى طالب والحال أن عمره دخل فى السنة الثالثة عشر، قال ابن الجوزي قال أهل السير والتواريخ وذلك لما أتت عليه صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة سنة وشهران وعشرة أيام وفى سيرة مغلطاي اثنتى عشرة سنة وشهر، والذى اقتصر عليه فى المواهب انه ابن اثنتي عشرة سنة قال الزرقاني: قاله الأكثر وقيل تسع سنين قاله الطبري وغيره وقيل ثلاثة عشر حكاه أبو عمر، قال الزرقاني بعد نقله لكلام ابن الجوزي ومغلطاي ويمكن حمل القول الأول يعني ما للمواهب عليه بأن المراد اثنتا عشرة سنة وما قاربها.

(فرده خوفا من اليهود عليه أهل المكر والجحود)

فاعل رد عائد على العم والمنصوب للنبي صلى الله عليه وسلم كالمجرور بعلى وخوفا مفعول لأجله وأهل نعت لليهود والمكر الخديعة والجحود الإنكار للشيء مع علم حقيقته ولا شك أن اليهود جحدوا المصطفى صلى الله عليه وسلم، مع أنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم أي فرد أبو طالب النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة أي رجع به إليها لأجل خوفه عليه من اليهود أهل الخديعة وجحدوا النبي صلى الله عليه وسلم وأشار بهذا إلى ما روي أن أبا طالب أراد الخروج فى ركب من قريش تاجرا إلى الشام فلما تهيأ للخروج صبّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق له أبو طالب، وقال والله لأخرجن به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبدا، فخرج به حتى بلغ بُصرى بضم الموحدة فرأى بحيرا الراهب وكان إليه علم النصرانية فخرج إليهم وكانوا قبل يمرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت قال فنزل وهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد المرسلين هذا سيد العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين، فقال له أشياخ قريش وما

علمك بذلك؟ قال إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خر ساجدا ولا يسجدان إلا لنبي وصبّ بصاد مهملة فموحدة مشددة اشتاق، قال السهيلي الصبابة رقة الشوق يقال صببت بكسر الباء أصب، وقرئ {أصب إليهن}، وروي أنهم لما نزلوا قريبا من صومعته صنع لهم طعاما كثيرا وذلك أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الركب حين أقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم أقبلوا ونزلوا ظل شجرة قريبا منه فنظر إلى الغمامة وأظلت الشجرة وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها، فلما رأي ذلك بحيرا نزل عن صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصنع ثم أرسل إليهم إني قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش وأنا أحب أن تحضروه كلكم صغيركم وكبيركم أحراركم وعبيدكم، فقال رجل منهم والله يا بحيرا إن لك اليوم لشأنا ما كنت تصنع هذا بنا، وقد كنا نمر بك كثيرا فما شأنك اليوم؟ فقال له بحيرا صدقت! ولكنكم ضيف وقد أحببت إكرامكم. فاجتمعوا إليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم لحداثة سنه فى رحال القوم فلما نظر بحيرا فى القوم لم ير الصفة التى يعرف ويجد عنده فقال يا معشر قريش لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي! قالوا والله ما تخلف إلا غلام هو أحدث القوم سنا، قال لا تفعلوا ادعوه فليحضر! فقال رجل من قريش ان كان للؤما بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا فقام إليه الحارث بن عبد المطلب فاحتضنه وأجلسه مع القوم فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه بحيرا فقال له يا غلام أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه. وإنما قال له ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، لا تسألني باللات والعزى فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما، فقال له بحيرا بالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه، فقال له سلني عما بدا لك، فجعل يسأله عن أشياء من حاله، من نومه ويقظته وهيأته

وأموره ويخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوءة فلما فرغ أقبل على أبى طالب فقال ما هذا الغلام منك؟ فقال ابني، فقال ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام ان يكون أبوه حيا، قال انه ابن أخي، قال ما فعل أبوه؟ قال مات وأمه حبلى به. قال صدقت! فارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه يهود، فوالله لإن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغتنه شرا فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فاسرع به إلى بلده. فخرج به أبو طالب سريعا حتى أقدم به مكة حين فرغ من تجارته بالشام.

قوله تهصرت بالصاد المهملة المشددة أي مالت وتدلت. وروى أنه وجدهم سبقوه لفيئها فجلس فمال إليه فيئ الشجرة، وروي أنه فى هذه السفرة أقبل سبعة من الروم يقصدون قتله عليه السلام فاستقبلهم بحيرا فقال ما جاء بكم؟ قالوا هذا النبي خارج فى هذا الشهر فلم يبق طريق إلا بعث إليها بأناس، فقال أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده؟ قالوا لا، فبايعوه وأقاموا معه ورده أبو طالب. وفى الترمذي أن بحيرا قال أنشدكم بالله أيكم وليه؟ قالوا أبو طالب، فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وبعث معه أبو بكر بلالا قال البيهقي هذه القصة مشهورة عند أهل المغازي وضعفه الذهبي بأن أبا بكر لم يبلغ إذ ذاك عشر سنين وبأن بلالا لم يكن خلق، قال اليعمري ولم يملكه أبو بكر إلا بعد ذلك بأزيد من ثلاثين عاما وقال ابن حجر رواته ثقات وهذه اللفظة يحتمل أنها مدرجة مقتطعة من حديث آخر وهما أي غلطا من أحد رواته فلا يحكم على جميع الحديث بالضعف اهـ.

وبَحيرا بفتح الموحدة وكسر المهملة وسكون المثناة التحتية آخره راء مقصورة قاله فى المواهب، وإلى هذه القصة أشار أبو طالب بأبيات من قوله:

فلما هبطنا أرض بصرى تشوفوا ... لنا فوق دور ينظرون جسام
فجاء بَحيرا عند ذلك حاشدا ... لنا بشراب عنده وطعام
فقال اجمعوا أصحابكم لطعامنا ... فقمنا جميع القوم غير غلام

يتيم فقال ادعوه إن طعامنا ... كثير عليه اليوم غير حرام
فلما رآه مقبلا فوق رأسه ... ويوقيه حر الشمس ظل غمام
حتى ظهره شبه السجود وضمه ... إلى نحره والصدر أي ضمام
فذلك من أعلامه وبيانه ... وليس نهار واضح كظلام

(وعاد) هو أي النبي صلى الله عليه وسلم أي رجع **(مع ميسرة)** غلام خديجة. قال في النور ولا ذكر له في الصحابة فيما أعلمه والظاهر انه مات قبل البعثة ولو أدركها لأسلم **(للشام)** في تجارة لخديجة رضي الله عنها وكانت ذات شرف ومال كثير وتجارة تبعث بها إلى الشام فتكون عيرها كعامة عير قومها وكانت تستأجر الرجال وكانت قريش قوما تجارا ومن لم يكن تاجرا منهم فليس بشيء عندهم فخرج صلى الله عليه وسلم في تجارتها وله عليه السلام خمس وعشرون سنة فيما رواه الواقدي وابن السكن وصدّر به ابن عبد البرّ وقطع به عبد الغني قال في الغرر وهو الصحيح الذي عليه الجمهور وقيل سنه إحدى وعشرون قاله الزهري. وقال البرقي تسع وعشرون وقيل ثلاثون، حكاه ابن عبد البر. وقال ابن جريج سبع وثلاثون انظر المواهب وشرحها واقتصر الكلاعي على الأول **(وهو)** بسكون الهاء أي النبي صلى الله عليه وسلم مبتدء **(من الرحمن)** متعلق بخبر المبتدء وهو قوله **(في إكرام)** أي تعظيم لا تعظيم يدانيه، وإحسان لا إحسان يوازيه فالتنكير للتعظيم وبين بعض إكرامه المتعلق بالظاهر بقوله **(تظله)** أي النبي صلى الله عليه وسلم **(الأملاك)** جمع ملك ياتي أن ميسرة كان يرى عليه ملكين يظلانه في الهاجرة **(في المسير)** أي مسيره هذا **(حين اشتداد الحر)** الظرف متعلق بتظله **(في الهجير)** أي القائلة. وسبب هذه القصة أن أبا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا ابن أخي أنا رجل لا مال لي وقد اشتد الزمان علينا وألحت علينا سنون منكرة وليست لنا مادة ولا تجارة وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام وخديجة تبعث رجالا من قومك يتجرون في مالها ويصيبون منافع فلو جئتها لفضلتك على غيرك لما يبلغها من طهارتك وإن كنت أكره أن تأتي الشام وأخاف

عليك من يهود ولكن لا نجد من ذلك بدّاً فقال صلى الله عليه وسلم لعلها ترسل إلي في ذلك. فقال أبو طالب إني أخاف أن تؤتى غيرك، فبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له وقبل ذلك صدق حديثه وعظم أمانته وكرم إخلاقه وقالت ما علمت انه يريد هذا وأرسلت إليه وقالت دعاني إلى البعثة إليك ما بلغني من صدق حديثك وعظم أمانتك وكرم أخلاقك وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلا من قومك فذكر ذلك لعمه فقال إن هذا لرزق ساقه الله إليك وخرج رسول صلى الله عليه وسلم ومعه ميسرة في تجارة لخديجة حتى بلغ سوق بصرى لأربع عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة فنزل تحت ظل شجرة قريبا من صومعة نسطورا الراهب فاطلع إلى ميسرة وكان يعرفه فقال يا ميسرة من هذا الذي تحت هذه الشجرة فقال رجل من قريش من أهل الحرم، فقال له الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي، وروي أن الراهب دنى إليه صلى الله عليه وسلم وقبل رأسه وقدميه، فقال آمنت بك وأشهد أنك الذي ذكر الله في التوراة، فلما رأى الخاتم قبله وقال أشهد أنك رسول الله النبي الأمي الذي بشر بك عيسى فإنه قال لا ينزل بعدي تحت هذه الشجرة إلا النبي الأمي الهاشمي العربي المكي صاحب الحوض والشفاعة ولواء الحمد ثم قال الراهب لميسرة في عينيه حمرة قال ميسرة لا تفارقه أبدا، قال الراهب هو هو، وهو آخر الأنبياء ويا ليت أني أدركه حين يؤمر بالخروج، فوعى ذلك ميسرة ثم حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم سوق بصرى فباع واشترى وكان بينه وبين رجل اختلاف في سلعة فقال الرجل أحلف باللات والعزى فقال ما حلفت بهما قط، فقال الرجل القول قولك ثم قال لميسرة وخلا به هذا نبي والذى نفسي بيده إنه لهو الذي تجد أحبارنا منعوتا في كتبهم فوعى ذلك ميسرة ثم انصرف أهل العير جميعا وكان ميسرة يرى في الهاجرة ملكين يظلانه في الشمس ولما رجعا إلى مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في علية بكسر العين والضم لغة أي غرفة لها رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بعير وملكان يظلان عليه فأرته نساءها فعجبن بذلك ودخل عليها رسول الله صلى الله عليه

وسلم فأخبرها بما ربح فسرت به.

وروي أن تجارتها ربحت ضعف ما كانت تربح وأضعفت له خديجة ما كانت سمته له، فلما دخل عليها ميسرة أخبرته بما رأت قال قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام وأخبرها بقول نسطورا وبقول الآخر الذي خالفه في البيع اهـ ونسطورا بفتح النون وسكون السين وضم الطاء المهملتين وألفه مقصورة وقوله ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي قال السهيلي يريد ما نزل تحتها هذه الساعة ولم يرد ما نزل تحتها قط إلا نبي لبعد العهد بالأنبياء وإن كان لفظ قط في رواية فقد تكلم بها على جهة التوكيد بالنفي ويبعد في العادة أن تخلو شجرة من نزول أحد تحتها حتى يجيء نبي إلا أن تصح رواية من قال في هذا الحديث أحد بعد عيسى. وقوله وكان ميسرة يرى إلخ.. فيه جواز رؤية الملائكة، اهـ ملخصا من الكلاعي والمواهب وشرحها.

(وإذ إلى مكة عاد) إذ ظرف زمان مضاف للجملة بعده والعامل فيه نكح الآتي أي ونكح خديجة حين عاد أي رجع من سفره مع ميسرة إلى مكة **(و)** الحال أنه صلى الله عليه وسلم حين نكاحه إياها قد **(افتتح)** أي ابتدأ **(ستا وعشرين)** سنة **(من العمر)** قال في القاموس العمر بالفتح وبضمتين الحياة وتزوجه بها عقب قدومه من الشام بشهرين وخمسة وعشرين يوما وذلك عقب صفر سنة ست وعشرين قاله ابن عبد البر نقله الزرقاني **(نكح)** أي تزوج **(خديجة)** بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي وكانت في الجاهلية تدعى بالطاهرة لشدة صيانتها وعفافها وكانت تسمى سيدة نساء قريش وأم خديجة فاطمة بنت زائدة ابن الأصم العامرية وللبدوي:

وأمها فاطمة بنت الخضم زائدة القرم الهمام ابن الأضم

خديجة **(من بعد أربعينا* مضت لها من عمرها سنينا)** بدل من أربعين رواه ابن سعد واقتصر عليه اليعمري وقدمه مغلطاي والبرهان قال في الغرر وهو الصحيح وقيل عمرها إذ ذاك خمس وأربعون وقيل ثلاثون سنة وقيل ثمانية وعشرون وقول المواهب أربعون سنة وبعض

أخرى قال فيه الزرقاني فلينظر ما قدر البعض اهـ.
ثم ان خديجة رضي الله عنها عرضت نفسها عليه صلى الله عليه وسلم بلا واسطة كما عند ابن إسحاق، قالت يا ابن عمي إني قد رغبت فيك لقرابتك ووساطتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك أو بواسطة كما رواه ابن سعد عن نفيسة بنت منية قالت كانت خديجة امرأة حازمة جلدة شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير وهي يومئذ أوسط قريش نسبا وأعظمهم شرفا وأكثرهم مالا وكل قومها كان حريصا على نكاحها لو قدر قد طلبوها وبذلوا لها الأموال فأرسلتني دسيسا إلي محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن رجع في عيرها من الشام فقلت يا محمد ما يمنعك أن تتزوج فقال ما بيدي ما أتزوج به، قلت فإن كفيت ذلك ودعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاءة ألا تجيب؟ قال فمن هي؟ قلت خديجة! قال وكيف لي بذلك فذهبت فأخبرتها فأرسلت إليه أن آتي الساعة كذا قال الزرقاني والجمع بينهما ممكن بأنها بعثت نفيسة أولا لتعلم هل يرضى فلما علمت ذلك كلمته بنفسها وسبب عرضها ما أخبرها به غلامها ميسرة مع ما رأته من الآيات وما ذكره ابن إسحاق قال كان لنساء قريش عيد يجتمعن فيه فاجتمعن يوما فيه فجاءهن يهودي فقال يا معشر نساء قريش إنه يوشك أن يبعث فيكن نبي فأيتكن استطاعت أن تكون فراشا له فلتفعل، فحصبنه وأغلظن له وأغضت خديجة ووقر ذلك في نفسها. فلما أخبرها ميسرة بما رأى وما رأته هي قالت إن كان ما قال اليهودي حقا ما ذاك إلا هذا اهـ وحصبنه : رمينه بالحصباء، وأغضت بغين وضاد معجمتين سكتت قاله الزرقاني، ثم لما أرسلت إليه خديجة ذكر ذلك لأعمامه فخرج معه منهم حمزة كما عند ابن إسحاق وخطبها من أبيها له صلى الله عليه وسلم فتزوجها عليه السلام وقال المبرد ان أبا طالب هو الذي نهض معه وهو الذي خطب خطبة النكاح، قال في النور فلعلهما خرجا جميعا والذى خطب أبو طالب لأنه أسن من حمزة اهـ.
ولابن إسحاق من طريق آخر: وحضر أبو طالب ورؤساء مضر فخطب

أبو طالب فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل إلا رجح به فإن كان في المال قل المال ظل زائل وأمر حائل ومحمد ممن عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها ما عاجله وآجله من مالي كذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل جسيم. وفي المنتقى فلما أتم أبو طالب الخطبة قال ورقة بن نوفل الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ما عددت فنحن سادة العرب وقادتها وأنتم أهل ذلك كله لا تنكر العشيرة فضلكم ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم، وقد رغبنا في الاتصال بحبلكم وشرفكم فاشهدوا علي معاشر قريش بأني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله على أربع مائة دينار ثم سكت فقال أبو طالب قد أحببت أن يشركك عمها فقال عمها أشهدوا علي يا معشر قريش أني قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد وشهد على ذلك صناديد قريش وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بكرة من ماله زيادة على ما دفعه أبو طالب وهو على ما ذكره الدولابي أربعون أوقية ذهبا ونشا، والنش بفتح النون وبالشين المعجمة نصف أوقية وتقدم عن المنتقى أنه أصدقها أربعمائة دينار اهـ.

وما مرّ من أنه خطبها إلى أبيها وأنه هو الذي زوجها هو ما جزم به ابن إسحاق أولا، وقيل ان الذي زوجها عمرو بن أسد عمها ورجحه الواقدي وغلط من قال بخلافه لأن أباها مات قبل ذلك قال السهيلي وهو الأصح وقيل زوجها أخوها عمرو بن خويلد وكونه صلى الله عليه وسلم أصدقها عشرين بكرة قاله في المواهب. قال الزرقاني عقبه كما قاله المحب الطبري قائلا ولا تخالف بينه وبين ما يقال ان أبا طالب أصدقها عنه لجواز أنه صلى الله عليه وسلم زاد في صداقها فكان الكل صداقا اهـ. وقولي فيما مرّ زيادة على ما دفعه أبو طالب قاله الزرقاني أيضا في موضع آخر. وقوله وزرع إسماعيل أي مزروعه والمراد ذريته غاير

بينه وبين ما قبله تفننا وكراهة لتوارد الألفاظ. والضئضئ بكسر الضادين المعجمتين وبهمزتين الأولى ساكنة ويقال ضئضيئ بوزن قنديل وضؤضوء بوزن سرسور ويقال أيضا بضادين وسينين مهملتين وهو في الجميع الأصل. والعنصر بضم العين المهملة وسكون النون وضم الصاد المهملة وقد تفتح الأصل والإضافة فيهما بيانية أي أصل هو معد ومضر وسوّاس حرمه أي مدبروه والقائمون بأمره وقوله الحكام على الناس أي حكم طوع وانقياد لمكارم أخلاقهم وحسن معاملاتهم لا حكم ملك وقهر ولا ينافى قول صخر لقيصر ليس في آبائه من ملك. والقُل بالضم مشترك بين ضد الكثرة والشيء القليل. وقوله حائل أي لا بقاء له لتحوله من شخص لآخر ومن صفة إلى أخرى. وقوله عرفتم قرابته أي لهاشم وعبد المطلب الآباء الكرام، فالحسب أعظم من كثرة المال. وقوله ما آجله إلخ.. في رواية ان أبا طالب قال: وقد بذل لها من الصداق ما حكم عاجله وآجله اثنتي عشرة أوقية ذهبا ونشا، قالوا وكل أوقية أربعون درهما وجملة الصداق خمسمائة درهم شرعي والصداق ذهب ولا ينافيه التعبير بالدرهم لأنه بيان للوزن فلا يستلزم كون الصداق فضة قاله الزرقاني.

فائدة:

تزوج خديجة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو هالة التميمي بميمين نسبة إلى تميم وكان حليفا لبني عبد الدار كما في الفتح، فولدت له هند الصحابي راوى حديث وصف النبي صلى الله عليه وسلم وكان فصيحا بليغا وصافا وكان يقول أنا أكرم الناس أبا وأما وأخا وأختا أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخي القاسم وأختي فاطمة وأمي خديجة، وولدت له أيضا هالة وهو ذكر قال أبو عمر له صحبة ووهم من زعم أن هالة أنثى واسم أبي هالة قيل زرارة وقيل مالك، وقيل هند وقيل النباش بفتح النون وشد الموحدة ومات في الجاهلية وبعد موته تزوجها عتيق بن عابد بالموحدة والدال المهملة بن عبد الله

بن عمرو بن مخزوم كذا ضبطه في الإكمال، وتبعه التبصير وقال اليعمري انه الصواب، ولابن الأثير أنه بتحتية وذال معجمة وهو مردود وقد صرح العلامة النساب الزبير بن بكار بأن من كان من ولد عمرو فهو بالموحدة والمهملة كان من ولد أخيه عمران فهو عائذ بتحتية ومعجمة وولدت لعتيق أنثى اسمها هند أسلمت وصحبت وقيل ان عتيقا هو الذي تزوجها أولا وهي بكر واقتصر عليه في العيون والفتح ثم هلك عنها، وتزوجها بعده أبو هالة انظر المواهب وشرحها.

(**خير نساء الناس أجمعينا**) قوله خير منصوب نعت لخديجة ويصح رفعه خبر مبتدأ محذوف على أنه مقطوع عن التبعية ومراده أن خديجة رضي الله عنها هي أفضل النساء جميعا وظاهره تفضيلها حتى على فاطمة ومريم، وقد قال في فتح الباري في فضل عائشة، قال السبكي الكبير الذي ندين الله به أن فاطمة أفضل ثم خديجة ثم عائشة والخلاف شهير ولكن الحق أحق أن يتبع، ثم قال ابن حجر وقيل انعقد الإجماع على تفضيل فاطمة، وبقي الخلاف بين عائشة وخديجة اهـ - المراد منه هنا.

وقال في مناقب فاطمة وأقوى ما استدل به على تقديم فاطمة على غيرها من نساء عصرها قوله صلى الله عليه وسلم انها سيدة نساء العالمين إلا مريم، وقال صلى الله عليه وسلم فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وفي بعض طرقه ذكر مريم عليها السلام وغيرها مشاركا لها اهـ.

وقال ابن حجر أيضا في شرح حديث البخاري خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة، عن الطيبي أنه قال: والذي يظهر لي أن قوله خير نسائها خبر مقدم والضمير لمريم فكأنه قال مريم خير نسائها، أي نساء زمانها، وكذا في خديجة وقد جزم كثير من الشراح أن المراد نساء زمانها، ثم قال جاء ما يفسر المراد صريحا فروى البزار والطبراني من حديث عمار رفعه لقد فضلت خديجة على نساء أمتي كما فضلت مريم على نساء العالمين، وهو حديث حسن وأخرج النسائي بسند صحيح عن ابن عباس مرفوعا: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم

وآسية » وقد أورد ابن عبد البر من وجه آخر عن ابن عباس رفعه: « سيدة نساء العالمين مريم ثم فاطمة ثم خديجة ثم آسية » قال وهذا حديث حسن يدفع الإشكال اهـ.

وقال ابن جزي في قوله تعالى: {واصطفاك على نساء العالمين} يحتمل أن يكون الإصطفاء مخصوصا بأن وهب لها عيسى من غير أب فيكون على نساء العالمين عاما وأن يكون الاصطفاء عاما ويخصص من نساء العالمين خديجة وفاطمة ويكون على نساء عالم زمانها وقد قيل بتفضيلها على الإطلاق وقال الثعالبي: والعالمين يحتمل زمانها وقد قيل بتفضيلها على الإطلاق وقال الثعالبي واليعمري والعالمين يحتمل عالم زمانها وقال ابن عطية وسائغ أن يتأول عموم الاصطفاء على العالمين وقد قال بعض الناس أن مريم نبيئة وجمهور الناس على انها لم تتنبأ امرأة وقال السيوطي على نساء العالمين أهل زمانك اهـ.

وقال الشيخ محي الدين النووي ويظهر أن معناه يعني حديث البخاري المتقدم، أن كل واحدة منهما خير نساء الأرض في عصرها، فأما التفضيل بينهما فمسكوت عنه، روي البخاري عن ابى موسى رفعه، كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام، انتهى من الريان.

وقال في المواهب ممزوجا ببعض كلام شرحها وكانت خديجة أول من امن من الناس على الإطلاق، كما حكى عليه الثعالبي وابن عبد البر وابن الأثير الاتفاق وفي الصحيحين ان جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد هذه خديجة أتتك أي توجهت إليك بإناء فيه طعام أو إدام أو شراب، بالشك من الراوى، فإذا هي أتتك فاقرأ بهمزة وصل وفتح الراء، عليها السلام من ربها ومني. وهذه خاصة لم تكن لسواها، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه بفتح المهملة والمعجمة بعدها موحدة، الصياح والمنازعة برفع الصوت، ولا نصب بفتح النون والمهملة فموحدة التعب، والقصب اللؤلؤ المجوف، وروى الطبراني عن

فاطمة قلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أين أمي خديجة؟ قال في بيت من قصب! قلت أمن هذا القصب؟ قال لا من القصب المنظوم بالدر واللؤلؤ والياقوت اهـ.

وفي لفظ القصب مناسبة لكونها أحرزت قصب السبق لمبادرتها إلى الإيمان وكذا فى لفظ البيت لأنها كانت ربة بيت فى الإسلام منفردة به، فلم يكن على وجه الأرض فى أول يوم بعث فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت إسلام إلا بيتها، وجزاء الفعل يذكر غالبا بلفظه، فلذا عبر ببيت دون قصر، وفيه مناسبة أخرى لأن مرجع آل بيته صلى الله عليه وسلم إليها، وكذا فى نفي الصخب والنصب مناسبة لفعلها، فلم تحوج النبي صلى الله عليه وسلم لما دعى إلى الإيمان إلى رفع صوت ولا تعب، قال الإسكاف والبيت زائدا على ما أعد لها من ثواب عملها، ولذا قال ولا نصب، أي لم تتعب بسببه ففي جميع ألفاظه مناسبة وخرج الإمام أحمد والنسائي وأبو داوود والحاكم وصححاه أنه صلى الله عليه وسلم قال: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية إمرأة فرعون»، وهما من زوجاته صلى الله عليه وسلم فى الجنة كما عند ابن عساكر بسند ضعيف، قال الشيخ العراقي خديجة أفضل أمهات المؤمنين على الصحيح المختار عند العلماء بدليل هذا الحديث والذى قبله من اقراء السلام عليها من الله تعالى ولقوله صلى الله عليه وسلم خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة أي مريم خير نساء الأمة الماضية وخديجة خير نساء هذه الأمة كما قال الحافظ جاء ما يفسر المراد صريحا يعنى ما قدمت عنه فى حديث البزار والطبراني وقال فى الإصابة يفسره ما أخرجه ابن عبد البرّ أنه صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة ألا ترضين أنك سيدة نساء العالمين؟ قالت يا أبت فأين مريم؟ قال تلك سيدة نساء عالمها اهـ.

ولأنه صلى الله عليه وسلم أثنى على خديجة ما لم يثن على غيرها، قالت عائشة كان صلى الله عليه وسلم لا يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها. وللطبراني وكان إذا ذكر خديجة لم يسأم

من ثناء عليها واستغفار لها، وقيل عائشة أفضل وضعف بحيث بالغ ابن العربي فقال لا خلاف أن خديجة أفضل من عائشة قال في الفتح ورد بأن الخلاف ثابت وإن كان الراجح أفضلية خديجة. وقال شيخ الإسلام زكرياء الأنصاري عند ذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم وأفضلهن خديجة وعائشة، وفي أفضليتهما خلاف وصحح ابن العماد والسبكي وغيرهما تفضيل خديجة لما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنها لما حملتها الغيرة من كثرة ثنائه على خديجة على أن قالت قد رزقك الله خيرا منها، قالت فغضب حتى قلت والذي بعثك بالحق لا أذكرها بعد هذا إلا بخير. فقال والله ما رزقني الله خيرا منها. آمنت بي حين كفر بي الناس، وصدقت بي حين كذبني الناس، وأعطتني مالها حين حرمني الناس، وآوتني إذ رفضني الناس، ورزقت مني الولد إذ حرمتموه . وسئل الإمام أبو بكر بن الامام المجتهد دواوود الظاهري أيهما أفضل؟ فقال: عائشة أقرأها النبي صلى الله عليه وسلم السلام من جبريل من قبل نفسه وخديجة أقرأها جبريل السلام من ربه على لسان محمد، فهي أي خديجة أفضل، قيل له فمن الأفضل خديجة أم فاطمة؟ قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاطمة بضعة مني بفتح الموحدة كما هو في الرواية وحكي ضمها وكسرها أي فاطمة لحم مني فلا أعدل ببضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا. قال السهيلي وهذا استقراء حسن، ويشهد له أن أبا لبابة لما ربط نفسه وحلف أن لا يحله إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت فاطمة لتحله فأبى لقسمه فقال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني، فحلته ويشهد له أيضا قوله صلى الله عليه وسلم لفاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم فهذا دليل على فضلها على أمها، وبهذا استدل السبكي قال في الفتح والذي يظهر أن الجمع بين الحديثين أولى وأن لا تفضل إحداهما على الأخرى. اهـ..

وقال في الإصابة وقد ذكر حديث خير نسائها خديجة وقوله لفاطمة أما ترضين بأنك سيدة نساء العالمين يحتمل على التفرقة بين السيادة

والخيرية أو على أن ذلك بالنسبة لما وجد من النساء حين قاله لفاطمة. اهـ.

وفيه نظر فإن المراد بالسيادة الخيرية وهي الفضل كما صرح به فى رواية أحمد وحمله على الموجودات يأباه قوله نساء العالمين وهو فى الصحيحين لأنه تخصيص للعام بلا مخصص فقد ساوت أمها وزادت عليها لكونها بضعة المختار فهي أفضل منها وقد صرح هو فى الفتح فى المناقب بما لفظه قيل انعقد الإجماع على أفضلية فاطمة. وبقي الخلاف بين عائشة وخديجة اهـ. بل توسع بعض المتأخرين فقال فاطمة وأخوها إبراهيم أفضل من سائر الصحابة حتى من الخلفاء الأربعة فإن أراد من حيث البضعة فمحتمل وإن كان الخلفاء أفضل من حيث العلوم الجمة وكثرة المعارف ونصر الدين والأمة قاله الشيخ محمد بن عبد الباقي وقال فى المواهب عن السبكي الكبير والذى نختاره وندين الله به أن فاطمة أفضل ثم أمها خديجة ثم عائشة. قال فى المواهب واختار السبكي أن مريم أفضل من خديجة قال الزرقاني ولم يتعرض للتفضيل بين مريم وفاطمة واختار السيوطي تفضيل فاطمة على مريم وسبقه إلى اختيار ذلك الزركشي والخيضري والمقريزي لكن يرد عليهم قوله لفاطمة أما ترضين أن تكونى سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم نعم يعارضه حديث أما ترضين أنك سيدة نساء العالمين؟ قالت يا أبت فيأين مريم؟ قال تلك سيدة نساء عالمها. ولم ينقدح لى وجه الجمع اهـ كلام الزرقاني. قال مؤلفه سمح الله له وتحصل مما مرّ أن الراجح المشهور تفضيل خديجة على عائشة رضي الله عنهما وأن الراجح تفضيل فاطمة على أمها كما جزم به السبكي والإمام أبو بكر بن داوود واستحسنه السهيلي وجزم به الزرقاني وتعقب ما فى الفتح من أنه لا يفضل بينهما بما مرّ قريبا ومنه أنه فى الفتح نقل الاجماع على أفضلية فاطمة فى كتاب المناقب ويعني به ترجمة فضل عائشة فقد ذكر ذلك فيها، وأما التفضيل بين مريم وفاطمة فاختار الزركشي والسيوطي والخيضري والمقريزي أن فاطمة أفضل وأما ما بين خديجة ومريم فقال فيه النووي أن التفضيل

بينهما مسكوت عنه يعني على أنها ليست نبية كما هو مذهب الجمهور. وقد مرّ عن المفسرين أنه قيل بتفضيلها على نساء العالمين على الإطلاق والله تعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب. وحينئذ فقول الناظم خير *نساء الناس أجمعينا* يعني الموجودات في زمانها وتستثنى من ذلك فاطمة بضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله أعلم.

(قد) للتحقيق **(أقامت معه عشرينا)** سنة **(وأربعا)** من السنين ومراده أن خديجة رضي الله عنها مدة حياتها بعد تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها أربع وعشرون سنة وقال الحافظ في الفتح وأقامت معه صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة على الصحيح وقال ابن عبد البر أربعا وعشرين سنة وأربعة أشهر وسيأتي من حديث عائشة ما يؤيد الصحيح في أن موتها قبل الهجرة بثلاث سنين وذلك بعد المبعث على الصواب بعشر سنين وتقدم تصديقها للنبي صلى الله عليه وسلم في أول وهلة اهـ.

وقال القسطلاني في المواهب وكانت مدة مقامها مع النبي صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة اهـ، قال في الشرح على الصحيح كما في الفتح وهو المطابق للصحيح وهو قول الأكثر أنه تزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة وقال في المواهب وشرحها وقيل أربعا وعشرين سنة وأربعة أشهر قاله ابن عبد البر وهو مطابق له أيضا بإلغاء الكسر في عامي الزواج والوفاة، اهـ. وقد علم أن الناظم مشى على الصحيح من أنه تزوجها وهو ابن خمس وعشرين ودخل في السادسة وقوله هنا أربعا وعشرين أي وأربعة أشهر فيصح كلامه بإلغاء الكسر في عام التزويج وعام الوفاة، كما أول به الزرقاني عبارة المواهب المحكية بقوله وهي موافقة لعبارة الناظم والله أعلم. أما على أن سنه إحدى وعشرون أو ثلاثون فلا يتأتى أن قالا ان موتها سنة عشر من البعثة، قاله الزرقاني وغيره **(ورزق البنينا منها سوى أحدهم يقينا)** نائب رزق ضمير عائد على النبي صلى الله عليه وسلم والبنين مفعوله الثاني والضمير المجرور لأمنا خديجة رضي الله عنها ويقينا مصدر مؤكد

لمضمون الجملة قبله وعامله محذوف أي أتيقن هذا أو نحوه يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطاه الله تعالى من الذرية الكرام ما أعطاه من البنين والبنات سوى إبراهيم من خديجة الطاهرة سيدة نساء قريش وهي من أعظم مزاياها التى اختصت بها عن غيرها ليمنها وسعادتها وإبراهيم هو المراد بقوله سوى أحدهم وسياتى للناظم التعرض لأولاده صلى الله عليه وسلم وياتى الكلام عليهم إن شاء الله تعالى عند ذكر الناظم لهم.

وتوفيت خديجة رضي الله عنها بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين وذلك بعد المبعث بعشر سنين على الصحيح كما فى الفتح والإصابة وزاد عن الواقدي لعشر خلون من رمضان وقيل قبل الهجرة بأربع سنين وقيل خمس حكاهما فى الإصابة وقيل ست حكاه فى الفتح ودفنت بالحجون ونزل صلى الله عليه وسلم فى حفرتها وهي بنت خمس وستين سنة كما فى رواية الواقدي، وفى السمط الثمين أربع وستون وستة أشهر ولم يكن يومئذ يصلى على الجنائز وروى ابن عساكر بسند ضعيف أنه صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة وهي فى الموت فقال يا خديجة إذا لقيت ضرائرك فاقرئيهن منى السلام، فقالت يا رسول الله وهل تزوجت قبلي؟ قال لا. ولكن الله زوجنى مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وكلثم أخت موسى ورواه الزبير بن بكار بلفظ أنه دخل على خديجة وهي فى الموت فقال تكرهين ما أرى منك يا خديجة وقد يجعل الله فى الكره خيرا، أشعرت أن الله أعلمنى أنه سيزوجنى معك فى الجنة مريم وآسية وكلثم؟ فقالت الله أعلمك بهذا؟ قال نعم. وماتت هي وأبو طالب فى عام واحد، قيل فسماه عام الحزن صلى الله عليه وسلم، انظر الزرقاني.

(ثم ابن خمس وثلاثين حضر بناء بيت الله ...)

قوله ابن بالنصب حال من فاعل ضمير وهو ضمير النبي صلى الله عليه وسلم وبيت الله الكعبة زادها الله تعالى تعظيما يعني أنه صلى الله عليه وسلم حضر بناء قريش للكعبة وهو عليه السلام إذ ذاك ابن

خمس وثلاثين سنة من مولده عليه الصلاة والسلام.

(إذ) أي حين **(بنى)** أي وضع صلى الله عليه وسلم **(الحجر)** الأسود موضعه إذ تولى هو صلى الله عليه وسلم وضعه فى محله **(بيده)** متعلق ببنى **(الكريمة)** أي الثابت لها ولصاحبها صلى الله عليه وسلم أعلى ما توصف به الحوادث من الكمالات **(الزكية)** أي المباركة الكثيرة الخير **(صلى عليه بارئ البرية)** أي خالق المخلوقات كلها وهو الله تعالى. وكونه صلى الله عليه وسلم حين بناء قريش للكعبة ابن خمس وثلاثين هو الذى جزم به ابن إسحاق وغير واحد من العلماء وهو الأشهر كما قال الحافظ وقيل ابن خمس وعشرين وجزم به موسى بن عقبة وروي عن مجاهد ومحمد بن جبير وسبب بناء قريش للكعبة أن قريشا خافت أن تنهدم الكعبة من السيول وذلك أن السيل أتى من فوق الردم الذى بأعلى مكة فخربه فخافوا أن يدخلها الماء، وقيل سببه احتراقها، فروي أن امرأة أجمرت الكعبة فطارت شرارة فى ثيابها فأحرقتها، وقيل أن نفرا سرقوا حلي الكعبة وغزالين من ذهب وقيل غزالا واحدا مرصعا بجوهر وكان فى بئر فى جوف الكعبة فأرادوا أن يرفعوا بنيانها حتى لا يدخلها إلا من شاؤوا، وقيل ان السيل دخلها وصدع جدرانها بعد توهينها وجمع كما فى الزرقاني بأنه لا مانع أن سبب بنائهم ذلك كله ويجوز أن خشية هدم السيل حصل من الحريق حتى أوهن بناءها ووجدت السرقة بعد ذلك، وأعدوا لذلك نفقة وعمالا ثم عمدوا إليها ليهدموها على إشفاق وحذر منهم أن يمنعهم الله ما أرادوا فأمروا باقوم القبطي مولى أسيد بن العاصي بن أمية وصانع المنبر النبوي المدني أن يبنيها لهم وباقوم بموحدة فألف فقاف مضمومة فواو ساكنة ويقال بلام بدل الميم صحابي كما فى الإصابة، وروى ابن عيينة عن عبيد بن عمير قال اسم الرجل الذي بنى الكعبة لقريش باقوم الرومي وكان فى سفينة حبسها الريح وخرجت إليها قريش فأخذوا خشبها وقالوا له ابنها على بناء الكنائس فيحتمل أنهما اشتركا فى بنائها أو أحدهما بنى والآخر سقف وأنهما واحد رومي فى الأصل ونسب إلى القبط حلفا وهذا هو الظاهر من كلام

الإصابة اهـ.

وروي ان السفينة ألقاها الريح بجدة فتحطمت فخرج إليها الوليد بن المغيرة في نفر من قريش فابتاعوا خشبها وكلموا باقوم في بنائها فقدم معهم. وقال ابن اسحاق كان بمكة رجل قبطي نجار فتهيأ لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها قال فهاب الناس هدمها فقال الوليد بن المغيرة أنا أبدأكم في هدمها فأخذ المعول وهو يقول اللهم لم ترع بفوقية مضمومة فراء مفتوحة أي لم تفزع الكعبة وهذا أولى من إعادة السهيلي الضمير لله تعالي، وفي رواية لم نزغ بفتح النون وكسر الزاء وغين معجمة أي لم نمل عن دينك اللهم لا نريد إلا الخير، ثم هدم من ناحية الركنين الأسود واليماني وتربص الناس تلك الليلة وقالوا ننتظر فإن أصيب لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت وإن لم يصبه شيئ هدمنا فقد رضي الله ما صنعنا. فأصبح الوليد عائدا إلى عمله فهدم وهدم معه الناس، حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى أساس إبراهيم أفضووا إلى حجارة خضر كالأسنمة جمع سنام وهو أعلى الظهر للبعير ومن رواه كالأسنة جمع سنام شبهها بها في الخضرة، أخذ بعضها ببعض فأدخل رجل ممن كان يهدم عتلة بين حجرين ليقلع بها بعضها فلما تحرك الحجر تنغضت مكة بأسرها وأبصر القوم برقة خرجت من تحت الحجر كادت تخطف بصر الرجل فانتهوا عن ذلك الأساس وبنوا عليه اهـ.

وقوله عتلة في القاموس العتلة محركة حديدة كأنها رأس فأس أو العصى الضخمة من حديد لها رأس مفلطح يهدم بها الحائط وفي القاموس تنغض أي بالغين والضاد المعجمتين تحرك اهـ.

وفي رواية أنهم لما شرعوا في نغض البناء خرجت لهم الحية التى كانت في بطنها تحرسها سوداء البطن فمنعتهم من ذلك فاعتزلوا عند مقام إبراهيم فتشاوروا فقال لهم الوليد ألستم تريدون الإصلاح؟ قالوا بلى! قال فإن الله لا يهلك المصلحين ولكن لا تدخلوا في بيت ربكم إلا طيب أموالكم فإن الله لا يقبل إلا طيبا وعند موسى بن عقبة أنه قال لا تجعلوا فيها مالا أخذ غصبا ولا قطعت فيه رحم ولا انتهكت فيه حرمة

وعند ابن اسحاق أن الذى أشار بذلك أبو وهب بن عمر بن عامر بن عمران بن مخزوم ففعلوا وقالوا اللهم إن كان لك فى هدمها رضى فاتمه واشغل عنا هذا الثعبان فأقبل طائر من جو السماء كهيأة العقاب ظهره أسود وبطنه أبيض ورجلاه صفراوان والحية على جدار البيت فأخذها ثم طار بها فقالت قريش إنا لنرجو أن الله قبل عملكم ونفقتكم ثم إن قبائل قريش جمعت الحجارة لبنائها فكل قبيلة تنقل الحجارة على حدة وحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ينقل معهم الحجارة من أجياد وكانوا يضعون أزرهم على عواتقهم ويحملون الحجارة فقال له العباس اجعل إزارك على رقبتك يقيك من الحجارة ففعل، فلبط به بالموحدة كعني أي سقط من قيامه فهو من الأفعال التى جاءت بصيغة المبنى للمفعول وهي بمعنى المبني للفاعل ونودي يا محمد غط عورتك فشد عليه إزاره فلما ريئ بعد ذلك عريانا، وفى رواية كانوا كلما أرادوا القرب منه أي البيت لهدمه بدت لهم حية فاتحة فاها فبعث الله طيرا أعظم من النسر فغرز مخالبه فيها فألغاها نحو أجياد فهدمت قريش الكعبة وبنوها بحجارة الوادى فرفعوها فى السماء عشرين ذراعا فبينما النبي صلى الله عليه وسلم يحمل الحجارة من أجياد وعليه نمرة فضاقت عليه النمرة فذهب يضعها على عاتقه فبدت عورته فنودي يا محمد خمر عورتك فلم ير عريانا بعد، قال الزرقاني ليس المراد العورة المغلظة اهـ..

وفى المواهب فى هذه القصة وكان ذلك أول ما نودي اهـ.. ثم إن قريشا بنوها فلما أرادوا أن يضعوا الحجر الأسود اختصموا فيه فكل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى حتى تحازبوا وتحالفوا وأعدوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدي على الموت وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فسموا لعقة الدم فمكث قريش على ذلك أربع ليال أو خمسا ثم انهم اجتمعوا فى المجسد فتشاوروا وتناصفوا فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة وكان عامئذ أسن قريش كلها قال يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما

تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم ففعلوا فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا الأمين رضينا هذا محمد فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال صلى الله عليه وسلم هلم إلي ثوبا فؤوتي به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده الكريمة صلى الله عليه وسلم ثم بنى عليه، وعند موسى ابن عقبة ان الذى أشار إليهم بذلك أخوه الوليد قال السهيلي وذكر أن إبليس كان معهم فى صورة شيخ نجدي فصاح بأعلى صوته يا معشر قريش أرضيتم أن يضع هذا الركن وهو شرفكم غلام يتيم دون ذوى أسنانكم فكاد يثير شرا بينهم ثم سكتوا.

خاتمة:

نسأل الله تعالى بحسنها

أختلف فى أول من بنى الكعبة فذكر الطبرى أن الله وضعه أولا لا ببناء أحد وذكر الأزرقي ان الملائكة بنته قبل آدم وروي عن عطاء أول من بنى البيت آدم وعن وهب أول من بناه شئث بن آدم وفى الكشاف أول من بناه إبراهيم وجزم به ابن كثير، قال إذ لم يثبت عن معصوم أنه كان مبنيا قبله ثم بنته العمالقة ثم جرهم ثم قصي بن كلاب نقله الزبير بن بكار وجزم به الماوردي ثم قريش فجعلوا ارتفاعه ثمانية عشر ذراعا، وفى رواية عشرين ذراعا ثم لما حوصر ابن الزبير من جهة يزيد تضعضعت من الرمي بالمنجنيق فهدمها فى خلافته وبناها على قواعد إبراهيم وأعاد طولها على ما هو عليه الآن وأدخل من الحجر الأذرع المذكورة وجعل لها بابا آخر فلما قتل ابن الزبير شاور الحجاج عبد الملك فى نقض ما فعله ابن الزبير فكتب إليه أما ما زاده فى طولها فأقره وأما ما زاده فى الحجر فرده إلى بنائه وسد بابه الذى فتح ففعل ذلك كما فى مسلم.

وذكر الفاكهي أن عبد الملك ندم على إذنه للحجاج في هدمها ولعن الحجاج وفي مسلم نحوه من وجه آخر وقد أراد الرشيد أو أبوه أو جده أن يعيده على ما فعل ابن الزبير فناشده مالك وقال أخشى أن يصير ملعبة للملوك فتركه واستمر ما فعله الحجاج إلى الآن وسيبقى إلى تخريب الحبشة للكعبة فقال العلماء ان هذا البناء لا يغير ولم يتفق لأحد من الخلفاء ولا غيرهم تغيير شيء مما فعله الحجاج إلا في الميزاب والباب وعتبته وكذا وقع الترقيم في الجدار والسقف وسلم السطح غير مرة وجدد فيها الرخام وأول من فرشها به عبد الملك قال الزرقاني فالمتحصل من الآثار كما أفاده الفتح والإرشاد والسبل وشفاء الغرام أنها بنيت عشر مرات، وقد علمتها. وزعم بعضهم أن عبد المطلب بناها بعد قصي وقبل بناء قريش قال الفاسي ولم أره لغيره وأخشى أن يكون وهما اهـ. المراد منه.

وبعض ما قدمته من الاكتفاء وفي الإكتفاء أن آدم على بنائه له بناه من خمسة أجبل، طور سيناء وطور زيتاء ولبنى والجودي وبنى قواعده من حراء وفيه أن آدم وحواء أسساه بصخر أمثال الخلفات أي النوق الحوامل أذن الله للصخر أن تطيعهما فلما مات آدم وليه بعده ابنه شئث فكان كذلك حتى حجه نوح عليه السلام فلما كان الطوفان رفع البيت وبقيت قواعده وعلى أن شئث أول من بنى الكعبة فإنها كانت قبل أن يبنيها خيمة من ياقوتة حمراء يطوف بها آدم ويانس بها لأنها أنزلت إليه من الجنة وأول من بناه بعد رفعه إبراهيم اهـ. المراد منه.

(بيان مبعث النبي الهادي صلى عليه خالق العباد)

المبعث الإرسال والنبي تقدم اشتقاقه عند قوله بجاه المصطفى النبي وهو من أوحي إليه بواسطة ملك أو دونه سواء أمر مع ذلك بالتبليغ أو لم يؤمر به فإن أمر بالتبليغ فرسول وإلا فنبي غير رسول هذا هو المشهور الذى عليه الجمهور كما قاله القاضي عياض والسنوسي وغيرهما. وقال التفتازاني بترادفهما وأن كلا منهما مامور بالتبليغ وهي طريق المشارقة وقيل بينهما عموم وخصوص بإطلاق لكن لا على الوجه المتقدم وعليه فالنبي أعم لأنه من أوحي إليه كان له كتاب أو

شرع جديد أو لم يكن، ويخص الرسول بمن أوحي إليه وكان له شرع جديد أو كتاب، والهادى المرشد للعباد إلى دين الله تعالى، ثم أشار الناظم رحمه الله تعالى إلى تعيين الآتى له بالوحي من الله تعالى وتعيين المكان الذى أتاه فيه والسن التى أوحي إليه عند بلوغها وغير ذلك مما يتعلق بأمر البعثة مما سيذكره فقال:

(وجاءه)أي النبي صلى الله عليه وسلم **(جبريل)** سيد الملائكة على مذهب الجمهور وقيل ميكائيل أفضل منه وهما أفضل من جميع الملائكة اتفاقا قاله البيجوري وجبريل هو صاحب الوحي إلى الأنبياء على نبينا وعلى جميعهم الصلاة والسلام، ومعناه عبد الله، قال فى القاموس وجبرائيل أي عبد الله، وفيه لغات كجبرعيل وحزقيل وجبرعل وسمويل وجبراعيل وجبرعل وحزعال وكربال وبسكون الياء بلا همز كجبريل وبفتح الياء جبريَل وبياءين جبرييل وجبرين بالنون ويكسر اهـ.

(في غار حرا) بكسر الحاء المهملة وتخفيف الراء والمد والتذكير على الصحيح وحكي الفتح والقصر وهي لغة مصروف على إرادة المكان ممنوع على إرادة البقعة فيذكر ويؤنث جبل بينه وبين مكة نحو ثلاثة أميال على يسار الذاهب إلى منى وزعم الخطابي خطأ المحدثين فى قصره وفتح حائه والأربعة فى قباء أيضا وجمعها القائل:

حيا وقبا ذكر وأنثهما معا ومد واقصر واصرفن وامنع الصرفا

قاله الزرقاني.

(من بعد أربعين عاما غبرا) أي مضى يعني أنه صلى الله عليه وسلم كان أول مجيء جاءه جبريل له صلى الله عليه وسلم بالوحي أي كلام الله عز وجل بعد أن أتم أربعين سنة من مولده صلى الله عليه وسلم وهذا هو الذى قاله جمهور العلماء، قال السهيلي وهو الصحيح عند أهل السير والعلم بالأثر، النووي وهو الصواب المروي فى الصحيحين عن ابن عباس وأنس وقيل وأربعين يوما، وقيل وعشرة أيام وقيل وشهرين، وعن مكحول أنه بعث بعد اثنين وأربعين سنة، وقيل ابن ثلاث وأربعين، وهو شاذ، وقيل خمس وأربعون، وهو أشذ منه قال الخطابي وجمع بأن ذلك حين حمي الوحي وتتابع **(في يوم الإثنين)** متعلق بجاء أي وجاءه

جبريل فى يوم الاثنين ويشهد له ما رواه مسلم عن أبي قتادة الحارث بن ربعي بكسر الراء شهد المشاهد إلا بدرا ففيها خلف أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم يوم الإثنين فقال فيه ولدت وفيه أنزل علي وفى رواية لمسلم فقال ذاك يوم ولدت فيه ويوم بعثت فيه أوقال أنزل علي فيه والمشهور الذى عليه الأكثر أنه بعث فى رمضان قاله الحافظان ابن كثير وابن حجر وصححه الحافظ العلائي، قال فى الفتح فعلى الصحيح المشهور أن مولده فى ربيع الأول يكون حين أنزل عليه ابن أربعين سنة وستة أشهر وعلى أنه بعث فى رمضان فالذى اقتصر عليه القسطلاني فى الإرشاد وبه صدر فى المواهب أنه بعث يوم الإثنين لسبع عشرة ليلة خلت منه وقيل لسبع منه وقيل لأربع وعشرين ليلة منه وقال ابن عبد البرّ والمسعودي بعث يوم الإثنين لثمان من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وبه صدر ابن القيم وعزاه للأكثرين ثم حكي أنه كان فى رمضان قال فى الفتح فعلى هذا يعنى كونه بعث فى ربيع يكون عمره أربعين سنة سواء، وجمع بين النقلين بما فى حديث عائشة أول ما بدئ به من الوحي الرؤيا الصالحة وحكى البيهقي أن مدتها ستة أشهر فيكون نبئ بالرؤيا فى ربيع الأول ثم أتاه جبريل فى رمضان وحمل عليه بعضهم الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوءة، لأن مدة الوحي كانت ثلاثا وعشرين سنة فيها ستة أشهر مناما وذلك جزء من ستة وأربعين وأما الجمع بين نزول اقرأ فى رمضان وأول المدثر فى ربيع فاعترض بأن نزول المدثر بعد ثلاث سنين وقيل كان ابتداء المبعث فى رجب لسبع وعشرين منه، اهـ. ملخصا من المواهب وشرحها.

تنبيه:

أختلف فى المنزل علي النبي صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أقوال:

* أحدها اللفظ والمعنى وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ كل حرف بقدر جبل قاف، وتحت كل حرف منها معان لا يحيط بها إلا الله،

* الثاني ان جبريل نزل بالمعانى خاصة وعلم صلى الله عليه وسلم تلك

المعاني وعبر عنها بلغة العرب لظاهر قوله نزل به الروح الأمين على قلبك،

* الثالث أن جبريل ألقى عليه المعنى وعبر بهذه الألفاظ بلغة العرب، وأن أهل السماوات يقرؤنه بالعربية اهـ. من الزرقاني.

وقريب منه اليوسي فى حاشية الكبرى، فعلى الأول يكون جبريل تلقى الحروف من اللوح وعلى كلا القولين الأخيرين يكون جبريل سمع كلام الله تعالى القائم بذاته الذى ليس بحرف ولا صوت ولكن على الأول منهما عبر جبريل عما فهمه من كلام الله تعالى بلغته للنبي صلى الله عليه وسلم فعبر النبي صلى الله عليه وسلم عما فهمه من كلام جبريل بلغته التى هي العربية وعليه فألفاظ القرآن مخلوقة على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الأخير فألفاظه مخلوقة على لسان الملك، وهي التى نزل بها، ويدل على أن المنزل الألفاظ ظاهر قوله تعالى قل نزله روح القدس انظر اليوسي.

(... بسورة العلق صلى عليه الله فالق الفلق)

المجرور متعلق أيضا بجاء يعني أن أول ما نزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن سورة العلق وهي إقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق والعلق الدم المجتمع الغليظ لأن أول الإنسان نطفة ثم يكون علقة والفلق الصبح وفالقه خالقه وهو الله تعالى، قال المفسرون فى قوله تعالى {فالق الإصباح} وهو مصدر بمعنى الصبح أي خالق الصبح، فالفلق هو الخلق وقيل الفلق الشق وهو على حذف مضاف أي فالق ظلمة الصبح انظر الريان. وأشار بهذا إلى ما رواه البخاري وغيره ففى كتاب التعبير منه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة فى النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، وكان ياتى حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها حتى فجأه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فيه فقال إقرأ، فقلت ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى حتى بلغ

منى الجهد ثم أرسلنى فقال إقرأ. فقلت ما أنا بقارئ. فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال إقرأ. فقلت ما أنا بقارئ. فأخذنى فغطني الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال إقرأ باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم. فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال زملونى، زملونى. فزملوه حتى ذهب عنه الروع. فقال يا خديجة ما لى.. وأخبرها الخبر، وقال قد خشيت علي فقالت له كلا أبشر والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكلّ وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق، ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عمها أخو أبيها وكان امرءا تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى، فقالت له خديجة أي ابن عمى اسمع من ابن أخيك! فقال ورقة ابن أخى ماذا ترى؟ فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم ما رأى، فقال ورقة هذا الناموس الذى أنزل على موسى، يا ليتنى فيها جذعا، ليتنى أكون حيا حين يخرجك قومك. وقال صلى الله عليه وسلم أو مخرجى هم؟ فقال ورقة نعم. لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي وإن يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدى منه مرارا كي يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه تبدى له جبريل فقال يا محمد إنك لرسول الله حقا، فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه، فيرجع فإذا طالت عليه فترة الوحي عاد لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك، انتهي.

والرؤيا الصادقة التى لا تكذب فيها وفى بدأ الوحي الصالحة هما بمعنى بالنسبة للآخرة فى حق الأنبياء، وأما بالنسبة لأمور الدنيا فالصالحة فى الأصل أخص، فرؤيا الأنبياء كلها صادقة وقد تكون صالحة وهي الأكثر وغير صالحة بالنسبة للدنيا كرؤيا يوم أحد ومثل فلق

الصبح أي شبيهة له في الوضوح، وقال البيضاوي شبه ما وجده في الخارج طبقا لما رآه في النوم بالصبح في إنارته و وضوحه.

والفلق الصبح لكنه لما استعمل في هذا المعنى وغيره أضيف إليه للتخصيص، ويتحنث يتجنب الحنث أي الإثم، كتحوب وتأثم أو هو بمعنى رواية ابن هشام يتحنف أي يتبع الحنفية دين إبراهيم والفاء تبدل ثاء وقوله وهو التعبد من إطلاق المسبب على السبب على التفسير الأول، وعلى الثاني ظاهر والليالي ظرف نصب بيتحنث وهل تعبده قبل البعثة بشريعة أم لا؟ قولان:

الجمهور على الثاني، واختار ابن الحاجب والبيضاوي الأول يعني أنه بشرع إبراهيم أو موسى أو عيسى أو بجميع الشرائع، ونسب للمالكية أو الوقف أقوال، ولم يأت تصريح بصفة تعبده بحراء وعن ابن المرابط كان يتعبد بالفكر وقوله لمثلها أي الليالي وفجئه بكسر الجيم وتفتح والحق الوحي والملك جبريل اتفاقا وقوله فقلت كذا في رواية الأكثر، وفي رواية أبي ذر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وغطني بغين معجمة وطاء مهملة ضمني وعصرني والجهد بالنصب وفاعل بلغ هو الغط وبالرفع والمفعول محذوف أي بلغ مني الجهد، مبلغه، وما أنا بقارئ أي لا أحسن القراءة أي حكمي كسائر الناس من أن القراءة لا تحصل إلا بالتعلم، وقوله فرجع بها أي بالآية وترجف بضم الجيم تضطرب، والبوادر بفتح الموحدة وخفة الواو فألف فدال مهملة فراء جمع بادرة ما بين المنكب والعنق، قال في المواهب ولم تكن الرجفة المذكورة خوفا من جبريل عليه السلام، فإنه صلى الله عليه وسلم أجل من ذلك وأثبت جنانا، بل غبطة أي فرحا لحاله وقيل خاف من ثقل أعباء النبوءة انتهي. وزملوني أي غطوني، وزملوه أي لفوه أي خديجة ومن معها، ولا يخزيك بضم التحتية وسكون المعجمة وكسر الزاء فتحتية ساكنة أي لا يفضحك والكلُّ بفتح الكاف وشد اللام من لا يستقل بأمره زاد هنا في بدء الوحي وتكسب المعدوم بفتح التاء في الأشهر، وروي بضمها، أي تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك، يقال كسبته مالا وأكسبته إياه

بمعنى وتقرى بفتح الفوقية ثلاثي قال الأبي وسمع بضمها رباعيا والنوائب الحوادث وهي جامعة لما سبق ولغيره، وقيدت بالحق لأنها تكون فيه وفى الباطل أي فلا يصيبك مكروه لما جمع الله فيك من مكارم الأخلاق. وفيه دلالة على أن ذلك سبب للسلامة من مصارع السوء وفيه مدح الإنسان فى وجهه لمصلحة، وأما حديث «أحثوا التراب فى وجوه المداحين» ففى مدح بباطل، أو تؤدي إلى باطل، وفيه تأنيس من حصلت له مخافة وكمال خديجة وجزالة رأيها وانطلقت به أي معه فالباء للمصاحبة وأخو أبيها بالرفع خبر مبتدء محذوف والناموس صاحب السر والمراد به جبريل وأهل الكتاب يسمونه الناموس الأكبر والعبرانية بكسر العين وهي لغة التورية وأما الإنجيل فالمشهور أنه سرياني، وقيل عبراني وجذعا بالنصب وهو المشهور فى الصحيحين خبر أكون مقدرة أو حال من الضمير المستكن فيها أي مدة النبوءة أو على أن ليت تنصب الجزأين كقوله:

يا ليت أيام الصبا رواجعا ...

وهو بفتح الجيم المعجمة أي شابا، أو مخرجيّ؟ بفتح الواو وشد الياء مفتوحة خبر مقدم لهم، ويومك يوم انتشار نبوءتك ومؤزرا بضم الميم وفتح الزاء المشددة آخره راء مهموز من الأزر أي القوة أي قويا بليغا، وقال أبو شامة يحتمل أنه من الإزار إشارة إلى تشميره فى نصرته قال الأخطل:

قوم إذا حاربوا شدّوا مآزرهم ... دون النساء ولو باتت بأطهار

ولم ينشب بفتح التحتية والمعجمة أي لم يلبث وأن توفيّ بفتح الهمزة بدل اشتمال من ورقة أي لم تتأخر وفاته وفترة الوحي بعد مجيئه له فى غار حراء، كانت مدتها ثلاث سنين على ما فى المواهب، وقيل سنتان ونصف وفى المواهب ممزوجا ببعض كلام الزرقاني ودليل كونها ثلاث سنين ما فى تاريخ الإمام أحمد عن الشعبي أنزلت عليه صلى الله عليه وسلم النبوءة وهو ابن أربعين سنة فقرن بنبوءته إسرافيل ثلاث سنين وكان ياتيه بالكلمة والشيء أي الأفعال والآداب

التى يعلمها له، ولم ينزل عليه القرآن على لسانه لأن إنزال الكتب الإلهية من خصائص جبريل، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوءته جبريل عليه السلام فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة اهـ..

وما ذكر من أن أول ما أنزل عليه إقرأ، هو الصواب وهو الذى عليه الجماهير من الخلف والسلف كما قاله النووي، وأما ما روي أن أول ما نزل مطلقا أول سورة يا أيها المدثر فقال النووي ضعيف بل باطل، وإنما أنزلت يا أيها المدثر بعد فترة الوحي، وقوله حزن بكسر الزاي وجزم عياض بأن هذا من قول معمر وخالفه السيوطي والقسطلاني تبعا للحافظ وقالوا هو شيخه الزهري، وقوله غدا بغين معجمة من الذهاب غدوة وبمهملة من العدو وهو الذهاب بسرعة ويتردى يسقط وشواهق الجبال طوالها وأوفى بفتح الهمزة والفاء وسكون الواو أشرف، والذروة بكسر الذال المعجمة وتفتح وتضم وإلقاؤه لنفسه للإشفاق أن تكون الفترة لسبب منه، فخشي أن تكون عقوبة من ربه، ففعل ذلك ولم يرد بعد شرع بالنهي عنه فيعترض به وجأشه بجيم فهمزة ساكنة فشين معجمة أي إضطراب قلبه وتقر بفتح الفوقية والقاف والعطف تفسيري، قال القاضى عياض وابتدأ عليه السلام بالرؤيا لئلا يفجأه الملك وياتيه صريح النبوءة بغتة فلا تحملها قوى البشر، فبدأ بأوائل خصال النبوءة وتباشير الكرامة من المرائى الصادقة الصالحة الدالة على ما يؤول إليه أمره.

تنبيه:

قال غير واحد لم يبعث نبي إلا بعد أربعين سنة، لأنها سن كمال القوة والعقل، قال الزرقاني وهذا الحصر شامل لجميع الأنبياء حتى يحيى وعيسى وهو الصحيح، ففي زاد المعاد ما يذكر أن عيسى رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، لا يعرف به أثر متصل يجب الرجوع إليه. قال أبو شامة وهو كما قال والمصرح به فى الأحاديث النبوية أنه إنما رفع وهو ابن مائة وعشرين، ففى الطبراني بسند رجاله ثقاة أنه صلى الله عليه

وسلم قال فى مرضه الذى توفي فيه لفاطمة إن جبريل كان يعارضنى القرآن فى كل عام مرة، وإنه عارضنى بالقرآن العام مرتين وأخبرنى أنه لم يكن نبي إلا عاش نصف الذى قبله وأخبرنى أن عيسى بن مريم عاش مائة وعشرين سنة، ولا أرانى إلا ذاهبا على رأس الستين اهـ. وجزم السيوطي بأنه رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين اهـ.

(فقام يدعو الإنس والجن إلى توحيد رب العالمين مرسلا)

أشعرت الفاء بالفورية، وقام بمعنى شرع والتوحيد إفراد الإله بالعبادة واعتقاد أنه واحد فى ذاته، فليست ذاته مركبة من الأجزاء ولا ذات تماثلها، وواحد فى صفاته، فلا صفة تماثل صفته تعالى وواحد فى أفعاله، فلا فعل لشيء سواه، فهو الخالق لجميع المخلوقات وأفعالها، والرب المالك، والعالمين جميع الخلائق، ومرسلا حال من الضمير فى قام، يعنى أنه صلى الله عليه وسلم لما أتاه جبريل عليه السلام بأنه مرسل إلى كافة الثقلين لم يتوانى فى دعائهم إلى ما أرسل به طرفة عين، بل شرع يدعو الثقلين وهما الإنس والجن إلى توحيد الله تعالى، حال كونه مرسلا إليهم من الله تعالى قال اليوسي فى حواشى الكبرى لا نزاع بين المسلمين أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم مرسل إلى الثقلين جميعا الإنس والجن، مؤمنها وكافرها، عربيها وعجميها، جاهليها وكتابيها، والدليل على أنه صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى الكلّ أنه صلى الله عليه وسلم ادعى ذلك، وقال إنه خاتم النبيئين وأقام على ذلك المعجزات فوجب تصديقه فى كل ما قال، والقرآن الذي هو أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم مفصح بذلك، قال تعالى وما أرسلناك إلا كافة للناس، {قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا} ليظهره على الدين كله، هذا فى حق الإنس وأما الجن فقال تعالى: {قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن} (الآية). وقال: {وإذ صرفنا إليك نفر من الجن} (الآية). وقد قيل إن لفظ الناس يشملهم. الجوهري: الناس يكون من الإنس والجن، وقال ابن عقيل الجن داخلون فى مسمى الناس لغة، وقال صاحب أحكام الجان لم يخالف أحد من طوائف المسلمين فى أنه صلى

الله عليه وسلم مرسل إلى الإنس والجن وفى الحديث: «بعثت إلى الأحمر والأسود». قيل المراد الإنس والجن، وأما الملائكة فقيل إنه مبعوث إليهم وصححه السبكي والسيوطي، وقيل لم يبعث إليهم، وبه قال البيهقي والحليمي والعراقي والنسفي والفخر، وغيرهم وحكى بعضهم عليه الإجماع، وذهب قوم إلى أنه مرسل إلى جميع الأنبياء وأممهم السابقة وأن قوله صلى الله عليه وسلم بعثت إلى الخلق كافة شامل لهم من لدن آدم إلى قيام الساعة وحكاه السيوطي عن السبكي قال ورجحه المازري، وقال السيوطي إنه مرسل إلى حور الجنة وولدانها. اهـ. المراد من اليوسي.

وما مرّ من قوله قيل المراد الإنس والجن وقيل المراد بالأحمر والأسود العرب والعجم، وهو الذي اقتصر عليه فى شرح الشفاء.

(مؤيدا) حال بعد حال وهو بصيغة اسم المفعول أي مقوا هو أي الرسول صلى الله عليه وسلم على دعواه الرسالة أي مصدقا، **(منه)** أي من الله تعالى، **(بما)** أي بالذي، **(أعيى البشر إحصاؤه)** يقال أعيى السير البعير إذا أكله والبشر محركة الإنسان ذكرا أو أنثى واحدا أو جمعا، والإحصاء العد، يقول قام النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الثقلين إلى توحيد الله تعالى حال كونه مقوا من الله تعالى بما أكل بني آدم عده **(من معجزات)** تبيين لما، **(كالمطر)** الغيث **(نفعا)** منصوب بنزع الخافض أي مثل الغيث فى الانتفاع والنفع إيصال الخير ودفع الضر **(وكثرة)** عطف على ما قبله **(وكالسراج نورا ورفعة)** السراج هنا الشمس والنور الضياء، والرفعة بكسر الراء العلو **(مع ابتهاج)** أي حسن وجمال ومراد الناظم تشبيه معجزات النبي صلى الله عليه وسلم بالمطر فى الكثرة والإنتفاع به، ولا شك أن الانتفاع بالمعجزة أعظم بكثير من الإنتفاع بالمطر بل لا مناسبة بينهما لأن المعجزة هي دليل صدق الرسول فهي سبب الإيمان به الذى يحصل به فى هذه الدار الأمان والعصمة للأموال والأبدان، وفى الآخرة النجاة من النيران والفوز بفراديس الجنان، ومحاسن الحور والولدان، بفضل الكريم المنان، وتشبيها أيضا بالشمس

فى الضياء والعلو والحسن، ولا شك أن معجزاته صلى الله عليه وسلم الدالة على صدقه أرفع من الشمس وأنور وأحسن منها وأظهر، وكيف لا ومنها وهو أعظمها القرآن الذى عجز عن معارضته جميع البلغاء والفصحاء مع كثرتهم كثرة رمال الدهناء وحصى البطحاء، وأقر جميع العقلاء بأنه أحسن من جميع الكلام وأنهم لم يقدروا على الإتيان بمثله فى نثر ولا نظام، والمعجزة فى الأصل اسم فاعل من الإعجاز وهي لفظ أطلق على الآية الدالة على صدق الرسول والتاء فيها للنقل من الوصفية إلى الإسمية أو للمبالغة كعلامة قاله اليوسي وهي أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد مدعي الرسالة مقارن لدعوى الرسالة، متحدى به قبل وقوعه، غير مكذب ولا يقدر أحد على معارضته، قال السنوسي وعبر بأمر دون فعل لشموله للفعل كنبع الماء وعدمه، كعدم إحراءق النار وخرّج بالخارق للعادة الموافق لها وبالجارى على يد مدعى الرسالة الكرامة، لأنها على يد مدعى الولاية واحترز به أيضا من أن يتخذ الكاذب معجزة نبي قبله معجزة له هو إذ لم تظهر على يده، واحترز بقوله متحدى به إلخ.. عن الخوارق الواقعة قبل البعثة إرهاصا بكسر الهمزة، أي تأسيسا للنبوءة مصدر أرهص الحائط، جعل له رهصا أي أساسا كما فى اليوسي وذلك كشق الصدر وإظلال الغمامة الواقعين له صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، وأصل التحدى طلب المعارضة، يقال تحديت فلانا إذا نازعته الغلبة، وأصله من المباراة فى الحداء وهو هنا كما قال السنوسي عبارة عن قول الرسول آية صدقى أن يكون كذا.. وليس من شرط التحدى أن يقول ولا ياتى أحد بمثل ما جئت به، لكن لابد من عدم صدور المعارضة ممن يبغيها، وقال الهيثمي أن قيد التحدى إنما يخرج ما قبل البعثة ولا يخرج المتأخر عنه ولا يخرجه عن المقارنة العرفية لأنه يلزم عليه إخراج أكثر معجزاته صلى الله عليه وسلم، كنطق الحصى ونبع الماء وحنين الجذع مع ان اصطلاح السلف ومنهم الإمام أحمد على إطلاق المعجزة على كل خارق ليس بسحر، اهـ كلامه.

ثم أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث دعا الناس إلى الإيمان فكان

أول الناس إيمانا خديجة كما مرّ وحكى ابن عبد البرّ والثعلبي والسهيلي عليه الاتفاق. وقال ابن الأثير لم يتقدمها رجل ولا إمرأة بإجماع المسلمين، فآمن بعدها صديق هذه الأمة أبو بكر واسمه عبد الله بن عثمان أبي قحافة، وكان أبو بكر يسمى أيضا عتيقا، إما لحسنه أو لسبقه إلى الإسلام، أو لأن النبي صلى الله عليه وسلم بشره بأن الله أعتقه من النار أو لأن أمه استقبلت به البيت وقالت اللهم إن هذا عتيقك من الموت، لأنه كان لا يعيش لها ولد وكونه أول من آمن بعدها قاله ابن عباس واستشهد بقول حسان رضي الله عن جميعهم:

إذا تذكرت شجوى من أخى ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها ... إلى النبي وأوفاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده ... وأول الناس قدما صدق الرسلا

ووافقهما على ذلك الأخنس بن شريق بفتح الشين المعجمة وكسر الراء فتحتية ساكنة واسم الأخنس أبي وهو ثقفي حليف لبني زهرة صحابي من مسلمة الفتح وشهد حنينا وأعطي مع المؤلفة وتوفي أول خلافة عمر، ذكره الطبري وابن شاهين، ووافقتهم أسماء بنت أبي بكر وإبراهيم النخعي وابن الماجشونَ وقيل أسلم قبله وبعد خديجة علي قاله أبو ذر وسلمان وجابر وأبو سعيد الخدري بضم المعجمة وقتادة وقطع به ابن اسحاق ومحمد بن كعب القرظي ومحمد بن مسلم الزهري وحكاه العراقي عن أكثر العلماء، وقال الحاكم لا أعلم فيه خلافا بين أصحاب التواريخ، قال والصحيح عند الجماعة أن أبا بكر أول من أسلم من الرجال البالغين ثم زيد بن حارثة ثم عثمان بن عفان والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله أسلموا بدعاء أبي بكر فجاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسلم أبو عبيدة بن الجراح وأبو سلمة والأرقم بن أبى الأرقم المخزوميان رضي الله عن جميعهم. ولبعضهم:

أول الناس بالنبي اقتداء ... أم أولاده الكرام الجدود
فعلي ثم ابن حارثة الكلـ ... ـبي زيد مولى النبي المجيد

ثم إذ آمن العتيق دعى النـــ ـــاس فجاءت عصابة كالفريد
وهي عثمان والزبير وسعد وابن عوف وطلحة بن عبيد

ثم دخل الناس في الإسلام أرسالا من الرجال والنساء حتى فشا ذكر الإسلام وتحدث به ثم ان الله تعالى أمر رسوله أن يصدع بما أمر به أي يظهره فصدع بما أمره به وكان إظهاره لأمره بعد ثلاث سنين من مبعثه فيما يقال، ومع ذلك لم يبعد عنه قومه ولم يردوا عليه بل كانوا إذا مرّ عليهم في مجالسهم يقولون هذا ابن عبد المطلب، يكلم من السماء واستمروا على ذلك حتى عاب آلهتهم وعبادتهم لها، وكان ذلك سنة أربع من النبوءة فأجمعوا على خلافه وصمموا على عداوته، إلا من عصم الله منهم بالإسلام، وحدب عليه بفتح الحاء وكسر الدال المهملتين أي عطف عليه عمه أبو طالب وقام دونه ومنعه منهم فاشتد الأمر بينهم حتى تضاربوا بالفعل كما جاء أن سعد بن أبي وقاص كان في نفر من قريش يصلون في بعض شعاب مكة فظهر عليهم نفر من المشركين فعابوا صنعهم حتى قاتلوهم فضرب سعد بن أبي وقاص رجلا منهم بلحي بعير فشجه فكان أول دم أريق في سبيل الله، وتذامرت قريش أي حض بعضهم بعضا على من أسلم منهم يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ومنع الله رسوله صلى الله عليه وسلم بعمه أبي طالب وبني هاشم ما عدى أبا لهب، وببني المطلب بن عبد مناف إذ طلب منهم أبو طالب ذلك، **(ومع ذا)** الذي رأوا منه صلى الله عليه وسلم من الآيات الدالة على صدقه، **(حاصره)** قال في القاموس حصره وحاصره حبسه وحصار العدو معروف اهـ. **(الفجار)** جمع فاجر وهو المنبعث في المعاصي يعني كفار من حاصره من قريش ولا معصية أعظم من الكفر **(كما أتت بذلك)** الحصار **(الأخبار)** أي الروايات، وسبب الحصار أنه لما رأت قريش عزة النبي صلى الله عليه وسلم بمن معه وبإسلام عمر بن الخطاب وعزة أصحابه بالحبشة وفشو الإسلام في القبائل قالوا قد أفسد أبناءنا ونساءنا وأجمعوا أن يقتلوه صلى الله عليه وسلم، فبلغ ذلك أبا طالب وبني هاشم وبني أخيه المطلب فأمرهم أبو طالب فأدخلوا رسول الله

صلى الله عليه وسلم في شعب بني هاشم وكان منزل بني هاشم غير مساكنهم وكان لهاشم فقسمه عبد المطلب بين بنيه حين ضعف بصره وصار للنبي صلى الله عليه وسلم فيه حظ أبيه ومنعوه صلى الله عليه وسلم حمية على عادة الجاهلية، فلما رأت قريش ذلك إئتمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب أن لا ينكحوا إليهم بفتح حرف المضارعة أي لا يتزوجوا منهم، فإلى بمعنى من ولا ينكحوهم بضمها أي لا يزوجوهم ولا يبيعوا منهم شيئا ولا يبتاعوا ولا يقبلوا منهم صلحا أبدا ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله للقتل وكتبوه في صحيفتهم بخط منصور بن عكرمة، قال ابن إسحاق فشلت يده على ما يزعمون، قال في النور والظاهر هلاكه على كفره، وقيل بخط بغيض بفتح الموحدة فمعجمتين بينهما تحتية ابن عامر ابن هاشم ابن عبد مناف ابن عبد الدار ابن قصي فشلت يده، والظاهر أنه لم يسلم وهو بغيض كاسمه، وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة وكان ذلك هلال المحرم سنة سبع من النبوءة وقيل سنة ثمان، وكان كتبها بخيف بني كنانة كما في الصحيح وهو المحصب فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعبهم مؤمنهم وكافرهم فالمؤمن دينا والكافر حمية إلا أبا لهب فكان مع قريش فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا قاله ابن إسحاق، وأو تحتمل الشك والإشارة إلى قول، وجزم موسى بن عقبة بأنها ثلاث سنين، وقال بن سعد سنتين حتى جهدوا لقطع الميرة عنهم وكان لا يصل شيئ إليهم إلا سرّا ولا يحجون إلا من موسم إلى موسم وكان يصلهم حكيم بن حزام وهشام بن عمرو العامري وهو أوصلهم لبني هاشم وكان أبو طالب مدة إقامتهم في الشعب يأمره صلى الله عليه وسلم فياتي فراشه كل ليلة حتى يراه من أراد به شرا أو غائلة، فإن نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوته أو بني عمه فاضجع على فراش المصطفى وأمره أن ياتي بعض فرشهم فيرقد عليها. ثم في السنة العاشرة أو التاسعة قام في نقض الصحيفة خمسة رجال وأشدهم في نقضها هشام بن عمرو بن الحارث العامري أسلم بعد ذلك رضي الله عنه

وكان يصلهم فى الشعب، أدخل عليهم فى ليلة ثلاثة أحمال طعاما، فعلمت قريش فكلموه فقال إنى غير عائد إلى شيء خالفكم، ثم عاد الثانية فأدخل عليهم حملا أو حملين فغالظته قريش وهمت به فقال أبو سفيان بن حرب دعوه رجل وصل أهل رحمه، أما أنى أحلف بالله لو فعل مثل ما فعل لكان أحسن بنا، فمشى هشام إلى زهير بن أبي أمية رضي الله تعالى عنه أسلم بعد، وأمه عاتكة بنت عبد المطلب فقال يا زهير أتاكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث قد علمت؟ فقال ويحك يا هشام ما أصنع، فإنما أنا رجل واحد!؟ والله لو كان معى رجل واحد لقمت فى نقضها. فقال أنا معك. فقال ابغنا ثالثا. ومشيا إلى المطعم بن عدي فقالا له أرضيت أن يهلك بطنان من بنى عبد مناف وأنت شاهد؟ فقال إنما أنا واحد. فقالا إنا معك. فقال ابغنا رابعا، فذهب إلى أبي البختري بن هشام فقال ابغنا خامسا، فذهب إلي زمعة بن الأسود فقعدوا ليلا بأعلى مكة وتعاقدوا على ذلك، فلما جلسوا فى الحجر تكلموا فى ذلك وانكروه، فقال أبو جهل هذا أمر قضي بليل، وفى آخر الأمر أخرجوا الصحيفة ومزقوها وأبطلوا حكمها وروي أنه عليه الصلاة والسلام أطلعه الله على أن الأرضة أكلت ما فيها من القطيعة والظلم فلم تدع إلا أسماء الله فقط، وروي أنها لم تدع إسما لله إلا أكلته وبقي ما عداه، قال البرهان وهو أثبت.

وعلى تقدير تساوى الروايتين يجمع بأنهم كتبوا نسختين فأبقت فى إحداهما ذكر الله وفى الأخرى ما عداه لئلا يجتمع اسم الله مع ظلمهم، وروي انه صلى الله عليه وسلم لما أخبر بذلك أبا طالب قال له أربك أخبرك بهذا قال نعم. فانطلق فى نفر من بنى هاشم والمطلب حتى أتوا المسجد فأنكر ذلك قريش وظنوا أنهم قد خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، فقال أبو طالب جرت بيننا أمور لم تذكر فى صحيفتكم فاتوا بها لعل أن يكون بيننا وبينكم صلح وإنما قال ذلك خشية أن ينظروها قبل أن ياتوا بها، فاتوا بها معجبين لا يشكون أنه صلى الله عليه وسلم يدفع إليهم فوضعوها بينهم وقالوا

لأبي طالب قد آن لكم أن ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى أنفسكم، فقال إنما أتيتكم لأمر هو نصف بيننا وبينكم، إن ابن أخى أخبرنى ولم يكذبنى إن الله بعث على صحيفتكم دابة فلم تترك لله اسما إلا لحسته وتركت فيها غدركم وتظاهركم علينا بالظلم فإن كان كما قال فأفيقوا. فلا والله لا نسلموه حتى نموت عن آخرنا وإن كان باطلا دفعناه إليكم فقتلتم أو استحييتم. فقالوا رضينا. فوجدوها كما قال صلى الله عليه وسلم، فقالوا هذا سحر ابن أخيك وزادهم ذلك بغيا وعدوانا. والجمع بين هذا وبين ما مرّ من سعي رجال فى نقضها أنهم لما جلسوا فى الحجر وتكلموا وافق قدوم أبى طالب وقومه بهذا الخبر، فزادهم رغبة فيما هم فيه انظر الزرقاني.

وروي أن أبا طالب لما رأى من قومه ما يسره من حدبهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يمدحهم ويذكر قديمهم ويذكر فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ويذكر مكانه ليشتد رأيهم فقال:

إذا اجتمعت يوما قريش لمفخر ... فعبد مناف سرها وصميمها
وإن حصلت أشراف عبد منافها ... ففي هاشم أشرافها وقديمها
وإن فخرت يوما فإن محمدا ... هو المصطفى من سرها وكريمها
تداعت قريش غثها وسمينها ... علينا فلم تظفر وطاشت حلومها
وكنا قديما لا نقر ظلامة ... إذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها
ونحمي حماها يوم كل كريهة ... ونضرب عن أحسابها من يرومها
بنا انتعش العود الذواء وإنما ... بأكنافنا تندى وتنمى أرومها

وروي أن قريشا لما علموا أنه لا يسلمه إليهم مشوا إليه بعمارة بن الوليد ليتخذه ولدا ويسلم إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه، فقال لهم والله لبئس ما تسومونني، أتعطونى ابنكم أغذوه لكم واعطيكم ابنى تقتلونه!؟ هذا والله ما لا يكون أبدا! وقال حين تروح الإبل فإن حنت ناقة إلى غير فصيلها دفعته إليكم وهذا تعليق لهم على ما لا يقع لأنها لا تحن إلى غيره مع كونها عجماء، فأولى أنا مع أنني ذو لب ومعرفة. وقال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد فى التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصحى ... ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا لا محالة أنه ... من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

قوله سرها السرّ لب كل شيء ومحض النسب أفضله والصميم الخالص والأروم بالفتح ويضم الأصل قاله فى القاموس، وقوله فاصدع أي أجهر بالشيء الذى أمرت بتبليغه والغضاضة بفتح الغين وضادين معجمات الذلة، وابشر بحذف الهمز للضرورة وأصله القطع نحو وأبشروا بالجنة، وقر إلخ.. من قرت عينه، سكنت وبردت، وعيونا تمييز ولغة نجد كسر القاف وبهما قرئ وقرى عينا ودعوتنى طلبت منى الدخول فى دينك، ولا محالة بفتح الميم لا حيلة، أو دفع، والسبة بضم السين العار، وقال أبو طالب لما رأى تمالؤ قريش عليهم:

ولما رأيت القوم لا ودّ فيهم ... وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد جاهرونا بالعداوة والأذى ... وقد طاوعوا أمر العدو المزائل
وقد حالفوا قوما علينا أظنة ... يعضون غيظا خلفنا بالأنامل
صبرت لهم نفسى بسمراء سمحة ... وأبيض عضب من تراث المقاول
وأحضرت عند البيت رهطى وإخوتى ... وأمسكت من أثوابه بالوصائل
قياما معا مستقبلين رتاجه ... لدى حيث يقضي حلفه كل نافل
وحيث ينيخ الأشعرون ركابهم ... بمفض السيول من أساف ونائل
موسمة الأعضاد أو قصراتها ... مخيسة بين السديس وبازل
ترى الودع فيها والرخام وزينة ... بأعناقها معقودة كالعثاكل
أعوذ برب الناس من كل طاعن ... علينا بسوء أو ملح بباطل
ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة ... ومن ملحق فى الدين ما لم نحاول
وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه ... وراق لبر فى حراء ونازل
وبالبيت حق البيت فى بطن مكة ... وبالله إن الله ليس بغافل
وبالحجر الأسود إذ يمسحونه ... إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل
وموطئ إبراهيم فى الصخر رطبة ... على قدميه حافيا غير ناعل

ومن حج بيت الله من كل راكب ... ومن كل ذي نذر ومن كل راجل
وبالجمرة الكبرى إذا صمدوا لها ... يؤمون قذفا رأسها بالجنادل
كذبتم وبيت الله، نبزى محمدا ... ولما نقاتل دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل
وينهض قوم في الحديد إليكم ... نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل
وما ترك قومي لا أبا لك سيدا ... يحوط الذمار غير ذرب مواكل
وأبيض يستقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده في نعمة وفواضل
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا ... عقوبة شر عاجلا غير آجل
ونحن الصميم من ذؤابة هاشم ... وآل قصي في الخطوب الأوائل
فعبد مناف أنتمُ خير قومكم ... فلا تشركوا في أمركم كل واغل
لعمري لقد وهنتموا وعجزتموا ... وجئتم بأمر مخطئ للمفاصل

قال الزرقاني وما أحلى قوله في آخرها:

لعمري لقد كلفت وجدا بأحمد ... وأحببته دأب المحب المواصل
فمن مثله في الناس أي مؤمل ... إذا قاسه الحكام عند التفاصل
حليم رشيد عاقل غير طائش ... يوالي إلها ليس عنه بغافل
فوالله لولا أن أجيء بسبة ... تجر على أشياخنا في المحافل
لكنا اتبعناه على كل حالة ... من الدهر جدا غير قول التهازل
لقد علموا أن ابننا لا مكذب ... لدينا ولا يعنى بقول الأباطل
فأصبح فينا أحمد في أرومة ... تقصر عنها صورة المتطاول
حدبت بنفسي دونه وحميته ... ودافعت عنه بالذرى والكلاكل

العرى: العهود، والوسائل: القرابات، والمزائل: المفارق، والواغل: الضعيف النذل، والمدعي نسبا: كاذبا والداخل على القوم، والملح: اسم فاعل من ألح إذا واظب، وثور بمثلة مفتوحة جبل وثبير بفتح المثلثة فموحدة مكسورة فتحتية فراء، والراقي: الصاعد، والبر بكسر الموحدة الطاعة، وهذه النسخة هي الصواب. وأما رواية ابن هشام ليرقى من

الرقي فقال السهيلي هو وهم منه أو من شيخه، وفي الشامية انه تصحيف ضعيف المعنى، فمعلوم أن الراقي يرقى ونبزى بضم النون وسكون الموحدة وفتح الزاء أي نقهر ونسلب، ومحمدا بالنصب كذا ضبطه الشامي لكن في النهاية أنه بالتحتية بدل النون ورفع محمد على أنه نائب فاعل يبزى أي لا يبزى أي لا يقهر، فحذف لا من جواب القسم، ونناضل نجادل ونخاصم، وقال الشامي ترامي بالسهام والذمار والذمار بكسر الذال المعجمة ما يحق على الإنسان حمايته، والذرب بذال معجمة وموحدة على زنة كتف سكنت راؤه تخفيفا وهو الحاد والمواكل المتكل على غيره، وقوله وأبيض مجرور برب كما صدّر به الحافظ كالكرماني والسيوطي وجزم به في المغني أو منصوب قال الحافظ بإضمار أعني وأخص، قال والراجح أنه بالنصب معطوف على سيد المنصوب في البيت قبله اهـ.. وبه قطع الدماميني في مصابيحه واستظهره في شرح المغني. أو، مرفوع خبر مبتدء محذوف وقاله الكرماني وأفاده القسطلاني عن ضبط اليونيفي في نسخته من البخاري، ويستسقى إلخ.. أي يطلب السقي من الغمام بوجهه، أي يتوسل إلى الله به، وقوله يلوذ به إلخ.. أي وإذا التجأ بنو هاشم فغيرهم أولى، والفواضل الأيادي الجسيمة أو الجميلة وعطفه على النعمة عطف خاص على عام لشمول النعمة للعظيمة والدقيقة، والثمال بكسر المثلثة وتخفيف الميم الملجأ والغياث وقيل المطعم في الشدة وتصح إرادتهما معا، وعصمة للأرامل أي يمنعهم من الضياع، والأرامل المساكين من رجال ونساء وهذه القصيدة قال القسطلاني في شرح البخاري عدة أبياتها مائة بيت وعشرة أبيات وفي المزهري زاد الناس في قصيدة أبي طالب هذه بحيث لا يدرى أين منتهاها اهـ من الزرقاني.

وفي الجوهري أبزا فلان بفلان: قهره وغلبه. وحدبت بكسر الدال أي عطفت، قاله في محل آخر، اهـ. والسمراء الرمح، والسمحة اللينة، والعضب : القاطع، والمقاول: جمع مقول كمنبر، وهو من ينفذ قوله، والرتاج: ككتاب الباب، وأساف: كسحاب وكتاب صنم وضعه عمرو بن

لحي على الصفا ونائلة صنم على المروة ورخمه هنا، والقصرات: جمع قصرة بالتحريك وهي أصل العنق، والمخيسة: المذللة، والودع: ويحرك خرز بيض تخرج من البحر شقها كشق النواة تعلق لدفع العين والرخام: كغراب حجر أبيض رخو والعثاكل جمع عثكول أو عثكولة بضمهما أو عثكال كقرطاس وهو العنق أو الشمراخ، والكاشح العدو لأنه يضمر عداوته فى كشحه، وقوله وبالحجر الأسود فيه حذف نون مفاعيل مثل ألا رب يوم لك منهن صالح، وصمدوا لها: قصدوها، والطائش: خفيف العقل، والسبة: بضم السين العار، والأرومة: وتضم الأصل، والسورة: بفتح السين الارتفاع، والمتطاول: المرتفع، والكلاكل: الصدر، قاله جامعه غفر الله له.

ثم أشار الناظم رحمه الله تعالى إلى عظيم حلمه مع قومه صلى الله عليه وسلم مع شدة إيذائهم له فقال:

(وكان قادرا على التدمير لو شاء لكن جاد بالتأخير
حتى هدى الله به من شاء منهم ومن أصلابهم أبناء)

التدمير: الإهلاك. يعنى أنه صلى الله عليه وسلم لم يواخذ قومه فى تكذيبهم له وحصارهم له وقطيعتهم وإيذائهم له ولأصحابه مع أنه أعطاه الله القدرة على إهلاكهم واستئصالهم أول مرة، لكنه صلى الله عليه وسلم لشدة حلمه ورأفته بهم وشفقته عليهم أخر الدعاء عليهم حتى آمن منهم من أراد الله إيمانه وآمن من أراد إيمانهم ممن خرج من أصلابهم فضمير شاء لله تعالى أي أراد، وضمير به للنبي صلى الله عليه وسلم وأشار بهذا إلى ما رواه الشيخان أنه صلى الله عليه وسلم لمّا كذبه قريش أتاه جبريل أي تسلية له وتسكينا لتألمه فقال له إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوه عليك وقد أمر ملك الجبال أي بالانقياد لك لتأمره بما شئت فيهم، فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شئت أي فى قومك إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم، بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا. وقوله أطبق بضم الهمزة وكسر الموحدة أي أوقع

وأرمي وجواب الشرط محذوف أي فعلت، وفى أصل الدلجي أطبقت لكنه مخالف للنسخ المصححة والأخشبان بخاء وشين معجمتين فموحدة تثنية الأخشب وهو الجبل الخشن، قيل وهما أبو قبيس وقعيقعان، أو الجبل الأحمر الذي أشرف على قعيقعان، وعن ابن وهب هما جبلان تحتهما عقبة منى فوق المسجد، وقوله لا يشرك به شيئا كالمؤكد لما قبله، وقد أمضى الله سبحانه وتعالى رجاءه فكأنه صلى الله عليه وسلم دعا لهم بالخير اهـ من ابن سلطان.

وفي الشفا أيضا وروى ابن المنكدر أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله أمر السماء والأرض والجبال أن تطيعك فامرها بما شئت، فقال أوخر عن أمتى لعل الله أن يتوب عليهم، وقوله أوخر عن أمتي أي العذاب الذى استحقوه بكفرهم. ولما كسرت رباعيته وشج وجهه صلى الله عليه وسلم يوم أحد شق ذلك على أصحابه وقالوا لو دعوت عليهم، فقال إنى لم أبعث لعانا ولكنى بعثت داعيا ورحمة، اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون. وروي أن عمر بن الخطاب قال له بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال: {رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا} ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا: اللهم أغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

قال القاضى أبو الفضل رحمه الله أنظر ما فى هذا القول من جماع الفضائل وحسن الخلق وغاية الصبر والحلم إذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفا عنهم ثم رحمهم ودعا وشفع لهم فقال اللهم أغفر أو اهد، ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله عليه السلام: لقومى، ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال: فإنهم لا يعلمون اهـ.

قال ابن سلطان وليس المراد بقومه قريش وحدهم كما توهمه الدلجي وقال كل ذلك لكونهم رحمه إذ ما من بيت إلا وله قرابة بل لكونه رحمة للعالمين فالمراد بقومه جميع أمته ورباعية بفتح الراء بوزن ثمانية وهي بين الثنية والناب وفى سيرة ابن هشام أنها ثنيته السفلى

اليمنى وجارح شفته السفلى وكاسرها، والعياذ بالله تعالى، عتبة بن أبى وقاص فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم قال السهيلي ولم يولد من نسله ولد فيبلغ الحلم إلا وهو أبخر أو اهتم فعرف ذلك فى عقبه اهـ.

والصحيح أنه لم يسلم وعده ابن منده فى الصحابة وأنكر ذلك أبو نعيم وفى المستدرك أنه لما فعل عتبة ما فعل جاء حاطب بن أبى بلتعة فقال يا رسول الله من فعل بك هذا؟ فأشار إلى عتبة فتبعه حاطب حتى قتله والذى جرح وجنته فى سيرة ابن هشام انه ابن قميئة لعنه الله. قال يعقوب بن عاصم فسلط الله عليه كبشا فنطحه فقتله أو فألقاه من شاهق فمات. اهـ.

وروي ان الذي شج وجهه الشريف عبد الله بن شهاب الزهري وأسلم بعد ذلك اهـ من ابن سلطان.

(ثم أعز) الله بالنبي صلى الله عليه وسلم **(دينه)** الذي هو الإسلام أي قواه غاية التقوية **(ونصره)** أي أعانه ضمير الفاعل لله تعالى والمنصوب للنبي صلى الله عليه وسلم **(وأيد)** هو أي الله تعالى أي قوى الدين **(الحق)** أي الثابت فى نفس الأمر وهو الإسلام **(به)** أي بالنبي صلى الله عليه وسلم **(وأظهره)** أي أعلاه على سائر الأديان كلها **(وأبطل)** أي أذهب **(الباطل)** وهو الكفر بهذا، فسروا قوله تعالى ويبطل الباطل **(والأعداء كبتا)** قوله الأعداءا مفعول بفعل محذوف ناصب للمصدر الذى هو كبتا أي وكبت الأعداء كبتا والأعداء الكفار وكبت العدو كضرب رده بغيظه وأذله كما فى القاموس **(وخزيا)** الخزي بالكسر الفضيحة وهو منصوب بمحذوف أي أخزاهم خزيا أي فضحهم ويقال أيضا خزاه خزوا بالواو قهره كما فى القاموس **(لهم جزاء)** قوله جزاء مفعول مطلق أو مفعول لأجله ولهم متعلق به أي وكبت الأعداء وأخزاهم لأجل المجازاة أي المكافأة لهم على فعلهم وهو الكفر.

(وأمد الحصار فى الشعب على حولين أربى لا ثلاثا وصلا)

قوله أمد مبتدء وخبره قوله أربى والأمد، هنا، الزمان فهو كقوله

تعالى: {فطال عليهم الأمد} قال الخازن أي الزمان، ونحوه للنسفي والشعب بالكسر الطريق فى الجبل أو ما انفرج بين الجبلين يعنى أن زمن حصار قريش لبنى هاشم يزيد على سنتين ولا يبلغ ثلاث سنين على ما للناظم والذى فى المواهب وشرحها أنهم قاموا على حصاره سنتين أو ثلاثا على ما قاله ابن إسحاق، قال الزرقاني وأو يحتمل الشك والإشارة إلى قول وجزم موسى بن عقبة بأن مدته ثلاث سنين وقال ابن سعد إنها سنتان اهـ..

(وعندما انقضى الحصار عمره تسعا وأربعين كان قدره)

يعنى أن عمره صلى الله عليه وسلم وقت خروجهم من الشعب الذى كانوا فيه زمن الحصار تسع وأربعون سنة وفى الإستيعاب خرجوا من الشعب فى أول سنة خمسين وتوفي أبو طالب بعد خروجهم بستة أشهر انتهى.

وفي المواهب وكان ذلك يعنى انقضاء الحصار في السنة العاشرة قال الزرقاني من النبوءة بناء على ما صدّر به فيما مرّ أن إقامتهم بالشعب ثلاث سنين، أما على قول ابن سعد سنتين فيكون فى التاسعة والله أعلم اهـ كلامه.

وفي المواهب ولما أتت عليه صلى الله عليه وسلم تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوما مات عمه أبو طالب وقيل مات فى شوال من السنة العاشرة انتهي.

وقوله مات عمه أبو طالب أي بعد خروجهم من الشعب فى ثاني عشر رمضان سنة عشر من النبوءة وقوله وقيل مات أي بعد ذلك بقليل فى شوال فقوله من السنة العاشرة متعلق بكل من القولين. وفى سيرة الحلبي أنه مات فى السنة العاشرة بعد خروجهم من الشعب بثمانية أشهر وعشرين يوما انظر الزرقاني ثم أن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات عمه أبو طالب وخديجة رضي الله عنها خرج إلى الطائف يلتمس النصر من ثقيف لما ناله من قريش بعد موت عمه أبى طالب وكان معه زيد بن حارثة فأقام به شهرا ولابن سعد عشرة أيام وجمع بأن

العشرة فى نفس الطائف والعشرين فيما حولها يدعو أشراف ثقيف إلى الله، فلم يجيبوه وخافوا على أحداثهم منه فقالوا يا محمد اخرج من بلدنا والحق بمحابك من أرضك وأغرو به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه والعياذ بالله تعالى، وقعدوا صفين على طريقه فلما مرّ بين صفيهم جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة حتى اختضبت نعلاه بالدماء وكان صلى الله عليه وسلم إذا أزلقته بمعجمة وقاف أي آلمته الحجارة قعد فيأخذون بعضديه فيقيمونه لئلا يخف تعبه وليتمكنوا من رميه فى المراق والمفاصل لأن ألمها أشد فإذا مشى رجموه وهم يضحكون وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى شج زيد شجاجا فى رأسه.
وفى الصحيحين أن عائشة قالت له صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من أحد؟ قال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق ما أنا فيه إلا وأنا بقرن الثعالب فعرفت نفسى وإذا أنا بسحابة قد أظلتنى فنظرت إليها فإذا فيها جبريل فنادانى فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا به عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فنادانى ملك الجبال فسلم عليّ ثم قال يا محمد إن الله قد سمع قول قومك وما ردوه عليك وأنا ملك الجبال وقد بعثنى إليك ربك لتامرنى بأمرك إن شئت أطبق عليهم الأخشبين. قال النبي صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا شريك له.

قوله لقيت من قومك: سقط المفعول فى رواية مسلم وثبت فى البخاري بلفظ لقيت من قومك ما لقيت وأبهمه تعظيما وقوله أشد بالرفع أو بالنصب واسم كان عائد على مقدر هو مفعول لقد لقيت، وقوله ما لقيت منهم أي من قومك قريش، إذ كانوا سببا لذهابى إلى ثقيف فهو من إضافة الشيء إلى سببه فلا يرد أن ثقيفا ليسوا من قومها والعقبة قال شيخنا لعل المراد بها هنا موضع مخصوص اجتمع فيه مع عبدياليل وقوله ابن عبد ياليل ابن عبد كلال كذا فى الحديث

والذى ذكره أهل المغازى أن الذي كلمه صلى الله عليه وسلم عبد ياليل نفسه وعند أهل النسب أن عبد كلال أخوه لا أبوه قاله الحافظ وغيره، وعبد ياليل بتحتية بعدها ألف ثم لام مكسورة ثم تحتية ساكنة ثم لام بوزن هابيل قال ابن حبان له صحبة وقال غيره إنما هو ولده مسعود آختلف فيه وعبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمرو بن عوف وهم سادة ثقيف ومسعود وحبيب أسلما بعد وصحبا كما جزم به في الإصابة وكلال بضم الكاف وتخفيف اللام آخره لام بعد ألف وقرن الثعالب جبل هو ميقات أهل نجد انظر الزرقاني.

ولما انصرف عليه السلام عن أهل الطائف مرّ فى طريقه بعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما فى حائط لهما من بساتين الطائف فلما رأيا ما لقي عليه السلام تحركت رحمهما فبعثا له قطف عنب مع غلامهما عدّاس، بفتح العين وشد الدال فألف فسين مهملات، النصراني، فلما وضع صلى الله عليه وسلم يده فى القطف قال بسم الله ثم أكل فنظر عدّاس إلى وجهه ثم قال والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة، فقال له صلى الله عليه وسلم من أي البلاد أنت وما دينك؟ قال نصراني من نينوى، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من قرية الرجل الصالح يونس بن متى. فقال عدّاس وما يدريك ما يونس بن متى؟ قال ذلك أخي وهو نبي مثلي، فأكب عدّاس على رأسه ويديه ورجليه يقبلهما وأسلم رضي الله عنه، فلما جاء لابني ربيعة قالا له ويلك ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه ورجليه؟ فقال يا سيديّ بشد الياء مثنى ما فى الأرض شيء خير من هذا لقد أعلمني بأمر لا يعلمه إلا نبي قالا له ويحك لا يصرفك عن دينك فإنه خير من دينه. والقطف بكسر القاف العنقود ونينوى بكسر النون وسكون التحتية فنون مفتوحة على الأشهر وروي بضمها فواو مفتوحة فألف قال ياقوت ممالة، ومتى بفتح الميم وشد الفوقية مقصور اسم أبيه وفى تفسير عبد الرزاق انه اسم أمه ورده الحافظ اهـ من المواهب وشرحها.

وإنما ذكرت هذه القصة هنا لأن قصة الجن التى ذكر المؤلف كانت فى

منصرفه من الطائف سنة عشر وهو صلى الله عليه وسلم ابن خمسين سنة كما قال:

(وبعدما أكمل خمسين سنه جن نصيبين أتته مذعنه)

قوله جن مبتدأ ونصيبين بنون مفتوحة وصاد مهملة مكسورة فتحتية ساكنة فموحدة مكسورة فتحية ساكنة أيضا فنون: بلد مشهور ويجوز صرفه وتركه. وفي خبر أن جبريل رفعها للنبي صلى الله عليه وسلم ورآها قال فسألت الله أن يعذب ماؤها ويطيب ثمارها ويكثر مطرها وهي في الجزيرة كما في مسلم ووهم من قال باليمن، قاله الزرقاني وخبر المبتدء قوله أتته ومذعنه بضم الميم وسكون الذال المعجمة وكسر العين فنون فهاء تأنيث حال اسم فاعل من أذعن له أي خضع وانقاد وأقر وأسرع في الطاعة كما في القاموس وقوله بعد معمول لأتته يعني أنه صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الطائف نزل نخلة وهو موضع على ليلة من مكة فجاءه سبعة من جن نصيبين خاضعين له مقرين برسالته مسرعين في طاعته وذلك بعدما أتم صلى الله عليه وسلم خمسين سنة فوجدوه يصلي في جوف الليل فاستمعوا له وهو يقرأ سورة الجن وقيل إقرأ وقيل الرحمن وجمع لأن إقرأ في الأولى والرحمن في الثانية والجن في الثالثة وكونهم سبعة هو الذي رواه الحاكم في المستدرك وابن أبي شيبة وأحمد بن منيع وإسناده جيد واسم أحدهم زوبعة وقيل كانوا تسعة وفي تفسير عبد بن حميد أن الجن من نينوى وقيل ثلاثة من نجران وأربعة من نصيبين وعن عكرمة أنهم كانوا اثني عشر ألفا من جزيرة الموصل وهؤلاء الوفد هم المذكورون بقوله تعالى: {وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن} (الآية)، وسمى السهيلي في الروض عن ابن دريد منهم منشا بميم فنون فشين معجمة وناشئا ونون وشاصر بشين معجمة فألف فصاد فراء، وماضر بميم فألف فمعجمة والأحقب وذكر السهيلي أن واحدا منهم سرق وفي الإصابة أنه بضم السين وفتح الراء المشددة المهملتين وقاف، قال وضبطه العسكري بتخفيف الراء على وزن عمر وأنكر شدّ الراء وعن ابن عباس أنهم

تسعة سليط وشاصر وماضر وحسا ونسا وبجعم والأرقم والأدرس وخاصر وضبط فى الإصابة خاضرا بخاء وضاد معجمتين وآخره راء. اهـ.

وفي التجريد أن حديث هامة بن الهيم بن الأريقيس بن إبليس فى الجنة موضوع وروى ابن حبّان والحاكم مرفوعا الجن على ثلاثة أصناف: صنف لهم أجنحة يطيرون فى الهواء وصنف حياة وعقارب وصنف يحلون ويظعنون اهـ.

وعن ابن عباس كان الجن يستمعون الوحي فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرا فيكون ما سمعوه حقا وما زادوه باطلا وكانت النجوم لا يرمى بها قبل المبعث النبوي فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحدهم لا يأتي مقعده إلا رمى بشهاب يحرق ما أصابه منه فشكوا ذلك إلى إبليس فقال ما هذا إلا من أمر قد حدث فبث جنوده، وفى الصحيحين فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فمن النفر جماعة أخذوا نحو تهامة فإذا هم بالنبي صلى الله عليه وسلم يصلي بين جبلي نخلة فأخبروه أي إبليس فقال هذا الحدث الذى حدث فى الأرض قال فى المواهب وحديث ابن عباس وحديث ابن مسعود هذا يقتضى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشعر بحضورهم فى هذه المرة وبهذا جزم الدمياطي ثم بعد ذلك وفدوا عليه أرسالا فوجا بعد فوج اهـ.

قال الزرقاني عقبه كما تفيده الأحاديث ففى حديث أنهم كانوا على ستين راحلة وآخر ثلاث مائة وآخر خمسة عشر، وعن عكرمة اثني عشر ألفا فهذا الإختلاف دليل على تكرر وفادتهم عليه فالمتحصل من الأخبار أنهم وفدوا عليه لما خرجوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها لاستكشاف الخبر عن حراسة السماء بالشهب فوافوه صلى الله عليه وسلم بنخلة عامدا سوق عكاظ يصلى بأصحابه الفجر فسمعوا القرآن وقالوا هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم فقالوا يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا. فأنزل الله قل أوحي إليّ وما قرأ عليهم وما رآهم كما قاله ابن عباس فى الصحيحين وغيرهما وأخرى بنخلة

وهو عائد من الطائف، وأخرى بالحجون، وفى لفظ بأعلى مكة بالجبال لما أتاه داعي الجن فذهب معه وقرأ عليهم القرآن ورجع لأصحابه من جهة حراء وأخرى ببقيع الغرقد، وفى هاتين حضر ابن مسعود وخط عليه خطا بأمر المصطفى وأخرى خارج المدينة وحضرها الزبير وأخرى فى بعض أسفاره وحضرها بلال بن الحارث، وبهذا لا يبقي تعارض بين الأحاديث ويحصل الجمع بين نفي ابن عباس رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لهم وبينما أثبته غيره من رؤيته لهم والله أعلم ولا يشكل ما مرّ من حراسة الشهب عند المبعث بما روي من أن السماء حرست بمولده صلى الله عليه وسلم لجواز أن يبقي لهم بعض قدرة الإستماع كاللصّ فلما بعث زال ذلك بل قال السهيلي إنه بقي منه بقايا يسيرة بدليل وجوده نادرا فى بعض الأزمنة وبعض البلاد وقال البيضاوي لعل المراد منعهم من كثرة وقوعه انتهي من الزرقاني فى موضوعين.

وقوله يصلى الفجر، ولا يعارضه ما ذكر ابن إسحاق من أنه كان يصلي فى جوف الليل لأن الأول كان قبل عند المبعث لما منعوا من استراق السمع، نعم وقع لمن ساق القصة التى هنا وهو يصلي الفجر فإن صح فيكون أطلق على الفجر جوف الليل لاتصاله به أو ابتداء الصلاة فى الجوف فاستمر حتى دخل الفجر، والمراد بالفجر الركعتان اللتان كان يصليهما قبل طلوع الشمس فسقط اعتراض البرهان بأن صلاة الفجر لم تكن فرضت اهـ.

وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم أعلمته بهم سمرة وهي بفتح السين وضم الميم شجرة من شجر الطلح وفى الصحيح أنهم سألوه الزاد أي ما يفضل من طعام الإنس فقال: كل عظم ذكر اسم الله عليه هو زادكم يقع فى يد أحدكم أوفر ما كان لحما، ولأبى داوود كل عظم لم يذكر اسم الله عليه، وجمع بينهما بأن رواية مسلم فى حق المؤمنين وهذه فى حق شياطينهم، قال السهيلي وهو صحيح تعضده الأحاديث، وكل بعر علف لدوابكم، زاد ابن سلام فى تفسيره إن البعر يعود خضرا، وسؤالهم الزاد كان فى قصة أخرى كما قال الدمياطي لا فى رجوعه من الطائف إذ

لم يشعر بهم صلى الله عليه وسلم حين استمعوه وفى هذا ردّ على من زعم أن الجن لا تأكل ولا تشرب، قال ابن العربي من نفى عن الجن الشرب والأكل فقد وقع فى إلحاد وعدم رشاد، بل الشيطان وجميع الجن يأكلون ويشربون وينكحون ويولد لهم وذلك جائز عقلا، وتظافرت به الأحاديث فلا يخرج عن هذا إلا حمار، ومن زعم أن أكلهم شم فما شم رائحة العلم اهـ من المواهب وشرحها.

وقال المحلي فى تفسير وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن جن نصيبين أو جن نينوى وكانوا سبعة أو تسعة وكان صلى الله عليه وسلم ببطن نخلة يصلي بأصحابه الفجر، رواه الشيخان وقال الثعالبي اختلف الرواة هل هؤلاء الجن هم الوفد أو المتجسسون والتحرير فى هذا ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءه نفر من الجن دون أن يشعر بهم وهم المتجسسون المتفرقون من أجل رمي الشهب الذى حل بهم وهؤلاء هم المرادون بقوله قل أوحي إلي ثم بعد ذلك وفد عليه وفدهم حسب ما ورد من الآثار اهـ.

وفي الخازن بعد كلام طويل: وروي ان الجن لما رموا بالشهب بعث إبليس سرياه ليعرف الخبر فكان أول بعث بعث من أهل نصيبين وهم أشراف الجن وساداتهم، فبعثهم إلى تهامة ثم قال وقال جماعة بل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينذر الجن ويدعوهم إلى الله ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله عزّ وجلّ نفرا من الجن وهم أهل نينوى وجمعهم له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنى أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فأيكم يتبعني؟ فأطرقوا، ثم استتبعهم فأطرقوا، ثم استتبعهم الثالثة فتبعه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال ابن مسعود ولم يحضر معه أحد غيرى، قال فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة دخل نبي الله صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط لى خطا ثم أمرنى أن أجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى أعود إليك، فانطلق حتى قام عليهم فافتتح القرآن فجعلت أرى أمثال النسور تهوى وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على نبي الله صلى الله عليه وسلم

وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى لم أسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ النبي صلى الله عليه وسلم منهم مع الفجر، فانطلق إلي فقال لي نمت فقلت لا. والله يا رسول الله لقد هممت مرارا أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول لهم اجلسوا، فقال لو خرجت لم آمن عليك أن يتخطفك بعضهم، اهـ. المراد منه.

وفي الخازن أيضا قالوا وفى الجن ملل كثيرة مثل الإنس ففيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأصنام وفى مسلمهم مبتدعة ومنهم من يقول بالقدر وخلق القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع اهـ.

نقله الوالد حفظه الله تعالى فى الريان ثم أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطائف جلس فى ظل حبلة بمهملة فموحدة مفتوحة قال السهيلي وسكونها ليس بالمعروف اشتق لها اسمها من الحبل لأنها تحبل بالعنب والحبلة الكرمة فلما اطمأن صلى الله عليه وسلم فى ظلها دعا بالدعاء المشهور المعروف بدعاء الطائف كما نقله العلامة الزرقاني وها أنا أذكره إن شاء الله تعالى تبركا به ممزوجا ببعض كلام الزرقاني عليه وهو: اللهم إليك أشكو ضعف قوتى بضم الضاد أرجح من فتحها وقلة حيلتى فى مخلص أتوصل به إلى القيام بما كلفتنى وهوانى على الناس احتقارهم لى واستخفافهم بشأنى، والشكوى إليه عزّ وجلّ لا تنافي أمره بالصبر فى التنزيل لأن إعراضه عن الشكوى لغيره وجعلها له هو الصبر، والله تعالى يمقت من يشكوه إلى خلقه ويحب من يشكو ما به إليه، يا أرحم الراحمين أنت أرحم الراحمين، وصف له تعالى بغاية الرحمة بعدما ذكر لنفسه ما يوجبها، وأنت رب المستضعفين، فى ذكر لفظ رب والإضافة إليهم مزيد استعطاف فطوى فى هذه الألفاظ نحو أن يقول فقونى واجعل لى المخلص وأعزنى فى الناس وعدل إلي الثناء لأن الكريم بالثناء يعطى المرام ولا أكرم منه سبحانه وتعالى، إلى من تكلنى؟ إلى عدو بعيد؟ وسقط لفظ بعيد فى رواية الطبراني، يتجهمنى، بتحتية ففوقية فجيم فهاء مشددة مفتوحات أي يلقاني

بالغلظة والوجه الكريه، ومن المجاز الدهر يتجهم الكرام، والاستفهام للاستعطاف بحذف الأداة أي أ تكلني إلى عدو بعيد أم إلى صديق قريب ملكته أمرى، جعلته مسلطا على إيذائي؟ أي لا تجعل لي ذلك إن لم تكن غضبانا علي فلا أبالي بما تصنع بي أعدائي، غير أن عافيتك هي السلامة من البلايا والأسقام، أوسع لي فيه، إن الدعاء بالعافية مطلوب، وهكذا عادة الأنبياء إنما يسألون بعد البلاء عنهم، أعوذ بنور وجهك أي ذاتك زاد الطبراني الكريم أي الشريف النافع الدائم نفعه الذى أضاءت له السماوات والأرض وأشرقت بالبناء للفاعل أي أضاءت له الظلمات أي أزيلت وصلح بفتح اللام وتضم استقام عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك أو يحل بكسر الحاء وضمها بي سخطك ولك العتبى بضم العين وألف مقصورة أي أطلب رضاك حتى ترضى فى النهاية، استعتب: طلب أن يرضى عنه، ولا حول ولا قوة إلا بك اهـ.

ثم دخل صلى الله عليه وسلم مكة فى جوار المطعم بن عدي بعد أن أقام بنخلة أياما وقال له زيد بن حارثة: كيف تدخل عليهم وهم قد أخرجوك؟ فقال يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا، وإن الله مظهر دينه وناصر نبيه، ثم انتهى إلى حراءء وبعث عبد الله بن الأريقط إلى الأخنس بن شريف ليجيره، فقال أنا حليف والحليف لا يجير، فبعث إلى سهيل بن عمرو فقال إنا بني عامر لا نجير على بني كعب، فبعث إلى المطعم بن عدي فأجابه فدخل صلى الله عليه وسلم فبات عنده، فلما أصبح تسلح هو وبنوه وهم ستة أو سبعة فقالوا له صلى الله عليه وسلم طف واحتبوا بحمائل سيوفهم بالمطاف فقال أبو سفيان للمطعم أمجير أم تابع، قال بل مجير، قال إذا لا تخفر قد أجرنا من أجرت، فقضى صلى الله عليه وسلم طوافه وانصرفوا معه إلى منزله.

(وبعد واحد مع الخمسينا وأشهر مضت له يقينا
شرفه الرحمن بالإسراء وبعروجه إلى السماء)

يعني أنه صلى الله عليه وسلم لما مضت من عمره المبارك إحدى

وخمسون سنة وأشهر هي تسعة على ما لليعمري شرفه الله تعالى بالإسراء به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس، وصلى فيه بالنبيئين إماما لهم ثم عرج به إلى السماء فأم الأنبياء أيضا كما في الشفاء ثم ارتقى حتى جاوز سدرة المنتهى وبلغ إلى موضع لم يطأه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولما وصل معه جبريل سدرة المنتهى قال له ها أنت وربك هذا مقامي لا أتعداه. وقوله هذا مقامي بفتح الميم أي موضعي المشار إليه بقوله تعالى: {وما منا إلا له مقام معلوم} وهو سدرة المنتهى التي لم يتجاوزها أحد إلا نبينا صلى الله عليه وسلم، قاله النووي، قاله الزرقاني وما ذكره الناظم ذكره ابن سلطان في آخر ما ذكر من الأقوال مضعفا له فإنه قال بعد قول الشفا وقد قال غير واحد إنها، يعني قصة الإسراء كانت قبل الهجرة بسنة ما نصه، ذكر النووي أن معظم السلف وجمهور المحدثين والفقهاء على أن الإسراء كان بعد البعثة بستة عشر شهرا وقال السبكي الذي نختاره ما قاله شيخنا أبو محمد الدمياطي أنه قبل الهجرة بسنة وهو في ربيع الأول اهـ.

وروى السيد جمال الدين أنه كان في سبعة وعشرين من رجب على وفق ما هم عليه في الحرمين الشريفين من العمل، وقيل في ربيع الآخر، وقيل في رمضان، وقيل في شوال، وقيل في ذي الحجة، لأن كان ابن احدى وخمسين سنة وتسعة أشهر وعشرين يوما اهـ. منه.

وقال القاضي أبو الفضل عياض في الشفا: لا خلاف بين أئمة المسلمين في صحة الإسراء به، عليه السلام، إذ هو نص القرآن، قال تعالى: {سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى} وقال: {والنجم إذا هوى} إلى قوله {لقد رأى من آيات ربه الكبرى}، وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه وخواص نبينا محمد عليه السلام فيه أحاديث كثيرة رأينا أن نقدم أكملها ونشير إلى زيادة من غيره يجب ذكرها ثم ذكر حديث مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أوتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه، قال فركبته حتى أتيت بيت

المقدس فربطته بالحلقة التى يربط بها الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءنى جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام اخترت الفطرة، ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت؟ قال جبريل. قيل من معك؟ قال محمد. قيل أوقد بعث إليه؟ قال بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بآدم صلى الله عليه وسلم فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من أنت؟ قال جبريل. قيل ومن معك؟ قال محمد، قيل أوقد بعث إليه؟ قال قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكرياء عليهما السلام، فرحبا بى ودعوا لى بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فذكر مثل الأول ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف صلى الله عليه وسلم وإذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لى بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة وذكر مثله فإذا أنا بإدريس صلى الله عليه وسلم فرحب بى ودعا لى بخير، قال الله تعالى: {ورفعناه مكانا عليا}، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فذكر مثله، فإذا أنا بهارون صلى الله عليه وسلم فرحب بى ودعا لى بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فذكر مثله، فإذا أنا بموسى صلى الله عليه وسلم فرحب بى ودعا لى بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فذكر مثله، فإذا أنا بإبراهيم صلى الله عليه وسلم مسندا ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ثم ذهب بى إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة كل يوم وليلة فنزلت إلى موسى فقال ما فرض ربك على أمتك؟ قلت خمسين صلاة، قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم، قال فرجعت إلى ربى قلت يا رب خفف عن أمتى، فحط عنى خمسا فرجعت إلى موسى، فقلت حط عنى خمسا، فقال إن أمتك لا يطيقون فارجع إلى

ربك فاسأله التخفيف، قال فلم أزل أرجع بين ربى وموسى حتى قال يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرا، ومن هم بسيئة فلم يعملها فلم تكتب شيئا فإن عملها كتبت سيئة واحدة، قال فنزلت حتى أتيت موسى فأخبرته، فقال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقال رسول الله صلى الله عليه سلم قد رجعت إلى ربى حتى استحييت منه. وفى حديث ابن شهاب قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح إلا آدم وإبراهيم فقالا له: والابن الصالح. وفيه من طريق ابن عباس رضي الله عنه حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام اهـ.

والإسراء مصدر أسرى؛ يقال سرى وأسرى إذا سار ليلا قال أهل الإشارة وهم المحققون من الصوفية والحكمة فى تخصيص الإسراء بالليل أنه تعالي لما محى آية الليل أي طمس نورها لتسكن فيه والإضافة بيانية وجعل آية النهار مبصرة أي مبصرا فيها انكسر الليل فجبر بأن أسري فيه بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك أعظم الجبر، وقد افتخر النهار بالشمس فقيل لا تفخر فإن كانت شمس الدنيا تشرق فيك فسيعرج شمس الوجود فى الليل إلى السماء، وقيل لأنه صلى الله عليه وسلم سراج والسراج إنما يحصل الإنتفاع به بإيقاده ليلا، وفى ذلك المعنى قيل:

قلت يا سيدى فلم توثر الـ	ـليل على بهجة النهار المنير
قلت لا أستطيع تغيير وسم	هكذا الوسم فى طلوع البدور
إنما زرت فى الظلام لكي ما	يشرق الليل من أشعة نورى

ومعنى الأبيات أنه سأله محبوبه عن حكمة زيارته ليلا دون النهار فقال أنا بدر وهو إنما يظهر أثره ليلا ولا يستطيع تغيير ذلك الأثر، وإن فى زيارته ليلا فائدة تظهر لو زار نهارا وهي إشراق الليل بنوره، اهـ من الزرقاني.

وظاهر الآية ان ابتداء الإسراء كان من نفس المسجد لحديث بينا أنا

فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان أتانى جبريل بالبراق أو من الحرم كما قال صاحب البردة: سريت من حرم ليلا، وسماه مسجدا لإحاطته به، ولحديث أنه كان فى بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأسري به ويمكن الجمع بينهما بأنه كان فى بيت أم هانئ فرجع إلى المسجد وأتى الحجر وإنما وصف المسجد بالأقصى لبعده من المسجد الحرام، والمراد بالبركة حوله، بركات الدين والدنيا لأنه مهبط الوحي ومتعبد الأنبياء من لدن موسى إلى زمن عيسى عليهم الصلاة والسلام وهو محفوف بالأنهار والأشجار والأزهار والأثمار وقوله والنجم أي الثرياء أو نجوم السماء أو الرجوم منها وهوى غرب أو طلع أو انقض قاله ابن سلطان والبراق مأخوذ من البرق لسرعته أو من البريق وليس بذكر ولا أنثى قاله الهيثمي فى المنح وقال ابن سلطان هو بضم الموحدة لشدة بريقه ولمعانه وسرعة سيره وطيرانه كالبرق وقوله دابة أي مركوب أبيض وقوله بيت المقدس لأنه فيه يتقدس من الذنوب والحلقة بإسكان اللام وفتحها ويربط بضم الموحدة وكسرها مفعوله محذوف أي دوابهم عند باب المسجد، كما صرح به صاحب التحرير، وللترمذي أنه صلى الله عليه وسلم حين انتهى إلى بيت المقدس أشار جبريل إلى الصخرة فخرقها وربط البراق بها ثم فى ربطها دليل على أن الإيمان بالقدر لا يمنع الحازم من توقي المهالك والحذر ومنه قوله عليه السلام أعقل وتوكل، وقد قال وهب بن منبه كذا وجدته فى سبعين كتابا من كتب الله وقوله اخترت الفطرة أي علامة الإسلام والإستقامة لكونه طيبا طاهرا سهل المرور فى الحلق، سليم العاقبة، وقوله ابني الخالة لأن أم يحيى إيشاع اخت حنة أم مريم، وقوله شطر الحسن أي نصفه أو بعضه والمراد بالحسن جنسه أو حسن حواء أو حسن سارة أو حسن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وقوله إدريس هو سبط شيث وجد والد نوح أول من خط بالقلم وخاط اللباس ونظر فى علم النجوم، وقوله مكانا عليا هو شرف النبوءة ومقام القربة، وعن الحسن هو الجنة إذ قال لملك الموت اذقنى الموت ليهون عليّ ففعل فإذن الله تعالى ثم حييّ فقال له ادخلنى

النار أزدد رهبة ففعل ثم قال له أدخلني الجنة أزدد رغبة ففعل، ثم قال ملك الموت له أخرج فقال قد ذقت الموت ووردت النار فما أنا بخارج، فقال الله تعالى بإذني دخل دعه وقيل هو في السماء الرابعة لهذا الحديث وقوله البيت المعمور روي عن عليّ كرم الله وجهه: البيت المعمور في السماء الرابعة يقال له الضراح وهو بمعجمة مضمومة ومهملة بينهما راء فألف من الضراحة بمعنى المقابلة إذ هو مقابل للكعبة وسدرة المنتهى أي ينتهي علم الخلائق عندها، والفيّلة بكسر الفاء وفتح التحتية جمع فيل والقلال بكسر القاف جمع قلة كقباب جمع قبة وفي رواية كقلال هجر بفتحتين مدينة قرب المدينة يعمل بها القلال تسع الواحدة مزادة من الماء سميت قُلة لأنها تقل أي تُرفع وليست بهجر التي من توابع البحرين، وقوله فرجعت إلى ربي: إلى الموضع الذي ناجيته فيه أولا، وقوله فتلك خمسون أي بحسب المضاعفة واعلم ان الصلوات الخمس فرضت في مكة اتفاقا، وكذا الزكاة مطلقا وأما تفاصيلها فبينت بالمدينة وفرض رمضان ثم الحج بها، قال جميعه ابن سلطان وقوله حتى ظهرت بمستوى أي صعدت في مكان مرتفع وقيل الباء بمعنى على، وقوله أسمع فيه صريف الأقلام أي صوت حركتها وجريانها على المخطوط فيه مما تكتبه الملائكة من أقضية الله تعالى ووحيه، وينسخ من اللوح المحفوظ وفي نسخة صرير براءين قاله أيضا والمراد بالحلقة المارة، حلقة باب مسجد بيت المقدس، وجمع بينه وبين ما مرّ من أن جبريل خرق الصخرة يعني صخرة بيت المقدس فشد بها البراق فإنه صلى الله عليه وسلم ربطه أولا بالحلقة تأدبا واتباعا للأنبياء فأخذه جبريل وحله من الحلقة وخرق الصخرة وشده بها، كأنه يقول له أنت لست ممن يكون مركوبه بالباب بل أنت أعلى وأغلى، فلا يكون مركوبك إلا في داخل المحل، قاله الزرقاني. وقال في قوله: اخترت الفطرة، قال ابن دحية الفطرة تطلق على الإسلام كخبر كل مولود يولد على الفطرة وعلى أصل الخلقة نحو فطرة الله التي فطر الناس عليها، وقول جبريل اخترت الفطرة أي الذي عليه بنيت الخلقة، وبه نبت اللحم

ونشر العظم، وقال النووي المراد بالفطرة هنا: الإسلام. قال ومعناه اخترت علامة الإسلام وجعله علامة الإسلام لكونه سهلا طيبا إلى آخر ما مرّ عن ابن سلطان، وروى أبو سعد فى هذه القصة: فكان الذى أمسك بركابه جبريل وبزمام البراق ميكائيل، قال الزرقاني ولا ينافى ذلك أن جبريل كان راكبا معه كما يأتي، لأنه أمسك ركابه حتى ركب فركب أمامه، نعم يعارضه رواية: وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره رواه سعيد بن منصور والطبراني فإنه ظاهر فى عدم الركوب إلا أن يكون ذلك إخبارا عن مبدإ مسراه ثم ركب جبريل قدامه رفقا به والله أعلم.

وفي رواية عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم أوتي بالبراق مسرجا ملجما، فاستصعب عليه فقال له جبريل ما حملك على هذا؟ ما ركبك خلق أكرم على الله منه. قال فارفض عرقا اهـ.

وكان البراق معدا لركوب الأنبياء فليس ركوبه من خصائصه صلى الله عليه وسلم، نعم قيل ركوبه مسرجا ملجما لم يرو لغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأجيب عن استصعابه بأنه لبعد عهده بالركوب ويحتمل أن يكون استصعابه تيها، بكسر التاء وسكون التحتية أي تكبرا بركوبه صلى الله عليه وسلم وأراد جبريل بقوله أبمحمد تستصعب؟ استنطاقه بلسان الحال أنه لم يقصد الصعوبة وإنما تاه زهوا أي تكبرا أي فخرا لمكان الرسول عليه السلام ولهذا قال فارفض عرقا فكأنه أجاب بلسان الحال متبرئا من الاستصعاب وعرق من خجل العتاب ومثل هذا رجفة الجبل وهو أحد حين صعده هو وأبو بكر وعمر وعثمان، فقال اثبت أحدٌ فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان، فإنها هزة الطرب لا هزة الغضب اهـ من المواهب وشرحها.

تنبيهات:

الأول فى رواية للبخاري: فحملت عليه يعني البراق، فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا، انتهي المراد منه.

قال الزرقاني ظاهره أنه استمر على البراق حتى عرج إلى السماء وليس بمراد بل هذا اختصار من الراوى وقال بعد هذا فى قول ابن المنير: إن البراق يكون بلوغه أعلى السماوات فى سبع خطوات لأنه يضع حافره عند منتهى طرفه أي بصره اهـ. وهو مبني على أنه عرج به على البراق أخذا بظاهر الحديث والصحيح خلافه اهـ.

وقال فى المواهب بعد كلام، فأما المعراج ففي غير هذه الرواية من الأخبار أنه لم يكن على البراق بل رقى فى المعراج وهو السلم كما وقع التصريح به فى حديث عن ابن اسحاق والبيهقي، قال الزرقاني وقال النعماني ما المانع من أنه صلى الله عليه وسلم رقى فى المعراج فوق ظهر البراق لظاهر الحديث، اهـ. قال الزرقاني، والمانع موجود وهو أحاديث ربطه البراق بالحلقة اهـ. والمعراج مرقاة له درجة من ذهب ودرجة من فضة وبه سميت القصة.

الثاني في جديث عند أبي يعلا والبزّار أن البراق إذا أتى أي أقبل على جبل ارتفعت رجلاه وإذا هبط ارتفعت يداه أي فلا مشقة على راكبه فى صعود ولا هبوط، وفى رواية عن الواقدي أنه له جناحان قال ابن حجر ولم أره لغيره. قال الزرقاني وهو عجب، مع قول الشامي له جناحان فى فخذيه يحفز بهما رواه ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر عن الحسن مرسلا، ورواه ابن سعد عن الواقدي وابن عساكر من حديث جماعة من الصحابة. ويحفز بفتح التحتية وسكون المهملة وكسر الفاء أي يحث بهما رجليه على سرعة السير اهـ. وفى الثعلبي بسند ضعيف عن ابن عباس له خد كخد إنسان وعرف كعرف الفرس وقوائم كالإبل وأظلاف وذنب كالبقر وصدره ياقوتة حمراء قاله فى المواهب، أي كياقوتة لا أن ذاته ياقوتة قاله الزرقاني.

الثالث: اختلف السلف والعلماء فى الإسراء هل كان بالروح والجسد

أو بالروح فقط، وهل هو يقظة أو منام؟ فذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه بالجسد يقظة في القصة كلها، قال في الشفاء وهو الحق والصحيح وعليه تدل الآية وصحيح الأخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الإستحالة وليس في الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة وذهبت طائفة أنه بالروح وأنه رؤيا منام مع اتفاقهم على أن رؤيا الأنبياء حق ووحي، وقالت طائفة كان الإسراء بالجسد يقظة إلى بيت المقدس وإلى السماء بالروح اهـ. المراد من الشفا.

(حتى أراه أكبر الآيات) غاية لقوله بالإسراء وبعروجه إلى السماء وفاعل أرى عائد إلى الله تعالى والمفعول للنبي صلى الله عليه وسلم يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم أسرى به الله تعالى وعرج إلى السماء حتى أراه الله تعالى أعظم الآيات أي العلامات الدالة على عظيم قدرته تبارك وتعالى وهذا اقتباس من قوله تعالى: {لقد رأى من آيات ربه الكبرى} واللام للقسم أي والله لقد رأى من آيات ربه الكبرى، أي الآيات التي هي كبراها وعظماها يعني حين رقى به إلى السماء فأراه عجائب الملكوت، قاله النسفي وقال الخازن يعني رأى رسول الله صلى الله عليه سلم الآيات العظام، وقيل أراد ما رأى تلك الليلة في مسيره ورجوعه وقيل معناه لقد رأى من آيات ربه الآية الكبرى، وروى مسلم عن عبد الله بن مسعود قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى، قال رأى جبريل في صورته له ست مائة جناح، وروى البخاري عنه قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى رفرفا أخضر سدّ فوق السماء. وذكر الخازن أن جبريل كان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة الرجل كما كان ياتي الأنبياء قبله فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوريه نفسه على صورته التي جبل عليها فأراه نفسه مرتين، مرة في الأرض ومرة في السماء فأما التي في الأرض فبالأفق الأعلى وذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان بحراء فطلع له جبريل عليه الصلاة والسلام من ناحية المشرق فسد الأفق إلى المغرب وأما التي في السماء فعند

سدرة المنتهى، ولم يره أحد من الأنبياء على تلك الصورة التى خلق عليها إلا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم انتهى المراد من كلامه.

(وعاد) أي رجع هو، أي النبي صلى الله عليه وسلم، إلى منزله فى تلك الليلة **(بعد الفرض للصلاة)** أي بعد أن أوجب الله تعالى عليه وعلى أمته الصلوات الخمس وقد مرّ ذلك فى حديث الإسراء واختلف هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه بعينه ليلة الإسراء أم لا؟ ومذهب الجمهور أنه رآه قال المقري:

وقد رأى خير الورى الديانا ليلة إسراء به عيانا
في المذهب المصحح المشهور وهو الذي ينمى إلى الجمهور

انتهي.

وروى الترمذي عن ابن عباس قال إن الله اصطفى إبراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا بالرؤية. وقال كعب إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين وقال بهذا أنس بن مالك وعكرمة والحسن، وكان يحلف عليه، وحكي مثله عن ابن مسعود وأبى هريرة وأبى ذرّ وأحمد بن حنبل، وروي عن أبي الحسن الأشعري وجماعة من أصحابه واختلف هل كلمه ربه ليلة الإسراء بغير واسطة أم لا؟ فعن الأشعري وقوم من المتكلمين أنه كلمه، وعزاه بعضهم إلى جعفر بن محمد وابن مسعود وابن عباس، اهـ من الخازن.

وفيه بعد هذا قال الشيخ محي الدين فالحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه عزّ وجلّ بعيني رأسه ليلة الإسراء لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم وإثبات هذا لا يأخذونه إلا بإسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا مما لا ينبغي أن يشك فيه اهـ..

وفي الجزء الأول من المواهب اللدنية ممزوجا ببعض كلام الزرقاني، ولما كان فى شهر ربيع الأول أو الآخر أو رجب أو رمضان أو شوال خمسة أقوال:

* أسرى بروحه وجسده يقظة لا مناما مرة واحدة فى ليلة واحدة عند جمهور المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة ولا ينبغي العدول عنه

* وقيل وقع الإسراء والمعراج مرتين مناما يقظة
* وقيل وقع الإسراء فى ليلة والمعراج فى ليلة
* وقيل الإسراء يقظة والمعراج مناما
* وقيل الخلاف فى أنه يقظة أو مناما خاص بالمعراج لا فى الإسراء.

وقيل الإسراء مرتان يقظة: الأولى بلا معراج والثانية به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عرج به من المسجد الأقصى إلى فوق سبع سموات إلى حيث شاء العلي الأعلى ورأى ربه بعيني رأسه وأوحى إليه ما أوحي، ابهمه للتعظيم فلا يطلع عليه، أو الجنة حرام على الأنبياء حتى تدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك أو تخصيصه بالكوثر أو الصلوات الخمس أقوال. وفرضت عليه الصلاة ثم انصرف ليلته إلى مكة فأخبر بذلك الناس مؤمنهم وكافرهم فصدقه الصديق، قيل لقب بذلك يومئذ وكل من آمن بالله وكذبه الكفار واستوصفوه مسجد بيت المقدس فمثله الله له، وفى البخاري فجلى الله لى بيت المقدس أي كشف الحجب بيني وبينه حتى رأيته، وعند أحمد والبزار فجيء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضع عند دار عقيل فنعته وأنا أنظر إليه فجعل ينظر إليه ويصفه، قال الزهري وكان بعد المبعث بخمس سنين، ورجحه القاضي عياض كما فى الفتح ورجحه القرطبي والنووي ثلاثتهم فى شرح مسلم قال الزرقاني والذى فى الفتح عن الزهري أنه قبل الهجرة بخمس سنين وقيل كان الإسراء قبل الهجرة بسنة وخمسة أشهر قاله السدي، فعلى هذا كان بشوال نتهى المراد منهما. **(صلى عليه)** أي على النبي صلى الله عليه وسلم ربنا أي مالكنا جميع المخلوقات **(وسلما وآله وصحبه وكرما)** أي أعطاه كل ما يليق به.

(بيان هجرة النبى المختار والغزو والحج والإعتمار)

أي هذا بيان هجرة النبي صلى الله عليه وسلم أي خروجه من مكة

داره ودار آبائه زادها الله تعالى تشريفا إلى المدينة المنورة، دار أخواله وأنصاره ومحل قبره الشريف، خير بلاد الله تعالى وبيان غزواته وحجه وعمرته صلى الله عليه وسلم.

ولنقدم أولا ذكر بيعة الأنصار له صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة لأنها توطئة للهجرة وذلك أن الله تعالى لما أراد إظهار دينه وإعزاز نبيه بإنجاز موعده له صلى الله عليه وسلم بذلك كما قال تعالى: {ليظهره على الدين كله} (الآية) وقوله: {ويأبى الله إلا أن يتم نوره} (الآية)، وقوله عليه السلام: «إن الله زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها. خرج رسول الله صلى الله عليه سلم في الموسم وكان في رجب كما في حديث أصحاب السنن فعرض نفسه على القبائل بأمر الله تعالى كما كان يصنع في كل موسم فلم يجد من ينصره فبينما هو عند العقبة الأولى أي عقبة الجمرة كما جزم به غير واحد لقي رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا، فقال من أنتم؟ فقالوا نفر من الخزرج. قال أمن موالي يهود، يعني حلفاءهم؟ قالوا نعم، قال أفلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا بلي، فدعاهم إلى الإسلام وتلا عليهم القرآن وكان من صنع الله أن اليهود كانوا معهم في بلادهم وكانوا أهل كتاب وكان الأوس والخزرج أكثر منهم فكانوا إذا كان بينهم شيء قال اليهود إن نبينا سيبعث الآن قد أظل زمانه، نتبعه، فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، فلما كلمهم النبي صلى الله عليه وسلم عرفوا النعت الذى كانوا يسمعونه من اليهود فقال بعضهم لبعض بادروا باتباعه لا تسبقكم اليهود إليه فأجابوا إلى ما دعاهم إليه، فأسلم منهم ستة وكلهم من الخزرج وأتى بهذا مع قوله رهطا من الخزرج دفعا لما يتوهم مما جرت به عادتهم من تغليب الخزرج على الأوس والخزرج معا والستة المذكورون: أسعد بألف قبل السين بن زرارة بضم الزاي النجاري، شهد العقبات الثلاث وهو أول ميت صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم على قول الأنصار وقال المهاجرون أول ميت صلي عليه عثمان بن مظعون رواه الواقدي وعوف بن الحارث بن رفاعة بكسر الراء وبالفاء النجاري

استشهد ببدر وهو ابن عفراء بنت عبيد النجارية الصحابية وهي أم معاذ ومعوذ وإليها ينسبون ورافع بن العجلان اختلف فى شهوده بدرا، وهو زرقي وهو أول من قدم المدينة بسورة يوسف واستشهد بأحد، وقطبة بضم القاف وسكون المهملة ابن عامر ابن حديدة بفتح الحاء وكسر الدال المهملتين السلمي حضر العقبات الثلاث وبدرا والمشاهد وعقبة بضم العين وسكون القاف ابن عامر بن نابي بنون فألف فموحدة منقوص كالقاضي قال ابن دريد من نبى ينبو إذا ارتفع، السلمي، شهد بدرا وسائر المشاهد واستشهد باليمامة وجابر بن عبد الله بن رياب بكسر الراء فتحتية خفيفة فألف فموحدة ضبطه ابن ماكولا وغيره ابن النعمان السلمي شهد بدرا وما بعدها ومن أهل العلم بالسير من يسقط ابن ارياب هذا ويعد فيهم عبادة بن الصامت البدري وحضر سائر المشاهد، وعن الزهري هم أسعد، ورافع، ومعاذ بن عفراء، ويزيد بن ثعلبة، وأبو الهيثم بن التيهان، وعويم بن ساعدة، فلما أسلم هؤلاء قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم، أتمنعون ظهرى حتى أبلغ رسالة ربى؟ فقالوا يا رسول الله إنما كانت بعاث عام أول، وهو يوم من أيامنا اقتتلنا فيه، فإن تقدم ونحن كذلك لا يكون لنا عليك اجتماع فدعنا حتى نرجع إلى عشائرنا لعل الله أن يصلح ذات بيننا وندعوهم إلى ما دعوتنا فعسى الله أن يجمعهم عليك، فإن اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا أحد أعزّ منك وموعدك الموسم العام القابل. وبعاث بضم الموحدة وحكى الفزاز فتحها وتخفيف المهملة فألف فمثلثة وذكر الأزهري ان الليث صحفه بالفاء عن الخليل بغين معجمة وهو مكان، ويقال حصن ويقال مزرعة عند بنى قريظة على ميلين من المدينة كانت به وقعة بين الأوس والخزرج ورئيس الأوس فيه حضير والد أسيد الصحابي ويقال له رئيس الكتائب ورئيس الخزرج عمرو بن النعمان البياضي وقتلا يومئذ وكان النصر فيها أولا للخزرج على الأوس فثبتهم حضير فرجعوا وانتصرت الأوس ذكره فى الفتح، وقتل فيها من أكابرهم من كان يأنف أن يدخل فى الإسلام حتى لا يكون تحت حكم غيره

وإلى ذلك أشارت عائشة رضي الله عنها بقولها كان يوم بعاث يوما قدمه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم قال الحافظ وقد كان بقي من هذا النحو عبد الله بن أبي وكانت هذه الوقعة قبل الهجرة بخمس سنين على الأصح فلما كان العام القابل لقيه إثنا عشر رجلا وفى الإكليل للحاكم أحد عشر وهي العقبة الثانية.

والاثنا عشر فيهم خمسة من الأولين وهم أسعد بن زرارة وعوف بن عفراء وقطبة بن عامر وعقبة بن عامر ورافع بن مالك ولم يحضرها ابن رياب والسبعة الأخرون معاذ بن رفاعة وهو المشهور لأنه ابن عفراء أمه، ذكره فى العيون وأقره البرهان وبه جزم فى الإصابة وأبدل الشامي معاذا بأخيه معوذ وضبطه بصيغة إسم الفاعل وذكوان بفتح المعجمة وإسكان الكاف ابن عبد قيس البدري الزرقي بتقديم الزاي المضمومة على الراء، وكذا كل ما فى نسب الانصار نسبة إلى جده زريق الخزرجي وقيل انه رحل إلى رسول الله عليه وسلم بمكة فسكنها معه فهو مهاجر أنصاري وبه جزم أبو عمر وتبعه الذهبي قتل يوم أحد قتله أبو الحكم بن الأخنس بن شريق، فشد عليّ رضي الله عنه على أبى الحكم فقتله، وعبادة بمهملة مضمومة ابن الصامت الخزرجي ويزيد بن ثعلبة بن حزمة بفتح المعجمتين ضبطه الدارقطني كالطبري وقال الكلبي بسكون الزاي ابن اصرم بن عمرو بن عمارة بفتح العين وشد الميم بن مالك بن فرام بفتح الفاء وتخفيف الراء وتشديدها بن فران بفتح الفاء وتخفيف الراء وتشديدها بن بلي فهو بلوي حليف للخزرج والعباس بن عبادة بن نضلة بنون مفتوحة الخزرجي وأقام العباس بمكة حتى هاجر معه صلى الله عليه وسلم فكان مهاجريا أنصاريا واستشهد بأحد فهؤلاء خمسة من الخزرج ورجلان من الأوس: ابو الهيثم مالك بن التيهان بفتح الفوقية فتحتية مخففة عند أهل الحجاز مشددة عند غيرهم وشهد بدرا والمشاهد كلها، وجده زعوراء وهو أخو عبد الأشهل وفى الاستيعاب حليف بنى عبد الأشهل وعويم بضم المهملة وفتح الواو وسكون التحتتية فميم ليس بعده راء ابن ساعدة شهد العقبتين وبدرا وباقى

المشاهد فبايعه هؤلاء بيعة النساء التى أنزلت عند فتح مكة ثم انصرفوا إلى المدينة فأظهر الله الإسلام ثم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فى العقبة الثالثة للعام المقبل فى ذى الحجة سبعون رجلا كما قطع به الحافظ وامرأتان وقال ابن إسحاق ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان وهما نسيبة بفتح النون وكسر المهملة بنت كعب بن عمرو بن عوف النجاري وشهدها معها زوجها زيد بن عاصم وولداها حبيب وعبد الله والمرأة الثانية أسماء بنت عدي من بنى سلمة وكان أول من ضرب على يده عليه السلام فى البيعة البراء بفتح الباء والراء ممدودا مخففا ابن معرور بميم مفتوحة فمهملة ساكنة فراء مضمومة فواو فراء ثانية، قال السهيلي معناه مقصود وهو خزرجي ثم سلمى ابن عمة سعد بن معاذ كان سيد قومه ويقال إن أول من بايعه أسعد بن زرارة، هذا كله من المواهب وشرحها. ولما أرادوا البيعة جاء العباس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له فكان العباس أول من تكلم فقال يا معشر الخزرج، وكان العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج خزرجها وأوسها ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا فهو فى عزّ من قومه ومنعة فى بلده وقد أبى إلا الإنحياز إليكم واللحوق بكم فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه فإنه فى عز ومنعة، قال كعب بن مالك فقلنا له قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب فى الإسلام ثم قال أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعوا منه نساءكم فأخذ البراء بن معروف بيده ثم قال نعم، والذى بعثك بالحق لنمنعنك بما نمنع منه أزرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحرب ورثناها كابرا عن كابر، ثم بايعه القوم، ولما كان البراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو الهيثم يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال يعنى اليهود

كما فى الزرقاني حبالا وإنا قاطعوها فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم، وأنا منكم وأنتم منى، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم. اهـ. المراد من الإكتفاء.

ولما أتى أهل البيعة الثانية المدينة وأظهر الله الإسلام كتب الأوس والخزرج للنبي صلى الله عليه وسلم ابعث لنا من يقرؤنا القرآن فبعث إليهم مصعب بن عمير فأسلم على يديه خلق كثير من الأنصار وأسلم فى جماعتهم سعد بن معاذ بن النعمان بن أمرئ القيس بن عبد الأشهل الأوسي، سيدهم، وافق حكمه حكم الله واهتز لموته عرش الرحمن وأسلم معه أسيد بضم الهمزة وفتح المهملة ابن حضير مصغر ابن سماك ابن عتيك الأشهلي أيضا فى يوم واحد وأسيد هو الأول وأسلم بإسلامهما جميع بني عبد الأشهل وذلك أن سعدا لما أسلم أقبل إلى نادى قومه ومعه أسيد فقال يا بنى عبد الأشهل كيف تعلمون أمرى فيكم فقالوا سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيبة، قال فإن كلام رجالكم ونسائكم حرام عليّ حتى تؤمنوا بالله ورسوله فما أمسى فيهم امرأة ولا رجل إلا مسلما ومسلمة حاشى الأصيرم وهو عمرو بن ثابت بن وقش فإنه تأخر إسلامه إلى يوم أحد فأسلم يوم أحد واستشهد ولم يسجد لله سجدة، وأخبر صلى الله عليه وسلم أنه من أهل الجنة ولم يكن فى بنى عبد الأشهل منافق ولا منافقة بل كانوا كلهم مخلصين رضي الله عنهم، ومن المواهب وشرحها وروي أن أهل مكة سمعوا هاتفا يهتف قبل إسلام سعد بن معاذ وهو يقول:

فإن يسلم السعدان يصبح محمدا   بمكة لا يخشى خلاف المخالف

فقالت قريش لو علمنا من السعدان! قال عند ذلك:

فيا سعد سعد الأوس كن أنت ناصرا   ويا سعد سعد الخزرجين العطارف

ولما تمت بيعة العقبة الثالثة ليلة ثاني أيام التشريق وكانت سرا عن

كفار قريش وعن كفار الأنصار الذين قدموا حجاجا مع أهل البيعة هم خمسمائة كما قال الحاكم وطابت نفسه صلى الله عليه وسلم ان جعل الله له منعة أهل حرب ونجدة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه بالهجرة إلى المدينة بعد اشتداد الأذى عليهم من الكفار فشكوا ذلك إليه صلى الله عليه وسلم فقال قد رأيت دار هجرتكم سبخة ثم مكث أياما ثم خرج مسرورا فقال قد أخبرت بدار هجرتكم وهي يثرب فمن أراد منكم أن يخرج فليخرج إليها فخرجوا أرسالا وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يؤذن له في الخروج فكان أول من هاجر من أصحابه أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال المخزومي البدري أخو المصطفى صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وابن عمته برة وقال فيه أول من يعطى كتابه بيمينه أبو سلمة رواه ابن ابى عاصم ثم عامر بن ربيعة المذحجي أو العنزي بسكون النون من عنز بن وائل أحد السابقين وهاجر إلى الحبشة بزوجته وشهد بدرا وما بعدها وهاجرت معه أيضا إلى المدينة وهي ليلى بنت حثمة بفتح المهملة وسكون المثلثة قال أبو عمر وهي أول ظعينة قدمت المدينة وقال موسى بن عقبة أولهن أم سلمة وجمع بأن ليلى أول ظعينة مع زوجها وأم سلمة وحدها لأن بنى مخزوم حبسوها عن زوجها ثم أذنوا لها في اللحاق به فهاجرت وحدها حتى إذا كانت بالتنعيم لقيها عثمان بن طلحة العبدري وكان يومئذ مشركا فشيعها حتى إذا أوفى على قباء قال لها زوجك في هذه القرية ثم رجع ثم عبد الله بن جحش بأهله وأخيه أبى أحمد عبد بلا إضافة على الصحيح كما قال السهيلي تبعا لابن عبد البر وقيل اسمه ثمامة ولا يصح كان ضريرا يطوف أعلى مكة وأسفلها بلا قائد فصيحا شاعرا وعنده الفارعة بمهملة بنت أبى سفيان بن حرب قال أبو عمر وهاجر جميع بنى جحش بنسائهم ثم المسلمون أرسالا ومنهم عمار بن ياسر وبلال وسعد بن أبى وقاص ففى الصحيح أنهم هاجروا قبل عمر ثم عمر بن الخطاب وعياش بن أبى ربيعة المخزومي في عشرين راكبا منهم سعيد بن زيد وواقد بن عبد الله وعمرو وعبد الله ابنا سراقة بن

المعتمر العدوي وخنيس بن حذافة السهمي وبنو البكير الأربعة والزبير وخولى بن أبي خولى ومالك بن أبي خولى واسم أبى خولى عمرو بن زهير وغيرهم ثم عثمان بن عفان وتتابع الناس بعده حتى لم يبق أحد إلا من حبس بمكة أو أفتتن إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر رضي الله عن جميعهم وكان الصديق كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة إلى المدينة فيقول لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحبا فيطمع أبو بكر أن يكون هو، وعند البخاري فقال صلى الله عليه وسلم على رسلك فإنى أرجو أن يؤذن لى فقال أبو بكر وهل ترجو ذلك بأبى أنت وأمى ؟ قال نعم. فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر أربعة أشهر انتهى. ولما رأت قريش هجرة الصحابة وعرفوا أنه صار له أصحاب من غيرهم حذروا خروجه وعرفوا أنه أجمع لحربهم فاجتمعوا فى دار الندوة بفتح النون والواو مهملة ساكنة ثم هاء تانيث وهي دار قصي بن كلاب سميت بذلك لاجتماع الندي فيها يتشاورون والندي الجماعة ينتدون أي يتحدثون وهي أول دار بنيت بمكة كما قال ابن الكلبي وكانت قريش لا تقضى أمرا إلا فيها وكان اجتماعهم فيها يوم السبت ولذا ورد يوم السبت يوم مكر وخديعة يتشاورون فيما يصنعون فى أمره صلى الله عليه وسلم وكانوا مائة كما فى المولد لابن دحية فأتاهم إبليس فوقف على باب الدار فى هيأة شيخ جليل عليه بت بفتح الموحدة وشد الفوقية كساء غليظ أو طيلسان من خز فقالوا من الشيخ قال من أهل نجد سمع بالذى أتعدتم له وحضر ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم رأيا ونصحا فقالوا ادخل فدخل فقال أبو البختري بفتح الموحدة وسكون المعجمة ابن هشام أحبسوه فى الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء قبله فقال النجدي ما هذا برأي والله لئن حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ، ما هذا برأي فانظروا

فى غيره، وقال ربيعة بن عمر والعامري قال فى النور ولا أعلم ماذا جرى له نخرجه من بين أظهرنا وننفيه من بلادنا فلا نبالى أين ذهب فقال النجدي لعنه الله والله ما هذا برأي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال لما ياتى به والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حي من العرب فيغلب عليهم بذلك حتى يتابعوه ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم ثم يفعل بكم ما أراد أديروا فيه رأيا غير هذا فقال أبو جهل والله إن لى فيه رأيا ما أراكم وقعتم فيه أرى أن تأخذ كل قبيلة شابا جلدا نسيبا وسيطا ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا إليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ويتفرق دمه فى القبائل فلا تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فنعقله لهم فقال النجدي القول ما قال لا أرى غيره فأجمع رأيهم على قتله وتفرقوا على ذلك وإنما تمثل لهم فى صورة نجدي لأنهم قالوا لا يدخلن معكم أحد من أهل تهامة لأن هواهم مع محمد ثم أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرقبونه حتى ينام فيثبوا عليه فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم أمر عليا أن ينام مكانه وقال تسبح بردي هذا الأخضر فنم فيه فإنه لا يخلص إليك شيء تكرهه منهم فكان علي أول من شرى نفسه فى الله ووقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى ذلك يقول علي رضي الله عنه:

وقيت بنفسى خير من وطئ الثرى	ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول إله خاف أن يمكروا به	فنجاه ذو الطول الإله من المكر
وبات رسول الله فى الغار آمنا	موقى وفى حفظ الإله وفى ستر
وبت أراعيهم وما يتهمونني	وقد وطنت نفسى على القتل والأسر

ويتهمونني بضم التحتية وصوب الزمخرشي أنه لم يقل إلا بيتين لكن فى مسلم أنه قال مجيبا لمرحب اليهودي يوم خيبر:

أنا الذي سمتني أمي حيدره إلخ..

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الباب ونثر على رؤسهم كلهم ترابا كان في يده وهو يتلو قوله تعالى: يس إلى قوله فأغشيناهم فهم لا يصبرون ثم أنصرف حيث أراد وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد منهم. وروى أحمد بإسناد حسن أنه خرج حتى لحق بالغار أي غار ثور وفى رواية ابن هشام فأفاد أنه توارى فيه حتى أتى أبا بكر منه في نحر الظهيرة ثم خرج إليه هو وأبو بكر ثانيا وفى البيضاوي فبيت عليا على مضجعه وخرج مع أبي بكر إلى الغار انتهى. فأتاهم آت ممن لم يكن معه فقال ماذا تنتظرون ها هنا؟ قالوا محمدا. قال قد خيبكم الله قد والله خرج محمد عليكم ثم ما ترك فيكم رجلا إلا وضع على رأسه ترابا فوضع كل رجل يده على رأسه فإذا عليه تراب. وفى رواية ابن أبى حاكم عن ابن عباس فما أصاب رجلا منهم حصاة إلا قتل يوم بدر كافرا وفى هذا نزل {وإذ يمكر بك الذين كفروا} (الآية)، ثم أذن الله تعالى لنبيه في الهجرة إلى المدينة، قال ابن عباس بقوله تعالى: {وقل رب ادخلنى}. أي المدينة مدخل صدق أي ادخالا مرضيا لا أرى فيه ما أكره وأخرجنى أي من مكة مخرج صدق أي إخراجا لا التفت إليها بقلبي واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا أي قوة تنصرنى بها على أعدائك، أخرجه الترمذي وصححه هو والحاكم انتهى من المواهب وشرحها، وبعضه من الكلاعي ثم بين الناظم رحمه الله تعالى سن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر فقال:

(وهاجر المختار لما أن وصل خمسين مع ثلاثة حتى نزل بطيبة الغراء حيث أمرا ...)

يعنى أنه صلى الله عليه وسلم هاجر من مكة إلى المدينة زادهما الله تعالى تعظيما لما بلغ عمره المبارك ثلاثا وخمسين سنة فقوله حتى نزل غاية لهجرته عليه السلام، وطيبة من أسماء المدينة ووصفها بالغراء لإشراقها بنور المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد انتشر منها الدين

الحنيفي فى جميع البلاد.

وقوله حيث أمر متعلق بنزل أي نزل بالموضع الذى أمره الله تعالى أن ينزل فيه وكانت مدة إقامته بمكة من حين النبوءة ثلاث عشرة سنة كما رواه البخاري عن ابن عباس وروى مسلم عنه خمس عشرة. قال الحافظ والأول أصح اهـ، وهو قول الجمهور قاله الشيخ محمد بن عبد الباقى، وكان خروجه عليه السلام من مكة بعد بيعة العقبة بثلاثة أشهر أو قريبا منها ذكره الحاكم وجزم ابن اسحاق أنه خرج أول يوم من ربيع الأول فعلى هذا يكون بعد البيعة بشهرين وبضعة عشر يوما لأن البيعة فى ذى الحجة ليلة ثانى أيام التشريق فالباقى من الشهر ثمانية عشر يوما إن كان تاما وإلا فسبعة عشر وقدم صلى الله عليه وسلم المدينة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول على الراجح وقيل لثمان خلت منه كما فى الاستيعاب وقال الحاكم تواترت الأخبار أن خروجه كان يوم الإثنين ودخوله المدينة يوم الإثنين إلا أن محمدا ابن موسى الخوارزمي قال انه خرج من مكة يوم الخميس ويجمع بينهما بأن خروجه من مكة كان يوم الخميس وخروجه من الغار كان ليلة الإثنين لأنه أقام فيه ثلاث ليال ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد وخرج أثناء ليلة الإثنين وقول الحاكم تواترت الأخبار أن خروجه يوم الإثنين مجاز أطلق اليوم على الليلة، وروي الحاكم أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل من يهاجر معى قال أبو بكر الصديق قال الحاكم صحيح غريب، وأخبر عليا أنه يريد الخروج وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عنه الودائع التى كانت عنده للناس وذلك أنه كما قال ابن إسحاق ليس فى مكة أحد يكون عنده شيء يخاف عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من أمانته. قالت عائشة رضي الله عنها كان لا يخطئ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتى بيت أبى بكر أحد طرفي النهار إما بكرة وإما عشية حتى كان اليوم الذى أذن فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة أتانا فى الهاجرة فى ساعة كان لا يأتى فيها.

فلما رآه أبو بكر قال ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الساعة إلا من حدث فلما دخل تأخر أبو بكر عن سريره فجلس عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر أخرج من عندك، فقال لا عين عليك إنما هما ابنتاي بأبى أنت وأمى. فقال صلى الله عليه وسلم فإنه قد أذن لى فى الخروج فقال أبو بكر الصحبة بأبى أنت وأمى يا رسول الله. والصحبة بالنصب معمول لأريد محذوف أو مرفوع بتقدير مطلوبى، قال صلى الله عليه وسلم نعم. قالت عائشة رضي الله عنها: فرأيت أبا بكر بكى وما كنت أحسب أن أحدا يبكى من الفرح؛ فقال أبو بكر فخذ بأبى أنت وأمى يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين؛ فقال صلى الله عليه وسلم إنى لا أركب بعيرا ليس لى فقال فهو لك قال لا ولكن الثمن الذى ابتعتها به قال كذا وكذا قال قد أخذتها بذلك.

وأفاد الواقدي أن الثمن ثمان مائة درهم وأن التي أخذ النبي صلى الله عليه وسلم هي القصواء وكانت من نعم بنى قشير وعاشت بعده عليه السلام قليلا وماتت فى خلافة أبي بكر وكانت مرسلة ترعى بالبقيع وذكر ابن إسحاق أنها الجدعاء وكانت من إبل بنى الحريش بفتح الحاء وكسر الراء المهملتين وسكون التحتية وشين معجمة وفى سيرة عبد الغنى ان الثمن أربع مائة درهم وإنما لم يقبلها إلا بالثمن وقد أنفق عليه أبو بكر من ماله أكثر من ذلك فقبله كما ذكر السهيلي انه إنما فعل ذلك لتكون هجرته إلى الله بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام فى استكماله فضل الهجرة إلى الله تعالى وأن تكون على أتم الأحوال ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم لما أجمع على الخروج أتى أبا بكر فخرجا من خوخة لأبى بكر فى ظهر بيته وهي بفتح المعجمتين بينهما واو ساكنة وهي الباب الصغير كما فى الزرقاني وغيره بعد دخوله عليه فى نحر الظهيرة وكان خروجهما ليلا فمضيا إلى غار ثور بمثلثة فمكثا فيه ثلاث ليال كما هو لفظ البخاري وثور جبل بمكة وفى الأنوار الغار ثقب فى أعلى ثور فى يمنى مكة على مسيرة ساعة وقيل على ثلاثة أميال

وقيل على ميلين منها والبحر يرى من أعلى هذا الجبل وفيه من كل نبات الحجاز وشجره وفيه شجر البان وفى القاموس ثور جبل بمكة فيه الغار المذكور فى التنزيل ويقال له ثور أضحل واسم الجبل أضحل نزله ثور ابن عبد مناة فنسب له .

وروي أنهما لما خرجا لقيهما أبو جهل فأعماه الله عنهما وفى حديث أنه عليه السلام لما صعد ثبيرا ناداه اهبط عنى فإنى أخاف أن تقتل على ظهرى فأعذب وإنما خاف ذلك لأنه لو لم يذكر ذلك مع علمه بأنه لا مكان فيه يستره كان غشا فناداه حراء إلى يا رسول الله وهو مقابل ثبير مما يلى شمال الشمس وبينهما الوادى وهما على يسار السالك الى منى ولم يذهب إليه لسبق تعبده فيه فخشي أن يطلبوه فيه وذهب إلى ثور دون غيره لحبه الفال الحسن فقد قيل الأرض مستقرة على قرن الثور فناسب استقراره فيه وروي أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله قبلك فإن كان به شيء نزل بى قبلك فدخله فجعل يلتمسه بيده فكلما رأى حجرا قطع من ثوبه وألقمه الجحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع فبقي جحر فألقمه عقبه، وفى رواية فأدخل فيه رجله إلى فخذه فجعلت الحيات والأفاعي تلسعنه فجعلت دموعه تتحدر، وفى رواية فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه فى حجر أبي بكر فنام فلدغ أبو بكر فى رجله من الجحر ولم يتحرك لئلا يوقظ المصطفي صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم؛ فقال ما لك يا أبا بكر فقال لدغت فداك أبى وأمى؛ فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده ولأبى نعيم فلما أصبح قال لأبى بكر أين ثوبك فأخبره بالذي صنع فرفع صلى الله عليه وسلم يديه وقال اللهم اجعل أبا بكر معى فى درجتى فى الجنة فأوحى الله إليه قد استجبنا لك والظاهر أنه كان عليه غيره مما يستر جميع بدنه إذ لم ينقل طلبه لغيره ممن كان ياتيهما كابنه وابن فهيرة انتهى من الزرقاني فلما دخل صلى الله عليه وسلم الغار هو وأبو بكر انبت

الله على بابه الراءة بالراء المهملة والمد والهمزة فحجبت أعين الكفار وهي أم عيلان ضرب من العضاه كما فى المصباح فأمر الله العنكبوت فنسجت على فم الغار وأرسل حمامتين وحشيتين فعششتا على بابه ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا القافة أثره والقافة جمع قائف وهو الذى يعرف الأثر فوجد الذى ذهب قبل ثور أثره فلم يزل يتبعه حتى انقطع أثره لما انتهى إلى ثور ولما انتهى قريش إلى فم الغار قال قائل منهم ادخلوا الغار قال أمية بن خلف وما أربكم إلى الغار إن فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد. وعند الطبراني وخرجت قريش حين فقدوهما وجعلوا فى النبي صلى الله عليه وسلم مائة ناقة وطافوا فى جبال مكة حتى انتهوا إلى الجبل الذى فيه صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر إن هذا الرجل ليرانا وكان مواجهه فقال صلى الله عليه وسلم كلا إن ثلاثة من الملائكة يسترنا بأجنحتها فجلس ذلك الرجل يبول مواجهه فى الغار فقال صلى الله عليه وسلم لو كان يرانا ما فعل هذا، وروي أن أبا بكر لما رأى القافة اشتد حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان قتلت فإنما أنا رجل واحد وإن قتلت أنت هلكت الأمة فعندها قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن إن الله معنا، وفى رواية أن أبا بكر قال أما والله ما على نفسي أبكي ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره فقال لا تحزن إن الله معنا بالمعونة والنصر ولما خرجا إلى الغار أمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يستمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر فكان يفعل ذلك وأمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما إذا أمسى فكان عامر يرعى فى رعيان أهل مكة فإذا أمسى أراح عليهما فاحتلبا وذبحا فإذا غدى عبد الله من عندهما تبع عامر أثره بالغنم حتى يعفي أثرهما وكانت أسماء بنت أبى بكر تأتيهما بالطعام بما يصلحهما ولله درّ مجلى حلبة المديح النبوي حيث يقول ولقوله قبول:

واغيرتا حين أضحى الغار وهو به كمثل قلبى معمور ومأهول

وجلل الغار نسج العنكبوت على　　وهن فيا حبذا نسج وتحليل
كأنما المصطفي فيه وصاحبه　　الصديق ليثان قد آواهما غيل
عناية ضل كيد المشركين بها　　وما مكايدهم إلا الأضاليل
إذ ينظرون وهم لا يبصرونهما　　كأن أبصارهم من زيغها حول

الغيل بالكسر الشجر الملتف وجلل غطى والعناية بكسر العين وفتحها والأضاليل جمع إضليلة وروي أن أبا بكر قال نظرت إلى قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تفطرتا دما فى الغار فاستبكيت وعلمت أنه لم يكن تعود الحفى والجفوة والسين والتاء للمبالغة لا للطلب والحفى المشي بلا خف ولا نعل وكان من قوله صلى الله عليه وسلم لما وقف على الحزورة بفتح المهملة فزاء ساكنة فواو فراء سوق كانت بمكة أدخلت فى المسجد ونظر إلى البيت والله إنك لأحب أرض الله إلى وإنك لأحب أرض الله إلي الله ولولا أن أهلك أخرجونى ما خرجت منك وأقام صلى الله عليه وسلم فى الغار هو وأبو بكر ثلاث ليال وخرجا منه ليلة الإثنين كما مرّ ولما أرادا الخروج أتاهما صاحبهما الذى استأجرا ليدلهما على الطريق وكان استيجارهما له قبل خروجهما من مكة فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما حين هدأت الأصوت كما قال ابن شهاب وهو رجل من بنى الديل بكسر الدال وسكون التحتية وقيل بضم أوله وكسر ثانيه مهموزا كما فى الفتح واسمه عبد الله بن أريقط بالقاف والطاء مصغر وفى رواية الأموي أريقد بالدال بدل الطاء والأول أشهر. قالت عائشة فجهزناهما أحث الجهاز أي أسرعه وصنعنا لهما سفرة من جراب. وفى البخاري سفرة فى جراب قال الحافظ سفرة أي زادا فى جراب لأن أصل السفرة الزاد الذى يصنع للمسافر ثم استعمل فى وعاء الزاد ومثله المزادة للماء وكذا الرواية فاستعملت هنا على أصل اللغة وأفاد الواقدي أنه كان فى السفرة شاة مطبوخة انتهى. وأتتهما بالسفرة أسماء بنت أبى بكر ونسيت أن تجعل لهما عصاما فقطعت أسماء قطعة من نطاقها فربطت بها على فم الجراب بكسر الجيم وفتحها والكسر أفصح قاله النووي. وفى القاموس انه لا

يفتح أو لغية وهو المزود فسميت بذلك ذات النطاق وفى رواية الكشميهني بالتثنية والنطاق ما يشد به الوسط وفى البخاري أنها شقت نطاقها نصفين فشدت بأحدهما الزاد واقتصرت على الآخر فمن ثم قيل لها ذات النطاق وذات النطاقين بالإفراد والتثنية لهذين الاعتبارين وعند ابن سعد شقت نطاقها نصفين فأوكت بقطعة منه الجراب وشدت فم القربة بالباقي وسميت ذات النطاقين وقال الهروي سميت بذلك لأنها كانت تجعل نطاقا على نطاق انتهى من الزرقاني.

ولما تجهزا ركبا وانطلق معهما عامر بن فهيرة مولى أبا بكر يخدمهما يردفه أبو بكر ويعقبه وليس معهما غيره هو وابن الأريقط ولم يعرف له إسلام كما قال الحافظ عبد الغني وتبعه النووي وفى الإصابة لم أر من ذكره فى الصحابة إلا الذهبي وقال السهيلي ولم يكن إذ ذاك مسلما ولا وجدنا من طريق صحيح أنه أسلم بعد، ولا يعترض بأن الواقدي ذكر أنه أسلم لأنه قيد بصحيح ومعلوم ضعف الواقدي خصوصا مع الإنفراد وكأنه سلف الذهبي قاله الشيخ محمد بن عبد الباقي. وعن أسماء قالت لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل فقالوا أين أبوك يا ابنة أبى بكر؟ قلت لا أدرى والله. فرفع أبو جهل يده فكان فاحشا خبيثا فلطم خدي لطمة طرح منها قرطى ثم انصرفوا. وفى رواية خرج منها قرطى وهو بضم القاف ولما ساروا أخذ بهم الدليل طريق الساحل أسفل عسفان فمروا بقديد بضم القاف مصغر موضع معروف على أم معبد الخزاعية واسمها عاتكة بنت خالد بن خليد مصغر وآخره دال مهملة وقيل ابن خليف بفاء بدل الدال مصغر وقيل ابن منقذ بضم الميم وسكون النون وكسر القاف وذال معجمة وهي صحابية وكذا أخوها حبيش وكذا زوجها أبو معبد صحابي له رواية وكانت أم معبد برزة بفتح الموحدة وسكون المهملة فزاي معجمة أي عفيفة جليلة مسنة أو غيرها وقيل هي المسنة التي برزت فلم تتخدر لسنها وخرجت عن المحجوبات جلدة قوية تحتبي أي تجلس بفناء القبة والفناء سعة أمام البيت ثم تسقى وتطعم من يمر بها وكان القوم

مرملين مسنتين بكسر النون والفوقية أي أصابتهم السنة فطلبوا لبنا ولحما وعند أبي عمر فسألوها لحما وتمرا يشترونه منها فلم يجدوا عندها شيئا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة فى كسر الخيمة بكسر الكاف وفتحها أي جانبها خلفها بشد اللام الجهد بفتح الجيم وضمها أي الهزال عن الغنم فسألها صلى الله عليه وسلم هل بها من لبن فقالت هي أجهد من ذلك فقال أتاذنين لى أن أحلبها بضم اللام وكسرها قالت نعم بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلبا بفتح اللام وسكونها أي لبنا فى الضرع فأحلبها، فدعا بالشاة أي طلبها أن تاتى فالباء زائدة فيكون معجزة فاعتقلها أي وضع رجلها بين ساقه وفخذه ليحلبها ومسح ضرعها وظهرها وسمى الله فتفاجت بشد الجيم أي فتحت ما بين رجليها ودرت فدعا بإناء يربض الرهط بضم المثناة التحتية وكسر الموحدة أي يرويهم ويثقلهم حتى يناموا من ربض بالمكان فحلب فيه ثجا بمثلثة وجيم أي حلبا قويا فسقى أم معبد حتى رويت ثم سقى القوم حتى رووا ثم شرب النبي صلى الله عليه وسلم آخرهم وقال ساقي القوم آخرهم شربا، ثم حلب فيه مرة أخرى فشربوا عللا بعد نهل بفتح النون والهاء وتسكن ولام أي شربا ثانيا بعد الأول ثم حلب فيه آخر وغادره عندها فقال ارفعي هذا لأبي معبد إذا جاءك. وفى رواية فحلب ثجا حتى علاه الثمال، وفى رواية حتى علاه البهاء، والثمال بضم المثلة واحده ثمالة وهي الرغوة بتثليث الراء، والبهاء لمعان رغوته ثم ركبوا وذهبوا وفى بعض الروايات أنها ذبحت لهم شاة وطبختها فأكل هو وأصحابه وملأت سفرتهم منها ما وسعت قالت وبقي عندنا لحمها أو أكثر وبقيت الشاة التي مسح ضرعها إلى زمن عمر فقل ما لبثت أم معبد حتى جاء زوجها أبو معبد، قال السهيلي لا يعرف اسمه وقال العسكري اسمه أكثم بفتح الهمزة والمثلثة ابن أبى الجون ويقال ابن الجون وهو خزاعي يسوق أعنزا عجافا يتساوكن هزلا بضم الهاء وسكون الزاء أي يتمايلن من الهزال فلما رأى اللبن أبو معبد عجب وقال ما هذا يا أم معبد، أنى لك هذا والشاء عازب أي بعيدة المرعى حيال ولا حلوب بالبيت؟ فقالت

لاوالله إلا أنه مرّ بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا.. فقال صفيه يا أم معبد. فقالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة بفتح الواو أي الحسن مليح الوجه أي مشرقه حسن الخلق بضم الخاء واللام لم تصبه ثجلة ولم تزر به صعلة وسيم قسيم في عينه دعج وفي أشفاره وطف وفي صوته صحل، أحور، أكحل، أزج، أقرن، شديد سواد الشعر، في عنقه سطع وفي لحيته كثافة إذا صمت فعليه الوقار وإذا تكلم سماه وعلاه البهاء كأن منطقه خرزات نظم طوال يتحدرن حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر أجهر الناس وأجمله من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب، ربعة لا تشنؤه من طول ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين، فهو انضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا، له رفقاء يحفون به إذا قال استمعوا لقوله وإذا أمر تبادروا لأمره محفود محشود لا عابس ولا مفند. فقال أبو معبد هذا والله صاحب قريش، ولو رأيته لاتبعته، قوله ثجلة بفتح المثلثة على ما للقسطلاني وبضمها على ما في النور والسبل عظم البطن ويروى بالنون والحاء أي نحول من نحل الجسم إذا قل لحمه والصعلة بفتح الصاد والعين المهملتين صغر الرأس وهي أيضا دقة البدن ونحو له، وفي رواية سقلة بالسين والقاف وفي أخرى صقلة بالصاد والقاف أي نحول من صقلت الناقة ضمرتها والوسيم الحسن وكذلك القسيم والدعج بالتحريك شدة سواد العين والوطف بالتحريك الطول وفي رواية غطف بغين معجمة ومعناهما واحد والصحل بفتح الصاد والحاء المهملتين هو كالبحة بضم الموحدة وأن لا يكون حادّ الصوت والحور بالتحريك أن يشتد بياض بياض العين وسواد سوادها، وهو محمود محبوب ولذا كان أغزل ما قالت العرب قول جرير:

إن العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لا يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله إنسانا

والكحل بفتحتين سواد في أجفان العين خلقة والرجل أكحل وكحيل والمرأة كحلاء وكحيل والأزج بفتح الهمزة والزاي وشد الجيم الدقيق طرف الحاجبين وفي القاموس الزجج محركة دقة الحاجبين في طول أي

امتداد إلى مؤخر العين والزجج خلقة والتزجيج ما كان يصنع قال:

إذا ما الغانيات برزن يوما وزججن الحواجب والعيونا

أي وكحلن العيون، والأقرن المقرون الحاجبين، ومثله في حديث علي وهو مخالف لما في حديث أزج الحواجب، سوابغ من غير قرن قال ابن الأثير وهو الصحيح وقال غيره أنه المشهور وأجيب بأن بينهما شعرا خفيفا جدا يظهر إذا وقع عليه الغبار في نحو سفر وفي عنقه سطع بفتحتين أي ارتفاع وطول وفي لحيته كثاثة بمثلثتين هي أن تكون غير دقيقة ولا طويلة، وصمت بفتح الميم والوقار بفتح الواو الحلُم والرزانة وإذا تكلم سما أي ارتفع على جلسائه. وقوله وكأن منطقه خرزات نظم إلخ.. لعل وجه التشبيه التناسب بين كلماته وشدة اتصال بعضها ببعض فأشبهت الكلمات في تناسقها وفي تواليها الخرزات إذا تتابعت وقوله حلو المنطق، الحلو في المطعوم مستلذ فاستعير لما يعجب السامع ويستلذ بسماعه، وفصل بفاء فصاد ساكنة أي فاصل بين الحق والباطل، أو ذو فصل بين أجزائه كقول عائشة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هذا. والنزر بسكون المعجمة، القليل، والهذر الكثير، ضبطه القسطلاني بفتح الذال المعجمة، وفي بعض شراح الشفا ضبطه بسكونها ولا تشنؤه من طول وفي رواية ولا يشنا من طول أي لا يبغض لفرط طوله ولا تقتحمه عين من قصر أي لا تتجاوزه إلى غيره احتقارا له وكل شيء ازدريته فقد اقتحمته، قاله ابن الانباري، ومحفود مخدوم والحشود الذي عنده، حشد بفتح المهملة وسكون المعجمة وتفتح فدال مهملة وهم الجماعة وأجهر الناس أرفعهم صوتا وقوله وأحلاه وأحسنه بإفراد الضمير فيهما حملا على لفظ الناس وربعة بسكون الباء وتحرك، أي متوسط وقولها غصن أي كغصن بين غصنين تعني الصديق ومولاه عامر بن فهيرة ويحفون بضم الحاء يطوفون والمفند الذي يكثر اللوم فهو إسم فاعل انتهى ومـا مـرّ من تفسير الأزج للقسطلاني. وفي الشفا والحاجب الأزج المقوس الطويل الوافر الشعر، وقال ابن سلطان المقوس بفتح الواو المشبه بالقوس في نوع من الإدارة

فلا ينافه قوله الطويل وأزج الحواجب أدقها مع غزارة شعرها وتقوس أصلها قال ابن سلطان فى الجمع بين حديث أم معبد فى وصفه بالقرن وحديث ابن هالة بنفيه ولعل منشأ الخلاف من جهة قرب الراء وبعده، وقال فى الشفاء والأدعج شديد سواد الحدقة وفى الحديث الآخر أشكل العين، وأسجر العين، وهو أنها فى بياضها حمرة، قال شارحها قوله الحديث الآخر أي الذى رواه مسلم أشكل العين وأسجر العين وهما بمعنى، وقوله حمرة أي يسيرة انتهى.

وقول الشارح فيما تقدم كقول عائشة رضي الله عنها: ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد كسردكم هذا الحديث فى الترمذي فى الشمائل ولفظه ما كان رسول صلى الله عليه وسلم يسرد كسردكم هذا ولكن كان يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلس إليه. قال البيجوري فى شرحه يسرد بضم الراء ومعناه يأتي بالكلام على الولاء ويتابعه ويستعجل فيه وقولها كسردكم فى نسخة بدون كاف، وقوله هذا أي الذى تفعلونه فإنه يورث لبسا على السامعين، وقوله بين فصل أي ظاهر مفصول ممتاز بعضه من بعض بحيث يتبينه من يسمع ويمكنه عده وهذا أدعى لحفظه ورسوخه فى ذهن السامع مع كونه يوضح مراده ويبينه بيانا تاما بحيث لا تبقى فيه شبهة، وقوله من جلس إليه مراده من أصغى إليه وإن لم يجلس إليه انتهى.

وما مرّ من تفسير كثاثة اللحية بأن تكون غير دقيقة ولا طويلة هو للقسطلاني. وقال البيجوري فى تفسير قول الشمائل كث اللحية أي بفتح الكاف وفى رواية كثيف اللحية وفى أخرى عظيم اللحية وعلى كل فالمعنى أن لحيته صلى الله عليه وسلم كانت عظيمة واشتراط جمع من الشراح مع الغلظ القصر متوقف على نقل من كلام أهل اللسان. انتهى كلامه.

وقال ابن سلطان فى شرح الشفا: كث اللحية أي غزير شعرها وكثير أصلها، وفى رواية كثيف اللحية، وفى أخرى عظيم اللحية، كما فى شرح الشمائل لابن حجر المكي من قوله غير دقيقها ولا طويلها ينافي

الرواية والدراية لأن الطويل مسكوت عنه، مع أن عظم اللحية بلا طول غير مستحسن عرفا، فكما أن الطول الزائد على القبضة غير ممدوح شرعا، ثم هذا لا ينافى ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا من سعادة المرءخفة لحيته كما رواه الأربعة، فإن الكثيف والخفيف من الأمور الإضافية فيحمل على الاعتدال الذى هو الكمال فى جميع الأحوال ولا يبعد أن يحمل الكثيف على أصله والخفيف على عدم طوله وعرضه وأما قول الفقهاء اللحية الخفيفة هي التي تظهر البشرة من تحتها ومبنى الأحاديث هذه على المعنى اللغوي تصحيحا واصطلاحا انتهى كلامه.

تنبيه:

في الترمذي عن شعبة عن سماك بن حرب من حديث جابر بن سمرة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشكل العين قال شعبة قلت لسماك ما أشكل العين؟ قال طويل شق العين انتهى.

قال البيجوري هذا التفسير خلت منه كتب اللغة المتداولة ومن ثم جعله القاضى عياض وهما من سماك والصواب ما اتفق عليه العلماء وجميع أصحاب الغريب من أن الشكلة حمرة فى بياض العين وأما الشهلة فهي حمرة فى سوادها والشكلة إحدى علامات النبوءة كما قال الحافظ العراقي والأشكل محمود محبوب قال الشاعر:

ولا عيب فيها غير شكلة عينها   كذاك عتاق الخيل شكل عيونها

انتهى كلامه.

قالت أسماء بنت أبى بكر رضي الله عنهما ولما لم ندر أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى رجل من الجن من مؤمنيهم بعد ثلاث ليال ولا أعرف اسمه قاله فى النور وفى رواية أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يغني بأبيات شعر غناء العرب وإن الناس يتبعونه يسمعون صوته ولا يرون شخصه حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه   رفيقين حلا خيمتي أم معبد

همـــا نـزلا بـالـبـــر ثـم تـرحـــلا | فـأفلـح مـن أمـسـى رفـيـق مـحـمـد
فـيـــال قـصي مـــازوى الله عنكم | بـه مـن فـعـــال لا يـجـارى وسـؤدد
لـيـهنأ بنى كـعب مكان فـتـــاتهم | ومـقـعـدهـا للـمـؤمـنـين بمرصـد
سلوا أخـتكم عن شـــاتهـا وإنائهـا | فـإنكم إن تسـألوا الشـاة تشـهـد
دعـــاها بشـــاة حـائل فـتـحلبت | لـه بـصـريح ضـرة الشـاة مـزبد
فـغـــادرها رهنا لديهـــا لحـالب | يـرددها فـى مـصـدر ثـم مـورد

قوله جزى الله إلخ.. فى رواية جزى الله خيرا، والجزاء بكفه ورفيقين مفعول جزى وحلا من الحلول وفى رواية قالا من القيلولة وخيمتي تثنية خيمة، بيت تبنيه العرب من عيدان الشجر ومن قديد إلى المشال ثلاثة أميال بينهما خيمتا أم معبد، وقوله هما نزلا بالبر إلخ.. هو ضد الإثم، وقوله فأفلح الفلاح أجمع إسم لأنواع الخير وفى رواية هما رحلا بالحق وانتزلا به وفى أخرى هما نزلاها بالهدى فاهتدت به، فقد فاز وزوى قبض والفعال بفتح الفاء وخفة العين الكرم ويجوز أن يكون بكسر الفاء جمعا قاله البرهان وتبعه الشامي وقوله لا يجارى فى رواية يجازى بالزاي واليهنأ بفتح الياء وتثليث النون ليسر وكعب هو ابن عمرو أبو خزاعة، وقوله مكان فى رواية مقام بفتح الميم والمرصد بفتح الميم والصاد مقعدها بمكان ترصد أي ترقب فيه المؤمنين لتواسيهم، وقوله سلوا أختكم عن شاتها أي التي حلب رسول الله صلى الله عليه وسلم مرارا فى وقت واحد مع أنها لم يطرقها فحل ولم تستطع الرعي من الهزال فإنها معجزة باهرة لا تنكر، والصريح بالصاد والحاء المهملتين اللبن الخالص وضرة الشاة بفتح الضاد المعجمة وشد الراء أصل ضرعها وهو فاعل تحلبت، ومزبد بصيغة اسم الفاعل علاه الزبد نعت الصريح وقوله فغادرها البيت، أي ترك الشاة عندها ذات لبن مستمر يردد الحالب الحلب عليها مرة بعد مرة لكثرة لبنها انتهى هذا التفسير من الزرقاني. قالت أسماء فلما سمعنا قوله أي الهاتف عرفنا أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكلاعي وغيره فلما سمع بذلك حسان بن ثابت قال يجاوب الهاتف وقال فى النور

والظاهر أنه إنما قاله بعد إسلامه:

لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم ... وقدس من يسري إليهم ويغتدى
ترحل عن قوم فضلت عقولهم ... وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم ... وأرشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوى ضلال قوم تسفهوا ... عمى وهداة يهتدون بمهتدى
وقد نزلت منه على أهل يثرب ... ركاب هدى حلت عليهم بأسعد
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ... ويتلو كتاب الله فى كل مشهد
وإن قال فى يوم مقالة غائب ... فتصديقها فى اليوم أو فى ضحى الغد
ليهنأ أبا بكر سعادة جده ... بصحبته من يسعد الله يسعد

وفي المواهب وشرحها أخرج ابن سعد وأبو نعيم إن أم معبد قالت بقيت الشاة التي لمس عليه السلام ضرعها عندنا حتى كان زمن الرمادة، سنة ثمان أو سبع عشرة من الهجرة، زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وقيل لها ذلك لأن الريح كانت إذا هبت ألقت ترابا كالرماد، وأجدبت الأرض إلى الغاية حتى أوت الوحوش إلى الإنس والى عمر أن لا يذوق لحما ولا سمنا ولا لبنا حتى يحي الناس أي يأتيهم الحيا ويمتد المطر فاستسقى بالعباس، قالت أم معبد وكنا نحلبها صبوحا وغبوقا وما فى الأرض لبن قليل ولا كثير، قال هشام راويه وأنا رأيتها وأنها لتادم أم معبد، وجميع حرمها أي أهل ذلك الماء، وذكر الزمخشري عن هند بنت الجون قالت نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم خيمة خالتى أم معبد فقام من رقدته فدعا بماء فغسل يديه ثم تمضمض ومجّ فى عوسجة إلى جانب الخيمة فأصبحت كأعظم دوحة وجاءت بتمر كأعظم ما يكون فى لون الورس ورائحة العنبر وطعم الشهد ما أكل منها جائع إلا شبع ولا ظمئان إلا روي ولا سقيم إلا برئ ولا أكل من ورقها بعير ولا شاة إلا در لبنها انتهى المراد منهما.

وأخرج الشيخان عن البراء بن عازب أن أباه عازبا سأل أبا بكر رضي الله عنهما: كيف صنعت أنت ورسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجتما من مكة والمشركون يطلبونكم؟ قال ارتحلنا من مكة فأحيينا

يومنا وليلتنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة فرميت ببصري هل أرى من ظل نأوى إليه، فإذا أنا بصخرة فانتهيت إليها فإذا بقية ظل لها، فنظرت بقية ظلها فسويته وفرشت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فروة وقلت اضطجع يا رسول الله فاضطجع ثم ذهبت أنظر ما حوله هل أرى من الطلب أحدا فإذا أنا براعى غنم يسوق غنمه إلى الصخرة يريد منها مثل الذى أريد يعنى من الظل، فقلت لمن أنت قال لفلان رجل من قريش فعرفته فقلت هل فى غنمك من لبن؟ قال نعم. قلت هل حالب أنت لي؟ قال نعم. فاعتقل شاة من غنمه فأمرته أن ينفض ضرعها من الغبار ثم أمرته أن ينفض كفيه، فقال هكذا فضرب إحدى كفيه على الأخرى فحلب لى كثبة من لبن وقد رويت ومعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أدوات على فمها خرقة فصببت على اللبن حتى برد أسفله فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد استيقظ فقلت يا رسول الله اشرب فشرب حتى رضيت وقلت قد آن الرحيل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتحلنا انتهى المراد من الإكتفاء.

ثم لما رحلوا من عند أم معبد كما عند مغلطاي تعرض لهم يوم الثلاثاء كما عند ابن سعد سراقة بن مالك بن جعشم بضم الجيم والشين المعجمة وحكي الجوهري فتحهما، المدلجي بضم الميم وكسر اللام من بنى مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة الكناني والحجازي، أسلم على يده صلى الله عليه وسلم بالجعرانة مصرفه من حنين والطائف وروى عنه ابن عباس وجابر وابن أخيه عبد الرحمن بن مالك بن جعشم وابن المسيب وسبب تعرضه لهم ما فى البخاري عنه، قال جاءنا رسل من كفار قريش يجعلون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره، فبينما أنا جالس فى مجالس قومى أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة قد رأيت آنفا إسودة بالسواحل أراها محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه، قال سراقة فعرفت أنهم هم، فقلت له إنهم ليسوا هم، ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا ثم أثبت ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتى أن

تخرج بفرسي من وراء أكمة فتحبسها علي وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت الحديث وفيه أنه لما دنا منهم سقط عن فرسه واستقسم بالأزلام فخرج ما يكره لا يضرهم ثم ركبها ثانيا وقرب حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الإلتفات فساخت يدا فرسه فى الأرض إلى الركبتين فسقط عنها ثم خلصها واستقسم بالأزلام فخرج الذى يكره فناداهم بالأمان، وفى رواية ابن عقبة: وكنت أرجو أن أرده فآخذ المائة ناقة، وفى رواية عن أبى بكر: تبعنا سراقة ونحن فى جلد من الأرض، فقلت هذا الطلب قد لحقنا، فقال لا تحزن إن الله معنا، فلما دنا منا وكان بيننا وبينه رمحان أو ثلاثة قلت هذا الطلب لقد لحقنا وبكيت، قال صلى الله عليه وسلم ما يبكيك؟ فقلت أنا والله ما على نفسي أبكي ولكن عليك.

وعند الإسماعيلي وغيره، فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفناه بما شئت، وفى حديث أنس عند البخاري، اللهم أصرعه فصرعه فرسه، وللطبراني أن فرسه وقعت لمنخريها وللإسماعيلي فساخت فى الأرض إلى بطنها فطلب الأمان، زاد ابن إسحاق فقال أنا سراقة أنظرونى أكلمكم فوالله لا ياتيكم منى ما تكرهونه، وللإسماعيلي قد علمت يا محمد أن هذا عملك فادع الله أن ينجينى مما أنا فيه ولكما أن أرد الناس عنكما ولا أضركما، فدعا له صلى الله عليه وسلم، وللإسماعيلي وهذه كنانتى فخذ منها سهما، فإنك تمر على إبلي وغنمي بمكان كذا فخذ منها حاجتك فقال لا حاجة لنا فى إبلك ودعا لي، وذكر ابن سعد أنه لما رجع قال لقريش قد عرفت نظرى بالطريق وبالأثر وقد استبرأت لكم فلم أر شيئا فرجعوا، وروي أن سراقة قال يخاطب أبا جهل بعد انصرافه عن النبي صلى الله عليه وسلم:

أبا حكم والله لو كنت حاضرا	لأمر جوادى إذ تسيخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمدا	رسول ببرهان فمن ذا يقاومه
عليك بكف القوم عنه فإننى	أرى أمره يوما ستبدو معالمه
بأمر يود الناس فيه بأسرهم	بأن جميع الناس طرا يسالمه

وسراقة هذا أظهر الله فيه علما من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ففى الحديث أنه عليه السلام قال له كيف بك إذا لبست سواري كسرى. وذكر ابن المنير أنه قال له ذلك لما لحقهما فى الهجرة فعجب من ذلك فلما أوتي بهما عمر وبتاجه ومنطقته دعا سراقة فألبسه السوارين وقال ارفع يديك وقل الله أكبر الحمد الذى سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن مالك أعرابي من بنى مدلج ورفع عمر صوته ثم قسم ذلك بين المسلمين. ومما وقع لهم فى الطريق ما أخرجه البيهقي عن ابن بريدة قال لما جعلت قريش مائة من الإبل لمن يرد النبي صلى الله عليه وسلم حملني الطمع فركبت فى سبعين من بني سهم فلقيته، فقال من أنت قلت بريدة، فالتفت صلى الله عليه وسلم إلى أبى بكر وقال برد أمرنا وصلح، فقال ممن أنت قلت من أسلم، قال سلمنا، ثم قال ممن قلت من بنى سهم قال خرج سهمك يا أبا بكر، فقال بريدة للنبي صلى الله عليه وسلم من أنت؟ قال أنا محمد بن عبد الله رسول الله، فقال بريدة أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله، فأسلم بريدة وأسلم من كان معه جميعا. ولما بلغ المسمين بالمدينة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة كانوا يغدون كل غداة إلى الحرة بفتح المهملة وشد الراء أرض ذات حجارة سود كانت بها وقعة يزيد المشهورة ينتظرونه حتى يردهم حرُّ الظهيرة، فانقلبوا يوما بعدما طال انتظارهم فلما أووا إلى بيوتهم طلع رجل من اليهود على أطم بضم الهمزة والطاء من آطامهم والأطم الحصن فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عليهم ثياب بيض يرفعهم السراب فصاح بأعلى صوته يا بنى قيلة بفتح القاف وسكون التحتية بنت كاهل بن عذرة والدة الأوس والخزرج هذا جدكم! بفتح الجيم وشد المهملة أي حظكم ومطلوبكم وصاحب دولتكم قد أقبل، فخرج إليه بنو قيلة سراعا بسلاحهم إظهارا للقوة والشجاعة لتطمئن نفسه صلى الله عليه وسلم بقدومه عليهم ويظهر له صدقهم فى مبايعتهم إياه فنزل بقباء على بنى عمرو ابن عوف على فرسخ من المسجد النبوي وكان نزوله على كلثوم بن الهدم وقام أبو بكر للناس

يتلقاهم وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيى أبا بكر يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرفه الناس عند ذلك ولا ينافى ما هنا من إصابة الشمس له صلى الله عليه وسلم ما مرّ من إظلال الغمامة له لأن ذلك قبل البعثة كما صرح به القسطلاني وغيره وأقام فى بنى عمرو بن عوف أربع عشرة ليلة على ما فى الصحيحين عن أنس واثنين وعشرين ليلة على ما ذكره موسى بن عقبة من رواية محمد بن بريدة وحكاه الزبير بن بكار عن قوم من بنى عمرو بن عوف وقيل ثلاثا فقط، رواه ابن عائذ عن ابن عباس وأسس صلى الله عليه وسلم مسجد قباء وقيل أقام فيه أربعة ثم خرج عليه السلام من قباء يوم الجمعة حين ارتفع النهار، فأدركته الجمعة فى أرض بنى سالم بن عوف فصلاها بمسجدهم فى بطن وادى رانوناء براء مهملة ونون كعاشوراء واسم المسجد غبيب بضم الغين المعجمة وفتح الموحدة بتصغير غب كما ضبطه صاحب المغانم المطابة فى فضائل طابة وهو المجد صاحب القاموس واسم الوادى ذو صلب ولذا سمي مسجد الجمعة وهي أول جمعة صلاها عليه السلام وأول خطبة خطبها فى الإسلام وقيل كان يصلي فى مسجد قباء مدة إقامته ثم بعد صلاة الجمعة ركب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم راحلته متوجها إلي المدينة وهو مردف أبا بكر خلفه إكراما له وإلا فقد كان له راحلة كما مرّ وأبو بكر شيخ كان قد أسرع إليه الشيب والنبي صلى الله عليه وسلم لا شيب فيه وأبو بكر يعرف لأنه كان يمر عليهم تاجرا ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرف لعدم تردده إليهم فيلقى الرجل أبا بكر فيقول يا أبا بكر من هذا الذى بين يديك؟ فيقول هذا الرجل يهدينى السبيل فيحسب الحاسب أنه يعنى الطريق الحسية وإنما يعنى سبيل الخيرات وكان صلى الله عليه وسلم كلما مرّ على دار من دور الأنصار اعترضه رجالهم يدعونه إلى المقام معهم ويقولون له يا رسول الله هلم إلى القوة والمنعة والمنعة

بالتحريك مشترك بين العز والجماعة اللذين يحمونه وإن سكنت النون فبمعنى العز فقط، وسمى ممن قال له ذلك عتبان بن مالك وعباس بن عبادة بن نضلة من بنى سالم بن عوف وزياد بن لبيد وفروة بن عمرو فى رجال من بنى بياضة وسعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وفى رجال من بنى ساعدة وسعد بن الربيع وخارجة بن زيد بن أبى زهير وعبد الله بن رواحة فى رجال من بنى الحارث بن الخزرجي وأبو سليط وسليط بن القيس فى رجال من بنى عدي بن النجار وهم أخواله صلى الله عليه وسلم لأن أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو منهم. ويقول عليه السلام لكل منهم خلوا سبيلها يعني ناقته فإنها مأمورة حتى أتت دار مالك بن النجار فبركت على باب مسجده صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ مربد بكسر الميم وسكون الراء وفتح الباء فدال مهملة الموضع الذى يجفف فيه التمر لسهل وسهيل بنى رافع بن عمرو وهما يتيمان فى حجر معاذ بن عفراء كما عند ابن إسحاق وأبى عبيد ويقال إنهما فى حجر سعد بن زرارة أي بالألف أحد سباق الأنصار وفى رواية أبى ذر وحده سعد بلا ألف والأول هو الصواب قال الحافظ سعد تأخر إسلامه انتهى وذكره غير واحد فى الصحابة، قال عياض ولم يذكره كثيرون لأنه ذكر فى المنافقين وحكى الزبير أنهما كانا فى حجر أبى أيوب قال فى الفتح وأسعد أثبت، وقد يجمع باشتراكهم وبانتقال ذلك بعد أسعد إلى من ذكر واحدا بعد واحد انتهي من الزرقاني.

وقال الكلاعي فلما بركت ولم ينزل عنها صلى الله عليه وسلم وثبت ومشت غير بعيد ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها لا يثنيها به ثم التفتت خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه ثم تحلحلت ورزمت ووضعت جيرانها به، فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتمل أبو أيوب رحله فوضعه فى بيته ونزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى المراد منه.

وفي حاشيته منسوبا للسهيلي فسر ابن قتيبة تلحلح أي بتقديم اللام بأن معناه لزم مكانه وأنشد:

أنا من إذا قيل انفروا قد اتيتم   أقاموا على أثقالهم وتلحلحوا

وأما تقديم الحاء فمعناه زال عن موضعه وهذا الذى قاله قوي من جهة الإشتقاق ولكن الرواية فى سيرة ابن إسحاق بتقديم الحاء وهو خلاف المعنى. انتهى.

قال فى المواهب وشرحها بعد أن ذكر بروكها أولا بالمربد ثم ثارت وهو صلى الله عليه وسلم عليها ومشت حتى بركت على باب أبى أيوب خالد بن زيد بن كليب من أكابر الصحابة من بنى مالك بن النجار شهد بدرا والمشاهد ثم ثارت أي قامت وبركت فى مبركها الأول عند المسجد وألقت جيرانها بالأرض وهو بكسر الجيم باطن العنق أو مقدمه من المذبح وأرزمت بهمز فراء ساكنة فزاي مفتوحة أي صوتت من غير أن تفتح فاها، قاله أبو زيد وقال صاحب العين معناه رغت ورجعت فى رغائها ويقال منه أرزم الرعد وأرزمت الريح انتهى. وروي رزمت بلا ألف أي نامت من الإعياء والهزال ونزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتمل أبو أيوب رحله بإذنه صلى الله عليه وسلم وأدخله بيته ومعه زيد بن حارثة وكانت دور بنى النجار أفضل دور الأنصار والناقة المذكورة هي القصواء والجدعاء وهل هما إثنتان أو واحدة لها لقبان خلاف، وفى الألفية عضباء جدعاء هما القصواء، وقال السهيلي والصحيح أن العضباء غير القصواء قال أبو أيوب لما نزل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت فى العلو فلما خلوت على أم أيوب قلت لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق بالعلو منا تنزل عليه الملائكة وينزل عليه الوحي فبتنا تلك الليلة لا أنا ولا أم أيوب بحالة هنيئة بل بشر ليلة، فلما أصبحت قلت يا رسول الله ما بت الليلة أنا ولا أم أيوب، قال لم يا أبا أيوب؟ قال قلت أنت أحق بالعلو منا تنزل عليك الملائكة وينزل عليك الوحي قال صلى الله عليه وسلم الأسفل أرفق بنا. فقلت لا والذى بعثك بالحق لا أعلو سقيفة أنت تحتها أبدا، فلم يزل أبو أيوب يتضرع إليه حتى تحول إلى العلو وأبو أيوب فى السفل وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث به إليه فإذا رد فضله علينا تيممت أنا وأم

أيوب موضع يده نبتغي بذلك البركة وقد ذكر أن هذا البيت الذى لأبى أيوب بناه له عليه الصلاة والسلام تبع الأول ابن حسان الحميري وكان ممن تدين بالزبور وبين موته ومولد النبي صلى الله عليه وسلم ألف سنة لما مر بالمدينة روي أبن عساكر أنه قدم مكة وكسى الكعبة وخرج إلى يثرب وكان فى مائة ألف وثلاثين ألفا من الفرسان ومائة ألف وثلاثة عشر ألفا من الرجالة ولما نزلها جمع أربعمائة رجل من الحكماء والعلماء وتبايعوا أن لا يخرجوا منها فسألهم عن الحكمة فى مقامهم فقالوا إن شرف البيت وشرف هذه البلدة بهذا الرجل الذى يخرج يقال له محمد صلى الله عليه وسلم فأراد تبع أن يقيم وأمر ببناء أربعمائة دار لكل رجل دار واشترى لكل منهم جارية واعتقها وزوجها منه وأعطاهم عطاء جزيلا وأمرهم بالإقامة إلى وقت خروجه وكتب كتابا للنبي صلى الله عليه وسلم فيه إسلامه ومنه شهدت على أحمد أنه رسول من الله بارئ النسم، فلو مد عمرى إلى عمره لكنت وزيرا له وابن عم، ودفع الكتاب إلى عالم عظيم وأمره أن يدفعه إلى محمد صلى الله عليه وسلم إن أدركه وإلا فمن أدركه من ولد ولده أبدا إلى حين خروجه فتداول الدار التي بنى تبع للنبي صلى الله عليه وسلم لينزلها إذا قدم المدينة الأملاك إلى أن وصلت إلى أبى أيوب وهو من ولد ذلك العالم الذى دفع إليه الكتاب ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلوا إليه كتاب تبع مع أبى ليلى فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال له أنت أبو ليلى، ومعه كتاب تبع الأول، وقال وأهل المدينة الذين نصروه عليه السلام من ولد أولئك العلماء فعلى هذا فالمصطفى صلى الله عليه وسلم إنما نزل فى منزل نفسه لا فى منزل غيره وفرح أهل المدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم وأشرقت المدينة بحلوله فيها وصعدت ذات الخدور على الأجاجير بجيمين جمع اجار وفى لغة الأناجير بالنون وهي السطوح عند قدومه عليه السلام يهنئنه ويقلن:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

زاد رزين:

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

قال القسطلاني فى المواهب أنشئ هذا الشعر عند قدومه عليه السلام المدينة رواه البيهقي وأبو بكر المقرى بضم الميم وسكون القاف كما فى الزرقاني عن ابن عائشة وذكره الطبري وقال خرجه الحلواني انتهى وسميت ثنية الوداع لأنه عليه السلام ودعه بها بعض المقيمين بالمدينة فى بعض أسفاره يعنى غزوة تبوك كما فى الزرقاني وقيل لأنه عليه السلام شيع إليها بعض سراياه أي سرية مؤتة كما للزرقاني أيضا فودعه عندها وهذان يعطيان أن التسمية حادثة وقيل لأن المسافر من المدينة كان يشيع إليها ويودع عندها قديما فدل على أنه اسم قديم وقال ابن بطال سميت بذلك لأنهم كانوا يشيعون الحاج إليها ويودعونه عندها وإليها يخرجون عند التلقى قال شيخ الإسلام الولي ابن العراقي وهذا كله مردود ففى صحيح البخاري وسنن أبى داوود والترمذي عن السائب بن يزيد قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك خرج الناس كلهم يتلقونه من ثنية الوداع وهذا صريح فى أنها من جهة الشام لا من جهة مكة قال ولهذا قال والدى عبد الرحيم فى شرح الترمذي كلام ابن بطال وهم وكلام ابن عائشة معضل لا تقوم به حجة انتهى.

ونحوه فى الفتح كما للزرقاني قال القسطلاني وسبقه إلى ذلك ابن القيم أي فى كتابه زاد المعاد فى هدي خير العباد فقال هذا وهم لأن ثنية الوداع إنما هي من ناحية الشام لا يراها القادم من مكة ولا يمر بها إلا إذا توجه إلى الشام وإنما وقع ذلك عند قدومه من تبوك لكن قال ابن العراقي ويحتمل أن تكون الثنية التى من كل جهة يصل إليها المشيعون يسمونها ثنية الوداع انتهى قال الزرقاني قال الخميس يشبه إن هذا هو الحق ويؤيده جمع الثنيات قال ولا مانع من تعدد وقوع هذا الشعر مرة عند الهجرة ومرة عند قدومه من تبوك فلا ينافى ما فى البخاري وغيره ولما بركت الناقة على باب أبي أيوب خرج جوار من بني النجار يضربن بالدفوف ويقلن:

نحن جوار من بنى النجار يا حبذا محمد من جار

فقال محمد صلى الله عليه وسلم: أتحببنني أي بضم التاء من أحب وبفتحها وكسر الموحدة من حب؟ قلن نعم يا رسول الله، فقال عليه السلام الله يعلم أن قلبي محبكم بالميم يعني معشر الأنصار، وفى رواية فقال والله وأنا أحبكن فتفرق الناس فى الطرق ينادون فرحا: جاء محمد، جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهي أوبؤ أرض الله وعك بالبناء للمجهول أي حمّ أبو بكر وبلال وعامر بن فهيرة وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرئ مصبح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله

قوله مصبح أي مصاب بالموت صباحا وشراك النعل سيره الذى على ظهر القدم والمعنى أن الموت أقرب إلى الشخص من شراك النعل إلى الرجل وذكر ابن شيبة أن هذا الرجز لحنظلة ابن سيارة قاله يوم ذي قار وتمثل به الصديق رضي الله عنه وكان عامر يقول:

لقد وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حتفه من فوقه

كل امرئ مجاهد بطوقه كالثور يحمى أنفه بروقه

والطوق الطاقة والروق القرن يضرب مثلا فى الحث على حفظ الحريم ويذكر أن هذا الشعر لعمرو بن مامة وكان بلال إذا أقلعت عنه الحمى بالبناء للفاعل أو المفعول يرفع عقيرته أي صوته بالبكاء ويقول:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحولى إذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة وهل تبدون لى شامة وطفيل

وقوله بواد يعنى واد مكة والإذخر بكسر الهمزة وسكون الذال وكسر الخاء المعجمتين حشيش مكة إلخ.. والرائحة الطيبة وجليل نبت ضعيف يحشى به البيوت وهو الثمام ومياه بالهاء ومجنة بفتح الميم والجيم والنون المشددة وتكسر الميم موضع على أميال من مكة كان به سوق فى الجاهلية وشامة وطفيل بفتح المهملة وكسر الفاء عينان بقرب مكة كما ارتضاه الخطابي وقواه السهيلي وقيل جبلان وزعم فى القاموس أن شامة بالميم تصحيف من المتقدمين وأن الصواب بالباء وأشار الحافظ لرده فقال زعم بعضهم أن الصواب بالموحدة بدل الميم والمعروف بالميم

انتهى. من الزرقاني.

تنبيه:

أصل العقيرة الساق المقطوعة وأصل هذا كما قال الأصمعي أن رجلا انعقرت رجله فرفعها وصاح ثم قيل لكل من صاح ذلك وإن لم يرفع رجله قال ثعلب فهذا من الأسماء التي استعملت على غير أصلها وهذان البيتان ليسا لبلال بل تمثل بهما وإنهما لبكر بن غالب الجرهمي أنشدهما لما بعثهم خزاعة من مكة ولما أخبرت عائشة رضي الله تعالى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا وصححهما لنا وانقل حماها الى الجحفة. قوله حبب إلينا المدينة إلخ.. **فاستجاب الله** دعاءه فكانت أحب إليهم من مكة كما جزم به السيوطي وقوله اللهم بارك لنا إلخ.. قد أجاب الله دعاءه فطيب الله هواها وترابها وساكنها والعيش بها. قال ابن بطال وغيره من أقام بها يجد من تربتها وحيطانها رائحة طيبة، قال الشامي ويكفى المدّ منها ما لا يكفيه بغيرها، وهذا أمر محسوس لمن سكنها والجحفة بضم الجيم وسكون المهملة قرية جامعة نحو خمس مراحل من مكة وظهرت فيها معجزة عجيبة فهي من يومئذ وبيئة لا يشرب أحد من مائها إلا حمّ ولا يمر بها طائر إلا حم وسقط وكانت يومئذ مسكن اليهود والذى نقل عن المدينة شدتها وسلطانها وكثرتها بحيث لا يعد الباقي بالنسبة إليها شيئا.

(ثم بها أقام) أي ثم بعد نزوله صلى الله عليه وسلم بالمدنية أقام بها أي لم يزل ساكنها **(حتى احتضرا)** أي توفي صلى الله عليه وسلم بها أي المدينة والفعل مبني للمفعول والمحتضر بفتح الضاد الذى حضره أجله أو حضرته الملائكة لنزع روحه قال الشادلي المحتضر بفتح الضاد وكسرها الميت لأن أجله حضره قال العدوي فى حاشيته هذه العلة تناسب الفتح، وفى زروق والمصباح بفتح الضاد ولم يذكروا الكسر أو لأن الملائكة تحضره لنزع روحه أو لحضور أجله غالبا، قال وهذه العلل كلها تناسب

الفتح اسم مفعول وإما بالكسر اسم فاعل فهو من قام به الإحتضار انتهى المراد منه.

وعلى هذا الأخير فيصح كون الفعل فى كلام الناظم مبنيا للفاعل والأول سالم من الاسناد فهو حسن فى ضبطه والله أعلم.

(بها فكانت أشرف البقاع) قوله فكانت إلخ.. مسبب عن قوله ثم بها أقام حتى أحتضرا بها واسم كان ضمير يعود على المدينة المنورة وأشرف بالنصب خبره والبقاع البلاد يعنى أن المدينة إنما كانت أفضل من جميع البلاد لسكنى النبي صلى الله عليه وسلم فيها حيا وميتا وإلى ما ذكر ذهب عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأكثر أهل المدينة ومالك وأصحابه سوى من يأتي ذكره واختاره بعض الشافعية وذهب الأكثر إلى تفضيل مكة وبه قال الشافعي وابن وهب ومطرف وابن حبيب واختاره ابن عبد البر وابن رشد وابن عرفة والأدلة كثيرة من الجانبين حتى قال الإمام ابن أبى جمرة بتساوى البلدين واختار السيوطي الوقف عن التفضيل لتعارض الأدلة فى الحجج المبينة وجزم فى خصائصه بأن المختار تفضيل المدينة قاله الشيخ محمد بن عبد الباقى فى شرح الموطإ. ولما كانت التربة التى ضمت أعضاءه صلى الله عليه وسلم خارجة عن هذا الخلاف بل هي أفضل من جميع بلاد الله تعالى حتى من الكعبة ومن السماء بل ومن العرش كما نقله السبكي أشار الناظم رحمه الله تعالى إلى ذلك فقال: **(أما ضريحه)** صلى الله عليه وسلم أي قبره الشريف **(ف)** هو أفضل من جميع البقاع **(بالإجماع)** من جميع الأمة، قال الشيخ عبد الباقي عند قول الشيخ خليل والمدينة أفضل ثم مكة على قول مالك وهو قول أهل المدينة وعكس الشافعي وابن وهب وابن حبيب وأهل الكوفة ومحل الخلاف فى غير الموضع الذى ضم أعضاءه صلى الله عليه وسلم وهو مراد من عبر بغيره فإنه أفضل من جميع بقاع الأرض حتى الكعبة ومن السماوات والعرش والكرسي واللوح والقلم والبيت كما للسيد السمهودي ولعله أراد البيت المعمور فلا يتكرر مع الكعبة فإنها أفضل من بقية المدينة اتفاقا وأما المسجدان بقطع النظر عن الكعبة وعن القبر

الشريف فمسجد المدينة أفضل وما زيد من مسجده الشريف حكمه حكم مسجده عند الجمهور وهو مذهب الإئمة الثلاثة وصرح به الشافعية غير النووي وقيل رجع عن ذلك قال أبو هريرة رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو زيد في هذا المسجد إلى صنعاء كان مسجدي، وعن عمر رضي الله عنه قال لو مدّ مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذي الحليفة لكان منه، والجمهور على تفضيل السماء على الأرض وقيل بتفضيل الأرض لخلق الأنبياء منها ودفنهم فيها والمراد بموضع قبره ما يمس أعضاءه كما مرّ لا أعم وإن كان لغير الماس حرمة أيضا كجلد المصحف وقال الدماميني والروضة تنضم أيضا لموضع القبر بالإجماع على تفضيله بالدليل الواضح إذ لم يثبت لبقعة أنها من الجنة بخصوصها إلا هي كما قال عبد الباقي ويلي مكة بيت المقدس فهو أفضل ولو من المساجد المنوسبة له صلى الله عليه وسلم كمسجد قباء انتهى المراد منه.

وقال الإمام الحطاب عند قوله والمدينة أفضل إلخ.. هذا هو المشهور وقيل مكة أفضل ثم المدينة بعد إجماع الكل على أن موضع قبره عليه السلام أفضل بقاع الأرض ونقل الحطاب عن العلماء أن الصلاة تضاعف فيما زيد في المسجد النبوي كما تضاعف في القديم منه وقال مالك لما سئل عن الصلاة فيما زيد منه قال ما أراه عليه السلام أشار بقوله صلاة في مسجدي هذا إلا لما سيكون بعده من مسجده لأن الله تعالى أطلعه على ذلك حتى أشار إليه انتهى.

وقال الشبراخيتي والمدينة عندنا وجميع السلف ومنهم عمر رضي الله عنه أفضل انتهى نقله الوالد حفظه الله تعالى في اللوامع. وفي شرح الزرقاني للمواهب عن البرماوي الحق أن مواضع أجساد الأنبياء وأرواحهم أشرف من كل ما سواها من الأرض والسماء ومحل الخلاف في أن السماء أفضل أو الأرض غير ذلك انتهى. يعني وأفضل تلك المواضع القبر الشريف بالإجماع، واستشكله العز بن عبد السلام بأن معنى التفضيل في الموضعين أن ثواب العمل في أحدهما أكثر من الآخر وكذا

التفضيل بين الأزمان وموضع القبر الشريف العمل فيه حرام فيه عقاب شديد ورد عليه تلميذه العلامة القرافي بأن التفضيل للمجاورة والحلول كتفضيل جلد المصحف على سائر الجلود فلا يمسه محدث ولا يلابس بقذر لا لكثرة الثواب وإلا لزم أن لا يكون جلد المصحف بل ولا المصحف نفسه أفضل من غيره وهو خلاف المعلوم من الدين بالضرورة وأسباب التفضيل أعم من الثواب وقال السبكي قد يكون للتفضيل لكثرة الثواب وقد يكون لأمر آخر، وإن لم يكن عمل فإن القبر الشريف ينزل عليه من الملائكة والرحمة وله عند الله من المحبة ولساكنه ما تقصر العقول عنه فكيف لا يكون أفضل الأمكنة . وقال السمهودي والرحمات النازلات بذلك المحل يعم فيضها الأمة وهي غير متناهية لدوام ترقياته صلى الله عليه وسلم وهو منبع الخيرات. وفي الشفاء ومن إعظامه عليه السلام إكرام مشاهده وأمكنته ولهذا كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة ويقول أستحيي من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة وأفتى مالك فيمن قال تربة المدينة ردية أن يضرب ثلاثين درة وأمر بحبسه وكان له قدر وقال ما أحوجه إلى ضرب عنقه وروي ان أبا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا:

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة لمن بان عنه أن نلم به ركبا

ولما أشرف بعض المريدين على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم أنشأ يقول متمثلا:

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر قمر تقطع دونه الأوهام
وإذا المطي بنا بلغن محمدا فظهورهن على الرجال حرام
أقربتنا من خير من وطئ الثرا فلها علينا حرمة وذمام

قال القاضي وجدير بمواطن عمرت بالوحي والتنزيل، وتردد بها جبريل وميكائيل، وعرجت منها الملائكة والروح، وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر، صلى

الله عليه وسلم وانتشر عنها من دين الله ما انتشر، إلى أن قال تعظم عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها، وجدرانها. وللمؤلف يعني نفسه:

يا دار خير المرسلين ومن به	هدي الأنام وخص بالآيات
عندي لأجلك لوعة وصبابة	وتشوق متوقد الجمرات
وعليّ عهد إن ملأت محاجرى	من تلكم الجدرات والعرصات
لأعفرن مصون شيبي بينها	من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادي والأعادى زرتها	أبدا ولو سحبا على الوجنات
لكن سأهدي من حفيل تحيتي	لقطين تلك الدار والجدرات
أذكى من المسك المفتق نفحة	تغشاه بالآصال والبكرات
وتخصه بزواكي الصلوات مع	نوامي التسليم والبركات

قوله درة بكسر الدال وتشديد الراء آلة التعزير وقوله قدرا أي جاها وعظمة وقوله منشد الإنشاد قراءة شعر نفسه أو غيره والبيتان لأبى الطيب المتنبى والرسم أثر الدار والفؤاد القلب، واللب العقل، والأكوار جمع كور بالضم رحل الناقة بإكافه كالسرج بآلته للفرس وقوله بان أي ظهر رسمه والإلمام: النزول وكرامة نصب على العلة وركبا حال أي كرامة ان ننزل به راكبين كذا فى ابن سلطان وغيره قال مؤلفه سمح الله له ولم يتعرض لقوله عنه وعلى تفسير بان بظهر فعنه يبدل منه قوله ان نلم بدل اشتمال أي لأجل إكرامنا له عن أن نلم به راكبين ويحتمل عندى معنى أظهر من هذا وهو أن يكون بان بمعنى بعدُ وضميره للنبي صلى الله عليه وسلم ويعنى ببينه عن الرسم انتقاله أي بالوفاة إلى دار كرامته صلى الله عليه وسلم أي نزلنا عن الرحال إكراما لمن ارتحل عن تلك الدار أن ننزل به راكبين هذا ما ظهر لى والله أعلم بالصواب.

وقوله لاح أي لمع وتقطع بصيغة المضارع مجهولا أو بحذف إحدى

التاءين أو بصيغة الماضى معلوما أي تضمحل لديه الأفهام بسطوع نوره والرحال بالمهملة جمع رحل البعير وفى نسخة بالجيم وذمام بكسر أوله أي عهد وأمان والأبيات لأبى نواس يمدح بها الأمين كذا بخط السخاوي. وجدير أي حقيق ولائق وعمرت بصغة المجهول مخففا ومشددا والروح أي أرواح الأنبياء المرسلين والروح الأمين وضجت صوتت والمعنى ارتفعت الأصوات فى عرصاتها جمع عرصة وهي كل بقعة بين الديار واسعة وليس بها بناء وأن تعظم بفتح الهمزة مبتدأ خبره جدير المقدم وتتنسم أي تستنشق وفى نسخة تشم بشد الميم وفى أخرى تشم نفحاتها أي روائحها الطيبة ولوعة أي شدة محبة والصبابة بالفتح رقة الشوق وعن النخعي كان يعجبهم أن يكون للغلام صبوة لأنه إذا تاب فربما كان ارعواؤه باعثا له عن شدة اجتهاده وكثرة نومه على ما فرط من عمله وأبعد له عن أن يعجب بحاله ولأن المجاز قنطرة الحقيقة والرياء قنطرة الإخلاص والعوادى جمع عادية وهي العوائق التي تصرف عن الشيء والأعادى جمع عدو والوجنة أعلى الخد وهي بفتح الواو وتكسر وتضم وسحبا من قولهم سحبته أي جررته وأهدى بضم الهمزة وحفيل تحيتي أي تحيتى الحافلة أي الكثيرة الكاملة والمفتق بفتح التاء المشددة أي المشقق ويقال فتق المسك إذا خلط به ما يزكى رائحته، قاله ابن سلطان فى شرح الشفاء وللشيخ الصالح أبى عمران:

دار الحبيب أحق أن تهواها ... وتحن من طرب إلى لقياها
وعلى الجفون متى هممت بزورة ... يابن الكرام عليك أن تغشاها
فلأنت أنت إذا حللت بطيبة ... وظللت ترتع فى ظلال رباها
مغنى الجمال منى الخواطر والتى ... سلبت عقول العاشقين حلاها
لا تحسب المسك الذكي كتربها ... هيهات أين المسك من رياها
طابت فإن تبغى التطيب يا فتى ... فأدم على الساعات لثم ثراها
وابشر ففى الخبر الصحيح مقرر ... أن الإله بطيبة سماها
واختصها بالطيبين لطيبها ... واختارها ودعى إلى سكناها
لا كالمدينة منزل وكفى بها ... شرفا حلول محمد بفناها

خصت بهجرة خير من وطئ الثرى ... وأجلهم قـــــدرا فكيف تراها
كل البلاد إذا ذكرن كأجرف ... في اسم المدينة لاحظت معناها
حاشى مسمى القدس فهي قريبة ... منهـا ومكة إنهـا إياها
لا فــرق إلا أن ثم لطيبـة ... مهـمـا بدت يجلو الظلام سناها
جزم الجميع بأن خير الأرض ما ... قد حاط ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت ... كالنفس حين زكت زكى مأواها
فلهذه ظهرت مزية طيبة ... وغدت وكل الفضل في مغناها

قال أبو العباس القلشاني ولقد أحسن فيها كل إحسان لاسيما قوله في آخرها:

كيف السبيل إلى تقضي مدح من ... قال الإله له وحسبك جاها
إن الذين يبـايعـونك إنما ... فيـمـا يقـول يبـايعـون الله

انتهى ما ذكر القلشاني منها.

ولما كان بعد قدومه صلى الله عليه وسلم بخمسة أشهر كما في المواهب تبعا لابن عبد البرّ وقيل بثمانية وقيل بتسعة آخى بين المهاجرين والأنصار على الحق والمواساة والتوارث واستمر ذلك إلى أن نزل بعد وقعة بدر حين أعز الله الإسلام وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فانقطعت المؤاخاة في الميراث وبقيت في التوادد والمناصرة كما قال تعالى: {إنما المؤمنون إخوة}، قال العز بن عبد السلام هو خبر بمعنى الأمر أي لينصر بعضهم بعضا، وقوله صلى الله عليه وسلم: المؤمن أخو المؤمن خبر أيضا بمعنى الأمر.

تتمة:

قال الشيخ محمد بن عبد الباقي في شرح المواهب: روى أبو داوود عن جبير بن مطعم مرفوعا لا حلف في الإسلام وأي حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة وروى احمد والترمذي وحسنه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رفعه أوفوا بحلف الجاهلية فإن الإسلام لم يزده إلا شدة ولا تحدثوا حلفا في الإسلام قال في النهاية أصل الحلف المعاقدة

والمعاهدة على التعاضد والتساعد والإنفاق فما كان منه في الجاهلية على القتال والغارات فذلك الذي نهى عنه بقوله لا حلف في الإسلام وما كان منه على نصر المظلوم وصلة الأرحام فذلك الذي قال فيه وأي حلف في الجاهلية إلخ.. يريد من المعاقدة على الخير ونصرة الحق انتهى.

(ومــدة اللبث بهــا في العــده عــشــر سنين يا لهــا من مــده)

قوله ومدة مبتدأ خبره قوله عشر واللبث بفتح اللام ويضم ويحرك المكث لبث كسمع، قاله في القاموس، وقوله يا لها تعجب أي يا قوم أعجبوا لتلك المدة من مدة يعني أن المدة التي أقام صلى الله عليه وسلم بها أي بالمدينة المشرفة عشر سنين وهذا عليه اتفاق العلماء، وفي الشمائل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه وبالمدينة عشرا وتوفي وهو ابن ثلاث وستين. قال البيجوري في شرحه قوله مكث بفتح الكاف وضمها أي لبث بعد البعثة، وقوله ثلاث عشرة سنة يوحى إليه أي باعتبار مجموعها لأن مدة فترة الوحي ثلاث سنين من جملتها وهذا هو الأصح الموافق لما رواه أكثر الرواة وروي عشر سنين وهو محمول على ما عدى مدة فترة الوحي وروي أيضا خمس عشرة سنة في سبعة منها يرى نورا ويسمع صوتا ولم ير ملكا وفي ثمانية منها يوحى إليه وهذه الرواية مخالفة للأولى من وجهين الأول في مدة الإقامة بمكة بعد البعثة ويمكن الجمع بحمل هذه الرواية على حساب سنة البعثة وسنة الهجرة والثاني في زمن الوحي ويمكن الجمع بأن المراد بالوحي إليه في ثلاث عشرة أعم من كون الملك مرئيا أولا وفي الثمانية خصوص الوحي مع رؤيته فلا تدافع، وقوله وبالمدينة عشرا أي عشر سنين باتفاق فإنهم اتفقوا على أنه صلى الله عليه وسلم أقام بالمدينة بعد الهجرة عشر سنين كما اتفقوا على أنه صلى الله عليه وسلم أقام بمكة قبل البعثة أربعين وإنما اختلفوا في قدر إقامته بمكة بعد البعثة والصحيح أنه ثلاث عشرة سنة فيكون عمره الشريف ثلاثا وستين انتهى.

وفي الشمائل أيضا عن معاوية رضي الله عنه قال مات رسول الله

صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين وأبو بكر وعمر قال البيجوري قوله وأبو بكر وعمر مبتدأ خبره محذوف تقديره كذلك أما أبو بكر فمتفق عليه وأما عمر فقيل مات وهو ابن إحدى أو ست أو سبع أو ثمان وخمسين سنة، ولم يذكر عثمان رضي الله عنه وقد قتل وهو ابن اثنتين وثمانين وقيل ثمان وثمانين سنة ولم يذكر عليا كرم الله وجهه والأصح أنه قتل وهو ابن ثلاث وستين وقيل خمس وستين وقيل سبعين.

(لقد غزى عشرين بعد خمس * فيها) ضمير فيها للمدة التى أقام صلى الله عليه وسلم بالمدينة ومعنى كلامه أنه صلى الله عليه وسلم غزا بنفسه الشريفة فى العشر سنين التى أقام بالمدينة خمسا وعشرين غزوة **(أولها)** غزوة ودّان بفتح الواو وشد المهملة فألف فنون قرية جامعة من أمهات القرى من عمل الفرع وقيل واد فى الطريق يقطعه المصعدون من حجاج المدينة، قاله الزرقاني وهي غزوة الأبواء قاله ابن أبى جمرة والقسطلاني والكلاعي وغيرهم خرج لها صلى الله عليه وسلم فى ستين رجلا من المهاجرين ليس فيهم أنصاري وحمل اللواء وكان أبيض، حمزة بن عبد المطلب وكان خروجه فى صفر لاثنتي عشرة ليلة خلت منه على رأس اثنتي عشر شهرا من مقدمه المدينة يريد قريشا وبنى ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، فخرج حتى بلغ ودان ففاته عير قريش ووادعه أي صالحه بنو ضمرة بفتح المعجمة وسكون الميم ابن بكر على أن لا يغزونه ولا يكثرون عليه جمعا ولا يعينون عليه عدوا وعقد معه ذلك سيدهم مخْشي بفتح الميم وسكون الخاء وكسر الشين المعجمة مع ياء مشددة ابن عمرو الضمري وقيل عمارة بن مخْشي بن خويلد ومخْشي بن عمر وقال البرهان لا أعلم له إسلاما وقال الشامي لم أر من ذكر له إسلاما فرجع إلى المدينة بعد خمسة عشر يوما ولم يلق كيدا، والأبواء بفتح الهمزة وسكون الموحدة والمد قرية من عمل الفرع والصحيح أنها سميت بذلك لتبوئ السيول لها وليس بين ما فى سيرة ابن إسحاق من أن أول غزواته ودان وبين ما نقله عنه البخاري أن أولها

الأبواء اختلاف لأنهما مكانان متقاربان بينهما ستة أميال أو ثمانية ولهذا وقع في حديث الصعب بن جثامة وهو بالأبواء أو بودّان انتهى من المواهب وشرحها. وقوله لقد غزا يقال غزا غزوا ومغزا والمغازي جمع مغزا والواحدة غزوة وغزاة وأصل الغزو القصد ومغزى الكلام مقصده، والمراد بالمغازي هنا ما حضره النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة، قال الزرقاني جرت عادة المحدثين وأهل السير غالبا بأن يسموا كل عسكر حضره النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة غزوة وما لم يحضره بل أرسل بعضا من أصحابه إلى العدو سرية وبعثا وما ذكره الناظم من عدد الغزوات خلاف ما اقتصر عليه القسطلاني فإنه قال في المواهب، وكان عدد مغازيه عليه السلام التي خرج فيها بنفسه سبعا وعشرين وقال الزرقاني عقبه كما قاله أئمة المغازي: موسى ابن عقبة وابن إسحاق وأبو معشر والواقدي وابن سعد وجزم به الجوزي والدمياطي والعراقي وغيرهم، وقال ابن إسحاق في رواية عنه: ستا وعشرين وقيل غزا خمسا وعشرين، وعن ابن المسيب أربعا وعشرين، وقال المحب الطبري جملة المشهور منها: اثنتان وعشرون ويمكن الجمع بأن من عددها دون سبع وعشرين نظرا إلى شدة قرب بعض الغزوات من غيره فجمع بين غزوتين فعدهما غزوة واحدة فضم للأبواء بواطا إذ الأبواء في صفر وبواط في ربيع الأول وضم حمراء الأسد لأحد لكونها صبيحتها وقريظة للخندق لأنها ناشئة عنها وتلتها ووادي القرى لخيبر لوقوعها في رجوعه من خيبر ، والطائف لحنين لانصرافه منها إليها، فبهذا تصير اثنتين وعشرين وإلى هذا أشار الحافظ، قاله العلامة الزرقاني، وقال ابن أبي جمرة إن عدة غزواته صلى الله عليه وسلم سبع وعشرون على ما ذكره ابن إسحاق وابن عقبة وقال غيرهما خمس وعشرون وفي صحيح مسلم عن جابر أنه صلى الله عليه وسلم غزا إحدى وعشرين غزوة وفي الصحيحين عن زيد بن أرقم أنه صلى الله عليه وسلم غزي تسع عشرة غزوة انتهى المراد منه.

قال الزرقاني عن الحافظ من قال تسع عشرة فلعله أسقط الأبواء

وبواطا وكان خفي عليه ذلك لصغره انتهى. ثم بعد ودان وهي غزوة الأبواء غزوة بواط بفتح الموحدة عند الأصيلي والمستملى من روات البخاري والعذري من روايه مسلم وصدر فى الفتح فتبعه السيوطي والقسطلاني فى المواهب قائلين وقد تضم وهو صريح فى قلته مع أنه الأعرف كما فى المطالع واقتصر عليه فى المقدمة والقسطلاني فى الشرح وصاحب القاموس وواه مخففة فألف فطاء مهملة جبل من جبال جهينة قرب ينبع على أربعة برد من المدينة، غزاها صلى الله عليه وسلم فى مائتين من المهاجرين يتعرض عير قريش عدتها ألفان وخمسمائة بعير فيهم أمية بن خلف ومائة رجل من قريش فى ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهرا من مقدمه كما قاله ابن إسحاق، وقال أبو عمرو وتلميذه ابن حزم فى ربيع الآخر، حتى بلغ بواطا من ناحية رضوى بفتح الراء وسكون الضاد المعجمة مقصور جبل، قال فى السبل على أربعة برد من المدينة وبه يفسر قول المجد على أبراد فرجع ولم يلق كيدا، أي حربا، قاله الإمام الزرقاني وبعضه من المواهب.

فائدة:

ذكر الشامي وغيره أنه فى هذه الغزوة حمل لواءه سعد بن أبى وقاص، وفى العيون سعد بن معاذ وناقضه البرهان والأقرب أنه ابن أبي وقاص للتصريح بأن الذين خرجوا من المهاجرين، نعم، قيل انه استخلف على المدينة سعد بن معاذ قال الزرقاني قال شيخنا فلعله التباس فى الاستخلاف بالحمل وقيل استخلف عليها السائب بن عثمان بن مظعون انتهى.

ثم بعد بواط العشيرة بضم العين المهملة وإعجام الشين مصغرا وآخره هاء، قال فى المواهب لم يختلف أهل المغازى فى ذلك الضبط قال الزرقاني قال فى المشارق وهو المعروف قال الحافظ وهو الصواب انتهى.

ثم قال فى المواهب وفى البخاري العشير والعسيرة بالتصغير

والأولى بالمعجمة بلا هاء والثانية بالمهملة وبالهاء انتهى.

قال الزرقاني ولأبى ذر العسير بالمهملة أو العشير بالمعجمة، والتصغير فيهما وفى نسخة عن الأصيلي العشير بفتح العين وكسر الشين المعجمة بغير هاء، انتهى.

وخرج إليها صلى الله عليه وسلم فى جمادى الأولى على رأس ستة عشر شهرا من الهجرة وقيل فى جمادى الأخيرة فى خمسين ومائة رجل وقيل فى مائتين حكاهما ابن سعد، وزاد من قريش من المهاجرين ممن انتدب ولم يكره أحدا على الخروج ومعهم ثلاثون بعيرا يعتقبونها وحمل اللواء وكان أبيض حمزة أسد الله وأسد رسوله يطلب عير أبى سفيان فى خروجها إلى الشام أي العير التى كانت بسببها وقعة بدر ويقال ان فيها خمسين ألف دينار وألف بعير ولا يرد على هذا أن العير هي الإبل التي تحمل الميرة لقول المصباح أنها غلبت على كل قافلة فوجدوا العير قد مضت قبله بأيام. قال أبو عمر فأقام هناك جمادى الأولى وليال من جمادى الأخيرة ووادع أي صالح فى هذه السفرة بنى مدلج من كنانة ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدا والعشيرة موضع بناحية ينبع قاله فى القاموس وفى الكلاعي حتى نزل على العشيرة من بطن ينبع انتهى.

فائدة:

نسخة الموادعة بينه صلى الله عليه وسلم وبين بنى ضمرة الواقعة فى غزوة ودان: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنى ضمرة بأنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم وأن لهم النصر على من رامهم أن لا يحاربوا فى دين الله ما بل البحر صوفة، وأن النبي صلى الله عليه وسلم إذا دعاهم لنصر أجابوه عليهم بذلك ذمة الله وعهد رسوله واستعمل فى خروجه ذلك على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد رضي الله عنه ثم بعد العشيرة غزوة بدر الأولى وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة العشيرة لم يقم بالمدينة إلا ليالي قلائل لا تبلغ العشر كما عند ابن إسحاق وقال ابن

حزم أنها بعد العشيرة بعشرة أيام فأغار كرز بضم الكاف وسكون الراء وبالزاء آخره ابن جابر الفهري وكان من رؤساء المشركين ثم أسلم وصحب واستشهد فى غزوة الفتح على سرح المدينة وهو بفتح السين وسكون الراء وبالحاء المهملات الإبل والمواشى التى تسرح للرعي بالغداة كما فى النور والسبل ولعل المراد بالمواشي المال السائم وإن كانت المواشي كما فى القاموس الإبل والغنم وفى العيون السرح ما رعوا من نعمهم فخرج صلى الله عليه وسلم فى أثره حتى بلغ سفوان وهو بفتح السين المهملة وفتح الفاء وبالنون بعد الألف موضع من ناحية بدر، هكذا فى النهاية، وتبعه السمهودي فقال سفوان بفتحات واد من ناحية بدر، وقيل الفاء ساكنة وحمل اللواء وكان أبيض كما فى الشامية على بن أبى طالب رضي الله عنه ففاته كرز فرجع ولم يلق كيدا وكرز هذا هو الذى استنقذ لقاح النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك من العرينيين وجيئ بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمرت أعينهم وهذه الغزوات الأربع التى ذكرت قبل ما سمى الناظم رحمه الله تعالى فلهذا ذكرناها هنا، ويليها غزوة بدر الكبرى والكبرى نعت لغزوة لا لبدر وتسمى العظمى والثانية، وبدر القتال وبدر الفرقان، قاله الزرقاني ولما كانت الغزوات التى غزاها صلى الله عليه وسلم بنفسه الشريفة منها ما اتفق فيه قتال ومنها ما لم يتفق فيه قتال، أشار المؤلف إلى بيان ذلك فقال **(وفي سبع بغير لبس * قاتل)** المجرور السابق متعلق بقوله قاتل وفاعل قاتل ضمير يعود على النبي صلى الله عليه وسلم واللبس الإختلاط يعنى أنه صلى الله عليه وسلم قاتل فى سبع من الغزوات التى غزاها بنفسه الشريفة وسيبينها الناظم قريبا والمراد بقتاله فيها عليه السلام قتال أصحابه للكفار فيها بحضرته وأما هو عليه السلام فلم يعلم أنه قاتل بنفسه إلا فى أحد ولم يقتل أحدا إلا أبي بن خلف فقتله فى أحد، قال فى المواهب وقاتل فى تسع منها بنفسه بدر وأحدا والمريسيع والخندق وقريظة وخيبر وفتح مكة وحنين والطائف، قال الشيخ محمد بن عبد الباقى فى شرحها قال ابن تيمية لا

يعلم أنه قاتل فى غزاة إلا فى أحد ولم يقتل أحدا إلا أبي بن خلف فيها، فلا يفهم من قولهم قاتل فى كذا أنه بنفسه كما فهمه بعض الطلبة ممن لا اطلاع له على أحواله عليه السلام انتهى. ثم قال الزرقاني ففى قوله يعنى القسطلاني بنفسه شيء وأجيب بأن المراد قتال أصحابه بحضوره فنسب إليه لكونه سببا فى قتالهم ولم يقع فى باقى الغزوات قتال منهم ولا منه، قال فى النور قد يرد على ابن تيمية حديث: «كنا إذا لقينا كتيبة أو جيشا أول من يضرب النبي صلى الله عليه وسلم» ويمكن تاويله، ثم قال القسطلاني وهذا يعنى عده لغزوة الفتح على قول من قال فتحت مكة عنوة قال الزرقاني وهم الجمهور وأما على قول الأقل فتحت صلحا فيكون القتال فى ثمان وقال الزرقاني أيضا قال ابن عقبة قاتل فى ثمان وأهمل عدّ قريظة لأنه ضمها للخندق لكونها كانت إثرها وكذا وقع لغيره عد الطائف وحنين وأحدا لكونها كانت فى أثرها هكذا فى فتح الباري وإنما كان لا ينفى أنه قاتل فى جميعها غايته أنه على عد الإثنتين واحدة بالاعتبار المذكور يكون قاتل فى موضعين منها انتهى.

والحديث الذى ذكر أنه يرد على ابن تيمية ذكره فى الشفا ونسبه ابن سلطان لأبي الشيخ وقال ابن سلطان إن النسفي قال فى تفسيره لم يقتل رسول صلى الله عليه وسلم بيده غيره، يعنى أبيا، انتهى كلامه.

ثم بين الناظم رحمه الله تعالي أسماء الغزوات التى قاتل فيها عليه السلام فقال: (**بدر أحد والخندق * بنى قريظة بني المصطلقي * وغزوة الطائف مع حنين**) قوله بدر وما بعده بالجر بدل من قوله سبع المتقدم يعنى أن هذه الغزوات السبع هي التى وقع فيها القتال من أصحابه بحضرته صلى الله عليه وسلم على ما قال الناظم وهي غزوة بدر وهي قرية مشهورة بين مكة والمدينة على نحو أربع مراحل من المدينة قاله النووي نسبت إلى بدر بن مخلد بن النضر بن كنانة كان نزلها وقيل بدر بن الحارث ابن كلدة حافر بئرها وقيل بدر اسم البئر التى بها سميت البير بدرا لاستدارتها كبدر السماء أو لصفاء مائها ورؤية

البدر فيها وغزوة أحد وغزوة الخندق وغزوة بني قريظة وغزوة بني المصطلق وتسمى غزوة المريسيع وغزوة الطائف وغزوة حنين وها أنا أذكر إن شاء الله طرفا من جميعها على وجه الإختصار حذرا من التطويل الممل لأن الناظم لم يذكرها إلا بما مرّ فأقول ومن الله تعالى أسأل الإخلاص والقبول:

أما غزوة بدر فهي أعظم غزوات الإسلام وأفضلها قال ابن عبد البر وليس في غزواته صلى الله عليه وسلم ما يصل إليهافي الفضل ويقرب منها غزوة الحديبية حيث كانت بيعة الرضوان فيها نقله الزرقاني. وفي الحديث لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم. وفيه أن جبريل جاءه فقال ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها، قال وكذلك من شهد بدرا من الملائكة هذا كله في البخاري. وقد قال العلماء الترجي في كلام الله ورسوله للوقوع على أن أحمد وأبا داوود وغيرهما رووه بلفظ إن الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وروى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار من شهد بدرا والحديبية وكان خروجه صلى الله عليه وسلم إليها يوم السبت كما جزم به مغلطاي. وعند ابن سعد يوم الإثنين وقالا معا لاثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان زاد مغلطاي على رأس تسعة عشر شهرا فقال ابن هشام لثمان خلون منه، واستخلف أبا لبابة الأوسي واليا على المدينة وذلك لما سمع بأبي سفيان بن حرب مقبلا من الشام في عير عظيمة لقريش فندب المسلمين إليهم وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فأخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها فخف بعض الناس وثقل بعض إذ لم يظنوا أنه صلى الله عليه وسلم يلقى حربا وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس الأخبار حتى أصاب خبرا باستنفار رسول الله صلى الله عليه وسلم له ولعيره فاستاجر ضمضما بفتح المعجمتين بعد كل ميم قاله الزرقاني بن عمرو الغفاري بكسر المعجمة وتخفيف الفاء والظاهر هلاكه على كفره قاله في النور ليخبر قريشا بذلك ويستنفرهم إلى أموالهم فخرج

ضمضم وكانت عاتكة بنت عبد المطلب قد رأت قبل قدوم ضمضم بثلاث رؤيا أفزعتها فقالت للعباس يا أخى لقد رأيت رؤيا تخوفت على قومك من أن يصيبهم منها شر فاكتم عنى ما أحدثك، فقال لها ما رأيت؟ قالت رأيت راكبا أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم فى ثلاث فأرى الناس اجتمعوا إليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها ثم مثل به بعيره على رأس أبى قبيس فصرخ بمثلها ثم أرسل صخرة فأخذها فأقبلت تهوى حتى إذا كانت بأسفل الجبل انقضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلتها فلقة منها فقال لها والله إن هذه لرؤيا حق وأنت فاكتميها، فذكرها العباس للوليد بن عتبة بن ربيعة وكان صديقا له واستكتمه، فذكرها الوليد لأبيه عتبة وفشى الحديث، قال العباس فقال لى أبو جهل: يا بنى عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية؟ قال قلت وما ذاك؟ قال الرؤيا التى رأت عاتكة، قد زعمت فى رؤياها أنه قال انفروا فى ثلاث: فسنتربص بكم هذه الثلاث، فإن يك حقا فسيكون وإن تمض الثلاث ولم يكن نكتب عليكم كتابا انكم أكذب بيت فى العرب. قال العباس فما كان منى إليه كبير فلما أمسيت لم تبق امرأة من بنى عبد المطلب إلا أتتنى وقالت أأقررتم هذا الخبيث أن يقع فى رجالكم؟ ثم تناول النساء وأنت تسمع ثم لم يكن عندك غير لشيء مما سمعت. فقلت وأيم الله لأتعرضن له فإن عاد لأكفيكنه، قال فغدوت فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا مغضب أرى أنه قد فاتني أمر أحب أن أدركه منه فدخلت المسجد فرأيته فوالله إنى لأمشى نحوه أتعرضه ليعود فأقع به إذ خرج يشتد وإذا هو قد سمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو يصرخ ببطن الوادى واقفا على بعيره قد جدعه وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة، أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه لا أرى أن تدركوها الغوث الغوث، قال فشغلنى وشغله ما جاء من الأمر فتجهز الناس سراعا وقالوا يظن محمد وأصحابه أن تكون

كعير ابن الحضرمي كلا والله ليعلمن غير ذلك، فكانوا بين رجلين إما خارج وإما باعث رجلا مكانه، واللطيمة العير تحمل المسك، ولما أجمعوا السير ذكروا حربا كانت بينهم وبين بكر بن كنانة وقالوا إنا نخشى أن ياتونا من خلفنا فتبدى لهم إبليس فى صورة سراقة المدلجي وقال إنى لكم جار من أن تاتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه فخرجوا سراعا وكان البدريون من الصحابة ثلاثة عشر وثلاث مائة على ما رواه أحمد والبزار والطبراني عن ابن عباس وهو المشهور عند ابن اسحاق وللبيهقي بسند حسن عن عبد الله بن عمرو بن العاص ثلاث مائة وخمسة عشر، وفى صحيح مسلم وسنن أبى داوود والترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنهم ثلاث مائة وتسعة عشر بفوقية فسين مهملة فجمع الحافظ بينه وبين الأول كما فى الزرقاني بأنه ضم إليهم من استصغر ولم ياذن له فى القتال كابن عمر والبراء وأنس وجابر وحكى السهيلي أنه حضر مع المسلمين سبعون نفسا من الجن كانوا أسلموا قال الزرقاني معه بعض كلام المواهب وإذا تحرر هذا فليعلم أن الجميع لم يشهدوا القتال وإنما عدة من استمر معه حتى شهد القتال ثلاث مائة وخمسة رجال كما قاله ابن سعد، ولابن جرير عن ابن عباس وستة، قال الحافظ فكأن ابن سعد لم يعد النبي صلى الله عليه وسلم فيهم قال ابن سعد المهاجرون منهم اربعة وستون وسائرهم من الأنصار وثمانية رجال منهم لم يحضروها حسا ولكنهم بدريون حكما لأنهم إنما تخلفوا للضرورات ولذا أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم ما يخصهم من الغنيمة وأخبرهم أن لهم أجر من شهدها فكانوا كمن حضرها فعدوا فى أهلها، وهم عثمان تخلف على زوجته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم بإذنه فى مرض موتها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كما فى البخاري إن لك لأجر رجل ممن شهدها وسهمه وطلحة وسعيد بن زيد بعثهما يتجسسان عير قريش هؤلاء مهاجرون ومن الأنصار أبو لبابة استخلفه على المدينة وعاصم بن عدي على أهل العالية والحارث بن حاطب على بني عمرو بن عوف لشيء بلغه عنهم والحارث بن الصمت

وقع للروحاء فكسر فرد هؤلاء من الروحاء وخوات بن جبير أصابه حجر في ساقه فرده من الصفراء، وذكر الواقدي فيهم سعد بن مالك الساعدي والد سهل بن سعد، قال تجهز ليخرج لبدر فمات فضرب له بسهمه وأجره، ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ بير أبى عنبة كواحدة العنب الماكول وهي على ميل من المدينة عرض أصحابه فرد من استصغر وسار حتى بلغ الروحاء بفتح الراء وسكون الواو وحاء مهملة ممدودة قرية على نحو أربعين ميلا من المدينة، وفى مسلم على ستة وثلاثين ميلا فنزل سجسجا بفتح السين المهملة وسكون الجيم بعدهما مثلهما وهي بئر الروحاء قال السهيلي سميت بذلك لأنها بين جبلين وكل شيء بين شيئين سجسج فلما سار من الروحاء وقرب من الصفراء أتاه الخبر بمسير قريش ليمنعوا عيرهم من رسوليه اللذين أرسلهما يتجسسان خبر أبى سفيان وهما بسبس بموحدتين مفتوحتين ومهملتين أولاهما ساكنة ولجميع رواة مسلم بسيسة بضم الموحدة وفتح المهملة وسكون التحتية وفتح السين فتاء تأنيث والأول هو المعروف والأصح كما قاله الذهبي وكذا ذكره ابن إسحاق والدارقطني وابن عبد البر وابن ماكولا والسهيلي قال فى الإصابة وهو الصواب وهو ابن عمرو الجهني حليف الخزرج وعدي بن ابي الزغباء الجهني أيضا حليف بنى النجار فمضيا حتى نزلا بدرا فأناخا إلى تل قريب من الماء وأخذا يستسقيان فسمعا جاريتين تقول إحداهما لصاحبتها إن أتانى العير غدا أو بعد غد أعمل لهم ثم أقضيك الذى لك، فانطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه بما سمعا فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فى طلب العير وفى حرب النفير أي خيرهم بين طلب العير وحرب القوم النافرين لقتالهم وقال ان الله وعدكم إحدى الطائفتين إما العير وإما قريش وكانت العير أحب إليهم كما قال تعالى: {وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم} وذات الشوكة الطائفة التى فيها السلاح كذا فى المواهب وشرحها ان الرسولين هما اللذان أتيا بخبر النفير قرب الصفراء وظاهر الكلاعي أن الخبر أتاه بعد ذلك فإنه

قال بعد فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه ثم تقدم أبو سفيان العير حذرا حتى ورد الماء فقال لمجدي هل أحسست أحدا؟ قال لا إلا أني قد رأيت راكبين أناخا إلى هذا التل ثم استقيا في شن لهما ثم انطلقا فأتى أبو سفيان مناخهما فأخذ من أبعار بعيريهما ففتته فإذا فيه النوى فقال هذه والله علائف يثرب فأسرع إلى أصحابه فضرب وجه عيره عن الطريق وترك بدرا بيساره ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى واديا يقال له ذفران فنزل وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم فأخبر الناس واستشارهم فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن انتهى المراد منه.

وفي القاموس وذفران بكسر الفاء واد قرب واد الصفراء وتصحيف لدقران وقوله فأحسن أي جاء بكلام حسن، قال الزرقاني ولم أر من ذكره، ثم قام عمر فقال وأحسن وذكر ابن عقبة انه قال يا رسول الله إنها قريش وعزها والله ما ذلت منذ عزت ولا آمنت منذ كفرت والله لتقاتلنك فتأهب لذلك أهبته وأعد لذلك عدته وعزها بالنصب أو بالرفع مبتدأ حذف خبره أي ثابت لم يتغير، ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ولكن إذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له عليه السلام خيرا ودعا له بخير ويعني ببرك الغماد مدينة الحبشة، قاله القسطلاني وقال الزرقاني هو بفتح الموحدة عند الأكثر وهو المعروف في الرواية، وفي رواية بكسرها والراء ساكنة وحكى عياض عن الأصيلي فتحها قال النووي وهو ضعيف والغماد بكسر المعجمة وتخفيف الميم قال الحازمي موضع على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمين وقال البكري هي أقاصي هجر وحكى ابن فارس ضم الغين والفزاز فتحها وقال ابن دريد بقعة في جهنم واعترضه بعضهم لأنه عليه السلام لا يدعوهم إلى جهنم، وخفي عليه أن ذلك بطريق المبالغة لا الحقيقة، والأولى تفسره بأنه

أقصى معمور الأرض كما هو أحد معانيه ثم قال صلى الله عليه وسلم أيها الناس أشيروا علي وإنما يريد الأنصار، لأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله إنا برؤاء من ذمامك حتى تصل إلى دارنا وكان صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى أن عليها نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة فقال له سعد بن معاذ الذى هو فى الأنصار بمنزلة الصديق فى المهاجرين كما صرح به البرهان والله لكأنك تريدنا يا رسول الله، فقال أجل، قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر أي طلبت أن نقطع عرضه فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن نلقى عدونا إنا لصبر عند الحرب صدق اللقاء ولعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله، فسر عليه السلام بقول سعد، ثم قال سيروا على بركة الله وأبشروا بأن الله قد وعدنى إحدى الطائفتين والله لكأنى أنظر الآن إلى مصارع القوم، قال عمر إن النبي صلى الله عليه وسلم ليرينا مصارع أهل بدر يقول هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان ويضع يده على الأرض ها هنا وها هنا فما أخطأ أحدهم أي ما تنحى عن موضع يده عليه السلام ، قال ابن سيد الناس روينا من طريق مسلم أن الذى قال ذلك المذكور عن سعد معاذ سعد بن عبادة سيد الخزرج وإنما يعرف ذلك عن سعد بن معاذ قال الحافظ ويمكن الجمع بأنه صلى الله عليه وسلم استشارهم مرتين الأولى بالمدينة والثانية بعد أن خرج قال ابن سيد الناس واختلف فى شهود سعد بن عبادة بدرا ولم يذكره ابن عقبة ولا ابن اسحاق فى البدريين وذكره الواقدي والمدائني وابن الكلبي فيهم اهـ وأشار فى الفتح إلى أنه ليس بخلاف حقيقى لأنه قال لم يشهد سعد بن عبادة بدرا وإن عد منهم لكونه ممن ضرب له بسهمه وأجره وفى العيون أيضا روينا عن ابن سعد أنه كان يتهيأ للخروج ويحض الأنصار علي الخروج فنهش فأقام فقال صلى الله عليه وسلم لئن كان سعد لم يشهدها

فلقد كان عليها حريصا، قاله الزرقاني، ثم ارتحل عليه السلام من ذفران بفتح المعجمة وكسر الفاء ونزل قريبا من بدر، ونزل قريش بالعدوة القصوى من الوادى أي البعدى من المدينة وهي بضم العين وكسرها وبهما قرئ في السبع وقرئ شاذا بفتحها جانبه وحافته ونزل المسلمون على كثيف أعفر وألقى الله الأمنة والنوم على المسملين وأصبح بعضهم جنبا وألقى الخوف على المشركين حتى ضربوا وجوه خيلهم إذا صهلت لشدة الخوف ونزل صلى الله عليه وسلم أدنى ماء من القوم ثم أمر بالقلب فغورت بالمعجمة وشد الواو أي دفنت وبالمهملة معناه عند ابن الأثير وقال أبو ذر معنى المهملة أفسدت وبنى حوضا على القليب الذى نزلوا عليه فملئ ماءا ثم قذفوا فيه الآنية وبني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش وهو شبه الخيمة يستظل به فكان فيه ولما عدل صلى الله عليه وسلم صفوف أصحابه وأقبلت قريش ورءاها قال اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك، اللهم فنصرك الذى وعدتنى، اللهم أحنهم الغداة، فخرج الأسود بن عبد الأسد فقال أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه فتبعه حمزة رضي الله عنه فضربه دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دما ثم اقتحم الحوض زاعما أن تبر يمينه فقتله حمزة في الحوض ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين ابنه الوليد وشيبة بن ربيعة ودعا إلى المبارزة فخرج إليه فتية من الأنصار وهم عوف بالفاء وسماه بعضهم عوذا بالذال والأول أصح ومعوذا ابنا الحارث النجاريان وأمهما عفراء الصحابية النجارية أيضا ولها خصوصية لا توجد لغيرها كما في الإصابة لأنها لها سبعة أولاد شهدوا بدرا كلهم وهم بنو الحارث معاذ وأخواه السابقان وأبناء البكيري الليثي اياس وعاقل وخالد وعامر تزوجت أباهم بعد الحارث قاله الزرقاني وخرج مع ابني عفراء عبد الله بن رواحة فقالوا من أنتم؟ قالوا نحن رهط من الأنصار، فقالوا ما لنا بكم من حاجة. وفي رواية فقال عتبة أكفاء كرام إنما نريد قومنا، ثم نادى مناديهم يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا فقال صلى الله عليه وسلم قم

يا عبيدة بن الحارث قم يا حمزة قم يا علي فلما دنوا منهم قالوا من أنتم؟ لأنهم كانوا متلثمين فلا يرد أنهم كانوا يعرفونهم فتسموا لهم فقالوا نعم أكفاء كرام، فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة بن ربيعة وكان أسن الثلاثة وبارز حمزة شيبة وقيل ان شيبة هو الذى قام لعبيدة وعلي الوليد فقتل علي الوليد وقتل حمزة شيبة وعبيدة ومن بارزه، ضرب كل منهما صاحبه ضربة أثخنه بها فوقعت الضربة فى ركبة عبيدة فمات لما رجع بالصفراء فمال حمزة وعلي على من بارزه عبيدة فأعاناه على قتله فهو قاتله بإعانتهما، وفى رواية هما اللذان قتلاه أي عجلا قتله، وإلا فعبيدة كان أثخنه، قاله الزرقاني وحمل عبيدة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخ ساقه يسيل فقال أشهيد أنا يا رسول الله؟ قال نعم، قال وددت والله أن أبا طالب كان حيا ليعلم أننا أحق منه بقوله ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل، ثم أنشأ يقول:

فإن يقطعوا رجلى فإني مسلم أرجى بها عيشا من الله عاليا
وألبسنى الرحمن من فضل منه لباسا من الإسلام غطى المساويا

رواه أبو داوود ولما قتل المبارزون تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض وأقبل نفر من قريش حتى أتوا حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دعوهم فما شرب منه يومئذ رجل إلا قتل إلا حكيم بن حزام فأسلم قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه إذا اكثبوكم فارموهم واستبقوا انبلكم والمعنى إذا قربوا منكم وأمكنوكم فارموهم واستبقوا نبلكم فى الحالة التى إذا رميتم لا تصيبوا غالبا، قاله ابن السكيت ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش ومعه الصديق وليس معه فيه غيره وسعد بن معاذ متوشحا سيفه فى نفر من الأنصار على باب العريش يحرسونه وهو عليه السلام يناشد ربه إنجاز ما وعده من النصر، وفى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم أخذته سنة فى العريش ثم استيقظ متبسما فقال أبشر يا أبا بكر هذا جبريل على ثناياه النقع بفتح النون وسكون القاف أي الغبار، وفى رواية هذا جبريل ءاخذ

برأس فرسه عليه أداة الحرب، ثم خرج من باب العريش وهو يتلو سيهزم الجمع ويولون الدبر، وفى صحيح مسلم عن ابن عباس قال حدثنى عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر ونظر رسول الله صلي الله تعالى عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاث مائة وتسعة عشر رجلا دخل العريش واستقبل القبلة ومد يديه وجعل يهتف اللهم أنجزلى ما وعدتنى. وقوله ألف هذا أولى للصواب لصحته، وكونه عن عمر وافقه عليه ابن مسعود وهما بدريان وقال موسى بن عقبة تسعمائة وخمسون مقاتلا ويمكن الجمع بأن الخمسين باقى الألف غير مقاتلين، قاله الزرقاني وروي أن جبريل نزل فى خمسمائة وميكائيل فى خمسمائة فى صورة الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعلى رؤوسهم عمائم بيض وقد أرخوا أطرافها بين أكتافهم وقوله بيض أي من نور كما فى الرواية إذ لم يكن عليهم شيء من العمائم المعروفة، وعن علي كانت سيما الملائكة يوم بدر الصوف الأبيض أي النور المرئي للناظر مثل الصوف الأبيض، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال حدثنى رجل من بنى غفار قال البرهان لا أعرف اسمه وهو مذكور فى الصحابة قال أقبلت أنا وابن عم لى حتى صعدنا على جبل يشرف على بدر ونحن مشركان ننظر الوقعة على من تكون الدبرة فننهب مع من ينهب، فبينما نحن فى الجبل إذ دنت سحابة فيها حمحمة الخيل فسمعت قائلا يقول أقدم حيزوم، فأما ابن عمى فانشق قناع قلبه فمات، وأما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت والحمحمة صوت دون الصهيل وأقدم بقطع الهمزة من الإقدام كما رجحه ابن الأثير وصوبه الجوهري وصححه النووي أو بهمزة وصل مضمومة وضم الدال بمعنى التقدم وقدمه ابن قرقول أو بكسر الهمزة وفتح الدال واقتصر عليه البارع قال أبو ذر كلمة يزجر بها الخيل وحيزوم بحذف حرف النداء فيعول من الحزم وتطلق على الصدر قال الشامي فيجوز أنه سمي به لأنه صدر خيل الملائكة ومتقدم عليها والدبرة بفتح المهملة وسكون الموحدة ويجوز فتحها وفى السبل بفتحتين وتسكن الهزيمة فى القتال وحيزوم اسم

فرس جبريل قال البرهان وله فرس أخرى ويحتمل أن أحدهما اسم والآخر لقب الحياة وهي التى قبض السامري من أثرها قاله الزرقاني وفى حاشية عليه انظر ما مرجع ضمير التثنية، وحاصل ما ذكره على ما يظهر أن البرهان يقول أن لجبريل فرسين أحدهما حيزوم والآخر الحياة ويحتمل أنه فرس واحد يسمى بحيزوم ويلقب بالحياة، وعن سهل بن حنيف بضم الحاء مصغر لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا يشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف وما ذاك إلا من الملائكة قال السبكي والحكمة فى قتال الملائكة مع النبي صلى الله عليه وسلم مع ان جبريل قادر على أن يدفع الكفار بأجمعهم بريشة من جناحه كما روي أنه رفع مدائن قوم لوط وهي أربع مدائن فى كل مدينة أربعمائة ألف مقاتل من الأرض السفلى على قوادم جناحه حتى سمع أهل السماء نباح كلابها وأصوات بنيها وقلبها، أن ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتكون الملائكة مددا لهم على عادة الجيوش ولما التقى الجمعان أخذ صلى الله عليه وسلم بأمر جبريل ملئ كف من الحصباء فرمى به فى وجوههم، وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك إلا دخل فى عينيه ومنخريه منها شيء فانهزموا فقتل الله من قتل من صناديد قريش وأسر منهم من أسر فممن قتل عدو الله أبو جهل، فرعون هذه الأمة، أقبل يرتجز ويقول:

ما تنقم الحرب العوان مني بازل عامين حديث السن
لمثل هذا ولدتني أمي

وكان أول من ضربه فيما ذكر معاذ بن عمرو بن الجموح أحد بني سلمة قال سمعت القوم يقولون وأبو جهل فى مثل الحرجة، أبو الحكم لا يخلص إليه، فصمدت نحوه وضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه فضربني ابنه عكرمة على عاتقى فطرح يدى فتعلقت بجلدة فلقد قاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي فلما آذتني وضعت عليها قدمي ثم تمطيت عليها حتى طرحتها، قال محمد بن عبد الباقي فى رواية ابن وهب أنه جاء النبي صلى الله عليه وسلم يحملها فبصق عليها فلصقت

بكسر الصاد والحرجة بفتح الحاء المهملة وسكون الراء والجيم فهاء تأنيث شجر ملتف قاله في النهاية وفي حواشي أبى ذر الشجرة الكبيرة الأغصان، وأطنت قدمه أسرعت قطعها وقال بعد كلام في من قتله والحاصل أن معاذا ومعوذا ابني عفراء بلغا به بضربهما إياه منزلة المقتول حتى لم يبق به إلا مثل حركة المذبوح وفي تلك الحالة لقيه ابن مسعود فكالمه ثم ضرب عنقه بسيف نفسه لكن في الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن عوف أنه قتله معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء وأنه صلى الله عليه وسلم نظر في سيفيهما وقال كلاكما قتله وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو وقال ابن عبد البر وعياض أصح منه حديث الصحيحين عن أنس أي وعبد الرحمن أيضا أن قاتله ابنا عفراء وجمع الحافظ باحتمال أن معاذ بن عفراء شد عليه مع معاذ بن عمرو وضربه بعد ذلك معوذ بن عفراء حتى أثبته ثم حز رأسه ابن مسعود. انتهى. وسبقه إليه النووي فقال اشترك الثلاثة في قتله لكن ابن الجموح اثخنه أولا فاستحق السلب، انتهى المراد منه.

وممن قتل أمية بن خلف أسره عبد الرحمن بن عوف وأراد استبقاءه لصداقة كانت بينهما فنظره بلال وكان أمية يعذبه بمكة فقال بلال يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجى، فشبروه بأسيافهم وقيل قتله بلال وهنأه الصديق بقوله:

هنيئا زادك الرحمن فضلا فقد أدركت ثأرك يا بلال

ومنهم أهل المبارزة المار ذكرهم، ومنهم العاصي بن هشام أخو أبي جهل ومنهم أبو قيس بن الوليد أخو خالد وقيس بن الفاكه بن المغيرة وحنظلة بن أبي سفيان والأسود بن عبد الأسد، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهمي والعاصي بن قيس بن عدي السهمي ومسعود بن أبي أمية أخو أم سلمة وعمرو بن عثمان عم طلحة بن عبيد الله بن عثمان وطعيمة بن عدي وثلاثة أولاد للأسود بن مطلب، زمعة وعقيل ابناه والحارث ابن زمعة وهو ابن ابنه وهو أي الأسود أحد المستهزئين كان دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم بالعمى وثكل الولد فسبق له

العمى وقتل له من ذكر وكان يحب أن يبكي عليهم فسمع نائحة بالليل فقال لغلام له انظر هل حل النحب، هل بكت قريش على قتلاها لعلي أبكي فإن جوفى قد احترق فرجع إليه وقال إنما هي امرأة تبكي على بعير قد أضلته فقال:

أتبكي أن يضل لهـا بعـيـر ويمنعـهـا من النوم السـهـود
فـلا تبكي على بكر ولكن على بدر تقـاصـرت الجـدود

في أبيات ومنهم العاصى ولد أبو أحيحة سعيد بن العاصى بن أمية وغيرهم ولما أمر صلى الله عليه وسلم بعظماء القتلى أن يطرحوا فى القليب، وفى الصحيح أنهم أربعة وعشرون فطرحوا فيه إلا أمية بن خلف فإنه انتفخ فى درعه فملأها فألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى وتبع أصحابه حتى قام على شفة الركي فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم فنادى يا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا أبا جهل بن هشام هل وجدتم ما وعدكم الله حقا فإني وجدت ما وعدني الله حقا، وفى رواية أنه قال: عليه السلام يا أهل القليب بيس العشيرة كنتم كذبتموني وصدقني الناس وأخرجتموني وآواني الناس وقاتلتموني ونصرني الناس فجزاكم الله عني من عصابة شرا وممن أسر وأسلم بعد ذلك خالد بن هشام أخو أبي جهل وسهيل بن عمرو وأبو العاصى بن الربيع وغيرهم رضي الله عنهم، وممن أخذ أيضا العباس رضي الله عنه، ويروى أن هاتفا من الجن مرّ على مكة فى اليوم الذى أوقع المسلمون بقريش وهو ينشد بأنفذ صوت ولا يرى شخصه:

أزار الحنيفيون بدرا وقيعة سينقض منها ملك كسرى وقيصرا
أبادت رجـالا من لأي وأبرزت خرائد يضربن الترائب حسرا
فيا ويح من أمسى عدو محمد فقد حاد عن قصد الهدى وتحيرا

فقال قائلهم من الحنيفيون؟ فقالوا هو محمد وأصحابه. يزعمون أنهم على دين إبراهيم ثم لم يبلثوا أن جاءهم الخبر اليقين وكان أول من قدم مكة بمصابهم الحيسمان بن عبد الله الخزاعي قاله الكلاعي وروى

الطبراني أن أبا اليسر الأنصاري ثم السلمي بفتحتين أسر العباس رضي الله عنه وقيل له وكان جسيما جميلا كيف أسرك أبو اليسر وهو دميم ولو شئت لجعلته في كفك؟ فقال ما هو إلا أن لقيته فظهر في عيني كالخندمة وهي كما قال القسطلاني جبل من جبال مكة، وروى البخاري أن رجالا من الأنصار استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن يتركوا للعباس فداءه فقال والله لا تذرون منه درهما وروى ابن إسحاق أنه عليه السلام قال يا عباس افد نفسك وابن أخيك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث وحليفك عتبة بن عامر، قال إني كنت مسلما ولكن القوم استكرهوني، قال الله تعالى أعلم بما تقول، إن يكن ما تقول حقا، فإن الله يجزيك ولكن ظاهر أمرك أنك كنت علينا وذكر ابن عقبة أن فداء كل واحد من الأسارى كان أربعين أوقية ذهبا وقال قتادة كان فداء كل أسير أربعة آلاف واستشهد يومئذ أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين: عبيدة بن الحارث ومهجع بكسر الميم وفتح الجيم مولى عمر وهو أول من قتل من المسلمين وقال عليه السلام يومئذ مهجع سيد الشهداء، وعمير بن أبي وقاص أخو سعد وعاقل بن البكيري الليثي وصفوان بن بيضاء الفهري وذو الشمالين بن عبد عمرو الخزاعي وستة من الخزرج: عوف بن عفراء وشقيقه معوذ بشد الواو وفتحها على الأشهر وجزم الوقشي بالكسر وحارثة بن سراقة وكان في النظارة فجاءه سهم غرب فوقع في نحره فقتله ويزيد بن الحارث ورافع بن المعلى وعمير بن الحمام بضم الحاء المهملة وخفة الميم بن الجموح واثنان من الأوس: سعد بن خيثمة الشهيد بن الشهيد والصحابي بن الصحابي واستشهد أبوه يوم أحد ومبشر بن عبد المنذر وقتل من الكفار سبعون وأسر منهم سبعون كما في حديث البخاري ومسلم، قال صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر: لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له، سماهم نتنى لكفرهم، قال الحافظ أي بغير فداء، وقد مات المطعم قبل وقعة بدر وذكر الفاكهاني أن حسان بن ثابت رثاه فجازاه مجازاة له على ما صنع مع النبي صلى الله عليه وسلم انتهى،

ونقل ابن اسحاق رثاء حسان وهو:

عيني ألا ابكي سيد الناس واسجمي ... بدمع وإن أنزفته فاسكبي الدما
وبكي عظيم المعشرين كليهما ... على الناس معروفا له ما تكلما
فلو كان مجد يخلد الدهر واحدا ... من الناس أبقى مجده الدهر مطعما
أجرت رسول الله منهم فأصبحوا ... عبيدك ما لبى مهل وأحرما
فلو سئلت عنه معد بأسرها ... وقحطان أو باقي بقية جرهما
لقالوا هو الموفي بخفرة جاره ... وذمته يوما إذا ما تذمما
فما تطلع الشمس المنيرة فوقهم ... على مثله فيهم أعز وأكرما
وأنأى إذا يابى وألين شيمة ... وأنوم عن جار إذا الليل أظلما

قال الزرقاني ورثاء حسان رضي الله عنه له وهو كافر لأنه تعداد المحاسن بعد الموت، ولا ريب فى أن فعله مع المصطفى صلى الله عليه وسلم من أقوى المحاسن فلا ضير فى ذكره به وبنحوه مما ذكره، وقد كفن المصطفى صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي المنافق بثوبه، مجازاة له على الباس العباس قميصه يوم بدر لما كان فى الأسارى وممن أسلم من الأسارى أبو عزيز بفتح العين وكسر الزاي الأولى ابن عمير أخو مصعب واسمه زرارة وقول الزبير بن بكار أنه قتل بأحد كافرا رده ابن عبد البر وقال السهيلي غلط الزبير وقد أسلم يوم بدر والسائب بن عبيد أسلم يوم بدر، وعدي بن الخيار والسائب بن أبي حبيش وأبو وداعة السهمي وسهيل بن عمرو أسلموا فى فتح مكة وأسلم منهم أيضا خالد بن هشام وعبد الله بن السائب والمطلب بن حنطب وعبد الله بن أبي بن خلف، وعبد بن زمعة أخو سودة ووهيب بن عمير الجمحي وقيس بن السائب المخزومي ونسطاس مولى أمية بن خلف والوليد بن الوليد نقله الشيخ محمد بن عبد الباقى وكان مع المسلمين يوم بدر من الخيل فرس الزبير بن العوام وفرس مرثد بن أبى مرثد الغنوي وفرس المقداد بن عمرو البهراوي، قاله الكلاعي، وقال فى المواهب وكان معهم ثلاثة أفراس: بعزجة فرس المقداد، واليعسوب فرس الزبير، وفرس لمرثد الغنوي، لم يكن لهم يومئذ خيل غير هذه، وكان معهم سبعون بعيرا انتهى. وبعزجة بفتح الموحدة وإسكان المهملة فزاي فجيم فهاء

تانيث كما فى النور وحرف نساخ الشامية الزاي بالراء، قال السهيلي البعزجة شدة جري الفرس فى مغالبة، كأنه منحوت من أصلين من بعج إذا شق وعز أي غلب انتهى ويقال اسمها سبحة بفتح السين وإسكان الموحدة وبالحاء المهملتين وبه صدر الشامي واليعسوب بفتح التحتية فعين فسين مضمومة مهملتين وقيل اسمها السيل وبه صدر الشامي ومرثد بفتح الميم وسكون الراء وفتح المثلثة فدال مهملة ابن أبى مرثد وكناز بن الحصين بدري بن بدري والغنوي بفتح المعجمة والنون نسبة إلى غنى بن يعصر والمقداد بن عمرو وهو الشهير بابن الأسود، وقال ابن إسحاق أنه صلى الله عليه وسلم دفع اللواء وكان أبيض إلى مصعب بن عمير قال وكان أمامه صلى الله عليه وسلم رايتان سوداوان إحداهما مع علي والأخرى مع بعض الأنصار انتهى.

تنبيه:

قال الكلاعي قاتلت الملائكة يوم بدر، وقال ابن عباس ولم تقاتل فى يوم سواه، كانوا يكونون فيما سواه عددا ومددا لا يضربون. انتهى.

وفي المواهب، قيل ولم تقاتل الملائكة غير يوم بدر وكانوا يكونون فيما سواه عددا ومددا، وبه صرح ابن كثير وهذا يرده حديث مسلم فى صحيحه عن سعد بن أبى وقاص أنه رأى عن يمينه صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد، يعنى جبريل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام يقاتلان كأشد القتال، قال النووي، هذا هو الصواب خلافا لمن زعم اختصاصه فهذا صريح فى الرد عليه انتهى.

وقوله عدد بضم العين جمع عدة كغرف وغرفة، وأجاب البيهقي عن حديث مسلم بما حاصله أن قتال الملائكة ببدر كان عاما عن جميع القوم، وأما فى أحد فإنهما ملكان وقتالهما عن النبي صلى الله عليه وسلم دون غيره، قاله الزرقاني ومما قيل يوم بدر من الشعر قول حسان:

عرفت ديار زينب بالكثيب ... كخط الوحي فى الورق القشيب

تداولها الرياح وكل جون ... من الوسمي منهمر سكوب
فأمسى رسمها خلقا وأمست ... يبابا بعد ساكنها الحبيب
فدع عنك التذكر كل يوم ... ورد حرارة الصدر الكئيب
وخبر بالذى لا عيب فيه ... بصدق غير إخبار الكذوب
بما صنع الإله غداة بدر ... لنا فى المشركين من النصيب
غداة كأن جمعهم جراد ... بدت أركانه جنح الغروب
فلاقيناهم منا بجمع ... كأسد الغاب مردان وشيب
أمام محمد قد آزروه ... على الأعداء فى لفح الحروب
بأيديهم صوارم مرهفات ... وكل مجرب خاظي الكعوب
بنو الأوس الغطارف آزرتها ... بنو النجار فى الدين الصليب
فغادرنا أبا جهل صريعا ... وعتبة قد تركنا فى الجبوب
وشيبة قد تركنا فى رجال ... ذوى حسب إذا نسبوا حسيب
يناديهم رسول الله لما ... قذفناهم كباكب فى القليب
ألم تجدوا كلامى كان حقا ... وأمر الله يأخذ بالقلوب
فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا ... صدقت وكنت ذا رأي مصيب

القشيب هنا الذى خالطه ما يفسده إما من دنس وإما من قدم، واللقح بالسكون والتحريك مصدر لقح كفرح، وخاظ الكعوب مكتنزها، قويها، والجبوب الأرض أو غليظها أو هو موضع ببدر قاله فى القاموس، وكباكب أي جماعات والكبكبة الجماعة قاله أيضا، وقال حمزة بن عبد المطلب ومنهم من ينكرها له:

ألم تر امرا كان من عجب الدهر ... وللحين أسباب مبينة الأمر
وما ذاك إلا أن قوما أفادهم ... فخانوا تواص بالعقوق وبالكفر
عشية راحوا يوم بدر بجمعهم ... فكانوا رهونا للركية من بدر
وكنا طلبنا العير لم نبغ غيرها ... فساروا إلينا فالتقينا على قدر
فلما التقينا لم تكن مثنوية ... لنا غير طعن بالمثقفة السمر
وضرب ببيض يختل الهام حدها ... مشهرة الألوان بينة الأثر
ونحن تركنا عتبة الغي ثاويا ... وشيبة قتلاهم تجرجم فى الجفر

وعمرو توى فيمن توى من حماتهم فشقت جيوب النائحات على عمر
جيوب نساء من لؤي بن غالب كرام تفرعن الذوائب من فهر

إلى أن قال:

وفينا جنود الله حين يمدنا بهم في مقام ثم مستوضح الذكر
فشد بهم جبريل تحت لوائنا لدى مأزق فيه مناياهم تجري

أفادهم بالفاء المروسة أهلكهم وفاعله تواص وتجرجم بجيمين أي تلقى، قال في القاموس تجرجم سقط وانحدر في البير والحفر البئر لم تطو أو طوى بعضها والأثر ويكسر فرند السيف قاله في القاموس، وقال الفرند بكسر الفاء والراء السيف وجوهره ووشيه انتهى. وقال كعب بن مالك السلمي:

عجبت لأمر الله والله قادر على ما أراد ليس لله قاهر
قضى يوم بدر ان نلاقي معشرا بغوا وسبيل الغي في الناس جائر
وقد حشدوا واستنفروا من يليهم من الناس حتى جمعهم متكاثر
وسارت إلينا لا تحاول غيرنا بأجمعها كعب جميعا وعامر
وفينا رسول الله والأوس حوله له معقل منهم عزيز وناصر
وجمع بني النجار تحت لوائه يمشون في الماذي والنقع ثائر
فلما لقيناهم وكل مجاهد بأصحابه مستبسل النفس صابر
شهدنا بأن الله لا رب غيره وأن رسول الله بالحق ظاهر
وقد عريت بيض خفاف كأنها مقاييس يزهيها بعينك شاهر
بهن أبدنا جمعهم فتبددوا وكان يلاقي الحين من هو فاجر
فكب أبو جهل صريعا لوجهه وعتبة قد غادرنه وهو عافر
وشيبة والتيمي غادرن في الوغى وما منهما إلا بذي العرش كافر

قال في القاموس الماذي كل سلاح من الحديد وبهاء الدرع اللينة أو البيضاء ولضرار بن الخطاب الفهري في هذا الروي شعر وهو:

عجبت لفخر الأوس والحين دائر عليهم غدا والدهر فيه بصائر
وفخر بني النجار ان كان معشر أصيبوا ببدر كلهم ثم صابر
فإن تك قتلى غودرت من رجالنا فإنا رجالا بعدهم سنغادر

وتردي بنا الجرد العناجيج وسطكم بنى الأوس حتى يشفي النفس ثائر
ووسط بني النجار سوف نكرها لها بالقنى والدارعين زوافر
فنترك قتلى تعصب الطير حولهم وليس لهم إلا الأماني ناصر
وذلك أنا لا تزال سيوفنا بهن دمٌ ممن يحاربن مائر
فإن تظفروا في يوم بدر فإنما بأحمد أمسى جدكم وهو ظافر
وبالنفر الأخيار هم أولياؤه يحامون فى اللأواء والموت حاضر
يعد أبو بكر وحمزة فيهم ويدعى علي وسط من أنت ذاكر
أولئك لا من نتجت فى بيوتها بنو الأوس والنجار حين تفاخر
ولكن أبوهم من لؤي بن غالب إذا عدت الأنساب كعب وعامر
هم الطاعنون الخيل فى كل معرك غداة الهياج الأطيبون الأكابر

وقال علي رضي الله عن جميعهم ولم ير ابن هشام أحدا يعرفها:

ألم تر أن الله أبلى رسوله بلاء عزيز ذى اقتدار وذى فضل
بما أنزل الكفار دار مذلة فلاقوا هوانا من أسار ومن قتل

إلى أن قال:

تبيت عيون النائحات عليهم تجود بأسبال الرشاش وبالوبل
نوائح تنعى عتبة الغي وابنه وشيبة تنعاه وتنعى أبا جهل
وذا الرجل تنعى وابن جدعان فيهم مسلبة حرا مبينة الثكل
ترى منهم فى بئر بدر عصابة ذوى نجدات فى الحروب وفى المحل

المسلبة التي لبست السلاب وهو خرقة سوداء تلبسها الثكلى، والثكل بالضم فقدان الحبيب، وحشدوا جمعوا، والمعقل المنعة، والمستبسل الذى يوطن نفسه على الموت والضرب، والعناجيج جياد الخيل انتهى.

ثم بعد بدر غزوة سليم وهي قرقرة الكدر، ثم غزوة بنى قينقاع ثم غزوة السويق، ثم غزوة غطفان، وهي غزوة ذى أمر، ثم غزوة بحران، فهذه خمس قبل أحد وبعد بدر، ولم أتكلم عليها هنا لئلا يطول الفصل بينما ذكره الناظم، ويأتى الكلام عليها إن شاء الله بعدما ذكر الناظم وبعدها "**غزوة أحد**" بضم الهمزة والحاء، قال المصباح مذكر مصروف وقيل يجوز تأنيثه باعتبار البقعة فيمنع وليس بالقوي، وهو جبل معروف، بين أوله وبين باب المدينة المعروف بباب البقيع ميلين وأربعة

أسباع ميل تزيد يسيرا وسمي بذلك لانقاطعه عن جبال أخر هناك، وهو أحمر، ويقال له ذو عينين لمجاورته لجبل يسمى عينين، وفى القاموس وعينين بكسر العين وفتحها مثنى على كل منهما لا بفتح العين وسكون الياء وكسر النون الأولى كما قال المطرزي وعليه فليس بمثنى جبل بأحد وقف عليه إبليس فنادى إن محمدا قد قتل، وقال عليه السلام: أحد جبل يحبنا ونحبه وهو من جبال الجنة، أخرجه أحمد قيل وفيه قبر هارون عليه السلام وكانت عنده الوقعة المشهورة فى شوال سنة ثلاث بالاتفاق قاله فى المواهب وكان يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت منه وقيل لسبع ليال خلون منه وقيل فى نصفه بعد بدر بسنة وشهر، وسببها أن قريشا لما أصيبوا يوم بدر ورجع أبو سفيان بعيره قال عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن المغيرة وعكرمة بن أبى جهل والحارث بن هشام وحويطب بن عبد العزى وصفوان بن أمية وأسلموا كلهم بعد ذلك، إن محمدا قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرك منه ثأرا، فأجابوا لذلك وفيهم نزل: {إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها} (الآية). وكتب العباس بن عبد المطلب كتابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بخبرهم أي بأن قريشا ومن أطاعها من أهل كنانة اجتمعوا لحربه وبعثه مع رجل من بنى غفار وشرط عليه أن يأتي المدينة فى ثلاثة أيام بلياليها فقدم عليه بقباء فقرأه عليه أبي بن كعب واستكتم أبيا وسار بهم أبو سفيان حتى نزلوا بعينين وكان رجال من المسلمين قد ندموا على ما فاتهم من مشهد بدر ورأى صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة رؤيى فلما أصبح قال إنى والله رأيت خيرا، رأيت بقرا تذبح ورأيت فى ذباب سيفى ثلما، ورأيت أني أدخلت يدي فى درع حصينة، قالوا بما أولتها؟ قال فأما البقر فناس من أصحابى يقتلون، وأما الثلم الذى رأيت فى سيفى فهو رجل من أهل بيتى يقتل، وفى رواية أحمد وأولت الدرع الحصينة المدينة، فامكثوا فإن دخل القوم المدينة قاتلناهم ورموا بالنبل من فوق البيوت، فقال القوم الذين أسفوا على ما فاتهم من مشهد بدر، يا رسول الله إنا كنا

نتمنى هذا اليوم اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جبنا، فصلى عليه السلام الجمعة ثم وعظهم وأمرهم بالجد والإجتهاد فى التأهب للقتال وأخبرهم أن لهم النصر ما صبروا ثم صلى بالناس العصر وقد حشدوا بفتح المعجمة ومضارعه بكسرها أي اجتمعوا، وحضر أهل العوالى وهي القرى التى حول المدينة ثم دخل عليه السلام بيته ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فعمماه وألبساه واصطف الناس ينتظرون خروجه عليه السلام، فقال لهم سعد بن معاذ الذى هو أفضل الأنصار كما قاله البرهان وأسيد بن حضير، بصيغة التصغير فيهما، استكرهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج فردوا الأمر إليه فخرج صلى الله عليه وسلم وقد لبس لامته وهي بالهمز وقد يترك تخفيفا، الدرع وقيل السلاح، وروى أبو يعلى أنه ظاهر بين درعين يوم أحد أي لبس درعا فوق درع، وتقلد سيفه أي جعل علاقته على كتفه الأيمن وهو تحت أبطه الأيسر فندموا على ما صنعوا، فقالوا ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما شئت، فقال ما ينبغى لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه، وعقد عليه السلام ثلاثة ألوية لواء المهاجرين بيد علي وقيل بيد مصعب بن عمير، قال الزرقاني وليس بخلاف حقيقي فإنه كان بيد علي فقال عليه السلام من يحمل لواء المشركين؟ فقيل طلحة بن أبى طلحة فقال نحن أحق بالوفاء منهم، فأخذه من علي ودفعه إلى مصعب، أي لأنه من بنى عبد الدار بن قصي وكان بكر قصي فجعل إليه اللواء والحجابة والسقاية والرفادة، ولواء للأوس بيد أسيد بن حضير ولواء للخزرج بيد الحباب بن المنذر وقيل بيد سعد بن عبادة، وفى المسلمين مائة دارع وركب صلى الله عليه وسلم فرسه السكب على رواية والأخرى أنه خرج من منزل عائشة على رجليه إلى أحد وخرج السعدان أمامه يعدوان دارعين واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بأهل المدينة وبات بالشيخين تثنية شيخ موضع بين المدينة وأحد سمي بشيخ وشيخة كانا هناك وجعل على الحرس تلك الليلة محمد بن مسلمة الأنصاري وأدلج عليه السلام فى السحر، فكان الخارجون معه ظاهرا

وحقيقة ألف رجل، فلما انخزل ابن أبي بالثلاث مائة صاروا سبع مائة وقيل أنهم كانوا تسع مائة وصاروا ستمائة، قال ابن عقبة وليس فى المسلمين إلا فرس واحد وقال الواقدي لم يكن معهم إلا فرسه عليه السلام، وفرس أبي بردة وكان المشركون ثلاثة آلاف رجل، وفيهم سبعمائة دارع ومائتا فرس وثلاثة آلاف بعير وخمس عشرة امرأة من أشرافهم التماسا للحفيظة وأن لا يفروا وهي بفتح الحاء المهملة وكسر الفاء الغضب للحرم قاله السهيلي، منهن هند بنت عتبة وأم حكيم بنت الحارث بن هشام، مع زوجها عكرمة بن أبى جهل وفاطمة بنت الوليد بن المغيرة مع زوجها الحارث بن هشام وبرزة بنت مسعود الثقفية مع زوجها صفوان بن أمية وريطة بنت منبه السهمية مع زوجها عمرو بن العاصى وسلافة بنت سعد الأنصارية مع زوجها طلحة الحجبي وأسلمن بعد ذلك كلهن وصحبن، وخرجت خناس بنت مالك مع ابنها أبى عزيز أخى مصعب وعميرة بنت علقمة وقد صرح فى النور بأنه لا يعلم لهما إسلاما ولم يسم ابن إسحاق من بقي ونقله عنه فى الفتح ولم يزد عليه، قاله العلامة الزرقاني قال مؤلفه سمح الله له قوله وخرجت مع ابنها أبى عزيز إلخ.. قد مرّ له رضي الله عنه ونفعنا ببركته أن أبا عزيز أسلم يوم بدر بعد أن أسر انظره والله أعلم.

ولما انخزل ابن أبي بمن معه من المنافقين سقط فى أيدى طائفتين من المسلمين وهمّا أن يقتتلا وهما بنو حارثة من الأوس وبنو سلمة بكسر اللام من الخزرج وفيهما نزلت: {إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما} قال جابر نزلت فينا وما أحب أنها لم تنزل والله يقول {والله وليهما} ابن حجر أي لأن الآية وإن كان فى ظاهرها غض منهم لكن فى آخرها غاية الشرف لهم قال ابن إسحاق {والله وليهما} أي الدافع عنهما ما هموا به من القتل، ولما انخزل المنافقون تبعهم عبد الله بن حرام يقول: يا قوم أذكركم الله أن لا تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم ما ترون، قالوا لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم وأبوا إلا الإنصراف فقال أبعدكم الله فسيغني الله عنكم نبيه ومضى رسول الله

صلى الله عليه وسلم حتى سلك فى حرة بنى حارثة فذب فرس بذنبه فاستسل سيفا فقال صلى الله عليه وسلم يا صاحب السيف شم سيفك فإنى أرى السيوف ستسل اليوم، ثم قال صلى الله عليه وسلم من يخرج بنا على القوم من كثب أي من قرب من طريق لا يمر بنا عليهم فقال أبو خيثمة أنا يا رسول الله فنفذ به فى حرة بنى حارثة وبين أموالهم حتى سلك فى مال لمربع بكسر الميم وسكون الراء وفتح الموحدة بعين مهملة ابن قيظي بفتح القاف وسكون التحتية وظاء معجمة وياء مشددة وكان منافقا ضريرا، فلما سمع حس المصطفى صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين قام يحثو التراب فى وجوههم وذكر أنه أخذ حفنة ثم قال والله لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك فابتدره القوم ليقتلوه فقال صلى الله عليه وسلم لا تقتلوه فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر وقد بادر إليه سعد بن زيد الأشهلي قبل النهي فشجه فى رأسه ومضى صلى الله عليه وسلم حتي نزل الشعب من أحد فجعل ظهره وعسكره إلى أحد وروي أنه لما وصل إلى أحد صلى به الصبح صفوفا عليهم سلاحهم ثم اصطف المسلمون بأصل أحد واصطف المشركون بالسبخة بفتح المهملة وفتح الموحدة وسكونها وكان على ميمنة خيل المشركين خالد بن الوليد سيف الله الذى سله على الكفار بعد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبى جهل وعلى المشاة صفوان بن أمية وعلى الرماة عبد الله بن أبى ربيعة وأسلموا كلهم، وجعل صلى الله عليه وسلم على الرماة بالنبل وهم خمسون: عبد الله بن جبير الأوسي العقبي البدري وهو أخو خوات، وقال لهم إن رأيتمونا تخطفنا الطير بفتح الفوقية وسكون الخاء وفتح الطاء أو بفتح الخاء وشد الطاء وأصله بتاءين أي رأيتمونا قد زلنا عن مكاننا أو أكلتنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا، حتى أرسل إليكم، ولابن إسحاق انضحوا الخيل عنا بالنبل لا يأتوننا من خلفنا وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم بهمزة مفتوحة فواو ساكنة أي مشينا عليهم وهم قتلى فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم، وفى حديث احموا ظهورنا فإن رأيتمونا نقتل فلا

تنصرونا وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا بفتح التاء والراء أي لا تكونوا مشاركين لنا. زاد في رواية وارشقوهم بالنبل، فإن الخيل لا تقوم على النبل إنا لا نزال غالبين ما ثبتم مكانكم، اللهم إني أشهدك عليهم. وأول من أنشب الحرب أبو عامر الفاسق وهو عبد بن عمرو بن صيفي الأوسي وكان خرج إلى مكة مباعدا للنبي صلى الله عليه وسلم وكان يعد قريشا أن لو لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان فلما التقى الناس نادى يا معشر الأوس أنا أبو عامر، قالوا لا أنعم الله بك عينا يا فاسق، وبذلك سماه صلى الله عليه وسلم، وكان يسمى فى الجاهلية الراهب، فلما سمع ردهم عليه قال لقد أصاب قومي بعدى شر ثم قاتلهم قتالا شديدا ثم تراموا بالحجارة حتى ولى أبو عامر وجعل نساء المشركين يضربن الدفوف ويذكرنهم قتلى بدر، وكان أبو سفيان قد قال يا بنى عبد الدار إنكم وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما رأيتم وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم إذا زالت زالوا فإما أن تكفونا لواءنا وإما أن تخلوا بيننا وبينه، وقالوا ستعلم كيف نصنع وذلك الذى أراد أبو سفيان فاقتتل الناس وحميت الحرب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال فى سيف عنده من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام إليه رجال سمي منهم عمر والزبير كما عند ابن عقبة وعلي كما فى الطبراني وأبو بكر كما فى الينابيع وكان مكتوبا فى إحدى صفحتيه:

في الجبن عار وفى الإقدام مكرمة والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

فأمسكه صلى الله عليه وسلم عنهم فقام إليه سماك بن خرشة أبو دجانة بضم الدال المهملة وبالجيم والنون الأنصاري البدري باتفاق، فقال وما حقه يا رسول الله؟ فقال أن تضرب به فى وجوه العدو حتى ينحني وروى الدولابي أن لا تقتل به مسلما، ولا تفر به من كافر، قال أنا آخذه بحقه يا رسول الله. أي بما يقابله من الثمن، وهو الصفة التى ذكرتها، وعند الطبراني قال لعلك إن أعطيتكه أن تقاتل به فى الكيول، قال لا فأعطاه إياه وكان رجلا شجاعا يختال عند الحرب، فلما رآه عليه السلام

يتبختر قال إنها لمشية يبغضها الله بضم الياء لا بفتحها وضم الغين لأنها لغة ردية إلا فى مثل هذا الموطن أي لدلالتها على احتقار العدو قال الزبير ووجدت أي حزنت أي على نفسى خوفا أن المنع لسبب منه يقتضيه، فقلت والله لأنظرن ما يصنع به أبو دجانة، فاتبعته فأخذ عصابة له حمراء مكتوبا فى أحد طرفيها نصر من الله وفتح قريب وفى الآخرى الجبانة فى الحرب عار ومن فر لم ينج من النار فعصب بالتخفيف وبالتشديد بها رأسه فقالت الأنصار أخرج عصابة الموت وهكذا كانت تقول إذا تعصب بها، فخرج وهو يقول:

أنا الذى عاهدنى خليل ونحن بالسفح لدى النخيل

أن لا أقوم الدهر فى الكيول أضرب بسيف الله والرسول

فجعل لا يلقى أحدا من المشركين إلا قتله، وفى مسلم عن أنس ففلق أبو دجانة بالسيف هام المشركين ولابن هشام عن ابن الزبير وكان فى المشركين رجل لا يدع لنا جريحا إلا ذفف عليه فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه وضربه أبو دجانة فقتله ثم رأيته حمل السيف على رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها، ولابن إسحاق قال أبو دجانة رأيت إنسانا يحمس الناس حمسا شديدا فصمدت إليه فلما حاملت السيف عليه ولول فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة، وفى رواية أنه لما حمل عليها السيف نادت يا لصخر فلم يجبها أحد وذفف بالذال المعجمة والمهملة وشد الفاء الأولى مفتوحات أسرع فى قتله ويحمس بحاء مهملة يروى بالسين من الحماسة وهي الشجاعة وبالشين المعجمة من أحمش النار أوقدها وصمد إليه: قصده، وولولت: قالت يا ويلها هذا قول أكثر اللغويين وقال ابن دريد الولولة رفع المرأة صوتها فى فرح أو حزن قاله أبو ذر. وقوله أنا الذي.. أنشده الجوهري بلفظ إنى امرؤ عاهدنى، والسفح جانب الجبل عند أصله والكيول بفتح الكاف وشد المثناة التحتية مضمومة فواو ساكنة فلام آخر الصفوف، قاله الجوهري وأبو عبيد وغيرهما وقال أبو

ذر فى حواشيه الكيول بالتشديد والتخفيف آخر الصفوف فى الحرب قاله العلامة الزرقاني وقاتل حمزة رضي الله عنه فأثخن خصوصا فى الرؤساء والتقى حنظلة الغسيل بن أبى عامر الفاسق وأبو سفيان بن حرب فعلاه حنظلة فضربه شداد بن أوس بن شعوب الليثي وقتله وأسلم شداد بعد ذلك، فقال صلى الله عليه وسلم رأيت الملائكة تغسل حنظلة بماء المزن فى صحاف الفضة بين السماء والأرض، فسألوا امرأته جميلة أخت عبد الله بن أبي المنافق وكانت عروسا وكان ابتنى بها تلك الليلة فقالت خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة، فقال عليه السلام لذلك غسلته الملائكة وفى الروض أنه ألتمس فى القتلى فوجدوه يقطر رأسه ماء وبهذا الحديث تمسك الحنابلة فى غسل الشهيد الجنب، قال الزرقاني والجواب للجمهور أن تغسيل الملائكة إكرام له، وهو من أمور الآخرة لا يقاس عليه، ولم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم أمر بتغسيل أحد ممن استشهد جنبا، ولما اشتد القتال أرسل عليه السلام إلى علي أن قدم الراية فتقدم وقال أنا أبو القصم بالقاف والفاء فناداه أبو سعد طلحة بن أبى طلحة أحد بنى عبد الدار وهو صاحب لواء المشركين وهو سيد الكتيبة أن هل لك يا أبا القصم فى البراز من حاجة؟ قال نعم. فخرج إليه فقتله وقيل قتله سعد بن أبى وقاص ثم حمل لواءهم عثمان بن أبى طلحة وهو يقول:

إن على أهل اللواء حقا　　　أن يحسنوا الصعدة أو تندقا

فحمل عليه حمزة رضي الله فقطع يديه وكتفيه ثم مات والصعدة القناة المستوية تنبت كذلك قاله فى القاموس ثم حمله مسافع بن طلحة فرماه عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح فقتله ثم حمله الحارث بن طلحة فقتله عاصم أيضا ثم حمله كلاب ابن طلحة فقتله الزبير ثم حمله الجلاس بن طلحة فقتله طلحة بن عبيد الله ثم حمله أرطاة بن شرحبيل بضم الشين بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي فقتله علي كما قال ابن سعد وغيره وصحح، وجزم ابن إسحاق بأن قاتله حمزة ثم حمله شريح بن فارط فلا يدرى قاتله ثم حمله صواب غلامهم فقيل قتله

علي وقيل سعد وقيل قزمان وهو أثبت الأقوال، انظر الزرقاني، ثم أنزل الله نصره على المسلمين فحسوا الكفار بفتح الحاء وضم السين مشددة المهملتين أي استأصلوهم قتلا بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر فولى الكفار لا يلوون على شيء ونساءهم يدعون بالويل، قال الزبير والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير وأصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنوا منهم أحد وتبعهم المسلمون حتى أجهضوهم بجيم وضاد معجمة أي أزالوهم ونحوهم ووقعوا ينتهبون واشتغلوا عن الحرب، قال ابن إسحاق وحدثني بعض أهل العلم أن اللواء لم يزل طريحا حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية فرفعته إلى قريش فلاثوا به أي استداروا حوله ولما انهزم المشركون قال أصحاب عبد الله بن جبير وهم الرجالة: الغنيمة الغنيمة بالنصب على الاغراء، ظهر أصحابكم أي غلبوا فما تنتظرون؟ فقال عبد الله بن جبير أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا والله لناتين الناس فلنصيبن من الغنيمة، وثبت أميرهم عبد الله بن جبير فى نفر يسير دون العشرة مكانه وقال لا أجاوز أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لم يرد هذا قد انهزم المشركون، فانطلقوا ينتهبون وخلوا الخيل وقد كانت حملت على المسلمين قبل ذلك ثلاث مرات كل ذلك تنضحها الرمات بالنبل فترجع مفلولة قال الزبير ولما مالت الرمات وخلوا ظهورنا للخيل أوتينا من خلفنا وصرخ صارخ ألا إن محمدا قد قتل فانكفأنا وانكفا علينا القوم ويقال ان الصارخ هو الشيطان وفى البخاري عن عائشة لما كان يوم أحد هزم المشركون هزيمة بينة فصاح إبليس أي عباد الله يعنى المسلمين أخراكم أي احترزوا من جهة أخراكم وهي كلمة تقال لمن يخشى أن يؤتى من ورائه فرجعت أولاهم فاجتلدت أي اقتتلت مع أخراهم لظنهم أنهم من العدو فوقع القتل فى المسلمين بعضهم مع بعض وكان ممن قتل خطئا اليمان والد حذيفة فقال حذيفة غفر الله لكم وترك ديته لهم وقالت نسيبة بفتح النون وكسر السين أم عمار شهدت العقبة

وأحدا مع زوجها زيد بن عاصم وولديها حبيب بحاء مهملة وكسر الموحدة وعبد الله وشهدت بيعة الرضوان وجرحت في يوم اليمامة اثنتي عشرة جراحة وقول الشامي نسيبة بالتصغير على المشهور إنما هو في نسيبة أم عطية كما في الفتح وغيره بنت كعب المازنية لما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول صلى الله عليه وسلم فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمى عن القوس حتى خلصت الجراح إلي، قالت أم سعد بنت سعد بن الربيع فرأيت على عاتقها جرحا أجوف له غور فقلت من أصابك بهذا؟ قالت ابن قمئة أقمأه الله لما ولى الناس أقبل يقول دلوني على محمد فلا نجوت إن نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربني هذه الضربة ولقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله عليه درعان وترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دجانة بنفسه تقع النبل في ظهره وهو منحن عليه حتى كثر فيه النبل ورمي سعد بن أبى وقاص دون النبي صلى الله عليه وسلم، قال سعد فلقد رأيته يناولنى النبل وهو يقول ارم فداك أبى وأمى ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوسه حتى اندقت سيتها وأصيب فم عبد الرحمن بن عوف فهشم وجرح عشرين جراحة أو أكثر وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فكانت أحسن عينيه وأحدهما قاله الكلاعي وقال في المواهب وكان مصعب بن عمير قاتل دون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل قتله ابن قمئة أي بفتح القاف وكسر الميم بعدها همزة واسمه عبد الله كما قاله ابن هشام قاله الزرقاني فصاح ابن قمأة لظنه الخائب ولله الحمد: إن محمدا قد قتل، لأنه كان إذا لبس لامته يشبه النبي صلى الله عليه وسلم كما قال بعضهم، وجزم ابن هشام بأن الصارخ بذلك هو ازب العقبة وفي حديث مرفوع أنه عليه السلام قال هذا ازب العقبة وجزم ابن سعد بأن الذى صرخ بذلك إبليس تصور في صورة جعال ويقال له جعيل بن سراقة الضمري والغفاري، قال في الاستيعاب وكان رجلا صالحا دميما أسلم

قديما وشهد معه عليه السلام أحدا انتهى. فصرخ ثلاثا إن محمدا قد قتل، ولم يشك فيه أنه حق، وكان جعال إلى جنب أبى بردة بن نيار وخوات بن جبير فقاتل أشد القتال، قال الزرقاني وهذا ليس بخلاف محقق فالثلاثة صاحوا ابن قمأة لظنه والأزب وإبليس لمحاولة ما لم يصلا إليه انتهى.

قوله أزب العقبة، قال السهيلي قيده هنا بكسر الهمزة وسكون الزاي وابن ماكولا قيده بفتح الهزمة انتهى.

وظاهر سكون الزاء وخفة الباء مع كسر الهمزة وفتحها ومقتضى القاموس ان مفتوحها بفتح الزاء وشد الموحدة وجعلهما بعض المتأخرين قولين انظر الزرقاني. والذى فى القاموس هو ما نصه: وأزب العقبة فى زبب ووهم من ذكره هنا يعنى فى أزب وقال فى زبب والأزب من أسماء الشياطين ومنه حديث ابن الزبير مختصرا أنه وجد رجلا طوله شبران فأخذ السوط فأتاه فقال من أنت؟ فقال أزب. قال وما أزب؟ قال رجل من الجن. فقلب السوط فوضعه فى رأس ازب حتى باص وفى حديث العقبة هو شيطان اسمه أزب العقبة انتهى.

وقوله باص أي استتر وهرب، كذا بالهامش المطبوع وهو بموحدة بعدها ألف فصاد مهملة انتهى. قال الحافظ بن حجر، والواقع أن المسلمين صاروا ثلاث فرق، فرقة استمروا فى الهزيمة إلى قرب المدينة فما رجعوا حتى انفض القتال وهم قليل، وهم الذين نزل فيهم: {إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان} وفرقة صاروا حيارى لما سمعوا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل، فصارت غاية الواحد منهم أن يذب عن نفسه، أو يستمر فى القتال إلى أن يقتل وهم أكثر الصحابة وفرقة ثبتت مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم تراجعت إليه الفرقة الثانية شيئا فشيئا لما عرفوا أنه حي، ولما غاب صلى الله عليه وسلم عن أعينهم لشدة ما دهشهم وقال رجل منهم ان محمدا قد قتل ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبى ليستأمن لنا من أبى سفيان قال رجال منهم قد تمكن الإيمان منهم إن كان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد

قتل أفلا تقاتلون على دينكم وعلى ما كان عليه نبيكم حتى تلقوا الله عز وجل شهداء، منهم أنس بن النضر عم أنس بن مالك وفى الصحيح عن أنس قال غاب عمى أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن الله أشهدنى قتال المشركين ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال اللهم إنى أعتذر لك مما صنع هؤلاء يعنى أصحابه وأبرؤ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا سعد الجنة ورب النضر إنى أجد ريحها من دون أحد قال سعد فما استطعت يا رسول الله ما صنع قال أنس فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل ومثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه قال الحافظ وأو للتقسيم لا للشك انتهى.

وروى ابن اسحاق أن أنس بن النضر جاء إلى عمر وطلحة فى رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا ما بأيديهم فقال ما يجلسكم قالوا قتل صلى الله عليه وسلم، قال فما تصنعون بالحياة بعده، قوموا فموتوا على ما مات عليه ثم استقبل العدو فقاتل حتى قتل. وثبت النبي صلى الله عليه وسلم بإجماع ولم تزل قدمه شبرا واحدا ومازال يرمى عن قوسه حتى صارت شظايا ويرمى بالحجر وروى البيهقي عن المقداد فوالذى بعثه بالحق مازالت قدمه شبرا واحدا وإنه لفي وجه العدو، قال فى المواهب وثبت معه من أصحابه أربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين فيهم أبو بكر وسبعة من الأنصار، وفى البخاري لم يبق معه عليه الصلاة والسلام إلا إثني عشر رجلا انتهى.

وسمى ابن سعد مع أبي بكر عمر وعبد الرحمن بن عوف وسعدا وطلحة والزبير وأبا عبيدة والأنصار أبو دجانة والحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت والحارث بن الصمت وسهل بن حنيف وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير وقيل سعد بن عبادة ومحمد مسلمة بدل الأخيرين، ذكره الواقدي وذكر غيره فى المهاجرين عليا وكأن من لم يذكره لأنه كان حامل اللواء بعد مصعب فلا يحتاج إلى أن يقال ثبت، وفى مسلم عن

أنس أفرد صلى الله عليه وسلم يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش فقول طلحة وسعد أنه لم يبق معه غيرهما رواه البخاري أي من المهاجرين وعند الحاكم أن المقداد ممن ثبت فيحتمل أنه حضر بعد تلك الجولة وللنسائي والبيهقي بسند جيد عن جابر وبقي معه أحد عشر رجلا من الأنصار وطلحة وهو كحديث أنس إلا أنه زاد ثلاثة فلعلهم جاؤا بعد ويجمع بينه وبين حديث غير طلحة وسعد بأن سعدا جاءهم بعد ذلك وأن المذكورين من الأنصار استشهدوا كما في مسلم عن أنس فقال صلى الله عليه وسلم من يردهم عنا فهو رفيقي في الجنة؟ فقام رجال من الأنصار فاستشهدوا كلهم، فلم يبق غير طلحة وسعد ثم جاء من جاء انتهى من الزرقاني..

قال الكلاعي واستشهد خمسة وستون رجلا أربعة من المهاجرين وسائرهم من الأنصار وقتل الله من المشركين إثنين وعشرين رجلا انتهى. وفي المواهب وقتل من المشركين ثلاثة وعشرون ويقال اثنان وعشرون انتهى.

قال الزرقاني منهم حملة اللواء من بني عبد الدار بن قصي وهم عشرة بغلامهم وفي الزرقاني روى سعيد بن منصور عن أبي الضحى قتل يوم أحد سبعون أربعة من المهاجرين: حمزة ومصعب وعبد الله بن جحش وشماس بن عثمان وسائرهم من الأنصار وبهذا جزم ابن إسحاق وأخرج ابن حبان والحاكم عن أبي بن كعب قال أصيب يوم أحد أربعة وستون من المهاجرين ستة وكان الخامس سعدا مولى حاطب بن أبي بلتعة والسادس ثقيف بن عمرو الأسلمي حليف بني عبد شمس وذكر الطبري عن الشافعي أنهم اثنان وسبعون وعن مالك خمسة وسبعون من الأنصار خاصة أحد وسبعون وروى الترمذي والنسائي أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم خيرهم في أسارى بدر القتل أو الفداء على أن يقتل منهم قابل مثلهم قالوا الفداء ويقتل منا انتهى.

قوله قابل هكذا في النسخ ولعله سقط من قلم الناسخ في والأصل في قابل كذا بهامش المطبوع ولما أراد أبو سفيان الانصراف إلى مكة قال

أفي القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه، ثم قال أفي القوم ابن أبى قحافة ثلاث مرات قال لا تجيبوه ثم قال أفى القوم ابن الخطاب ثلاث مرات فلما لم يجبه أحد قال لأصحابه أما هؤلاء فقد قتلوا، فما ملك عمر نفسه فقال كذبت يا عدو الله، والله إن الذين عددت لأحياء كلهم، وقد بقي لك ما يسؤك، وفى البخاري فى المغازى أبقى الله عليك وفى لفظ لك ما يحزنك، بالتحتية المضمومة وسكون الحاء المهملة بعدها نون أو بالمعجمة وبعدها تحتية ساكنة، قال أبو سفيان يوم بيوم بدر والحرب سجال، أي بكسر المهملة وتخفيف الجيم أي دول مرة لهؤلاء ومرة لهؤلاء، قال عمر لا سواء قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار، قال أبو سفيان إنكم لتزعمون ذلك لقد خبنا إذا وخسرنا، فلما أجاب عمر أبا سفيان قال له هلم إلي يا عمر فقال صلى الله عليه وسلم لعمر ائته فانظر ما شأنه، فقال أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمدا؟ قال عمر: اللهم لا وإنه ليسمع كلامك الآن. قال أنت عندي أصدق من أبى قمأة وأبرٌ انتهى.

وإنما أجاب عمر أبا سفيان بعد نهيه عليه السلام حماية للظن بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل قاله القسطلاني.

قال الزرقاني عقبه فى فتح البارى عن ابن عباس عند أحمد والحاكم أن عمر قال يا رسول الله ألا أجيبه قال بلى. فكأنه نهى عن إجابته فى الأولى وأذن فيها فى الثالثة انتهى.

وتوجه صلى الله عليه وسلم يلتمس أصحابه فاستقبله المشركون فرموا وجهه الشريف فأدموه وكسروا رباعيته بفتح الراء وهي السن التى بين الثنية والناب والمراد أنها كسرت فذهب منها فلقة ولم تقلع من أصلها وهي اليمنى السفلى كما فى سيرة ابن هشام ولما جرح صلى الله عليه وسلم أخذ شيئا فجعل ينشف دمه فيه ليمنعه من النزول على الأرض ويقول لو وقع شيء منه على الأرض لنزل عليهم العذاب من السماء وفى الينابع لو وقع منها يعنى قطرات الدم شيء على الأرض لم ينبت عليها نبات ثم لم يكتف صلى الله عليه وسلم بإزالة ما ينزل

عليهم من العذاب حتى قال اللهم أغفر لقومى فإنهم لا يعلمون. قال فى الشفاء انظر ما فى هذا القول من غاية الصبر والحلم وقد أظهر فيه سبب الشفقة والرحمة بقوله عليه السلام: لقومي. ثم اعتذر عنه بجهلهم فقال: فإنهم لا يعلمون.

والذى كسر رباعيته صلى الله عليه وسلم عتبة بن أبى وقاص أخو سعد رماه بأربعة أحجار فكسر حجر منها رباعيته فقال سعد ما حرصت على قتل رجل قط حرصي على قتل أخى عتبة لما صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كفانى منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على من دمى وجه رسوله، وروي عبد الرزاق أنه صلى الله عليه وسلم دعى عليه فقال اللهم لا يحول عليه الحول حتى يموت كافرا، فما حال عليه الحول حتى مات كافرا. وقال حسان فيه:

إذ الله جازى معشرا بفعالهم	ونصرهم الرحمن رب المشارق
فأخزاك ربى يا عتيب بن مالك	ولقاك قبل الموت إحدى الصواعق
بسطت يمينا للنبي تعمدا	فأدميت فاه قطعت بالبوارق
فهل لا ذكرت الله والمنزل الذى	تصير إليه عند إحدى البوائق

وفي هذا أنه مات كافرا، وفى الإصابة فيمن ذكر فى الصحابة غلطا لم أر من ذكره فى الصحابة إلا ابن مندة بفتح الميم وسكون النون كما فى الزرقاني واستند لقول سعد فى ابن أمة زمعة عهد إلى عتبة أخي أنه ولده وليس فيه ما يدل على إسلامه وقد شدد أبو نعيم فى الإنكار على ابن مندة وبالجملة ليس فى شيء من الآثار ما يدل على إسلامه بل فيها ما يصرح بموته على الكفر فلا معنى لإيراده فى الصحابة انتهى نقله الزرقاني.

وفي المواهب ومن ثم لم يولد من نسله ولد يبلغ الحنث إلا وهو أبخر أي منتن الفم أو أهتم: أي مكسور الثنايا من أصلها، يعرف ذلك فى عقبه. وقال فى الخميس أبخر أي عطشان لا يروى، وروى ابن الجوزي والخطيب عن الحافظ الفريابي قال بلغني أن الذى كسر رباعيته صلى

الله عليه وسلم لم يولد له صبي فنبتت له رباعية وجرح عتبة أيضا شفته السفلى والذى شجه فى جبهته كما لابن هشام هو عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب جد الإمام الفقيه من قبل أبيه وأسلم بعد ذلك قاله أبو عمر تبعا للزبير بن بكار وذكر البلاذري أنه مات فى أيام عثمان وأما جده من قبل أمه وهو أخو هذا واسمه عبد الله أيضا فمن السابقين ذكره الزهري والزبير والطبري فيمن هاجر إلى الحبشة ومات بمكة قبل الهجرة إلى المدينة، والذى جرحه فى وجنته الشريفة وهي بتثليث الواو والأشهر الفتح ما ارتفع من لحم الخد هو عبد الله بن قميئة كسفينة كما فى القاموس والصحاح وسماه بعضهم عمرا فقال خذها وأنا ابن قميئة فقال صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه أقمأك الله بفتح الهمزة فى أوله وفى آخره أخرى أي صغرك وذللك. فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة، وروى ابن عائذ أنه انصرف ذلك اليوم إلى أهله فخرج إلى غنمه فوافاها على ذروة جبل فأخذ يعترضها ويشد عليه تيسها فنطحه نطحة رداه من شاهق الجبل فتقطع وهو منقطع ودخلت حلقتان فى وجنته حين جرحه من المغفر، تثنية حلقة بسكون اللام والمغفر بكسر الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الفاء زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس قاله القسطلاني فعض عليهما أبو عبيدة بن الجراح وانتزعهما حتى سقطت ثنيتاه من شدة العض ومصّ مالك بن سنان والد أبى سعيد الخدري الدم من وجنته ثم ازدرده فقال صلى الله عليه وسلم من مس دمى دمه لم تمسه النار، وروى عبد الرزاق عن الزهري قال ضرب وجه النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ سبعين ضربة بالسيف ووقاه الله تعالى شرها، قال فى المواهب يحتمل أنه أراد بالسبعين حقيقتها أو المبالغة فى الكثرة أي على عادة العرب فى ذلك ووقع صلى الله عليه وسلم فى حفرة من الحفر التى حفرها أبو عامر الفاسق الأوسي يكيد بها المسلمين فأخذ علي بيده ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما وجرح طلحة يومئذ تسعا وثلاثين أو خمسا

وثلاثين وشلت يده وقاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد يقول ذلك اليوم كله لطلحة، وروى النسائي والبيهقي بسند جيد عن جابر أدرك المشركون النبي صلى الله عليه وسلم فقال من للقوم فقال طلحة أنا فذكر قتل الذين كانوا معهما من الأنصار قال ثم قاتل طلحة قتال الأحد عشر حتى ضربت يده فقطعت أصابعه فقال حس، فقال صلى الله عليه وسلم لو قلت بسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون، حتى تلج بك فى جو السماء، ورمي يومئذ أبو رهم بضم الراء كما فى الزرقاني كلثوم بن الحصين الغفاري بسهم فوقع فى نحره فبصق عليه صلى الله عليه وسلم فبرئ وسمي المنحور وهي معجزة باهرة.

ولما انقطع سيف عبد الله بن جحش أعطاه صلى الله عليه وسلم عرجون نخلة فعاد فى يده سيفا فقاتل به حتى قتل، قتله أبو الحكم بن الأخنس بن شريق، ودفن هو وخاله حمزة فى قبر واحد وأمه أميمة بنت عبد المطلب واختلف فى إسلامها وقتله أي أبا الحكم علي بن أبى طالب وكان ذلك السيف يسمى العرجون ولم يزل يتوارث حتى بيع بمائتي دينار من بقا التركي أحد أمراء المعتصم ابراهيم بن هارون الرشيد وأصيبت عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته وقيل فى يده فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذها صلى الله عليه وسلم بيده وردها فى موضعها، وقال اللهم اكسه جمالا، وفى رواية اللهم اجعلها أحسن عينيه وأحدهما نظرا، وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى، وروى الأصمعي أن رجلا من ولده قدم على عمر بن عبد العزيز، فقال ممن الرجل؟ فقال:

أنا ابن الذى سالت على الخد عينه	فردت بكف المصطفى أحسن الرد
فعادت كما كانت لأول أمرها	فيا حسن ما عين ويا حسن ما خدى

فقال عمر:

تلك المكارم لا قعبان من لبن	شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

فقال عمر بمثل ذا فاليتوسل المتوسلون. ووصله وأحسن جائزته.

وقوله ويا حسن ما خد هكذا رواه الأصمعي وأنشده اليعمري ويا حسن ما رد، وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد التحدث بقتله كعب بن مالك الخزرجي ثم السلمي العقبي، قال عرفت عينيه تزهران من تحت المغفر أي تضيئان ومن رواه تزران فمعناه تتوقدان وفى الصحاح زرت عينه تزر بالكسر زريرا وعيناه تزران إذا توقدتا، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأشار لى صلى الله عليه وسلم أن اصمت أي اسكت، فلما سمعوا ذلك وعرفوه نهضوا إليه ونهض معهم نحو الشعب، فلما أسند أي صعد، قاله فى النور، رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب وكأن معناه لما دخلوا به فى الشعب صعدوا به فى الصخرة فاستندوا إلى جانب من الجبل بدليل رواية ابن إسحاق نهض صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من الجبل ليعلوها وكان قد بدن وظهر بين درعين فلما ذهب لينهض لم يستطع فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض به حتى استوى عليها قال الزبير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يومئذ أوجب طلحة قال البرهان بدن بفتح الدال المهملة أي أسن أو ثقل من السن وأوجب طلحة يعنى أحدث شيئا يستوجب به الجنة، وجواب لما قوله أدركه أبي بن خلف وهو يقول أين محمد لا نجوت إن نجي، فاعترضه رجال من المؤمنين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا أي خلوا طريقه فلما دنا تناول الحربة من الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء من ظهر البعير إذا انتفض ثم استقبله عليه السلام فطعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عنقه، وفى لفظ فى ترقوته، وفى لفظ فخدشه فى عنقه خدشا غير كبير وقع بها عن فرسه مرارا وجعل يخور كما يخور الثور ولم يخرج له دم، فكسر ضلعا بكسر الضاد وفتح اللام وتسكن من أضلاعه فلما رجع إلى قريش قال قتلنى والله محمد، فقالوا ليس عليك بأس ما أجزعك؟ فقال واللات لو كان هذا الذى بى بربيعة ومضر لماتوا أجمعين، وفى رواية بجميع الناس لقتلهم، أليس قد كان قال لى بمكة أنا أقتلك فوالله

لو بصق علي لقتلني فمات عدو الله بسرف بفتح السين وكسر الراء المهملتين وبالفاء وهم قافلون إلى مكة، كذا رواه أبو نعيم والبيهقي. وعن الواقدي أن ابن عمر كان يقول مات أبي ببطن رابغ فإني لأسير ببطن رابغ بعد هوى أي بفتح الهاء وكسر الواو وشد التحتية، أي حين طويل، وقيل خاص بالليل، وعليه فقوله من الليل صفة لازمة إذا نار تأجج فهبتها وإذا رجل يخرج منها في سلسلة يجذبها بذال معجمة أي يسحبها يصيح العطش بالرفع والنصب وإذا رجل يقول لا تسقه هذا قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أبي بن خلف انتهى.

والشعراء بشين معجمة مفتوحة فعين ساكنة فراء فألف تانيث ذباب أزرق أو أحمر له لذع وروي تطاير الشعراء أي بضم الشين وسكون العين جمع شعراء، ولما انتهى صلى الله عليه وسلم إلى فم الشعب ملأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه درقته من المهراس بكسر الميم وسكون الهاء وبالراء وسين مهملة آخره والمهراس صخرة منقورة تسع كثيرا من الماء تجعل إلى جانب البئر ويصب فيها الماء لينتفع به الناس، وقيل هو اسم ماء بأحد، فجاء به إليه صلى الله عليه وسلم ليشرب منه فوجد له ريحا فعافه فلم يشرب منه وغسل عن وجهه الدم وصب على رأسه وهذا وقع قبل انصراف الكفار، فلما انصرفوا كما في الطبراني أتت فاطمة في النسوة فجعلت تغسل وعلي يسكب وهو صلى الله عليه وسلم يقول: اشتد غضب الله على من دمى بفتح الميم المشددة وجه نبيه وصلى صلى الله عليه وسلم الظهر يومئذ قاعدا من الجراح وصلى المسلمون خلفه قعودا، وفي البخاري أنها لما غسلته ازداد الدم فأخذت قطعة من حصير فأحرقتها بالنار وللطبراني حتى صار رمادا وكمدته بشد الميم أي ألصقته به فاستمسك الدم ووقعت هند بنت عتبة والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال مثل به بفتح الميم والثاء المخففة يمثل بضم الثاء مثلا بفتح الميم وسكون الثاء أي نكل والاسم المثلة بالضم ومثل بالقتيل جدعه وكثير من الناس يشدد مثل وكأنه إذا أريد التكثير يجوز ذلك يجدعن بفتح الياء وإسكان

الجيم وخفة الدال وكأنه إذا أريد المبالغة يجوز التشديد أي يقطعن الآذان والأنف بفتح الهمزة الممدودة وضم النون وبقرت عن كبد حمزة رضي الله عنه فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها ثم علت هند على صخرة فصرخت بأعلى صوتها فقالت:

نحن جزيناكم بيوم بدر — والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لى من صبر — ولا أخى وعمه وبكر
شفيت نفسى وقضيت نذرى — شفيت وحشي غليل صدرى
فشكر وحشي علي عمرى — حتى ترم أعظمى فى قبر

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب أخت مسطح :

خزيت فى بدر وبعد بدر — يا بنت وقاع عظيم الكفر
صبحك الله غداة الفجر — بالهاشميين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفر — حمزة ليثى وعلي صقرى
إذ رام شيب وأبوك غدر — فخضبا منه ضواحي النحر
ونذرك السوء فشر نذر

قال فى الاكتفاء هذا قول هند والكفر يحنقها والوتر يقلقها والحزن يحرقها والشيطان ينطقها ثم أن الله تعالى هداها للإسلام وعبادة الله تعالى وترك الأصنام وأخذ بحجزتها عن النار ودلها على دار الإسلام فصلحت حالها وتبدلت أقوالها. ولما انصرف أبو سفيان نادى إن موعدكم بدر العام القابل، فقال صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب قل نعم هو بيننا وبينكم موعد، ثم بعث عليه السلام عليا أو سعد بن أبى وقاص ويحتمل أنه بعثهما معا وقال اخرج فى آثار القوم فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة والذى نفسى بيده إن أرادوها لأسيرن إليهم ثم لأناجزنهم. قال علي أو سعد فخرجت فى آثارهم فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة. قال تعالى: [سنلقي فى قلوب الذين

كفروا الرعب} (الآية). قذف الله فى قلوبهم الخوف فانهزموا إلى مكة من غير سبب، قاله الكشاف انتهى المراد من خبر غزوة أحد وتليها غزوة حمراء الأسد قال أبو عبيد وهي تانيث أحمر مضاف إلى أسد وهي اسم مكان على ثمانية أميال وقيل عشرة على يسار الذاهب من المدينة إلى ذي الحليفة، قال فى المواهب وكانت صبيحة يوم أحد، قال الزرقاني وهو يوم السبت فهذه الغزوة يوم الأحد لست عشرة ليلة أو لثمان خلون من شوال على رأس ثلاثين شهرا من الهجرة والخلاف عندهم كما سبق فى أحد ذكر الواقدي أنه صلى الله عليه وسلم باتت وجوه الأنصار على بابه خوفا من كرة العدو فلما طلع الفجر وأذن بلال للصلاة جاء عبد الله بن عمرو المزني فأخبره صلى الله عليه وسلم أنه قد أقبل من أهله حتى إذا كان بملل كجبل بميم ولامين موضع قرب المدينة إذا قريش قد نزلوا فسمعهم يقولون ما صنعتم شيئا أصبتم شوكة القوم وحدهم ثم تركتموهم ولم تبيدوهم فقد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم فارجعوا نستأصل من بقي، وصفوان بن أمية يقول لا تفعلوا فإن القوم قد حربوا بمهملة وموحدة أي غضبوا وأخاف أن يجتمع عليكم من تخلف من الخزرج فارجعوا والدولة لكم فإني لا آمن إن رجعتم أن تكون الدولة عليكم، فقال صلى الله عليه وسلم أرشدهم صفوان وما كان برشيد، والذى نفسى بيده لقد سومت لهم الحجارة ولو رجعوا لكانوا كأمس الذاهب ودعا صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر فذكر لهما ما أخبر به المزني فقالا يا رسول الله اطلب العدو لا يقحمون على الذرية أي يدخلون فلما انصرف من صلاة الصبح أمر بلالا أن ينادى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم بطلب عدوكم وأن لا يخرج معنا أحد إلا من خرج معنا أمس أي من شهد أحدا ولعل حكمة ذلك أنه أراد إظهار الشدة للعدو فيعلمون من خروجهم مع كثرة جراحاتهم أنهم على غاية من القوة والرسوخ فى الإيمان وحب الرسول، وقال الحافظ بن كثير والمشهور عند أصحاب المغازي أن الذين خرجوا إلى حمراء الأسد كل من شهد أحدا وكانوا سبعمائة قتل منهم سبعون وبقي الباقون. قال الشامي والظاهر

أنه لا تخالف بين قول عائشة الذى فى البخاري ومسلم، لما انصرف المسلمون خاف أن يرجعوا فقال من يذهب فى أثرهم فانتدب منهم سبعون رجلا فيهم أبو بكر والزبير زاد الطبراني عن ابن عباس وعمر وعثمان وعلي وعمار وطلحة وسعد وابن عوف وأبو عبيدة وحذيفة وابن مسعود وبين قول أهل المغازى لأن معنى قولها فانتدب منهم سبعون أنهم سبقوا غيرهم ثم تلاحق الباقون انتهى.

ودعا صلى الله عليه وسلم بلوائه وهو معقود لم يحل فدفعه إلى علي ويقال إلى أبى بكر واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وذكر ابن سعد أنه صلى الله عليه وسلم ركب فرسه وهو مجروح فبعث ثلاثة من أسلم طليعة فى آثار القوم فلحق منهم اثنان بالقوم فى حمراء الأسد فبصروا بالرجلين فقتلوهما ومضوا ومضى صلى الله عليه وسلم ودليله ثابت بن الضحاك حتى عسكر بحمراء الأسد فوجد الرجلين فدفنهما بقبر واحد وأقام عليه السلام بها الإثنين والثلاثاء والأربعاء ثم رجع وكان المسلمون يوقدون تلك الليالي خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد فكبت الله بذلك عدوهم. قال فى الاكتفاء وتكلم جابر بن عبد الله بن حرام لما أذن مؤذنه لطلب العدو وأن لا يخرج معنا إلا أحد حضر يومنا بالأمس فقال يا رسول الله كان أبى خلفنى على أخوات لى سبع، وقال يا بني لا ينبغى لى ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل لهن ولست الذى أثيرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسى فتخلف على أخواتك، فتخلفت عليهن، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه، وإنما خرج مرهبا انتهى.

وقوله سبع وفى رواية تسع بمثناة فوقية أوله وهو الصحيح قاله الزرقاني وشهد معه صلى الله عليه وسلم يومئذ أخوان من بني عبد الأشهل فرجعا جريحين قال أحدهما فلما أذن مؤذنه صلى الله عليه وسلم بالخروج قلت لأخى أو قال لى أتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ والله ما لنا من دابة نركبها وما منا إلا جريح ثقيل! فخرجنا وكنت أيسر جرحا وكان إذا عقب حملته عقبة ومشى عقبة حتى

انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون انتهى.

ومرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد معبد بن أبى معبد الخزاعي فعزاه بمصاب أصحابه وهو يومئذ مشرك وأسلم بعد، كما جزم به ابن عبد البر وابن الجوزي كما فى الزرقاني. وكانت خزاعة عيبة نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة ثم خرج حتى أتى أبا سفيان بالروحاء وقد أجمع الرجعة هو وأصحابه وقالوا أصبنا فى أحد أصحاب محمد وقادتهم وأشرافهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم لنكرن عليهم فلنفرغن منهم فلما رأى أبو سفيان معبد قال ما وراءك؟ قال محمد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط، يتحرقون عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان تخلف فى يومكم وندموا على ما صنعوا فيهم من الحنق عليكم شيئا لم أر مثله قط، قال ويلك ما تقول؟ قال ما أرى أن نرتحل حتى ترى نواصى الخيل قال لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم، قال فإني أنهاك عن ذلك! والله لقد حملنى ما رأيت على أن قلت فيه أبياتا، قال وما قلت؟ قال قلت:

كادت تهد من الأصوات راحلتى	إذ سالت الأرض بالجرد الأبابيل
تردي بأسد كرام لا تنابلة	عند اللقاء ولا ميل معازيل
فظلت أعدو أظن الأرض مائلة	لما سموا برئيس غير مخذول
فقلت ويل ابن حرب من لقائكم	إذا تغطمطت البطحاء بالخيل

إلى آخرها...

فثنى ذلك المشركين فرجعوا إلى مكة انتهى.

والتنابلة القصار، وتغطمطت لفظ مستعار من الغطمطة وهي غليان القدر، ولما رجع صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أصاب قبل وصوله إلى المدينة معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، وهو جد عبد الملك بن مروان أبو أمه عائشة وكان لجأ إلى عثمان فاستامن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه على أنه إن وجد بعد ثلاثة أيام قتل فأقام بعد ثلاث وتوارى فبعث صلى الله عليه وسلم زيدا بن حارثة

وعمار بن ياسر فقال لهما إنكما ستجدانه بموضع كذا فوجداه ووثقاه وقتلاه صبرا بأمر من رسول الله وأصاب أبا عزة بعين مهملة مفتوحة فزاي مشددة فهاء تأنيث عمرو بن عبد الله الجمحي وكان أسره ببدر ثم منّ عليه، فقال يا رسول الله أقلنى، فقال والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدا مرتين، اضرب عنقه يا زبير، فضرب عنقه، وعن سعيد بن المسيب أنه قال قال صلى الله عليه وسلم إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت فضرب عنقه ثم بعد حمراء الأسد غزوة بنى النضير وياتى الكلام عليها إن شاء الله عند ذكر الناظم لها، ثم بعد ذكر غزوة بني النضير غزوة ذات الرقاع كما لابن إسحاق وغيره، وفى الإكتفاء أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهري ربيع وبعض جمادى ثم غزى نجدا يريد بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان وهي غزوة ذات الرقاع انتهى المراد منه.

والرقاع بكسر الراء بعدها قاف فألف فعين مهملة جمع رقعة بالضم كبرمة وبرام وهي غزوة محارب وغزوة بنى ثعلبة وغزوة بنى أنمار وغزوة صلاة الخوف لوقوعها فيها وغزوة الأعاجيب لما وقع فيها من الأمور العجيبة، فقول البخاري وهي غزوة محارب بن خصفة من بنى ثعلبة بن غطفان وهم، لاقتضائه أن ثعلبة جد لمحارب وليس كذلك، فصوابه كما عند ابن إسحاق وغيره وبنى ثعلبة بواو العطف فإن غطفان بفتح الغين المعجمة والطاء المهملة هو ابن سعد بن قيس عيلان ومحارب بضم الميم هو ابن خصفة بفتح المعجمة والصاد المهملة والفاء ابن قيس عيلان، فمحارب وغطفان ابنا عم وبنو ثعلبة بمثلثة وعين مهملة من غطفان لأن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بفتح الموحدة وكسر المعجمة وسكون التحتية فضاد معجمة ابن ريث بفتح الراء وسكون التحتية فمثلثة ابن غطفان قاله العلامة الزرقاني. وقال فى الفتح والذى ينبغى الجزم به أنها بعد غزوة بنى قريظة قال الزرقاني كما صنع البخاري وبه جزم أبو معشر، قال مغلطاي وهو من المعتمدين فى السير انتهى.

وفي المواهب سميت بذلك لأنهم رقعوا فيها راياتهم قاله ابن هشام. وقيل شجرة فى ذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع، قال شارحه قيل لأن هذه الشجرة كانت العرب تعبدها وكل من كان منهم له حاجة يربط بها خرقة وقيل الأرض التى نزلوها فيها بقع سود وبقع بيض كأنها مرقعة برقاع مختلفة فسميت بذلك وقال الواقدي لجبل هناك فيه بقع وقال الداودي سميت بذلك لوقوع صلاة الخوف فيها لترقيع الصلاة فيها.

وأصح من هذه الأقوال أنها سميت بذلك للفهم الخرق فيها على أرجلهم لما نقبت بفتح النون وكسر القاف أقدامهم، أي رقت وقرحت من الحفاء كما رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه، وكان من خبر هذه الغزوة أنه عليه السلام غزا نجدا يريد بنى محارب وبنى ثعلبة وبنى أنمار لما بلغه أنهم جمعوا الجموع إليهم فخرج ليلة السبت لعشر خلون من المحرم على قول ابن سعد وابن حبان أو فى جمادى على ما تقدم وهو لابن إسحاق فى أربعمائة من أصحابه، وقيل سبعمائة وقيل ثمانمائة واستعمل على المدينة عثمان بن عفان وسار حتى وصل واد الشقرة بضم الشين المعجمة وسكون القاف فأقام يوما وبث سراياه فرجعوا من الليل ولم يروا أحدا فسار حتى نزل نخلا بالخاء المعجمة، موضع من أراضي غطفان وهو من المدينة على يومين وهو بواد يقال له شدخ بشين معجمة بعدها مهملة ساكنة فخاء معجمة فلم يجد فى مجالسهم إلا نسوة فأخذهن وهربوا فى رؤوس الجبال كذا قال ابن سعد وقال ابن إسحاق لقي جمعا منهم ولم يكن بينهم حرب وقد خاف الناس حتى صلى صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف وكانت غيبته عليه السلام فى هذه الغزوة عن المدينة خمس عشرة ليلة وبعث جعال بن سراقة بشيرا بسلامته وسلامة المسلمين. وعن جابر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها له صلى الله عليه وسلم فنمنا نومة فجاء رجل من المشركين وسيف النبي صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة وهو نائم فاخترطه يعنى سله من غمده فقال له تخافنى؟ قال لا! قال فمن يمنعك منى؟ قال الله يمنعنى منك، فسقط

السيف من يده. فأخذه عليه الصلاة والسلام فقال من يمنعك مني؟ فقال كن خير آخذ. قال تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟! قال الأعرابي أعاهدك أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك، قال فخلى سبيله فجاء إلى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس، وذكر الواقدي في نحو هذه القصة أن هذا الإعرابي دعثور بضم الدال المهملة وسكون العين المهملة وضم المثلثة وسكون الواو وراء مهملة وأنه أسلم ورجع إلى قومه فاهتدى به خلق كثير. وفي رواية ابن إسحاق أنه اسلم بعد وأنه رمي بالزلخة بضم الزاء وشدّ اللام بعدها خاء معجمة فهاء تانيث وهي وجع الصلب حين هم بقتله صلى الله عليه وسلم فندر، بنون ودال وراء مهملنين، السيف أي سقط من يده وسقط هو إلى الأرض فلم يستطع القيام وقال البخاري عن مسدد عن أبى عوانة عن أبى بشر اسم الرجل غورث بن الحارث بفتح الغين المعجمة وسكون الواو وفتح الراء فمثلثة وقيل بضم أوله، وحكى الخطابي فيه غويرث بالتصغير ووقع عند الخطيب بالكاف بدل الثاء وقال في المواهب وتقدم في غزوة غطفان وهي غزوة ذي امر بناحية نجد مثل هذه القصة لرجل اسمه دعثور وأنه قام على رأسه صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك مني اليوم؟ فقال عليه الصلاة والسلام: الله! فدفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده، وأنه أسلم. قال في عيون الأثر والظاهر أن الخبرين واحد اختلف الرواة في اسمه فبعضهم سماه دعثورا وبعضهم سماه غورث وقال غيره من المحققين الصواب أنهما قصتان في غزوتين قصة لرجل اسمه دعثور بغزوة ذي امر وفيه التصريح بأنه أسلم ورجع إلى قومه فاهتدى به خلق كثير وقصة بذات الرقاع لرجل اسمه غورث وليس في قصته تصريح بإسلامه انتهى.

وفي انصرافه عليه السلام من هذه الغزوة أبطأ جمل جابر بن عبد الله فلا يكاد يسير فنخسه النبي صلى الله عليه وسلم بعصى نخسات ولمسلم وأحمد فضربه برجله ودعا له فانطلق متقدما بين يدي الركاب ولأبى نعيم أنه نفث في ماء ثم مج من الماء في نحره ثم ضربه بالعصى

فوثب فقال اركب! قلت إني أرضى أن يساق معنا، قال اركب فركبت فوالذى نفسي بيده لقد رأيتنى وأنا أكفه عنه صلى الله عليه وسلم إرادة أن لا يسبقه ثم قال أتبيعنيه فابتاعه بأوقية وقال لك ظهره إلى المدينة، فلما وصلها أعطى الثمن وأرجح ووهب له الجمل، ثم بعد ذات الرقاع غزوة بدر الصغرى لعدم وقوع حرب فيها فهي صغرى بالنسبة لبدر الكبرى وتسمى بدر الموعد للمواعدة مع أبى سفيان عليها يوم أحد وهي الثالثة، فقد مرّ أن أبا سفيان قال يوم أحد الموعد بيننا وبينكم بدر من العام القابل فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لعمر قل نعم هو بيننا وبينكم موعد ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة ذات الرقاع أقام بها بقية جمادي الأولى وجمادى الأخيرة ورجبا ثم خرج فى شعبان سنة أربع إلى بدر لميعاد أبى سفيان حتى نزله ومعه كما رواه الحاكم ألف من أصحابه وخمسمائة ومعهم عشرة أفراس فرس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفرس لأبى بكر وفرس لعمر وفرس للزبير وفرس لسعيد بن زيد وفرس للمقداد وفرس لأبى قتادة وفرس للحباب وفرس لعباد بن بشر فهذه تسعة ولم يسم العاشر واستخلف ابن رواحة على المدينة وحمل اللواء علي بن أبى طالب فأقاموا ثماني ليال على بدر ينتظرون أبا سفيان وخرج أبو سفيان فى قريش وهم ألفان ومعهم خمسون فرسا كذا عند الواقدي حتى نزلوا مجنة بميم فجيم فنون مشددة مفتوحات ويجوز كسر الميم سوق بقرب مكة من ناحية مرّ الظهران بفتح الميم وشد الراء وفتح الظاء المشالة وإسكان الهاء واد بين مكة وعسفان، ويقال حتى نزل عسفان ثم رجع فقال يا معشر قريش إنه لا يصلحكم إلا عام خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن، وإن عامكم هذا عام جدب وإني راجع فارجعوا، فرجع الناس فسماهم أهل مكة جيش السويق يقولون إنما خرجتم تشربون السويق، وهو قمح أو شعير يقلى ثم يطحن ويتزود به ملتوتا بماء أو عسل أو سمن وأتى مخشى بن عمر الضمري رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر وهو الذى كان وادعه على بني ضمرة فى غزوة

ودّان فقال يا محمد أجئت للقاء قريش على هذا الماء؟ فقال نعم يا أخا بني ضمرة وإن شئت مع ذلك رددنا إليك ما كان بيننا وبينك ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك. قال لا والله ما لي بذلك منك من حاجة. ومرّ به صلى الله عليه وسلم وهو هناك معبد الخزاعي فقال وناقته تهوي وقد رأى مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم:

قد نفرت من رفقتي محمد   وعجوة من يثرب كالعسجد
تهوى على دين أبيها الأتلد   قد جعلت ماء قديد موعد
وماء ضجنان لها ضحى الغد

قوله كالعسجد في هامش منسوب للسهيلي أنه حب الزبيب وقديد كزبير موضع وضجنان كسكران جبل قرب مكة وقال ابن رواحة في ذلك ويقال انها لكعب بن مالك.

وعدنا أبا سفيان بدرا فلم نجد   لميعاده صدقا وما كان وافيا
فأقسم لو وافيتنا فلقيتنا   لأبت ذميما وافتقدت المواليا
تركنا بها أوصال عتبة وابنه   وعمرا أبا جهل تركناه ثاويا
عصيتم رسول الله أف لدينكم   وأمركم الشيء الذى كان غاويا
فإني وإن عنفتموني لقائل   فدى لرسول الله أهلي وماليا
أطعناه لم نعدله فينا بغيره   شهابا لنا في ظلمة الليل باديا

وقال حسان بن ثابت:

دعوا فلجات الشام قد حال دونها   جلاد كأفواه المخاض الأوارك
بأيدى رجال هاجروا نحو ربهم   وأنصاره حقا وأيدى الملائك
إذا سلكت للغور من بطن عالج   فقولا لها ليس الطريق هنا لك
أقمنا على الرس النزوع ثمانيا   بأرعن جرار عظيم المبارك
بكل كميت جوزه نصف خلقه   وقب طوال مشرفات الحوالك
ترى العرفج العادي تدمى أصوله   مناسم أخفاف المطي الرواتك
فإن نلق في تطوافنا والتماسنا   فراة ابن حيان يكن رهن هالك

في القاموس الفلج محركة النهر الصغير، انتهى.

وفي هامش منسوب للسهيلي أن أبا حنيفة رواه بالحاء، وقال الفلحة

المزرعة والأوارك التى اشتكت من أكل الأراك والبئر النزوع القريبة القعر وجيش أرعن كثير له فضول والجرار الثقيل السيل لكثرته والكميت الذى أصاب حمرته قنوء والجوز الوسط والقب الضوامر والحارك أعلى الكاهل والمشرف المرتفع والعرفج شجر والعادى القديم، والرواتك المتقاربة الخطو انظر القاموس.

ثم بعد غزوة ذات الرقاع غزوة دومة الجندل وهي بضم الدال من دومة وهي مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال وبعدها من المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة سميت بدومي بن اسماعيل كان نزلها قاله القسطلاني فى المواهب. قوله بضم الدال قال الزرقاني فى شرحه عند أهل اللغة وأصحاب الحديث يفتحونها كذا فى الصحاح. وقال اليعمري بضم الدال وفتحها، وقال ابن القيم بضم الدال وأما بفتحها فمكان آخر، وقال بعضهم دومة الجندل بالضم والفتح، وأما المكان الآخر الذى باليمن فبالفتح فقط، قيل كان منزل أكيدر أولا دومة الحيرة وكان يزور أخواله من كلب، فخرج معهم للصيد فرفعت له مدينة متهدمة لم يبق إلا حيطانها مبنية بالجندل فأعادوا بناءها وغرسوا الزيتون وسموها دومة الجندل تفرقة بينها وبين دومة الحيرة وكان أكيدر يتردد بينهما انتهى.
وكانت على رأس تسعة وأربعين شهرا من الهجرة فتكون سنة خمس قاله فى المواهب. وسببها أنه عليه السلام بلغه أن بها جمعا يظلمون من مرّ بهم وأنهم يريدون الدنو من المدينة وهي طرق من أفواه الشام وقيل له عليه السلام لو دنوت إليها لكان ذلك مما يفزع قيصر وكان بها سوق عظيم وتجار فخرج صلى الله عليه وسلم لخمس ليال بقين من ربيع الأول فى ألف من أصحابه فكان يكمن النهار ويسير الليل بضم الميم وفتحها واستخلف على المدينة سباع بكسر السين المهملة فموحدة فألف فعين مهملة ابن عرفطة بضم العين والفاء الغفاري ويقال له الكناني وكان دليله مذكور العذري ونكب عن طريقهم وقال له لما دنا من دومة يا رسول الله إن سوائمهم ترعى عندكم فأقم حتى أطلع لك. قال نعم.

فخرج العذري طليعة وحده ووجد آثار النعم والشاء فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فلما دنا منهم لم يجد إلا النعم والشاء، فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب فى كل وجه، وجاء الخبر أهل دومة فتفرقوا فرقا للرعب منه صلى الله عليه وسلم ونزل عليه السلام بساحتهم فأقام بها وبث السرايا وفرقها ولم يصب منهم أحدا ودخل المدينة فى العشرين من ربيع الآخر فتكون غيبته عن المدينة خمسا وعشرين ليلة ولعله جد فى السير لما مرّ أن بعد دومة من المدينة خمسة عشر انتهى من المواهب وشرحها.

وفي الاكتفاء بعد أبيات حسان ما نصه: ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فأقام بها حتى مضى ذو الحجة وهي سنة أربع من مقدمه المدينة ثم غزا دومة الجندل ثم رجع قبل أن يصلها ولم يلق كيدا صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى بحروفه.

تنبيه:

ذكر الكلاعي غزوة الخندق عقب غزوة دومة والذى فى المواهب ذكر غزوة المريسيع قبل الخندق تبعا لابن سعد وقال انها كانت لليلتين خلتا من شعبان سنة خمس. قال الزرقاني ورواه البيهقي عن قتادة وعروة وغيرهما ولذا ذكرها أبو معشر قبل الخندق ورجحه الحاكم وهو الذى فى مغازي موسى بن عقبة من عدة طرق ورجحه ابن حجر، وقال أي ابن حجر بعد كلام، فظهر أن المريسيع كانت سنة خمس فى شعبان قبل الخندق لأنها كانت فى شوال سنة خمس أيضا انتهى المراد من كلام الزرقاني.

وسأتكلم عليها إن شاء الله عند قول الناظم الآتى بنى المصطلق لأنها هي المريسيع غزوة الخندق وتسمى الأحزاب، أما تسميتها بالخندق فلأجل الخندق أي الحفر الذى حفر حول المدينة فى شاميها من طرق الحرة الشرقية إلى طرق الحرة الغربية وأما تسميتها بالأحزاب فلاجتماع طوائف من الكفار عليها وهم قريش وغطفان وسليم واليهود

حتى بلغوا عشرة آلاف وأنزل الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ... إلى قوله: قويا عزيزا}. وكان من سببها أنه صلى الله عليه وسلم لما أجلى بني النضير خرج نفر من اليهود منهم سلّام بالتشديد عند ابن الصلاح وغيره ورجح الحافظ التخفيف مستندا لوقوعه في أشعار العرب، كقول أبي سفيان:

سقاني فرواني كميتا مدامة على ظمئ مني سلام ابن مشكم

ابن مشكم بكسر الميم وسكون الشين المعجمة وفتح الكاف وسلام بن أبي الحقيق بحاء مضمومة فقاف مفتوحة فتحتية ساكنة ثم قاف أخرى وحيي بضم الحاء مصغرا بن أخطب بفتح الهمزة وسكون الخاء المعجمة وفتح الطاء المهملة كما في الزرقاني وكنانة بن الربيع النضيريون وهوذة بفتح الهاء وسكون الواو فذال معجمة فهاء تانيث ابن قيس وأبو عمار الوائليان فقدموا على قريش ودعوهم إلى حربه عليه السلام، وقالوا إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقالت لهم قريش إنكم أهل الكتاب الأول والعلم فما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أديننا خير أم دينه؟ قالوا بل دينكم خير من دينه. وأنتم أولى بالحق منه، فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم: {ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يومنون بالجبت والطاغوت إلى قوله وكفى بجهنم سعيرا} فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعوهم إليه وتواعدوا على وقت يخرجون فيه ثم خرج أولئك اليهود حتى جاؤا غطفان من قيس عيلان ودعوهم إلى حربه عليه السلام وأخبروهم أنهم سيكونون معهم وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك وجعل اليهود لغطفان نصف تمر خيبر كل عام تحريضا لهم على الخروج، فخرجت قريش في أربعة آلاف وحملوا اللواء على عثمان بن أبي طلحة وقائدهم أبو سفيان، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن بدر الفزاري في فزارة كسحابة قبيلة وكانوا ألفا وكتبوا إلى حلفائهم من أسد فخرج طليحة الأسدي فيمن تبعه من أسد والحارث المري بضم الميم وشد الراء في قومه وكانوا أربعمائة وهو أحد الفرسان المشهورين وأسلم بعد تبوك في وفد قومه وخرجت أشجع

يقودهم مسعود بن رخيلة بضم الراء وفتح الخاء المعجمة فى أربعمائة وأسلم مسعود بعد، وكانت عدتهم عشرة آلاف وكان عناج الأمر إلى أبى سفيان، انتهى من المواهب وشرحها.

وعناج الأمر ككتاب ملاكه وكان المسلمون ثلاثة آلاف وهذا هو الصحيح المشهور وقيل فى عدد الجميع غير ذلك. قال الزرقاني كان لقريش ألفا بعير وخمسمائة بعير ويقودون ثلاثمائة فرس ولاقتهم بنو سليم بمر الظهران يقودهم سفيان بن عبد شمس فى سبعمائة وكان حليفا لحرب بن أمية وخرج غير ذلك وذكر ابن سعد أن المسلمين كان معهم ستة وثلاثون فرسا وأن قريشا لما تهيأت للخروج أتى ركب خزاعة النبي صلى الله عليه وسلم فى أربع ليال حتى أخبروه فندب الناس وأخبرهم خبر عدوهم، وشاورهم أيبرز من المدينة أم يكون فيها ويحاربهم عليها؟ فأشار سلمان بالخندق فأعجبهم ولم يكن الخندق من شأن العرب ولكن من مكائد الفرس أي حيلهم التى يتوصلون بها إلى مرادهم ولذا أشار به سلمان، فقال يا رسول الله إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، فأمر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وضرب الخندق على المسلمين أي جعل على كل عشرة أربعين ذراعا، روى الطبراني أنه صلى الله تعالى عليه وسلم خط الخندق من أحمر الشيخين تثنية شيخ ضد شاب وهما أطمان تثنية أطم بضمتين طرق بنى حارثة حتي بلغ المواحج فقطع لكل عشرة أربعين ذراعا، قال شيخنا لعلها حاصلة من ضرب قدر من الطول فى العرض والحاصل من ذلك فى العمق وليس المراد أن لكل عشرة أربعين طولا لزيادة ذلك على مسافة عرض المدينة بكثير لكثرة الصحابة الحافرين. قلت وفى رواية خط صلى الله تعالى عليه وسلم الخندق لكل عشرة أناس عشرة أذرع انتهى.

وعمل عليه السلام فيه بنفسه وعمل فيه المسلمون فدأب ودأبوا أي جدوا وتعبوا حتى كان سلمان يعمل عمل عشرة رجال حتى عانه قيس بن صعصعة أي أصابه بالعين فلبط بضم اللام وكسر الموحدة وبطاء مهملة أي صرع فجأة فقال صلى الله عليه وسلم مروه فليتوضأ

وليغتسل به سلمان وليكفى الإناء خلفه فـفعل فكأنما حل من عقال وتنافس المهاجرون والأنصار فى سلمان وكان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا وقال الأنصار سلمان منا. فقال صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت. وفى البخاري عن أنس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون بكسر الفاء فى غداة باردة، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجره بكسر الجيم وسكون الهاء، فقالوا أي الطائفتان مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمدا ... على الجهاد ما بقينا أبدا

وقوله اللهم إلخ.. هو من قول ابن رواحة فتمثل به عليه السلام، فقال الداوودي إنما قال ابن رواحة لاهم بلا ألف ولا لام فأورده بعض الرواة على المعنى، قال الحافظ وحمله على ذلك ظنه أنه يصير غير موزون وليس كذلك بل يكون دخله الخزم وقوله فاغفر إلخ.. غير موزون ولعله عليه السلام تعمد ذلك ولعل أصله فاغفر للأنصار وللمهاجره باللام فى المهاجره، وعن طاووس زيادة فى آخر هذا الرجز، والعن عضلا والقارة هم كلفونا ننقل الحجاره، قال الحافظ وأوله غير موزون أيضا ولعله والعن إلهي عضلا والغاره انتهى.

وعضلا بالتحريك ابن الهون بن خزيمة كما فى القاموس، وفى البخاري عن البراء بن عازب قال لما كان يوم الأحزاب وخندق صلى الله تعالى عليه وسلم رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة وهو ينقل التراب ويقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الأولى قد رغبوا علينا ... إذا أرادوا فتنة أبينا

ويمد بها صوته أي بقوله أبينا. وقوله قد رغبوا أي رغبوا العدو على قتالنا، وفى رواية بالعين المهملة أي رعبوا المسلمين بتحزبهم علينا،

وقوله أبينا أي أبينا الفرار فهو بالموحدة كما رجحه عياض وبالفوقية أي أتينا وأقدمنا على العدو، وروى البيهقي عن سلمان أنه صلى الله عليه وسلم حين ضرب في الخندق قال باسم الإله وبه بدينا ولو عبدنا غيره شقينا فحبذا ربا وحب دينا.

قال في النهاية يقال بديت بالشيء بكسر الدال أي بدأت به، ووقع في الخندق أمور من أعلام نبوءته صلى الله تعالى عليه وسلم منها ما في الصحاح عن جابر قال إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة فجاؤا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق فقام وبطنه معصوب بحجر من الجوع ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا بفتح الذال المعجمة أي شيئا فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول بكسر الميم وسكون العين وفتح الواو أي المسحاة فضرب فعاد كثيبا أهيل أو أهيم فالشك من الراوي والمعنى أنه صار رملا يسيل ولا يتماسك وأهيم بمعنى أهيل وعند أحمد والنسائي عن البراء بن عازب لما كان حين أمرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحفر الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول جمع معول وهو الفاس العظيمة التي ينقر بها قوى الصخر كما في الجوهري فاشتكينا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء وأخذ المعول من يد سلمان فقال بسم الله ثم ضرب ضربة فنشر ثلثها بشين معجمة أي قطع فخرج نور أضاء ما بين لابتي المدينة وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر فبرقت برقة من جهة فارس أضاء ما بين لابتيها فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن، وفي رواية والله إني لأبصر قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب من مكاني هذا، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها فأبشروا بالنصر فسر المسلمون ثم ضرب الثالثة وقال بسم الله فقطع بقية الحجر فخرج نور من قبل اليمن فأضاء ما بين لابتي المدينة حتى كان مصباحا في جوف ليل مظلم، فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله إني لأبصر

أبواب صنعاء من مكانى الساعة. قال ابن إسحاق وحدثنى من لا أتهم عن أبى هريرة أنه كان يقول حين فتحت هذه الأمصار افتحوا ما بدى لكم، والذى نفس أبى هريرة بيده ما افتتحتم من مدينة ولا تفتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك. ومن أعلام نبوءته صلى الله تعالى عليه وسلم ما فى الصحيح من تكثير الطعام القليل فيه وهو صاع من شعير وعنز صغير فدعي بالقوم وهم ألف فبصق فى العجين والبرمة قال جابر أقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وإن برمتنا كما هي وإن عجيننا ليخبز كما هو ومنها حفنة التمر التى جاءت بها ابنة بشير بن سعد أخت النعمان بن بشير لأبيها وخالها ابن رواحة ليتغذيا به، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هاتيه فصبته فى كفيه فما ملأهما ثم أمر بثوب فبسط له ثم قال لإنسان أصرخ فى أهل الخندق أن هلم إلى الغذاء فاجتمعوا عليه فجعلوا ياكلون وجعل يزيد حتى صدروا عنه وإنه ليسقط من أطراف الثوب. وقوله هم ألف قال الشامي أراد به الآكلين فقط لا عدة من حضر الخندق كما فى الزرقاني. قال فى المواهب وقد وقع عند ابن عقبة أنهم أقاموا فى عمل الخندق أي مدة حفره قريبا من عشرين ليلة وعند الواقدي أربعا وعشرين وعند ابن سعد ستة أيام، قال السمهودي وما لابن سعد هو المعروف، قال والذى لابن عقبة والروضة والنووي إنما هو فى مدة الحصار لا فى عمل الخندق وفى الروضة للنووي خمسة عشر يوما ولما فرغ صلى الله تعالى عليه وسلم من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع السيول من رومة بين الجرف وزغابة، قال السهيلي بزاء مفتوحة وغين منقوطة وقيل بضم الراء وعين مهملة اسم موضع فى عشرة آلاف منهم ومن أحابيشهم أي حلفائهم من التحبيش وهو التجميع لتجمعهم على أنهم يد واحدة أو لتحالفهم بذنبة حبشي جبل بأسفل مكة ونزلت غطفان ومن تبعهم بذنبة نقمى إلى جانب أحد وهو بفتح النون والقاف وفتح الميم مقصور، قال الصاغاني موضع من أعراض المدينة انتهي.

فائدة:

قال فى القاموس وزغابة بالضم موضع قرب المدينة لكن فى هامش المطبوع أنه فيه نظر انتهى.

فالصحيح ما للسهيلي وحبشي بالضم كما فى القاموس، قال ومنهم أحابيش قريش لأنهم تحالفوا إلخ.. وخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع بفتح السين المهملة وسكون اللام وبالعين المهملة جبل بالمدينة وكانوا ثلاثة آلاف فضرب عسكره والخندق بينه وبين القوم وكان يبعث الحرس إلى المدينة، قال ابن سعد فكان يبعث سلمة بن أسلم فى مائتي رجل وزيد بن حارثة فى ثلاثمائة يحرسون المدينة خوفا على الذراري من بني قريظة، وخرج عدو الله حيي بن أخطب حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عهد بني قريظة وكان صالح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على قومه فأغلق كعب بابه دون حيي وأبى أن يفتح له وقال ويحك يا حيي إنك امرؤ مشؤم إنى قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بينى وبينه فإنى لم أر منه إلا وفاء وصدقا، فقال ويحك افتح لى أكلمك، فقال ما أنا بفاعل، فقال والله إن أغلقت دونى إلا تخوفا على جشيشتك أن آكل معك منها، ففتح له فقال ويلك يا كعب جئتك بعز الدهر، جئتك بقريش حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال ومن دونه غطفان وقد عاهدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه، فقال له كعب جئتنى والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماءه يرعد ويبرق وليس فيه شيء ولم يزل يفتله فى الذروة والغارب حتى نقض عهده وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا مثل أصله البعير يستصعب عليك فتأخذ القراد من ذروته وغاربه فيجد لذة فيأنس عند ذلك فضرب مثلا فى المراوضة والمخاتلة، قال الحطيئة:

لعمرك ما قراد بني بغيض ... إذا نزع القراد بمستطاع

قوله جشيشتك: قال فى القاموس جشه كسره، ثم قال والجشيشة ما جش من بر ونحوه والمجشة الرحى والجشيشة حنطة تطحن جليلا فتجعل فى قدر ويقلى فيه لحم أو تمر فيطبخ اهـ.

وعن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال كنت يوم الأحزاب أنا وعمر بضم العين ابن أبى سلمة مع النساء فى أطم حسان وهو بضمتين حصن مبنى بحجارة فنظرت فإذا الزبير على فرسه يختلف إلى بنى قريظة مرتين أو ثلاثا، فلما رجعت إلى منزلنا قلت يا أبت رأيتك تختلف إلى بنى قريظة قال أرأيتنى يا بنى؟ قلت نعم. قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يات بنى قريظة فياتنى بخبرهم؟ فانطلقت فلما رجعت جمع لى صلى الله تعالى عليه وسلم بين أبويه فى الفداء فقال فداك أبى وأمى أخرجه الشيخان. وعند أصحاب المغازي فلما انتهى الخبر أي خبر نقض قريظة للعهد إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعث سعد بن معاذ وسعد بن عبّادة ومعهما ابن رواحة وخوات بفتح الخاء المعجمة وشد الواو فألف ففوقية ابن جبير الأوسي البدري، زاد الواقدي وأسيد بن حضير، فقال انطلقوا لتنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم فإن كان حقا فلحنوا إلى لحنا أعرفه ولا تفتوا فى أعضاد الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا فاجهروا به للناس، فوجدوهم على أخبث ما بلغه عنهم، قالوا من رسول الله فتكلموا فيه بما لا يليق وتبرؤا من عهده فشاتمهم سعد بن معاذ فنهاه سعد بن عبادة وقال ما بيننا أربى من المشاتمة ثم أقبل السعدان ومن معهما فلحنوا له كما أمرهم، فقالوا عضل والقارة، قال السهيلي اللحن العدول بالكلام عن الوجه المعروف عند الناس إلى وجه لا يعرفه إلا صاحبه كما أن اللحن الذى هو الخطأ عدول عن الصواب المعروف، وتفتوا بضم الفاء وشد الفوقية أي لا تكسروا من قوتهم وتوهنوهم وضرب العضد مثلا لأنه كناية عن الرعب الداخل فى القلب ولم يرد كسرا حقيقيا ولا العضد الذى هو العضو وإنما هو عبارة عما يدخل من

الوهن في القلب وهو من أفصح الكلام، وقوله عضل والقارة أي غدروك كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع، خبيب وأصحابه، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم من أعلى الوادي من قبل المشرق غطفان ومن أسفل منهم من أسفل الوادي من قبل المغرب قريش حتى ظن المؤمنون كل ظن، ونجم بالنون والجيم أي ظهر النفاق من بعض المنافقين فأراد صلى الله عليه وسلم أن يعطي عيينة بن حصن ومن معه ثلث ثمار المدينة على أن يرجعوا، فقال السعدان يا رسول الله أمرا تحبه فنصنعه أم شيئا أمرك الله به لابد لنا من العمل به؟ أم شيئا تصنعه لنا؟ قال بل شيء نصنعه لكم. والله ما أصنع ذلك إلا أني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم. فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان وهم لا يطمعون أن ياكلوا منها تمرة إلا قرى أو بيعا فحين أكرمنا الله بالإسلام وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا؟ والله ما لنا بهذا من حاجة. والله ما نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم.

قال صلى الله عليه وسلم فأنت وذاك.

قال ابن عائذ وأقبل نوفل بن عبد الله بن المغيرة يريد قتل النبي صلى الله عليه وسلم كما عند أبى نعيم على فرس له ليوثبه الخندق فوقع في الخندق فاندقت عنقه فمات، فكبر ذلك على المشركين، فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إنا نعطيكم الدية على أن تدفعوه إلينا فندفنه، وعن الزهري أنهم أعطوهم في ذلك عشرة آلاف درهم، فرد إليهم النبي صلى الله عليه وسلم إنه خبيث خبيث الدية، فلعنه الله ولعن ديته ولا نمنعكم أن تدفنوه ولا أرب لنا في ديته.

وقال ابن إسحاق وأقام عليه الصلاة والسلام وعدوهم يحاصرهم ولم يكن بينهم قتال إلا مراماة بالنبل لكن كان عمرو بن عبد ودّ العامري

اقتحم هو ونفر معه خيولهم من ناحية ضيقة من الخندق حتى كانوا بالسبخة فبارزه علي فقتله، وبارز نوفل بن عبد الله بن المغيرة فقتله الزبير وقيل قتله علي، ورجعت بقية الخيول منهزمة انتهى من المواهب.

قال الزرقاني عن ابن سعد وعمرو بن عبد ودّ له يومئذ تسعون سنة والنفر الذين معه هم عكرمة بن أبى جهل وهبيرة بن أبى وهب المخزوميان وضرار بن الخطاب كما فى إبن اسحاق وقوله خيولهم بالرفع بدل من الفاعل وقوله قتله الزبير: ضربه بالسيف حتى شقه اثنتين وقطع سرجه حتى خلص إلى كاهل الفرس فقيل ما رأينا مثل سيفك، فقال ما هو السيف ولكنها الساعد. وما ذكره عزاه فى الفتح لابن اسحاق فتبعه المصنف ولم يذكر ذلك إبن هشام فى روايته عن البكائي عنه فلعله فى رواية غيره ثم هو معارض لما قدمه عن ابن عائذ وهو الذى ذكره ابن هشام عن زياد عن ابن إسحاق ومثله فى رواية أبي نعيم وعليه اقتصر اليعمري، وذكر ابن جرير أن نوفلا لما تورط فى الخندق رماه الناس بالحجارة فجعل يقول قتلة أحسن من هذه يا معشر العرب، فنزل إليه علي فقتله انتهى كلامه.

وفي الاكتفاء أن الفوارس المذكورين خرج إليهم علي بن أبي طالب فى نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التى أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم وكان عمرو بن عبد ودّ قد قاتل يوم بدر حتى أثخنته الجراح فلم يشهد أحدا، فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مكانه فلما وقف هو وخيله قال من يبارز؟ فبارز علي بن أبى طالب، فقال يا عمرو إنك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه، فقال أجل. فقال له علي فإنى أدعوك إلى الله ورسوله وإلى الإسلام، قال لا حاجة لى بذلك، قال فإنى أدعوك إلى النزال، قال له ولم يابن أخى فوالله ما أحب أن أقتلك. قال علي لكنى والله أحب أن أقتلك، فحمي عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم أقبل على علي فتنازلا وتجاولا فقتله علي

وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة. قال وذكر ابن إسحاق فى غير رواية البكائي أن عمروا لما نادى من يبارز؟ قام علي وهو مقنع فى الحديد، فقال أنا له يا نبى الله. فقال له اجلس إنه عمرو، ثم كرر عمرو النداء وجعل يؤنبهم ويقول أين جنتكم التى تزعمون أنه من قتل منكم دخلها؟ أفلا تبرزون لى رجلا؟ فقام علي فقال أنا يا رسول الله، قال اجلس إنه عمرو ثم نادى الثالثة فقال:

ولقد لححت من النداء | لجمعكم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن المشجع | وقفة الرجل المناجز
وكذاك إنى لم أزل | متسرعا قبل الهزاهز
إن الشجاعة فى الفتى | والجود من خير الغرائز

فقام علي رضي الله فقال أنا له يا رسول الله، فقال إنه عمرو فقال وإن كان عمرو؟ فأذن له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فمشى إليه علي وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك | مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة | والصدق منجى كل فائز
إنى لأرجو أن أقيم | عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء | يبقى ذكرها عند العجائز

فقال له عمرو من أنت؟ قال علي. فقال غيرك يابن أخى من أعمامك من هو أسن منك فإنى أكره ان أهريق دمك، فقال علي لكنى والله ما أكره أن أهريق دمك، فغضب ونزل وسل سيفه كأنه شعلة نار ثم أقبل نحو علي مغضبا ويقال انه كان على فرسه فقال له علي كيف أقاتلك وأنت على فرسك ولكن انزل فنزل عن فرسه ثم أقبل نحوه فاستقبله علي بدرقته فضربه عمرو فيها فقدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه وضربه علي على حبل العاتق فسقط وثار العجاج وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير فعرف أن عليا قد قتله، وكانت صفية بنت عبد المطلب فى أطم حسان بن ثابت قالت وحسان معنا فيه

مع النساء والصبيان، قالت صفية فمر بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمون فى نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا إن أتانا آت، قالت قلت يا حسان إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن وإنى والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من ورائنا من يهود فانزل إليه فاقتله، قال يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب والله لقد علمت ما أنا بصاحب هذا، فلما قال لى ذلك احتجزت ثم أخذت عمودا ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته فلما فرغت منه رجعت للحصن فقلت لحسان انزل فاسلبه فإنه لم يمنعنى من سلبه إلا انه رجل، فقال ما لى بسلبه من حاجة انتهى المراد من الإكتفاء.

وفي الزرقاني أن عليا لما خرج إلى عمرو أعطاه صلى الله عليه وسلم سيفه وعممه وقال اللهم أعنه عليه وأنه لما قتله قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه هلا سلبته درعه؟ فإنه ليس فى العرب درع خير منها؟ فقال إنه حين ضربته استقبلنى بسوأته فاستحييت. وفيه عن السهيلي بعد ذكر ما مرّ عن صفية فى شأن حسان فحمل هذا على أن حسان كان جبانا وأنكره بعض العلماء منهم ابن عبد البر لأنه حديث منقطع الإسناد ولو صح لهجي به حسان فإنه كان يهاجي الشعراء كضرار وابن الزبعرا وكانوا يناقضونه ويردون عليه، فما عيره أحد منهم بجبن ولا وسمه به فدل ذلك على ضعف حديث ابن إسحاق، وإن صح فلولا أنه كان معتلا ذلك اليوم بعلة تمنعه من شهود القتال انتهى انتهى.

وكانت عائشة رضي الله عنها يوم الخندق فى حصن بنى حارثة وكان من أحرز حصون المدينة وكانت معها أم سعد بن معاذ وكان ذلك قبل أن يضرب الحجاب قالت عائشة فمر سعد وعليه درع مقلصة وقد خرجت منها ذراعه كلها وفى يده حربته يرقل بها أي يسرع فى نشاط وهو يقول:

لبث قليلا يشهد الهيجا حمل

لا باس بالموت إذا حان الآجل

وقالت له أمه الحق يا بني فقد والله أخرت. قالت عائشة فقلت لها يا أم سعد والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي عليه، قالت وخفت عليه أين أصاب السهم فرمى سعد بسهم قطع منه الأكحل رماه حبان بن العرقة أحد بنى عامر بن لؤي فلما أصابه قال خذها وأنا ابن العرقة، قال سعد عرق الله وجهك فى النار، اللهم إن اكنت أبقيت من حرب قريش شيئا فابقنى لها فإنه لا قوم أحب إلى أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه وإن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لى شهادة ولا تمتني حتى تقر عينى من بنى قريظة وقد أجاب الله دعاءه فلم يقم لقريش حرب بعدها وما مات حتى حكم فى بنى قريظة.

وعن عبد الله بن كعب بن مالك انه كان يقول ما أصاب سعدا إلا أبو أسامة الجشمي حليف بنى مخزوم والأكحل بفتح الهمزة والحاء المهملة بينهما كاف ساكنة عرق فى وسط الذراع، قال الخليل هو عرق الحياة يقال ان فى كل عضو منه شعبة فهو فى اليد الأكحل وفى الظهر الأبهر بفتح الهمزة والهاء بينهما موحدة ساكنة وفى الفخذ النسا بفتح النون مقصورا إذا قطع لم يرقا الدم قال الأصمعي والنسا عرق من الورك إلى الكعب وابن العرقة هو حبان بن عبد مناف بن منقذ بن عمرو بن هصيص وابن عامر بن لؤي والعرقة أمه كذا قال السهيلي وقال ابن الكلبي هي أم عبد مناف جد أبيه وهو عنده حبان بن أبى قيس بن علقمة بن عبد مناف وحبان بكسر المهملة وشد الموحدة والعرقة بفتح العين المهملة وكسر الراء واسمها قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم تكنى أم فاطمة ولقبت بذلك لطيب ريحها. انتهى ملخصا من الكلاعي والمواهب وشرحها.

وفي القاموس ولبن عرق ككتف فسد طعمه عن عرق البعير المحمل عليه وحبان بن العرقة وقد تفتح الراء وهي أمه قلابة لقبت به لطيب ريحها، وهو الذى رمى سعد بن معاذ رضي الله عنه. انتهى.

وأقام صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه فيما وصف الله تعالى من الشدة والخوف لتظاهر عدوهم عليهم بضعا وعشرين ليلة، قريبا من شهر على ما في العيون وشهرا على ما في الهدى وعشرين يوما على ما لابن عقبة ثم ان نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف، بنون وفاء مصغر، الأشجعي، أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال إني أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت. فقال إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا ان استطعت، فإن الحرب خدعة. فخرج حتى أتى بني قريظة وكان لهم نديما في الجاهلية فقال يا بني قريظة قد عرفتم ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم! قالوا صدقت، لست عندنا بمتهم.

فقال إن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدروا أن تحولوا منه إلي غيره وإنهم جاؤا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه وأموالهم ونساؤهم بغيره فإن رأوا غرة أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبينه ولا طاقة لكم به إن خلا بكم فلا تقاتلوا معهم حتى تاخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بأيديكم على أن تقاتلوا معهم محمدا. فقالوا لقد أشرت بالرأي.

ثم أتى قريشا فقال لهم قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمدا وإنه قد بلغني أمر رأيت حقا علي أن أبلغكموه نصحا لكم فاكتموه عني، قالوا نفعل، قال إن يهود ندموا على ما صنعوا وأرسلوا إلى محمد إنا قد ندمنا على ما فعلنا، أيرضيك أن ناخذ من أشراف قريش وغطفان رجالا تضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستاصلهم؟ فأرسل إليهم نعيم فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنا فلا تدفعوا لهم رجلا واحدا، ثم أتى غطفان وقال إنكم أصلي وعشيرتي وأحب الناس إلي ولا أراكم تتهموني، قالوا صدقت، قال فاكتموا عني، قالوا نفعل، فقال لهم مثل ما قال لقريش وكان من صنع الله لرسوله أن أبا سفيان ورؤس غطفان أرسلوا إلى بني قريظة عكرمة في نفر من القبيلتين فقالوا إنا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فأعدوا

للقتال حتى نناجز محمدا أونفرغ مما بيننا وبينه. فأرسلوا إليهم أن اليوم يوم السبت لا نعمل فيه شيئا وكان قد أحدث فيه بعضنا حدثا فأصابه ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بمقاتلين حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فإنا نخشى إن اشتد عليكم القتال أن ترجعوا إلى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلادنا، ولا طاقة لنا به، فقالت قريش وغطفان والله إن الذى حدثكم به نعيم لحق، فأرسلوا إليهم أنا والله لا ندفع إليكم رجلا واحدا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا. وقالت قريظة ان الذى ذكر لكم نعيم لحق فأرسلوا إليهم إنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فأبوا عليهم وخذل الله بينهم وبعث الله عليهم الريح فى ليال شديدة البرد فكفأت قدورهم وطرحت أبنيتهم فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما اختلف من أمرهم وما فرق الله من جماعتهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه لينظر ما فعل القوم ، وحدث حذيفة وقد قال له رجل من أهل الكوفة أرأيتم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصحبتموه؟ قال نعم. قال فكيف كنتم تصنعون؟ قال والله لقد كنا نجهد، قال والله لو أدركناه ما تركناه يمشى علي وجه الأرض ولحملناه على أعناقنا. فقال حذيفة والله لقد رأيتنى بالخندق في ليلة باردة مطيرة ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت إلينا، فقال من رجل يقوم فينظر ما فعل القوم ثم يرجع يشترط له الرجعة أسأل الله أن يكون رفيقى فى الجنة، فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد، فلما لم يقم أحد دعانى فلم يكن ليي بد من القيام، فقال يا حذيفة اذهب فادخل فى القوم وانظر ماذا يفعلون؟ ولا تحدثن بعدنا شيئا حتى تأتينا. فذهبت فدخلت فيهم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء فقال أبو سفيان لينظر كل أمرئ من جلسيه فأخذت بيد الرجل الذى كان إلى جنبى فقلت من أنت؟ قال فلان بن فلان؛ ثم قال أبو سفيان يا معشر قريش

إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام هلك الخف والكراع بضم الكاف اسم لجمع الخيل واختلفنا وبنو قريظة ولقينا من هذه الريح ما ترون لا يطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارحلوا فإني مرتحل ووثب على جمله فما حل عقد يده إلا وهو قائم ولولا عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلي أن لا تحدث شيئا حتى تاتيني، ثم شئت لقتلته بسهمي، فرجعت إلي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه، فلما رآني أدخلني إلى رجليه وطرح علي طرف المرط ثم ركع وسجد وإني لفيه، فلما سلم أخبرته الخبر. وفي رواية عنه أنه قال لما بعثه: حفظك الله من أمامك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك حتى ترجع إلينا. قال فأذهب الله عزّ وجلّ عني القر بضم القاف أي البرد والفزع فإذا الريح لا تجاوز عسكرهم شبرا، فلما رجعت رأيت فوارس نحو عشرين في طريقي معتمين، فقالوا له أخبر صاحبك أن الله قد كفاه القوم بالريح والجنود. وعند أبي نعيم فوالله ما خلق الله قرا ولا فزعا في جوفي إلا خرج فما وجدت منه شيئا فمضيت كأنما أمشي في حمام. وفي رواية البيهقي عن حذيفة لما دخلت نظرت في ضوء نار توقد وإذا رجل أدهم ضخم يقول بيده على النار ويمسح خاصرته وحوله عصبة قد تفرق عنه الأحزاب وهو يقول الرحيل الرحيل، ولم أعرف أبا سفيان قبل ذلك فانتزعت سهما من كنانتي أبيض الريش لأضعه في كبد القوس لأرميه في ضوء النار فذكرت قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فأمسكت ورددت سهمي، فلما جلست فيهم أحس أبو سفيان أنه قد دخل فيهم من غيرهم، فقال لياخذ كل رجل منكم يد جليسه فضربت بيدي على يد الذي عن يميني، فقلت من أنت؟ قال معاوية بن أبي سفيان. ثم ضربت بيدي على يد الذي عن شمالي، فقلت من أنت قال عمرو بن العاصي فعلت ذلك خشية ان يفطن بي فبدرتهم بالمسألة. وروي أنه صلى الله تعالى عليه وسلم دعا على الأحزاب فقال: اللهم منزل الكتاب سريع الحساب أهزم

الأحزاب، اللهم أهزمهم وزلزلهم. وروى أحمد عن أبى سعيد الخدري قال قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شيء نقوله وقد بلغت القلوب الحناجر؟ فقال نعم. قولوا اللهم استر عوراتنا أي عيوبنا وتقصيرنا، وآمن، بمدّ الهمزة وكسر الميم مخففة ويجوز القصر والتثقيل، روعاتنا، أي خوفنا وفزعنا.

وفي البخاري أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال يوم الخندق، ملأ الله بيوتهم، أي الكفار،أي أحياء وقبورهم أي أمواتا نارا كما شغلونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس. زاد مسلم صليناها بين المغرب والعشاء، وزاد مسلم أيضا بعد قوله الوسطى صلاة العصر، قال النووي أما تأخيره عليه السلام العصر حتى غابت الشمس فكان قبل نزول صلاة الخوف، وأما اليوم فلا يجوز تأخير الصلاة عن وقتها بسبب العدو بل تصلى بحسب الحال.

ولما أجلى الله عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الأحزاب قال عليه السلام لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا. وفي رواية أنه قال يوم الأحزاب وقد جمعوا له جموعا كثيرة لا يغزونكم بعدها أبدا ولكن أنتم تغزونهم.

قال الزرقاني وذكر الواقدي أنه عليه السلام قال ذلك بعد أن انصرفوا.

وذكر ابن إسحاق والواقدي أنه استشهد من المسلمين يوم الخندق ستة لا غير وكلهم من الأنصار: سعد بن معاذ جرح فيه ومات من جرحه بعد حكمه فى بني قريظة، وأنس بن أوس وعبد الله بن سهل الأوسيون والطفيل بن النعمان وثعلبة بن عنمة بمهملة ونون مفتوحتين وكعب بن زيد الخزرجيون رضي الله عن جميعهم.

وزاد الدمياطي: قيس بن زيد بن عامر وعبد الله بن أبى خالد وذكر الحافظ منه: أبا سنان بن صيفي بن صخر وقتل من المشركين ثلاثة: منبه بن عبيد، قال ابن هشام هو عثمان بن أمية بن منبه العبدري أصابه سهم فمات منه بمكة، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي

وعمرو بن عبد ود العامري، قاله العلامة محمد بن عبد الباقي وقال حسان يوم الخندق يجيب عبد الله بن الزبعرى شاعر قريش:

هل رسم دارسة المقام يباب ... متكلم لمحاور بجواب
قفر عفا رهم السحاب رسومه ... وهبوب كل مظلة مرباب
ولقد رأيت بها الحلول يزينهم ... بيض الوجوه ثواقب الأحساب
ودع الديار وذكر كل خريدة ... بيضاء آنسة الحديث كعاب
واشك الهموم إلى الإله وما ترى ... من معشر ظلموا الرسول غضاب
ساروا بجمعهم إليه وألبوا ... أهل القرى وبوادي الأعراب
جيش عيينة وابن حرب فيهم ... متخمطين بحلبة الأحزاب
حتى إذا وردوا المدينة وارتجوا ... قتل الرسول ومغنم الأسلاب
وغدوا علينا قادرين بأيدهم ... ردوا بغيظهم على الأعقاب
بهبوب معصفة تفرق جمعهم ... وجنود ربك سيد الأرباب
وكفى الإله المؤمنين قتالهم ... وأثابهم فى الأجر خير ثواب
من بعد ما قنطوا ففرق جمعهم ... تنزيل نصر مليكنا الوهاب
وأقر عين محمد وصحابه ... وأذل كل مكذب مرتاب

أرض يباب كسحاب خراب، والمحاورة المراجعة فى الكلام، والرهم كعنب جمع رهمة بالكسر وهي المطر الضعيف الدائم والمعصفة الريح الشديدة عصفت الريح كضرب اشتدت، وعصفت فهي معصف ومعصفة والمرباب الدائمة من أرب بالمكان أقام به، والحلول النازلون: جمع حال، والخريدة: الحيية المتسترة، والكعاب كسحاب ناهدة الثديين، وألبوا: جمعوا، والمتخمط: المتكبر والشديد الغضب، والأيدي: القوة.

وقال كعب بن مالك يجيب ابن الزبعرى أيضا:

أبقى لنا حدث الحروب بقية ... من خيل نحلة ربنا الوهاب
بيضا مشرفة الذرى ومعاطنا ... حم الجذوع غزيرة الأحلاب
كاللوب يبذل جمها وحفيلها ... للجار وابن العم والمنتاب
وترائعا مثل السراج نمى بها ... علف الشعير وجزة المقضاب
عري الشوى منها وأردف نحضها ... جرد المتون وسار فى الآراب
قودا تراح إلى الصياح إذا غدت ... فعل الضراء تراح للكلاب

وتروح سالبة الضمار وتارة ترد العدا وتؤب بالأسلاب
يغدون بالزغف المضاعف شكه وبمترصات في الثقاف صياب
وصوارم ترع الصياقل علبها وبكل أروع ماجد الأنساب
إلى أن قال:
جاءت سخينة كي تغالب ربها وليغلبن مغالب الغلاب

قوله مشرفة الذرى: أراد بها الأطام وهي الحصون، وأراد بالمعاطن منابت النخل عند الماء شبهها بمعاطن الإبل، ووصف النخل بأنها حم لأنها تضرب إلى السواد من شدة الخضرة والأحلاب جمع حلب بالتحريك وأصله اللبن المحلوب شبه به ما يجتنى من النخل واللوب جمع لوبة بالضم وهي الحرة، وهي الأرض التي لبستها حجارة سود، وجمها وحفيلها أي الكثير منها، والمنتاب الزائر، والنزائع يعنى بها الخيل التى نزعت من العدو، وقوله مثل السراج بالجيم أي كل واحد منها كالسراج، وبالحاء جمع سرحان وهو الذئب جمعه على تقدير الألف والنون ولو جمعه علي لفظه لقال سراحين، والمقضاب مزرعة القضب، وجزتها ما يجز منها للخيل، والقود جمع قوداء وهي طويلة العنق والضراء الكلاب الضارية والكلاب جمع كالب وهو صاحب الكلاب الذى يصيد بها والمترصات المحكمات يعنى الرماح المثقفة، والعلب الجساوة والخشونة، يقال علب النبات أي جسا وغلظ وسخينة مما سميت به قريش قديما انتهى. معزوا للسهيلي.
وقوله تراح إلى الصياح بفتح المثناة أي تفرح وتخف، وفي القاموس راح للأمر يراح رواحا وروحا وراحا فرح انتهى. والصياقل جمع صيقل وهو شحاذ السيوف وجلاؤها والثقاف ككتاب ما تسوى به الرماح والأروع من يعجبك بحسنه أو بشجاعته انتهى من القاموس.
وفيه وسخينة كسفينة طعام رقيق يتخذ من دقيق ولقب لقريش لاتخاذها إياه وكانت تعير به انتهى.

«**غزوة بني قريظة**». ولما دخل صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة يوم الأربعاء الذى انصرف فيه من الخندق لسبع بقين من ذى القعدة كما لابن سعد هو وأصحابه ووضعوا السلاح، جاء جبريل عليه السلام وقت الظهر معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج والاعتجار أن يلفها على رأسه يرد طرفها على وجهه ولا يعمل منها شيئا تحت ذقنه كما فى النهاية وتبعه الشامي ونحوه فى القاموس والاستبرق ضرب من الديباج غليظ، قال ابن سعد وكانت سوداء وأرخى منها بين كتفيه، والرحالة بكسر الراء وخفة الحاء المهملتين سرج من جلود لا خشب فيه يتخذ للركض الشديد والجمع رحائل والقطيفة كساء له خمل والديباج بكسر الدال وقد تفتح وفي رواية للبخاري لما رجع ووضع السلاح واغتسل أي للتنظيف من آثار السفر أتاه جبريل فقال قد وضعت السلاح بحذف الاستفهام، والله ما وضعناه أخرج إليهم وأشار إلى بنى قريظة بضم القاف وفتح الراء وسكون التحتية وبالظاء المعجمة فتاء تانيث، قال السمعاني اسم رجل نزل أولاده قلعة حصينة قرب المدينة فنسبت إليهم وقريظة والنضير أخوان من أولاد هارون ولابن اسحاق أن الله يامرك يا محمد بالسير إلى بنى قريظة فإنى عامد إليهم فمزلزل بهم أي مزلزل حصونهم فالمفعول محذوف. ولابن سعد فأدبر جبريل ومن معه من الملائكة حتى سطع أي ارتفع الغبار فى زقاق كغراب أي سكة بنى غنم بفتح الغين المعجمة وسكون النون بطن من الخزرج. وفي البخاري عن أنس لكأنى أنظر إلى الغبار فى زقاق بنى غنم موكب جبريل حين سار إلى بنى قريظة، روي بنصب موكب بتقدير انظر وبالجر بدل من الغبار والرفع خبر مبتدإ محذوف أي هذا وهو نوع من السير أو جماعة الفرسان أو جماعة يسيرون برفق، فأمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مناديا ينادى، قال البرهان لا أعرفه، وقال الشامي هو بلال فأذن فى الناس من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا فى بني قريظة وعند

ابن عائذ أن جبريل عليه السلام قال لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم قم فشد عليك سلاحك فوالله لأدقنهم دق البيض على الصفا فبعث صلى الله تعالى عليه وسلم مناديا ينادى يا خيل الله اركبى وعند ابن سعد ثم سار إليهم فى المسلمين وهم ثلاثة آلاف معهم ستة وثلاثون فرسا واستعمل ابن أم مكتوم على المدينة ولبس صلى الله تعالى عليه وسلم الدرع والمغفر والبيضة وأخذ قتادة بيده وتقلد القوس وركب فرسه اللحيف بفتح اللام وضمها وحاء مهملة كأمير وزبير ويروى بالجيم وبالخاء المعجمة والمعروف بالحاء المهملة قاله ابن الأثير. وللطبراني أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما أتى بنى قريظة ركب على حمار له يقال له يعفور، فإن صحا فيمكن أنه ركب الفرس بعض الطريق والحمار بعضها وقدم عليا برايته فسار حتى دنا من الحصون فسمع مقالة قبيحة له عليه السلام فرجع حتى لقيه فقال لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابيث، قال لم؟ أظنك سمعت منهم لى أذى؟! قال نعم. قال لو رأونى لم يقولوا شيئا. فلما دنا من حصونهم قال يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟ قالوا يا أبا القاسم ما كنت جهولا. ومرّ بنفر من أصحابه قبل أن يصل إليهم فقال هل مرّ بكم أحد؟ قالوا مرّ بنا دحية بن خليفة على بغلة بيضاء. فقال ذلك جبريل بعث إلى بنى قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب فى قلوبهم. ونزل عليه السلام بئرا من آبارهم يقال لها بئر أنا فى الشامية بالضم وتخفيف النون وقيل بالفتح والتشديد، وقيل بموحدة بدل النون وقيل غير ذلك، قاله الزرقاني. وفي القاموس فى مادة أنى الشيء ما نصه وأنا كهنا أو كحتى أو بكسر النون المشددة بئر بالمدينة لبنى قريظة انتهى. فالإضافة بيانية والله أعلم.

ولما سار الناس وحانت العصر وهم فى الطريق قال بعضهم لا نصلى إلا فى بنى قريظة، ولم ياتوا إلا بعد صلاة العشاء ولم يبالوا بخروج الوقت حملا للنهي على حقيقته. وقال بعضهم لم يرد منا إلا الإسراع إلى قريظة

وصلوا فذكر ذلك له صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يعنف أي لم يلم واحدا منهم لا التاركين ولا الفاعلين. قال ابن إسحاق وحاصرهم عليه الصلاة والسلام خمسا وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار أي بلغ بهم غاية المشقة وأجهدهم بالألف وبلاه بمعنى ورويا هنا ولابن مسعود حاصرهم خمس عشرة ليلة وألقى الله في قلوبهم الرعب، فقال لهم رئيسهم كعب بن أسد، يا معشر يهود قد نزل بكم ما ترون وإني أعرض عليكم خلالا ثلاثا أي خصالا بكسر الخاء المعجمة جمع خلة بفتح المعجمة وشد اللام، قاله الشامي، قالوا وما هي؟ قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل وأنه الذي تجدونه في كتابكم فتامنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم، فأبوا. فقال فإذا أبيتم هذه فهلم فنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه رجالا مصلتين بكسر اللام أي مجردين السيوف من أغمادها لم نترك وراءنا ثقلا بفتحتين ونقاتل حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فإن نهلك فلن نترك وراءنا ما نخشى عليه. فقالوا أي عيش لنا بعد أبنائنا ونسائنا؟ فقال فإن أبيتم على هذه فإن الليلة ليلة السبت وعسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها فأنزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة بكسر المعجمة وشد الراء أي غفلة. قالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا إلا من قد علمت فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ قردة وخنازير.

قال ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه في ليلة حازما وارسلوا إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن ابعث إلينا أبا لبابة أحد النقباء واسمه رفاعة، وقيل مبشر بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الأوس نستشيره في أمرنا فأرسله إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش بفتح الجيم والهاء وكسرهما فشين معجمة أي فزع وأسرع إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه، فرق لهم وقالوا يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد وذلك أنهم لما أيقنوا بالهلكة

أنزلوا شمأس بن قيس فكلمه صلى الله تعالى عليه وسلم أن ينزلوا على ما نزل بنو النضير من ترك الأموال والحلقة والخروج بالنساء والذرارى وما حملت الإبل إلا الحلقة فأبى صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال تحقن دماءنا وتسلم لنا النساء والذرية ولا حاجة لنا فيما حملت الإبل فأبى صلى الله تعالى عليه وسلم أن ينزلوا إلا حكمه وعاد إليهم شماس بذلك، فقال أبو لبابة نعم، وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح، قال أبو لبابة فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أنى قد خنت الله ورسوله، فندمت واسترجعت فنزلت وأن لحيتي لمبتلة من الدموع والناس ينظرون رجوعى إليهم، ثم انطلق أبو لبابة فلم يات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى ارتبط فى المسجد وقال فى رواية وكان ارتباطى إلى الاسطوانة المخلقة أي التى طليت بالخلوق بوزن رسول وهو ما يخلق به من الطيب، وقال لا أبرح من مكانى هذا حتى أموت أو يتوب الله علي. وعاهدت الله أن لا أطأ بنى قريظة ولا أرى فى بلدة خنت الله ورسوله فيها.

فلما بلغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خبره وكان قد استبطاه، قال أما لو جاءنى لاستغفرت له، وأما إذا فعل ما فعل فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه. قال فكنت فى أمر عظيم فى حر شديد عدة ليال لا آكل فيهن شيئا ولا أشرب. قال ابن هشام أقام مرتبطا ست ليال تأتيه امرأته فتحله فى وقت كل صلاة فتربطه. ولابن عبد البر أنه ارتبط بسلسلة ربوض بفتح الراء المهملة وضم الموحدة فواو فضاد معجمة أي عظيمة غليظة بضع عشرة ليلة حتى ذهب سمعه وكاد يذهب بصره فكانت ابنته تحله إذا حضرت الصلاة أو أراد أن يذهب لحاجة فإذا فرغ أعادته. والظاهر أن امرأته تقيدت به فى ست وبنته فى باقي البضع فلا تنافي بين الروايتين كما فى الزرقاني، ونزلت توبته عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو فى بيت أم سلمة استاذنته عليه السلام أن تبشره فأذن لها فبشرته وذلك قبل ضرب الحجاب، فثار إليه

الناس ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هو الذى يطلقنى بيده، فلما مرّ عليه خارجا إلى صلاة الصبح أطلقه كذا فى المواهب وغيرها. والآية التى نزلت فى توبته: {وآخرون اعترفوا بذنوبهم} إلى {رحيم}، قال كاتبه سمح الله له وقد مرّ فى الكلام على التفضيل بين فاطمة وأمها رضي الله عنهما أن فاطمة هي التى حلته وأنه لما أرادت أن تحله امتنع من أجل يمينه، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم، فاطمة بضعة منى، فحلته، فإن صح هذا فيكون معنى قوله أطلقه أي أمرها هي بإطلاقه والله تعالى أعلم.

ثم إن ثعلبة بن السعية وأسيد بن السعية وأسد بن عبيد وهم ليسوا من بني قريظة ولا النضير نسبهم فوق ذلك هم بنو عم القوم، أسلموا الليلة التى نزلت فيها قريظة على حكمه صلى الله تعالى عليه وسلم فأحرزوا دماءهم وأموالهم وخرج فى تلك الليلة عمرو بن سعد القرظي القروي فمر بحرس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة فلما رآه قال من هذا؟ قال أنا عمرو بن سعد، وكان قد أبى أن يدخل مع بنى قريظة فى غدر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال محمد بن مسلمة حين عرفه اللهم لا تحرمنا عثرات الكرام، فخلى سبيله فخرج حتى بات فى مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة ثم ذهب فلم يدر أين توجه، فذكر شأنه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال ذلك رجل نجاه الله بوفائه انتهى من الإكتفاء.

ولما اشتد الحصار ببنى قريظة أذعنوا أن ينزلوا على حكمه صلي الله تعالى عليه وسلم فقالت الأوس، قد فعلت فى موالى الخزرج أي بنى قينقاع ما علمت، أي حين سأله إياهم ابن أبى ووهبهم له، فقال ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا بلى. قال فذلك إلى سعد بن معاذ، فقال ابن هشام وحدثنى من أثق به أن عليا صاح وهم محاصرون: يا كتيبة الإيمان. وتقدم هو والزبير وقال والله لأذوقن ما ذاق حمزة أو لأفتحن حصنهم، فقالوا ننزل على حكم سعد وكان عليه السلام قد جعله

في خيمة امرأة من اسلم في المسجد النبوي يقال لها رفيدة بضم الراء وفتح الفاء وسكون التحتية فدال مهملة فهاء تأنيث وكانت تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على من به ضيعة من المسلمين. وعن الواقدي أن اسمها كعيبة بالكاف أوله وبالتصغير وهما امرأتان اختلف فيمن تنسب الخيمة إليه منهما وليس أحدهما إسما والآخر لقبا قاله الزرقاني.

ولما حكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سعدا أتاه قومه فحملوه على حمار لاعرابي عليه قطيفة وقد وطئوا له بوسادة من أدم وهم يقولون يا أبا عمرو أحسن في مواليك فإن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إنما ولاك لتحسن فيهم.

فلما أكثروا عليه قال لقد ءان لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم. فلما انتهى سعد إلي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمين قال عليه الصلاة والسلام قوموا إلي سيدكم فانزلوه، قال رجل من بني عبد الأشهل قمنا له على أرجلنا صفين يحييه كل رجل منا حتى انتهى إلي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأما المهاجرون من قريش فيقولون إنما أراد الأنصار وأما الأنصار فيقولون عم بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المسلمين، فقاموا إليه فقالوا إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم فأحسن فيهم واذكر بلاءهم عندك أي مناصرتهم ومعاونتهم لك قبل اليوم فجلس إلي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال إن هؤلاء قد نزلوا علي حكمك؛ فقال سعد فإني أحكم فيهم بأن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء؛ فقال عليه الصلاة والسلام لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة بالقاف جمع رقيع بتذكير العدد على معنى السقف إذ السماء مؤنثة وقياسه سبع، وأراد أن الحكم ينزل من فوق، ومثله قول زينب زوجني الله من نبيه من فوق سبع سماوات أي نزل تزويجها من فوق. قال في المواهب والرقيع السماء سميت بذلك

لأنها رقعت بالنجوم. قال الزرقاني وظاهره أن كل سماء مرقوعة بالنجوم وهو أحد قولين والآخران الكواكب كلها فى السماء الدنيا حكاهما ابن كثير. وفي رواية للبخاري عن أبي سعيد لقد حكمت فيهم بحكم الله وربما قال بحكم الملك أي بكسر اللام كما رجحه الحافظ وهما بمعنى. وعند الكرماني بفتح اللام أي جبريل لأنه ينزل بالأحكام، وعند ابن عائذ من حديث جابر فقال أحكم فيهم يا سعد فقال الله ورسوله أحق بالحكم، قال قد أمرك الله أن تحكم فيهم وأمر عليه السلام ببني قريظة بعد نزولهم من الحصن فكتفوا وجعلوا ناحية والنساء والذرية ناحية أدخلوا المدينة وحبسوا فى دار رملة بنت الحارث بن ثعلبة النجارية والواقدي يقول رملة بنت الحدث بفتح الدال المهملة بغير ألف قبلها قال السهيلي والصحيح الأول، وعن عروة أنهم حبسوا فى دار أسامة بن زيد قال فى الفتح ويجمع بأنهم جعلوا فى بيتين كما صرح به فى حديث جابر عند ابن عائذ انتهى.

وفي السبل سيق الرجال إلي دار أسامة والنساء والذرية إلي دار رملة فأمر لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بأحمال تمر فنشرت لهم فباتوا يأكلون منها وحفر لهم أخدودا بضم الهمزة أي شق مستطيل فى السوق وأخرجوا إليه أرسالا فضربت أعناقهم أي ضربها علي والزبير وأسلم الأنصاري كما فى الطبراني وكانوا ستمائة أو سبعمائة، قال السهيلي والمكثر يقول ما بين الثمانمائة إلى تسعمائة وبقي عليه السلام عند الأخدود حتى فرغوا منهم عند الغروب فرد عليهم التراب واصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم لنفسه الكريمة ريحانة بنت شمعون بن زيد إحدى بني عمرو بن قريظة عند الأكثر وقيل كانت من بني النضير متزوجة فى قريظة رجل اسمه الحكم، وتزوجها عليه السلام بعد أن أسلمت وحاضت حيضة وكانت جميلة وسيمة وأصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشا أي نصف أوقية، وأعرس بها فى المحرم سنة ست فى بيت سلمى بنت قيس النجارية وضرب عليها الحجاب وغارت عليه غيرة

شديدة وطلقها تطليقة فشق عليها فأكثرت البكاء فراجعها ولم تزل عنده حتى ماتت راجعة من حجة الوداع سنة عشر، ودفنت بالبقيع، ذكره الواقدي وابن سعد وغيرهما، وقيل كان يطؤها بملك اليمين والأول أثبت عند أهل العلم، كما قاله الواقدي، واقتصر عليه ابن الأثير انتهى من المواهب وشرحها.

وفي المواهب وشرحها وفي الكلاعي أنهم قالوا لكعب بن أسد سيدهم وهو يذهب بهم ارسالا إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا كعب ما تراه يصنع بنا؟ قال أفي كل موطن لا تعقلون؟ ألا ترون أن الداعي لا ينزع؟ وأن من ذهب منكم لا يرجع؟ هو والله القتل. وأوتي بعدو الله حيي بن أخطب وعليه حلة فقاحية قد شقها من كل ناحية قدر أنملة ليلا يسلبها مجموعة يداه إلى عنقه بحبل فلما نظر إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكن من يخذل الله يخذل ثم قال أيها الناس لا بأس بأمر الله كتاب وملحمة كتبت على بني إسرائيل ثم جلس فضربت عنقه وقتل من نسائهم امرأة واحدة لم يقتل من نسائهم غيرها.

قالت عائشة رضي الله عنها والله إنها لعندي تحدث تضحك ظهرا وبطنا ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقتل رجالها إذا هتف هاتف باسمها أين فلانة قالت أنا قلت لها ويلك ما لك؟ قالت أقتل. قلت ولم؟ قالت لحدث أحدثته. فانطلق بها فضربت عنقها فكانت عائشة تعجب من طيب نفسها وكثرة ضحكها مع علمها أنها تقتل. قال ابن هشام هي التي طرحت الرحا على خلاد بن سويد فقتلته، وقوله فقاحية نسبة إلى الفقاح كرمان وهي الزهور إذ انفتحت أكمامه وعلى فلان حلة فقاحية وهي على لون الورد حين هم ان ينفتح وكان الزبير كامير بن باطيا القرظي قد من على ثابت بن قيس بن شماس يوم بعاث أخذه وخلى سبيله فجاءه ثابت يوم قتل قريظة وهو أي الزبير شيخ كبير فقال إني أردت أن أجزيك بيدك عندي فاستوهبت رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم دمه فقال له عليه السلام هو لك فأتاه فأخبره فقال له الزبير شيخ كبير لا أهل له ولا مال فما يصنع بالحياة فاستوهب ثابت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم امرأته وولده فقال هم لك، فأخبره فقال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك فسأل ثابت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ماله فقال هو لك، فأتاه فأخبره، فقال يا ثابت ما فعل الذي كأن وجهه مرآة صينية تترأى فيه عذارى الحي كعب بن أسد قال قتل قال فما فعل سيد الحاضر والبادي حيي بن أخطب؟ قال قتل. قال فما فعل مقدمتنا إذا شددنا وحاميتنا إذا فررنا عزال بن سموال؟ قال قتل. قال فما فعل المجلسان يعني بني كعب ابن قريظة وبني عمرو بن قريظة؟ قال قتلوا. قال فإني أسألك يا ثابت بيدي عندك إلا ألحقتني بالقوم فوالله ما في العيش بعد هؤلاء خير. وقدمه ثابت فضرب عنقه انتهى وبعضه باختصار.

وأمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالغنائم فجمعت؛ قال الزرقاني وهي ألف وخمسمائة سيف وثلاث مائة درع وألفا رمح وخمسمائة ترس وحجفة وخمر وجرار سكر بفتحتين أي نبيذ تمر فاهرق ذلك كله ولم يخمس وجمال نواضح وماشية كثيرة قاله ابن سعد وحجفة بحاء مهملة فجيم ترس صغير وأخرج الخمس من المتاع والسبي وصار الخمس إلى محمية بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وكسر الميم الثانية فتحتية مخففة مفتوحة بن جزء بفتح الجيم وسكون الزاي فهمزة الزبيدي بضم الزاي وفتح الموحدة حليف بني سهم كان قديم الإسلام وهاجر إلى الحبشة وكان عامل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الأخماس وذكر الكلبي أنه شهد بدرا، ولما انقضى امر بني قريظة انفجر جرح بضم الجيم سعد بن معاذ الذي أصابه في الخندق بعد أن أشرف على البرء فمات شهيدا، قال الزرقاني لعل مراده شهيد الآخرة، فقد ثبت أنه صلى الله تعالى عليه وسلم غسله وصلى عليه ولو كان شهيد المعترك لم يفعل به ذلك، وفي البخاري أنه دعى زاد مسلم

وتحجر جرحه للبرء أي تيبس أي دعى بذلك لما كاد جرحه يبرأ، فقال كما فى البخاري اللهم انك تعلم آنه ليس أحد فى قوم أحب إلي أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه، اللهم إني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فإن كان بقي من حرب قريش شيئ فابقني له حتى أجاهدهم فيك، وإن كنت قد وضعتها فافجرها بضم الجيم أي الجراحة واجعل موتي فيها. قال الحافظ فيه جواز تمنى الشهادة وهو مخصوص من عموم النهي عن تمنى الموت وفيه صبر سعد فانفجرت من لبته بفتح اللام والموحدة المشددة موضع القلادة من صدره، هذه رواية مسلم. وقال ابن خزيمة فإذا لبته قد انفجرت من كلمه وكان الجرح ورم حتى وصل إلى صدره فانفجر من ثم. قاله الحافظ فلم يرعهم بفتح أوله وضم ثانيه وسكون العين المهملة، أي لم يفزع أهل المسجد، وفي المسجد خيمة لرجل من بني غفار بكسر المعجمة وخفة الفاء إلا الدم يسيل إليهم وذكر ابن اسحاق ان الخيمة لرفيدة الأسلمية قال الحافظ فيحتمل أن يكون لها زوج من بني غفار فقالوا يا أهل الخيمة ما هذا الدم الذي يأتينا من قبلكم أي من جهتكم؟ فإذا سعد يغذوا بغين فذال معجمتين أي يسيل جرحه دما فمات منها.

ولأحمد عن عائشة فانفجر كلمه وقد كان برئ إلا مثل الخرص بضم المعجمة وسكون الراء ثم مهملة من حلي الأذن انتهى.

وسبب انفجار جرحه أنه مرت به عنز وهو مضجع فأصاب ظلفها موضع النحر فانفجر الدم حتي مات، وحضر جنازته رضي الله عنه سبعون ألف ملك، واهتز لموته عرش الرحمن، رواه الشيخان من حديث جابر، وثبت عن عشرة من الصحابة أو أكثر قال ابن عبد البر هو ثابت اللفظ من طرق متواترة وقول البراء اهتز سريره لم يلتفت إليه العلماء انتهى.

وفي العتبية أن مالكا سئل عنه فقال أنهاك أن تقوله، وما يدري المرء أن يتكلم بهذا. قال ابن رشد إنما نهى مالك لئلا يسبق إلى وهم الجاهل

أن العرش إذا تحرك يتحرك الله لتحركه كالجالس منا على كرسيه، وليس العرش موضع استقرار الله تعالى، وتنزه عن مشابهة خلقه، انتهى. واختلف في تأويله فقالت طائفة على ظاهره واهتزازه تحركه فرحا بقدوم روح سعد، لأن العرش جسم مخلوق، قابل للحركة والسكون، وجعل الله تعالى فيه تمييزا حصل به هذا التحرك، ولا مانع منه، كما قال تعالى: {وإن منها لما يهبط من خشية الله} أي ينزل من علو إلى سفل، وهذا القول هو المختار عند القسطلاني ورجحه السهيلي وقال آخرون المراد باهتزازه استبشاره وقبوله بأن أودع فيه إدراكا علم بموته ففرح به وبهذا صدر الفتح ومنه قول العرب فلان يهتز للمكارم لا يريدون حركة جسمه، بل انه يرتاح إليها، وقال الحربي هو عبارة عن تعظيم شأن وفاته والعرب تنسب الشيء المعظم إلى أعظم الأشياء فيقول أظلمت الأرض لموت فلان، ولم تظلم، وقامت له القيامة ولم تقم، وقال جماعة المراد اهتزاز سرير الجنازة، قال في المواهب وهو باطل ويرده صريح الروايات اهتز لموته عرش الرحمن فإن إضافته إليه تأبى السرير ومن قال هذا لم تبلغه هذه الروايات، وقيل المراد اهتزاز حملة العرش فرحا بقدومه. وروى الترمذي وصححه أن جنازته لما حملت قال المنافقون ما أخف جنازته. وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الملائكة كانت تحمله وكأن المنافقين قالوا ذلك بزعمهم الفاسد أن خفته لخفة ميزانه، فرد عليهم عليه السلام، وكان سعد رجلا بادنا ولما حمل بكت أمه وقالت ويل أم سعد، سعدا، صرامة وحدا، وسؤددا ومجدا وفارسا معدا سد به مسدا. فقال صلى الله تعالى عليه وسلم كل نائحة تكذب إلا نائحة سعد بن معاذ. وقال لها ليرقأ دمعك ويذهب حزنك فإن ابنك يضحك الله عز وجل له واسم أمه كبشة بنت رافع بن عبيد الأنصارية الصحابية ثم الخزرجية ذكر ابن سعد أنها أول من بايع من النساء وأهديت له عليه السلام حلة حرير فجعل أصحابه يعجبون من لينها، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة

خير منها وألين. والمناديل جمع منديل بكسر الميم وفتحها وهو أدنى الثياب لأنه معد للوسخ والامتهان وتمسح به الأيدي وينفض به الغبار ويلف فيه الثياب وفي هذا إشارة إلى عظم منزلة سعد في الجنة، إذ كان أدني ثيابه أفضل من حلة الملوك فما ظنك بأعلاها.

وروي أن إنسانا قبض من تراب قبره قبضة، ثم نظر إليها فإذا هي مسك، وعن أبي سعيد الخدري سعد بن مالك الصحابي بن الصحابي قال: كنت ممن حفر لسعد قبره فكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا.

وفي الحديث لو كان أحد ناجيا من ضمة القبر لنجى منها سعد، ضم ضمة ثم فرج الله عنه، وقوله لو كان أحد، أي من أمم إلا الأنبياء لأنهم أي الأنبياء لا يضغطون ولا ترد فاطمة بنت أسد بأن نجاتها بسبب اضجاعه عليه السلام في قبرها، ولا قارئ الإخلاص في مرض موته لأن نجاته بسبب هذه القراءة، والمنفي نجاة أحد منها بلا سبب، وروى ابن الأعرابي والبيهقي وابن مندة أنه عليه السلام قال ان ضغطة القبر، أو قال ضمة القبر على المؤمن كضم الأم الشفيقة يديها على رأس ابنه يشكو إليها الصداع فتغمز رأسه غمزا رفيقا، انتهى من المواهب وشرحها.

تتمة:

أسهم صلى الله تعالى عليه وسلم يوم قريظة جماعة أسهم للفارس سهم له وسهمان لفرسه وأخرج الخمس من الغنيمة ومضت تلك السنة في المغازي وقال مغلطاي في هذه السنة وهي سنة خمس فرض الحج وقيل سنة ست هي التي فرض فيها وصححه غير واحد وقيل سنة سبع وقيل سنة ثمان ورجحه ثلاثة من العلماء وقال حسان يذكر بني قريظة:

تفاقد معشرا نصروا قريشا ... وليس لهم ببلدتهم نصير
هم أوتوا الكتاب فضيعوه ... وهم عمي عن التوراة بور
كفرتم بالقرآن وقد أوتيتم ... بتصديق الذي قال النذير

وهان على سراة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير

ولما سمع ذلك أبو سفيان بن الحارث قال أدام الله ذلك من صنيع. وحرق في طوائفها السعير في أبيات لم يأل فيها ان صدق حسان ثم تلى غزوة قريظة من غزواته عليه السلام، غزوة بني لحيان بكسر اللام وفتحها كما في الزرقاني وغيره، ولحيان بن هذيل بن مدركة، قال الحافظ وزعم الهمداني النسابة ان لحيان من بقايا جرهم دخلوا في هذيل فنسبوا إليهم، قال ابن سعد كانت في غرة ربيع الأول سنة ست من الهجرة، وقال ابن اسحاق في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح بني قريظة أي في السنة الخامسة، وصححه ابن حزم، وقيل كانت في رجب وقيل في شعبان وذلك أنه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج إلى بني لحيان يطلبهم ببعث الرجيع خبيب وأصحابه وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرة بكسر الغين المعجمة وشد الراء أي غفلة في مائتي رجل ومعهم عشرون فرسا واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم فسلك على غراب أي بلفظ الطائر جبل بناحية المدينة ثم على طريقه إلى الشام ثم على محيص بفتح الميم وكسر الحاء فصاد مهملتين ثم على البتراء تأنيث أبتر، ثم صفق بشد الفاء أي عدل ذات اليسار فخرج على يين بفتح التحتية الأولى وسكون الثانية ونون وضبطه الصغاني بفتحهما واد بالمدينة على صخرات الثمام ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة ثم أسرع السير حتى انتهى إلى منازلهم بغران بضم الغين وخفة الراء ونون واد بين أمج بفتحتين فجيم وعسفان بضم العين فسمعوا به صلى الله تعالى عليه وسلم فهربوا في رؤوس الجبال فلم يقدر منهم على أحد فأقام يوما أو يومين يبعث السرايا في كل ناحية وخرج حتى نزل عسفان.

قال في المواهب فبعث أبا بكر في عشرة فوارس لتسمع بهم قريش فيذعرهم بفتح التحتية والعين أي يفزعهم فأتوا كراع الغميم ولم يلقوا كيدا والغميم بفتح المعجمة وكسر الميم فتحتية ساكنة فميم، واد أمام

عسفان بثمانية أميال والكراع بضم الكاف وخفة الراء وعين مهملة جبل أسود بطرف الحرة ممتد إليه، والكراع ما سال من أنف الجبل وطرف كل شيء، قاله في النور انتهى.

وفي الكلاعي أنه لما نزل عسفان بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم ثم كرا وراح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قافلا وهو يقول حين وجد راجعا آئبون تائبون عابدون بربنا حامدون وأعوذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر فى الأهل والمال انتهى.

وقوله بعث فارسين يمكن الجمع بينه وبين ما تقدم كما فى الزرقاني بأنه بعثهما ثم بعث أبا بكر فى العشرة أو عكسه وقوله آئبون بمد الهمزة أي نحن راجعون إلى الله وقوله لربنا متعلق بالصفات الثلاث قبله على طريق التنازع وكذا يتعلق بما بعده ووعثاء بمثلة أي مشقة والكآبة: الحزن، وغاب صلى الله تعالى عليه وسلم عن المدينة أربع عشرة ليلة ثم بعد غزوة بني لحيان غزوة ذي قرد بفتح القاف والراء قاله فى المواهب زاد الحافظ وحكى الضم فيهما وحكى ضم أوله وفتح ثانيه قاله الزرقاني وآخره دال مهملة وهو ماء على نحو بريد من المدينة مما يلي بلاد غطفان قاله السهيلي، والقرد لغة الصوف وتسمى أيضا غزوة الغابة بغين معجمة فألف فموحدة وهو شجر لاحتطاب الناس ومنافعهم على بريد من المدينة وهو بعد مجتمع الأسيال وأضيفت الغزوة إليها لكون اللقاح التي أغار عليها عيينة بن حصن فيها فخرج صلى الله تعالى عليه وسلم فى أثره كانت عند الغابة ويأتي الكلام عليها إن شاء الله تعالى مع ذكر الغارة التي هي سببها عند ذكر الناظم لها.

وقوله بني المصطلق مراده به أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قاتل فى غزوة بني المصطلق أي وقع فيها قتال من أصحابه وهو معهم وتسمى غزوة بني المصطلق بضم الميم وسكون الصاد وفتح الطاء المهملتين وكسر اللام فقاف لقب بذلك لحسن صوته وارتفاعه من الصلق وهو رفع

الصوت وهو أول من غنى من خزاعة واسمه جذيمة بجيم مضمومة فذال معجمة مفتوحة فتحتية ساكنة ابن سعد بن عمرو بفتح العين بن ربيعة بن حارثة بطن من خزاعة بضم الخاء المعجمة وفتح الراء المخففة، قال فى القاموس حي من الأسد سموا بذلك لأنهم تخزعوا عن قومهم أي تخلفوا وأقاموا بمكة انتهى. وتسمى أيضا غزوة المريسيع بضم الميم وفتح الراء وسكون التحتيتين بينهما مهملة مكسورة آخره عين مهملة وكانت كما قال ابن سعد يوم الاثنين فى ليلتين خلتا من شعبان سنة خمس ورواه البيهقي عن قتادة وعروة وغيرهما ولذا ذكرها أبو معشر قبل الخندق ورجحه الحاكم، وفي البخاري عن ابن اسحاق فى شعبان سنة ست وبه جزم خليفة والطبري والذي لابن عقبة سنة خمس قال الحاكم وكونها سنة خمس أشبه من قول ابن اسحاق، قال الحافظ فى الفتح ويؤيده ما فى حديث الافك ان سعد بن معاذ تنازع هو وسعد بن عبادة فى أصحاب الافك فلو كانت المريسيع فى شعبان سنة ست مع كون الافك كان فيها لكان ما وقع فى الصحيح من ذكر سعد بن معاذ غلطا لأنه مات أيام قريظة وكانت فى سنة خمس على الصحيح، ثم قال فظهر ان المريسيع كانت سنة خمس فى شعبان قبل الخندق لأنها فى شوال سنة خمس أيضا فيكون سعد موجودا فى المريسيع. ورمي بعد ذلك بسهم فى الخندق ومات من جرحه فى قريظة انتهى من المواهب وشرحها.

وقد مرّ بعض هذا وعلي ما لابن اسحاق اقتصر الكلاعي وسببها انه عليه السلام بلغه أن رئيسهم الحارث بن أبي ضرار والد جويرية أم المؤمنين وأسلم لما جاء فى فدائها دعى قومه ومن قدر عليه من العرب إلى حرب رسول الله صلى الله تعالي عليه وسلم فأجابوه وتهيؤوا للمسير معه وكانوا ينزلون بناحية الفرع بضم الفاء والراء كما نقل السهيلي وجرى عليه فى المشارق وعن الأحول اسكان الراء ولم يذكره غيره كما فى التنبيهات لكن قال مغلطاي أن الحازمي وافقه وتبعهما

ابن الأثير والصغاني وغيرهما وهو موضع من ناحية المدينة بينه وبين المريسيع مسيرة يوم، وفي سيرة مغلطاي يومين، فقال وبين المدينة والفرع ثمانية برد انتهى.
وأما الفرع بفتحتين فموضع بين الكوفة والبصرة (أنظر الزرقاني) فلما بلغه ذلك بعث إليهم بريدة بضم الموحدة وفتح الراء المهملة مصغرا ابن الحصيب بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين الاسلمي ليعلم حالهم فاستاذنه أن يقول فأذن له فأتاهم فوجدهم قد جمعوا الجموع فكلم الحارث وقالوا له من الرجل؟ قال: منكم قدمت لما بلغني من جمعكم لهذا الرجل فأسير في قومي ومن أطاعني حتى نستأصله، قال الحارث ونحن علي ذلك فعجل علينا، فقال بريدة اركب الآن وآتيكم بجمع كثير من قومي، فسروا بذلك ورجع إلي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره خبرهم فندب صلى الله تعالى عليه وسلم الناس وخرج مسرعا في بشر كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزاة مثلها ليس لهم رغبة في الجهاد إلا أن يصيبوا عرض الدنيا واستخلف على المدينة زيد ابن حارثة وقيل أبا ذر وقيل نميلة الليثي تصغير نميلة وقادوا ثلاثين فرسا للمهاجرين منها عشرة ومعه صلى الله تعالى عليه وسلم لزاز بكسر اللام وزاي مكررة مخففة بينهما ألف من لازته أي الصقته كأنه لصق بالمطلوب لسرعته وقيل لاجتماع خلقه ومعه الظرب بفتح الظاء المعجمة كما في القاموس والسبل والنور وتكسر على ما في بعض نسخ النور وصدر به الشامي فراء مكسورة فموحدة واحد الظراب وهي أي الروابي الصغار سمي بذلك لكبره وسمنه وقيل لقوته وصلابته وذكر الشامي أنهما من جملة عشرة المهاجرين، قاله الزرقاني وخرجت عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما وأصاب عليه السلام جاسوسا لهم فسألوه عنهم فلم يذكر من شأنهم شيئا فعرض عليه الإسلام فأبى فأمر عمر بن الخطاب بضرب عنقه وبلغ الحارث ومن معه مسيره عليه السلام وأنه قتل جاسوسه فسيء بذلك هو ومن معه وخافوا خوفا شديدا، وتفرق

عنهم من كان معهم من العرب ولقيهم عليه السلام على المريسيع فضرب عليه قبة وصف أصحابه ودفع راية المهاجرين إلى أبي بكر وقيل إلى عمار بن يسار وراية الأنصار إلى سعد بن عبادة فتراموا بالنبل ساعة ثم أمر عليه السلام أصحابه فحملوا حملة رجل واحد فما انفلت منه إنسان فقتلوا عشرة وأسروا سائرهم أي باقيهم، قال البرهان قال بعض شيوخي كانت الأسرى أكثر من سبعمائة فطلبتهم منهم جويرية ليلة دخوله بها فوهبهم لها انتهى.

ولا يشكل بما رواه ابن إسحاق أنه لما خرج الخبر إلى الناس أنه صلى الله تعالى عليه وسلم تزوج بجويرية قال الناس أصهار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأرسلوا ما بأيديهم قالت عائشة فلقد عتق بتزويجها مائة أهل بيت من بني المصطلق فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها لأن طلبها إياهم لا يمنع كون المسلمين لما سمعوا أنه تزوجها أطلقوا الأسرى، قاله الزرقاني، وقال ابن سعد كانت إبلهم ألفي بعير والشاء خمسة آلاف شاة، وكان المسبي مائتي بيت، قال القسطلاني ولم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد، كذا ذكره ابن إسحاق انتهى.

قال محمد بن عبد الباقي هوأي الرجل المقتول هشام بن صبابة بمهملة مضمومة فموحدة مخففة فألف فموحدة أخرى أصابه أنصاري يقال له أوس من رهط عبادة بن الصامت يرى أنه من المشركين فقتله خطئا وقدم اخوه مقيس بن صبابة من مكة مسلما في الظاهر فقال يا رسول الله جئتك مسلما وأطلب دية أخي قتل خطئا فأمر له بدية أخيه فأقام غير كثير ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ثم خرج إلى مكة مرتدا فأهدر صلى الله تعالى عليه وسلم دمه فقتل يوم الفتح انتهى.

ومقيس كمنبر بتحتية بعد القاف وهو وأخوه من بني كلب بن عوف بن عامر بن ليث ثم قال في المواهب والذي في البخاري عن ابن عمر يدل على انه أغار عليهم على غفلة منهم فأوقع بهم ولفظه ان النبي صلى الله

تعالى عليه وسلم أغار على بني المصطلق وهم غارون بغين معجمة فألف فراء مشددة أي غافلون وانعامهم تستقي على الماء فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وهم على الماء فيحتمل ان يكونوا لما دهمهم المسلمون وهم على الماء تصافوا ووقع القتال بين الطائفتين وثبتوا قليلا ثم وقعت الغلبة عليهم للمسلمين بحملهم حملة رجل واحد انتهى باختصار قليل. وبينما الناس على ذلك الماء وردت واردة للناس ومع عمر أجير له من بني غفار يقال له جهجاه بفتح الجيم وسكون الهاء ابن مسعود يقود فرسه فازدحم جهجاه وسنان بن وبرة الجهني حليف بني عمرو بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني يا معشر الأنصار وصرخ جهجاه يا معشر المهاجرين فغضب ابن أبي فقال أقد فعلوها قد نافرونا فى بلادنا والله ما أعدنا وهؤلاء إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ثم أقبل على من حضره من قومه وفيهم زيد بن أرقم ذو الأذن الواعية أي الضابطة لما سمعته وهو غلام حدث فقال هذا ما فعلتم بأنفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتوهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى دار غيركم فمشى زيد بن أرقم إلي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره الخبر وذلك عند فراغه من عدوه وعنده عمرو بن الخطاب فقال مر به عباد بن بشر فليقتله، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: فكيف يا عمرو إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه؟! لا . ولكن أذن بالرحيل. وذلك فى ساعة لم يكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يرتحل فيها فارتحل الناس ومشى ابن أبي إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين بلغه ما سمعه منه فحلف بالله ما قلت ما قال، وكان شريفا عظيما فى قومه، فقال من حضر من الأنصار يا رسول الله عليك السلام، عسى أن يكون الغلام أوهم فى حديثه حدبا على ابن أبي فلما استقل صلى الله تعالى عليه وسلم لقي أسيد بن حضير فحياه تحية النبوؤة ثم قال يا رسول الله رحلت فى ساعة منكرة ما كنت

ترحل فى مثلها؟! فقال له رسول صلى الله تعالى عليه وسلم أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟ قال وأي صاحب يا رسول الله؟ قال عبد الله بن أبي. قال وما قال؟ قال زعم أنه إن رجع الي المدينة أخرج الأعز منها الأذل. قال فأنت يا رسول الله تخرجه إن شئت هو والله الذليل وأنت العزيز، ثم قال يا رسول الله عليك السلام أرفق به فوالله لقد جاء بك الله وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فإنه ليرى أن قد استلبته ملكا ثم متن بفتح الميم والمثناة الفوقية وبالنون رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالناس أي سار بهم يومهم ذلك حتى أمسا وليلتهم حتى أصبح وساروا يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نواما وإنما فعل ذلك ليغشل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس ثم راح بالناس فهبت عليهم ريح شديدة آذتهم وتخوفوها فقال صلي الله عليه وسلم لا تخافوا فإنما هبت لموت عظيم من الكفار فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بالتابوت أحد بني قينقاع وكان من عظماء يهود وكهفا للمنافقين قد مات ذلك اليوم ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين فى عبد الله بن أبي ومن معه فأخذ صلى الله تعالى عليه وسلم بأذن زيد بن الأرقم فقال هذا الذي أوفى الله باذنه، وفي رواية إن الله صدقك يا زيد. وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي ما كان من أمر أبيه فقال يا رسول الله عليك السلام إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فإن كنت فاعلا فمرني فأنا أحمل إليك رأسه إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فأقتله مؤمنا بكافر فأدخل النار، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم بل ترفق به، وتحسن صحبته ما بقي معنا، وكان بعد ذلك إذا حدث الحدث عاتبه قومه وعنفوه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لعمر أما والله لو قتلته يوم قلت لي أقتله لأرعدت له أنوف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته فقال عمر قد والله علمت لأمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أعظم بركة من أمري. وفي الإكتفاء أن مقيسا لما رجع الى مكة قال فى قتل قاتل أخيه والعياذ

بالله تعالى:

شفى النفس أن قد بات بالقاع مسندا ... تضرج ثوبيه دماء الأخادع
وكانت هموم النفس من أجل قتله ... تلم فتحسيني وطاء المضاجع
حللت به وتري وأدركت ثأرتي ... وكنت إلى الأوثان أول راجع
ثأرت به جهرا وحملت عقله ... سرات بني النجار أرباب فارع

وقال أيضا:

جللته ضربة باتت لها وشل ... من ناقع الجوف يعلوه وينصرم
فقلت والموت تغشاه أسرته ... لا تامنن بني بكر إذا ظلموا

وتضرج تلطخ والأخادع عروق القفا ووطاء أي لين، وفارع اسم حصن لهم وجللته علوته ووشل أي متحلب وناقع الجوف دمه. وأصاب عليه السلام من بني المصطلق سبيا كثيرا فقسمه في أصحابه وكان فيمن أصيب يومئذ أمنا جويرية ووقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس أو ابن عم له فكاتبته على نفسها. قالت عائشة وكانت تعني جويرية امرأة حلوة لها ملاحة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تستعينه في كتابتها فوالله ما هو إلا ان رأيتها على باب حجرتي فكرهتها وعرفت أنه سيرى منها ما رأيت فدخلت عليه فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه وقد أصابني من البلاء ما لا يخفى عليك، فوقعت في سهم ثابت بن قيس أو ابن عم له فكاتبته فجئت أستعينك على كتابتي. قال فهل لك في خير من ذلك؟ قالت وما هو يا رسول الله؟ قال اقضي عنك كتابتك وأتزوجك؟ قالت نعم يا رسول الله، قال قد فعلت. وخرج الخبر إلى الناس أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قد تزوج جويرية فقال الناس هؤلاء أصهار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأرسلوا ما بأيديهم انتهى. وروى الواقدي أنها قالت رأيت قبل قدوم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بثلاث كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع في حجري فكرهت أن أخبرها أحدا من الناس حتى قدم رسول الله صلي الله تعالي

عليه وسلم فلما سبينا رجوت الرؤيا اهـ ثم بعث صلى الله تعالى عليه وسلم إلى بني المصطلق الوليد بن عقبة مصدقا فلما سمعوا به ركبوا إليه فهابهم وأتى رسول الله صلي الله تعالي عليه وسلم فأخبره أنهم هموا بقتله ومنعوا صدقاتهم فأكثر المسلمون فى ذكر غزوهم حتى هم صلي الله تعالي عليه وسلم بغزوهم فقدم وفدهم فقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا إليه لنكرمه ونودي إليه ما قبلنا من الصدقة فانشمر راجعا فبلغنا أنه زعم أنا خرجنا لنقتله والله ما جئنا لذلك. فأنزل الله فيه وفيهم {يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا} - الآية، ولم يسلم الوليد إلا فى الفتح سنة ثمان. وكونها نزلت فى أمر الوليد قال ابن عبد البر لا أعلم فيه خلافا بين أهل العلم بتاويل القرآن. وفي رجوعه عليه السلام من هذه الغزوة قال أهل الافك فى الصديقية الطاهرة ابنة الصديق ما انزل الله كتابه ببراءتها رضي الله تعالى عنها منه، ففي الصحيحين عنها: خرجت مع رسول الله صلي الله تعالي عليه وسلم بعدما أنزل الحجاب فأنا أحمل فى هودجي وأنزل فيه حتى إذا فرغ صلي الله تعالي عليه وسلم من غزوته تلك ودنونا من المدينة قافلين أذن ليلة بالرحيل فقمت حين أذنوا بالرحيل فمضيت حتى جازوت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلي رحلي فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه قالت وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملو هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت اركبه عليه وهم يحسبون أني فيه وكان النساء إذ ذاك خفافا، فلم يغشهن اللحم إنما ياكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل فساروا فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت به وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي فبينما أنا جالسة فى منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء

الجيش فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني وكان رآني قبل الحجاب فاستيقظت لاسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما تكلمنا ولا سمعت منه غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فقمت إليها وركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش فى نحر الظهيرة وهم نزول فهلك من هلك وكان الذي تولى كبر الافك عبد الله بن أبي بن سلول - الحديث - والجزع بالفتح ويكسر الخرز اليمني وظفار كقطام مدينة باليمن وقيل جبل سميت به المدينة وهي فى أقصى اليمن إلي جهة الهند فقال ابن عبد البر انكر قوم أن يكون حسان خاض فى الافك، فقال يمدح عائشة رضي الله تعالى عنها ويعتذر:

حصان رزان ما تزن بريبة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
عقيلة حي من لؤي بن غالب ... كرام المساعي مجدهم غير زائل
مهذبة قد طيب الله خيمها ... وطهرها من كل سوء وباطل
فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتم ... فلا رفعت سوطي إلي أناملي
فكيف وودي ما حييت ونصرتي ... بآل رسول الله زين المحافل
له رتبة عال على الناس كلهم ... تقاصر عنها رتبة المتطاول
فإن الذي قد قيل ليس بلائق ... ولكنه قول امرئ بي ناحل

وحصان كسحاب عفيفة ورزان كسحاب أيضا صاحبة وقار وعقل ثابت وما تزن أي ما تتهم وغرثى أي جائعة لا تغتاب أحدا وقوله عقيلة حي قال فى القاموس العقيلة كسفينة الكريمة المخدرة، ومن القوم سيدهم، والخيم بكسر الخاء المعجمة الطبيعة والنصرة بالضم حسن المعونة واللائق اللاصق والماحل النمام وقيل إن آية التيمم نزلت فى هذه الغزوة وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت خرجنا مع رسول الله صلي الله تعالي عليه وسلم فى بعض أسفاره حتى إذا كنا فى البيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله صلي الله تعالي عليه وسلم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء

وليس معهم ماء فأتى الناس إلي أبي بكر فقالوا له ألا ترى ما صنعت عائشة أقامت برسول الله صلي الله تعالي عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر ورسول الله صلي الله تعالي عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام فقال قد حبست رسول الله صلي الله تعالي عليه وسلم والناس وليسوا معهم ماء، فقالت عائشة فعاتبني أبو بكر فقال ما شاء الله أن يقول وجعل يطعنني بيده فى خاصرتي فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله صلي الله تعالي عليه وسلم على فخذي فقام رسول الله صلي الله تعالي عليه وسلم حتى أصبح علي غير ماء فأنزل الله تعالى آية التيمم فتيمموا فقال أسيد بن حضير ما هي بأول بركاتكم علينا يا آل أبي بكر، قالت فبعثنا البعير فأصبنا العقد تحته، قال فى الفتح قولها فى بعض أسفاره قال ابن عبد البر فى التمهيد يقال كان ذلك فى غزوة بني المصطلق جزم بذلك فى الاستذكار وسبقه إلى ذلك الجزم بن حبان وابن سعد فإن كان ما جزموا به ثابتا حمل على أنه سقط منها فى هذه السفرة مرتين، وقيل ان قولها فى بعض أسفاره هو غزوة ذات الرقاع، وقيل غزوة الفتح، قال الزرقاني وحاصله يعني كلام الفتح، هل السفر المبهم فى قول عائشة فى بعض أسفاره المريسيع أم ذات الرقاع أو الفتح أقوال وهل سقط العقد مرتين فى غزوة واحدة وهي المريسيع أو مرتين فى غزوتين، وقولها بالبيداء الخ.. الشك من عائشة، قاله القسطلاني، والبيداء بفتح الموحدة وبالمد قال ابن التين هو ذو الحليفة وذات الجيش بفتح الجيم وسكون التحتية وشين معجمة وهي وراء ذي الحليفة انتهى.

وفي القاموس البيداء أرض ملساء بين الحرمين وفيه، وذات الجيش واد قرب المدينة وفيه انقطع عقد عائشة رضي الله عنها ثم بعد المريسيع على ما ذهب إليه ابن إسحاق غزوة الحديبية وترجم لها البخاري غزوة الحديبية، ولأبي ذرّ عن الكشميهيني عمرة الحديبية فترجم فى المواهب أمر الحديبية، قال الزرقاني فى شرحه ولم يقل غزوة أو عمرة لتكون

الترجمة محتملة، والحديبية بتخفيف الياء وتشديدها وهي بئر سمى المكان بها، وقيل شجرة، وقال الطبري قرية قريبة من مكة أكثرها فى الحرم وباقيها فى الحل وهي على تسعة أميال من مكة، وقال الواقدي من المسجد، قاله فى المواهب. وسببها أنه عليه السلام رأى فى منامه أنه دخل البيت هو وأصحابه آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين، كما ذكره الواقدي، وأما ما رواه البيهقي أنه عليه السلام رأى وهو بالحديبية أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين. فلما نحر الهدي بالحديبية قال أصحابه أين رؤياك يا رسول الله؟ فنزل: {لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق} (الآية)، فهي رؤيا رآها بالحديبية تبشيرا من الله ثانيا ولا يصلح جعلها سببا فى خروجه من المدينة خرج عليه الصلاة والسلام يوم الاثنين هلال ذي القعدة سنة ست من الهجرة للعمرة لا يريد قتالا واستنفر العرب ومن حوله من البوادي ليخرجوا معه لئلا يتعرض له قريش بحرب، وساق الهدي وأحرم بالعمرة ليأمن الناس وأخرج معه أم سلمة رضي الله عنها فى ألف وأربع مائة، كما فى الصحيحين عن البراء، ويقال ألف وخمسمائة كما فيهما أيضا عن جابر ويجمع بينهما بأنهم كانوا أكثر من ألف وأربعمائة فمن قال أربعمائة ألغى الكسر ومن قال خمسمائة اعتبره، ويؤيد هذا ما فى البخاري عن البراء أيضا أنهم كانوا ألفا وأربعمائة أو أكثر وأما ما فى الصحيحين عن ابن أبي أوفى ألف وثلاثمائة فيمكن حمله على ما اطلع هو عليه واطلع غيره على زيادة ناس والزيادة من الثقة مقبولة وأما قول ابن اسحاق انهم سبعمائة فلم يوافقه أحد عليه وجزم ابن عقبة بأنهم ألف وستمائة، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، قاله فى المواهب ولم يخرج معه بسلاح إلا سلاح المسافر السيوف فى القرب، بضمتين جمع قراب، ومعهم مائتا فرس وبعث عليه السلام عينا له من خزاعة يقال له بسر بضم الموحدة وسكون المهملة بن سفيان وقيل بكسر الموحدة وإعجام الشين. وسار صلى الله تعالى عليه وسلم حتى كان بغدير

الأشطاط قريبا من عسفان والاشطاط بشين معجمة وطاءين مهملتين بينهما ألف جمع شط وهو جانب الوادي، أتاه عينه فقال إن قريشا قد جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الأحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت والأحابيش بحاء مهملة وموحدة آخره معجمة جمع أحبوش بضم الهمزة والباء وهم بنو الهون بن خزيمة وبنو الحارث بن عبد مناة وبنو المصطلق من خزاعة كانوا تحالفوا مع قريش على يد قصي بن كلاب، قيل عند الحبشي جبل بأسفل مكة، وقيل سموا بذلك لتحبشهم أي تجمعهم نقله الزرقاني. وفي رواية أن بسرا قال له هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمر وقد نزلوا بذي طوى يعاهدون الله أن لا تدخلها عليهم عنوة أبدا، والعوذ بضم العين المهملة وسكون الواو فذال معجمة جمع عائذ وهي الناقة ذات اللبن، المطافيل بتفح الميم والطاء المهملة فألف ففاء مكسورة فتحتية ساكنة فلام التي معها أطفالها يريد أنهم خرجوا معهم بذوات الألبان من الإبل، ليتزودوا بألبانها ولا يرجعوا حتى يمنعوه أو كنى بذلك عن النساء معهن الأطفال، أي أنهم خرجوا بنسائهم وأولادهم لإرادة طول المقام ليكون ذلك أدعى لعدم الفرار. قال السهيلي سميت عوذا وإن كان الولد هو الذي يعوذ بها لأنها تعطف عليه بالشفقة والحنو قاله فى المواهب وشرحها. وروى الخرائطي أن بسرا بن سفيان قدم عليه صلى الله تعالى عليه وسلم عام الحديبية فقال يا بسر هل عندك علم ان أهل مكة علموا بمسيري؟ فقال إني لأطوف بالبيت فى ليلة كذا وقريش فى أنديتها إذ صرخ صارخ من أعلى جبل أبي قبيس بصوت أسمع أهل مكة:

هيوا لصاحبكم مثلي صحابته ... سيروا إليه وكونوا معشرا كرما
بعد الطواف وبعد السعي فى مهل ... وإن يحوزهم من مكة الحرما
شاهت وجوههم من معشر ثكل ... لا ينصرون إذا ما حاربوا صنما

فارتجت مكة وتعاقدوا أن لا تدخل عليهم عامهم هذا فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هذا الهاتف سلفع شيطان الأصنام يوشك أن يقتله الله

إن شاء الله. فبينما هم كذلك سمعوا من أعلى الجبل صوتا:

شاهت وجوه رجال حالفوا صنما وخاب سعيهم ما أقصر الهمما
إني قتلت عدو الله سلفعة شيطان أوثانكم سحقا لمن ظلما
وقد أتاكم رسول الله في نفر وكلهم محرم لا يسفكون دما

قال الزرقاني فإن ثبت هذا فكأنه أخبره، فبعثه عينا هل اجتمعوا فذهب وعاد مخبرا له باجتماعهم اهـ. ولما أتاه عليه السلام خبرهم استشار أصحابه فقال أبو بكر يا رسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه، وقال امضوا على اسم الله. وفي البخاري حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان خالدا بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش وهي بفتحتين غبار الجيش الأسود كذا قيد به الحافظ والمؤلف يعني القسطلاني قاله الزرقاني، فانطلق خالد يركض نذيرا لقريش وسار النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حتى إذا كان بثنية المرار بكسر الميم وتخفيف الراء وهي الطريق التي تشرف على الحديبية وهي التي يهبط منها على قريش بركت به عليه السلام ناقته القصواء بفتح القاف وسكون المهملة وفتح الواو ممدود مهموز وقال الناس حلْ حل بفتح الحاء وسكون اللام فيهما وقال الخطابي إن قلت واحدة فبالسكون، وإن عددتها نونت الأولى وسكنت الثانية، وحكى غيره السكون فيهما، والتنوين كنظيره في بَخٍ بَخٍ، وهي كلمة تقال للناقة إذا تركت السير. يقال حللت فلانا إذا أزعجته عن موضعه لكن الرواية بالسكون قاله القسطلاني فألحت بفتح الهمزة واللام وشد الحاء المهملة أي تمادت على عدم القيام فلم تبرح عن مكانها، فقالوا خلأت بخاء معجمة ولام وهمزة مفتوحات أي حرنت وبركت من غير علة، القصواء مرتين، قيل كان طرف أذنها مقطوعا والقصو قطع طرف الأذن، وقيل لأنها لا تسبق، فقيل لها ذلك لأنها بلغت أقصى السير فقال النبي صلى

الله تعالى عليه وسلم ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق أي بعادة ابن قتيبة، والخلاء لا يكون إلا للنوق ابن فارس لا يقال للجمل خلأ ولكن ألح ولكن حبسها حابس الفيل. ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة بضم المعجمة وشد الطاء أي خصلة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها ثم زجرها فوثبت وولى راجعا حتى نزل بأقصى الحديبية. وفي رواية ابن إسحاق: ثم قال للناس أنزلوا. قالوا يا رسول الله ما بالوادي ماء ننزل عليه انتهى.

فنزل على ثمد قليل الماء بفتح المثلثة والميم فيتبرضه الناس تبرضا فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكي إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله مازال يجيش بالري حتى صدروا عنه. فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه وكانوا عيبة نصح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من أهل تهامة فقال إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية ومعهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنا لم نجئ لقتال أحد، ولكن جئنا معتمرين، وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فإن شاؤوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس فإن أظهر فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا والا فقد جموا بفتح الجيم وشد الميم مضمومة يعني استراحوا، وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي أي صفحة العنق كنى بذلك عن القتل، ولينفذن الله أمره. فقال بديل سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى أتى قريشا وقال إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل يعني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسمعناه يقول قولا فإن شئتم ان نعرضه عليكم فعلنا؟ فقال سفهاءهم لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء، وقال ذو الرأي منهم هات ما سمعته يقول. قال سمعته يقول: كذا وكذا. فحدثهم بما قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فقام عروة بن

مسعود بن معتب بضم الميم وفتح المهملة وشد الفوقية المكسورة الثقفي فقال أي قوم ألستم بالوالد؟ قالوا بلى! قال أو لست بالولد؟ قالوا بلي! قال ابن اسحاق وذلك لأن أم عروة سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف قال فهل تتهموني؟ قالوا لا! قال ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ بضم المهملة وخفة الكاف أي دعوتهم إلي نصركم؟ فلما بلحوا علي بموحدة وشد لام مفتوحتين فمهملة مضمومة أي امتنعوا من الإجابة جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا بلي! قال فإن هذا يعني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قد عرض عليكم خطة ودعوني ءاتيه، قالوا آئته، فأتاه، فجعل يكلم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك أي محمد أرأيت أن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وان تكن الأخرى فإني والله لأرى وجوها اشوابا يعني أخلاطا من الناس خليقا ان يفروا عنك ويدعوك. فقال له أبو بكر الصديق رضي الله عنه، زاد ابن اسحاق وابو بكر قاعد خلف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمصص بظر اللات أنحن نفر عنه وندعه وهذا مبالغة من أبي بكر فى سب عروة فأقام معبود عروة وهو صنمه مقام أمه، وعادة العرب الشتم بذلك بلفظ الأم، فأبدله الصديق باللات والبظر بفتح الموحدة وظاء معجمة ساكنة فراء قطعة تبقى فى الفرج بعد ختان المرأة وقيل هو فرج المرأة، وفي المصباح البظر لحمة بين شفري المرأة، واللات صنم كانت ثقيف وقريش يعبدونه وفيه النطق بمستبشع الألفاظ زجرا لمن بدى منه ما يستحق به ذلك فقال عروة من هذا؟ قالوا أبوبكر. فقال أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك، وذلك انه تحمل بدية فأعانه أبو بكر فيها بعشر قلائص وغيره يعينه باثنتين وثلاث قاله الواقدي، وجعل عروة يكلم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فكلما تكلم أخذ بلحيته الشريفة، والمغيرة بن شعبة بن مسعود قائم على رأس النبي صلى الله تعالى

عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة أي أومأ بيده إلى لحيته صلى الله تعالى عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وقال أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. زاد عروة بن الزبير فإنه لا ينبغي لمشرك أن يمسه، وكانت عادة العرب كما فى الفتح وغيره أن يتناول الرجل لحية من يكلمه ولا سيما عند الملاطفة، يريدون التواصل، فقال عروة من هذا؟ قالوا المغيرة بن شعبة؛ قال أي غدر ألست أسعى فى غدرتك، بفتح الغين المعجمة أي جنايتك، ولابن اسحاق: وهل غسلت سوأتك إلا بالامس؟ يريد أن المغيرة كان صحب فى الجاهلية ثلاثة عشر من ثقيف من بني مالك لما خرجوا للمقوقس بهدايا فأعطاهم وقصر بالمغيرة لأنه ليس من بني مالك بل من الأحلاف فغار منهم ولم يواسوه فلما كانوا ببعض الطريق شربوا الخمر فناموا فقتلهم المغيرة وأخذ أموالهم ثم جاء إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأسلم فقال عليه السلام أما الإسلام بالنصب على المفعولية فأقبل وأما المال فلست منه فى شيء أي لا أتعرض له لكونه أخذ غدرا لأنه لا يحل أخذ مال الكفار غدرا حال الأمن لأن الرفقة يصطحبون على الأمانة، قاله الزرقاني؛ فبلغ ذلك ثقيفا فتهايج الحيان للقتال بنو مالك رهط المقتولين والأحلاف رهط المغيرة، فودى عروة المقتولين وأصلح ذلك، فقام عروة وقد رأى ما يصنع به عليه السلام أصحابه لا يتنخم نخامة بضم النون إلا وقعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه بفتح الواو أي ما يجتمع من القطرات وما يسيل من الماء الذي باشر أعضاءه الشريفة، وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا تكلم خفضوا أصواتهم وما يحدون بضم التحتية وكسر المهملة أي يديمون النظر إليه تعظيما له ولا يسقط شيء من شعره إلا أخذوه، فرجع إلى قريش فقال يا معشر قريش إني قد جئت كسرى بكسر الكاف وفتحها فى ملكه، لقب لكل من ملك الفرس، وقيصر فى ملكه، لقب لكل من ملك الروم، والنجاشي بفتح النون وتكسر وخفة الجيم فألف فشين

معجمة فتحتية مشددة أو مخففة، لقب لمن ملك الحبشة، وإني والله ما رأيت ملكا فى قوم قط مثل محمد وأصحابه، ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء أبدا فرووا رأيكم. وفي البخاري وأنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها. فقال رجل من بني كنانة هو الحليس مصغر ابن علقمة وكان سيد الأحابيش يومئذ قال البرهان الظاهر، هلاكه على كفره، دعوني آتيه، فقالوا إئته، فلما أشرف على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه، قال صلى الله تعالى عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له أي أثيروها له، أي دفعة، فبعثوها له، فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه قال رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت. وروى الحاكم أن الحليس لما رأى البدن صاح وقال هلكت قريش ورب الكعبة إن القوم إنما أتوا عمارا. ولابن إسحاق أن الحليس لما قال لهم ذلك، قالوا إنما أنت اعرابي لا علم لك. فغضب الحليس وقال والله ما على هذا حالفناكم أيصد عن البيت من جاء معظما له؟ والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين من جاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد. فقالوا له اكفف يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به، فقام مكرز بكسر الميم وسكون الكاف وفتح الراء بعدها زاي ابن حفص ابن الأخيف بمعجمة فتحتية ففاء من بني عامر بن لؤي، قال فى الإصابة لم أر من ذكره فى الصحابة إلا ابن حبان بلفظ يقال له صحبة، فقال دعوني آتيه؛ فلما أشرف عليهم قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر بالفاء والجيم، ولابن اسحاق غادر وذكر الواقدي أن حفص بن الأخيف كان له ولد وضيء فقتله رجل من بني بكر ابن كنانة بدم لهم كان فى قريش، فتكلمت قريش فى ذلك ثم اصطلحوا فعدى مكرز بعد ذلك على عامر بن يزيد سيد بنو بكر فقتله غرة فكأنه عليه السلام أشار إلي ذلك فجعل مكرز يكلم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال له صلى الله تعالى عليه

وسلم، نحوا مما قال لبديل وأصحابه اهـ ولنذكر شيئا من شرح هذا الحديث قوله ثمد يعني حفرة فيها ماء قليل قاله القسطلاني وغيره، ويتبرضه بتحتية ففوقية فموحدة فراء مشددة فضاد معجمة أي يأخذونه قليلا قليلا. وقال صاحب العين هو جمع الماء بكفين، وقوله فلم يلبثه الناس بضم أوله وسكون اللام من الألباث أو بضم أوله وكسر الموحدة المثقلة أي لم يتركوه يلبث أي يقيم والأعداد بفتح الهمزة جمع عد بالكسر والتشديد وهو الماء الذي لا انقطاع له والعوذ المطافيل مر تفسيره ونهكتهم بفتح النون والهاء وكسرها أي بلغت فيهم حتى أضعفت قوتهم، وأضعفت أموالهم، وقوله فإن شاؤوا ماددتهم أي جعلت بيني وبينهم مدة أترك الحرب فيها، والكنانة بكسر الكاف الجعبة التي فيها النبل ويجيش بفتح أوله وكسر الجيم آخره معجمة أي يفور والري قال الحافظ الراء ويجوز فتحها وقوله صدروا عنه أي رجعوا بعد ورودهم، زاد ابن سعد حتى اغترفوا بآنيتهم جلوسا على شفير البئر. وفي البخاري عن البراء أنه صلى الله تعالى عليه وسلم جلس على البئر ثم دعا بإناء فمضمض ودعا ثم صبه فيها ثم قال دعوها ساعة، فأرووا أنفسهم وركابهم حتى ارتحلوا ويمكن الجمع بأن الأمرين وقعا معا. وبديل بالموحدة مصغر وورقاء بفتح الواو وسكون الراء، وكان بديل سيد قومه، وأسلم يوم الفتح وشهد حنينا والطائف وتبوك، وقيل أسلم قبل الفتح، والعيبة بفتح المهملة وسكون التحتية فموحدة ما يوضع فيه الثياب لحفظها أي أنهم موضع نصح بضم النون وحكي فتحها له صلى الله تعالى عليه وسلم وأشوابا بتقديم المعجمة على الواو للأكثر، ولأبي ذر عن الكشميهني أو شابا بتقديم الواو على المعجمة ويروى أو باشا بتقديم الواو على الموحدة، وخليقا بالخاء المعجمة وبالقاف أي حقيقا وزنا ومعنى، قاله الزرقاني. وفي الاكتفاء ودعا صلى الله تعالى عليه وسلم خراشا بن أمية الخزاعي فحمله على بعير له وبعثه إلى قريش ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له، فعقروا به الجمل، وأرادوا قتله، فمنعته

الأحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وبعثت قريش أربعين رجلا منهم أو خمسين وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليصيبوا لهم من أصحابه أحدا فأخذوا أخذا وأوتي بهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فخلى سبيلهم، ثم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال يا رسول الله أخاف قريشا على نفسي وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحدا يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها ولكني أدلك على رجل أعز بها مني عثمان بن عفان، فدعا صلى الله تعالى عليه وسلم عثمان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته، فخرج عثمان فلقيه أبان بن سعيد، بن العاصي فحمله بين يديه ثم أجاره انتهى.

وفي الزرقاني أنه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث إلى قريش كتابا مع خراش بن أمية على جمله عليه السلام فعقره عكرمة بن أبي جهل، قال وليس المراد به كتاب الصلح كما يوهمه سياق المواهب بل كتاب أرسله لأشراف قريش كما أخرجه البيهقي والحاكم يعلمهم أنه انما قدم معتمرا، قال الزرقاني بعد كلام وكتب كتابا بعثه مع عثمان بن عفان وأمره أن يبشر المستضعفين بمكة بالفتح قريبا، وأن الله سيظهر دينه فتوجه عثمان فوجد قريشا ببلدح بفتح الموحدة والدال المهملة بينهما لام ساكنة ثم حاء مهملة موضع خارج مكة قد اتفقوا على منعهم من مكة، فأجاره ابان بن سعيد وحمله على فرسه وركب هو وراءه، وقال له اقبل وادبر ولا تخف أحدا، بنو سعيد أعزة الحرم، فانطلق حتى أتي أبا سفيان وعظماء قريش وقرأ عليهم الكتاب واحدا واحدا، فما أجابوا، فصمموا أنه لا يدخلها هذا العام، فقالوا لعثمان إن شئت أن تطوف فطف، فقال ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وقد قال المسلمون هنيئا لعثمان، خلص إلى البيت فطاف به

دوننا، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم إن ظني به أن لا يطوف حتى نطوف معا، فبشر عثمان المستضعفين انتهى المراد منه.
وفي المواهب عن البخاري انه عليه السلام بينما هو يكلم مكرز بن حفص إذ جاء سهيل بن عمرو وإنه لما جاء قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد سهل لكم بفتح السين وضم الهاء كما اقتصر عليه القسطلاني، زاد الدمامني وبضم السين وكسر الهاء مشددة من أمركم ومن زائدة أو تبعيضية، وهذا من التفاؤل وكان يعجبه الفال الحسن، ولما رأى صلى الله تعالى عليه وسلم سهيلا مقبلا قال عليه السلام قد أرادت قريش الصلح حين بعثت هذا. فلما انتهى إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم برك على ركبتيه وتربع المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم وقام عباد بن بشر وسلمة بن أسلم على رأسه مقنعين فى الحديد وجلس المسلمون حوله فجرى القول بينهما وأطال سهيل الكلام، وكان خطيب قريش، فقال له عباد أخفض صوتك عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ووقع الصلح بينهما على وضع الحرب بينهم عشر سنين، هذا هو المعتمد. ولابن عقبة أنه سنتان، وجمع بينهما الحافظ بأن العشر هي المدة التي وقع الصلح عليها والسنتين هي التي انتهى أمر الصلح فيهما حين نقضته قريش، فقال سهيل هات اكتب بيننا وبينكم كتابا، فدعا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الكاتب، وهو علي بن أبي طالب، وفي رواية أنه محمد بن مسلمة وجمع بينهما بأن أصل عقد الصلح بخط علي كما فى البخاري ونسخ مثله محمد بن مسلمة لسهيل، فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سيهل أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب، فقال المسلمون والله لا تكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اكتب باسمك اللهم، فكتب ثم قال اكتب هذا ما قاضى وفي رواية ما صالح عليه محمد رسول الله أهل مكة، فقال سهيل والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما

صددناك عن البيت وما قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والله إني لرسول الله وإن كذبتموني، اكتب محمد بن عبد الله، ووقع الصلح على أن من أتى محمدا من قريش بغير اذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه إليه، وإن بيننا عيبة مكفوفة أي صدورا منطوية على ما فيها لا تبدي عداوة وإنه لا إسلال بكسر الهمزة وهو السرقة والخلسة ولا إغلال أي لا خيانة مصدر أغل أي خان، أما ما فى الغنية فغل بغير ألف وأنه من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش دخل فيه، فقالت خزاعة نحن فى عقد محمد، وقالت بنو بكر نحن فى عقد قريش وانك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة وإنه إذا كان عام قابل خرجنا عنها فتدخلها بأصحابك، فأقمت فيها ثلاثا معك سلاح الراكب السيوف فى القرب لا تدخلها بغيرها.

والحكمة فى موافقته عليه السلام لسهيل على أن من أتي من قريش يرد إليهم وإن كان مسلما كما قال العلماء هي ما ظهر فيه من المصلحة الباهرة والفوائد المتكاثرة التي علمها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخفيت على غيره التي كان عاقبتها فتح مكة وإسلام أهلها كلهم ودخول الناس فى دين الله أفواجا وذلك انه قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين ولا يخلون بمن يعلمهم بأموره عليه السلام مفصلة، فلما حصل الصلح اختلطوا بالمسلمين وجاء وهم بالمدينة وذهب المسلمون الى مكة وخلوا بأهلهم وأصدقائهم من الكفار وسمعوا منهم معجزاته عليه السلام الباهرة وأعلام نبوؤته المتظاهرة فمالت نفوسهم إلى الإيمان حتى أسلم منهم خلق فيما بين الصلح والفتح، منهم خالد بن الوليد وعمرو بن العاصي رضي الله تعالى عنهما وازداد الآخرون ميلا إلى الإسلام فأسلموا كلهم يوم الفتح وغير قريش من العرب كانوا ينتظرون بإسلامهم إسلام قريش فلما أسلم قريش أسلم العرب ، قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه ما كان فتح أعظم من صلح الحديبية لكن

قصر رأيهم عن ما كان بين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبين ربه، والله تعالى لا يعجل لعجلة العباد حتى تبلغ الأمور ما أراد، قال الزهري فقد دخل فى تينك السنتين فى الإسلام مثل من كان دخل فيه قبل ذلك أو أكثر نقله الزرقاني، قال ابن إسحاق فإن الصحيفة لتكتب إذ دخل أبو جندل وزن جعفر بن سهيل بن عمرو وكان اسمه العاصي فتركه لما أسلم وكان منع الهجرة وعذب بسبب الإسلام وأخوه عبد الله بن سهيل حضر بدرا مع المشركين ففر منهم إلى المسلمين ثم كان مع المسلمين فى الحديبية وكان أبو جندل أوثقه سهيل فخرج وتنكب الطريق وركب الجبال يرسف بكسر السين ويقال بكسرها كما فى المقدمة فى قيوده والرواية بالضم حتى رمى بنفسه بين المسلمين ففرحوا به فقام سهيل إلى أبي جندل فضرب وجهه وجعل يتلببه أي يجمع عليه ثوبه الذي هو لابسه ويقبض عليه نحره ثم قال يا محمد قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا، قال صدقت، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أرد إلى المشركين يفتنوني عن ديني فزاد الناس ذلك إلى ما بها، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، يا أبا جندل أصبر واحتس فإنا لا نغدر وقد تم الصلح قبل أن تأتي، وتلطفت بأبيك فأبى، وإن الله تعالى جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا، فوثب عمر يمشي إلى جنبه فيقول اصبر فإنما هم المشركون وإنما دم أحدهم كدم الكلب ويدني قائم السيف منه، يقول عمرو رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه، قال فضن الرجل بأبيه ونفذت القضية ولما تم كتاب الصلح وهم ينتظرون امضاءه رمي رجل من أحد الفريقين رجلا من الفريق الآخر فكانت معاركة بالنبل والحجارة، فارتهن كل فريق من عندهم، وأمسك عليه السلام سهيل بن عمرو كما فى مغازي أبي الأسود وابن عائذ وابن عقبة وامسك المشركون عثمان فبلغ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن عثمان قد قتل وقال لا نبرح حتى نناهز القوم، فدعا الناس إلى بيعة الرضوان

تحت الشجرة وهي سمرة أو أم غيلان، كان عليه السلام نازلا تحتها يستظل بها، فبايعوه على الموت كما رواه البخاري عن سلمة بن الأكوع وهو أول من بايع على ما في صحيح مسلم. وروى مسلم عن معقل بن يسار أنهم بايعوه على ان لا يفروا وجمع الترمذي بأن بعضا بايع على الموت، وبعضا على أن لا يفر. وقال الحافظ لا منافاة فالمراد بالمبايعة على الموت أن لا يفروا ولو ماتوا. وروى الطبراني أن أول من بايع أبو سنان الأسدي واسمه وهب أو عامر أو عبد الله بن محصن أخو عكاشة وكذا رواه ابن مندة والبيهقي وصحح أبو عمر قائلا انه الأكثر والأشهر وقيل ابنه سنان ابن أبي سنان ووضع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شماله في يمينه وقال هذه أي شماله عن عثمان وهذا قد يشعر بأنه لم يقتل فيكون معجزة ويؤيده ما جاء أنه لما بايع الناس قال اللهم ان عثمان في حاجتك وحاجة رسولك فضرب بإحدى يديه على الأخرى فكانت يده لعثمان خير من أيديهم لأنفسهم، قاله الزرقاني. ولما سمع المشركون بهذه البيعة ألقى الله في قلوبهم الرعب فأذعنوا إلى الصلح ولما فرغ من الصلح قام إلى هديه فنحره بالحديبية أي نحر أكثره بها، فلا ينافي ما رواه ابن سعد أنه بعث عشرين بدنة لتنحر عنه عند المروة مع رجل من أسلم وكانت البدن سبعين وفيها جمل لأبي جهل في رأسه برة من فضة ليغيظ به المشركين وكان غنمه يوم بدر ثم حلق وروي أن الذي حلقه يومئذ خراش بمعجمتين بن أمية الخزاعي فلما رآه الناس تواثبوا ينحرون ويحلقون وفيهم من قصر فقال صلى الله تعالى عليه وسلم يرحم الله المحلقين، قالوا يا رسول الله والمقصرين؟ قال يرحم الله المحلقين، قالوا والمقصرين يا رسول الله؟ قال يرحم الله المحلقين. قالوا والمقصرين يا رسول الله ؟ قال والمقصرين. قالوا يا رسول الله لما ظاهرت الترحيم للمحلقين دون المقصرين؟ قال لم يشكوا. ولما حلق هو وأصحابه بالحديبية بعث الله ريحا عاصفة فحملت شعورهم فألقتها إلى الحرم فاستبشروا بقبول عمرتهم، وفي مسلم عن جابر مرفوعا لا يدخل

النار من شهد بدرا والحديبية. وأقام صلى الله تعالى عليه وسلم بالحديبية بضعة عشر يوما، وقيل عشرين يوما ثم قفل وفي نفوسهم بعض شيئ من عدم الفتح، الذي كانوا لا يشكون فيه فأنزل الله تعالى سورة الفتح بين مكة والمدينة بضجنان كما عند ابن سعد يسليهم بها، وهو بفتح الضاد المعجمة، وسكون الجيم ونونين بينهما ألف جبل علي بريد من مكة ولما قدم عليه السلام المدينة، أتاه أبو بصير بفتح الموحدة وكسر الصاد المهملة عتبة بضم العين وسكون الفوقية وقيل عبيد بموحدة مصغرا بن أسيد بفتح الهمزة وكسر السين المهملة بن جارية بجيم وتحتية ابن عبد الله الثقفي حليف لبني زهرة؛ فقوله فى الصحيح رجل من قريش أي بالحلف وهو مسلم وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه أزهر بن عبد عوف والأخنس بن شريف إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبعثا به مع مولى لهما ورجل من بني عامر بن لؤي سماه ابن سعد خنيس بضم الخاء المعجمة مصغر آخره مهملة ابن جابر والمولى يقال له كوثر، فقدما بعد أبي بصير بثلاثة أيام بالكتاب، قال عليه السلام يا أبا بصير إنا أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصلح لنا فى ديننا الغدر وأن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا فانطلق معهما إلى قومك، فقال أتردوني إلى المشركين يفتنوني عن ديني ويعذبونني، قال يا أبا بصير انطلق فإن الله سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا، وفي رواية فقال له عمر أنت رجل وهو رجل ومعك السيف اهـ.

فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين ولابن سعد لخنيس بن جابر انتهى والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيدا فاستله الآخر فقال أجل والله إنه لجيد، وفي رواية لأضربن به فى الأوس والخزرج يوما إلى الليل، فقال أبو بصير أرني أنظر إليه فأمكنه منه فضربه به أبو بصير حتى برد وفر الآخر حتى دخل المدينة فدخل المسجد يعدو فقال صلى الله تعالى عليه وسلم

لقد رأي هذا ذعرا، فلما انتهى إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال قتل والله صاحبي وإني لمقتول أي إن لم ترده عني. ولابن عائذ وتبعه أبو بصير حتى دفع إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو عاض على أسفل ثوبه وقد بدا طرف ذكره والحصى يطير من تحت قدميه من شدة عدوه وأبو بصير يتبعه فجاء أبو بصير فقال يا نبي الله قد أوفى الله ذمتك قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم. فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد ينصره، فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، ولابن عقبة وجاء أبو بصير بسلبه فقال خمسه يا رسول الله قال إني إذا خمسته لم أوف بالعهد الذي عاهدتهم عليه ولكن شأنك بسلب صاحبك واذهب حيث شئت. فخرج معه خمسة قدموا معه من مكة مسلمين فخرج حتى أتى سيف البحر بكسر المهملة أي ساحله فنزل العيص بكسر المهملة وسكون التحتية فصاد مهملة وكانت طريق مكة إذا قصدوا الشام وتفلت منهم أبو جندل في سبعين راكبا مسلمين فلحقوا بأبي بصير قريبا من ذي المروة على طريق قريش فقطعوا مادتهم من طريق الشام وأبو بصير يصلي بأصحابه فلما قدم أبو جندل كان يؤمهم أي لأنه من قريش، ولابن عقبة واجتمع لأبي جندل ناس من غفار وأسلم وجهينة وطوائف من الناس حتى بلغوا ثلاث مائة مقاتل وهم مسلمون اهـ. فلا يظفرون بأحد من قريش إلا قتلوه، ولا تمر بهم عير إلا اقتطعوها فأرسلت قريش أبا سفيان بن حرب إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يسألونه ويتضرعون إليه أن يبعث إلى أبي جندل ومن معه قالوا ومن خرج منا إليك فهو لك حلال، قال فأرسل إليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. ولابن عقبة فكتب صلى الله تعالى عليه وسلم إلى أبي بصير فقدم كتابه وأبو بصير يموت فمات وكتاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في يده يقرؤه كما في الكلاعي فدفنه أبو جندل مكانه وجعل عند قبره مسجدا وقدم أبو جندل ومن معه المدينة فلم يزل بها حتى

خرج إلى الشام مجاهدا فاستشهد فى خلافة عمر.
وقال أبو جندل فيما صنع فى قريش:

ابلغ قريشا عن أبي جندل أنا بذي المروة بالساحل
في معشر تخفق أيمانهم بالبيض فيها والقنا الذابل
يأبون أن تبقى لهم رفقة من بعد اسلامهم الواصل
ويجعل الله لهم مخرجا والحق لا يغلب بالباطل
فيسلم المرء بإسلامه أو يقتل المرء ولم يأتل

قوله مسعر حرب كمنبر هو موقد نار الحرب، وفي رواية محش حرب، وفي القاموس وهومحش حرب بالكسر موقد لها.

فائدة:

اختلف العلماء هل يجوز الصلح مع الكفار على أن يرد إليهم من جاء مسلما من عندهم؟ فقيل نعم علي ما دلت عليه قصة أبي جندل وأبي بصير وقيل لا وإن ما وقع فى القصة منسوخ بحديث أبي داود والترمذي مرفوعا أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين لا تتراءى ناراهما. انتهى من المواهب وشرحها.

وفي هذه السنة سنة ست كسفت الشمس بالحديبية وظاهر فى تلك السنة أوس بن الصامت الخزرجي البدري أخو عبادة من زوجته خولة ويقال لها خويلة بالتصغير بنت ثعلبة بن أصرم الخزرجية أيضا وفيها أيضا استسقى فى رمضان قبل الحديبية فمطر الناس وجزم مغلطاي أن تحريم الخمر كان فى تلك السنة والذي لابن إسحاق أنها حرمت فى وقعة بني النضير سنة أربع، والله أعلم. ثم بعد الحديبية غزوة خيبر سميت باسم رجل من العماليق نزلها وهو خيبر أخو يثرب ابنا قانية ابن مهلاليل ذكره البكري واقتصر عليه الروض والفتح وغيرهما وقيل الخيبر بلسان اليهود الحصن ولذا سميت خيابر أيضا ذكره الحازمي قاله العلامة الزرقاني وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ونخل كثير على ثمانية برد من المدينة إلى جهة الشام. قال ابن إسحاق أقام رسول

الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم ثم خرج فى بقية المحرم إلى خيبر سنة سبع فأقام يحاصرها بضع عشرة ليلة إلى أن فتحها فى صفر وقيل كانت فى آخر سنة ست وروي عن مالك وبه جزم إبن حزم والراجح ما لابن إسحاق ويمكن الجمع بأن من قال سنة ست أراد ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقي وهو ربيع الأول قاله فى المواهب وكان الله وعده إياها وهو بالحديبية: بقوله تعالى: {وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم} فالمعجل صلح الحديبية والمغانم فتح خيبر، فخرج إليها صلي الله تعالى عليه وسلم مستنجزا ميعاد ربه ومعه ألف وأربعمائة رجل ومائتا فرس ومعه أمنا أم سلمة التي كانت معه فى الحديبية.

وفي البخاري عن سلمة وهو ابن عمرو بفتح العين وسكون الميم بن الأكوع الأسلمي أبو مسلم وأبو إياس واسمه سنان ونسب لجده لشهرته أول من بايع تحت الشجرة على ما فى مسلم ومات سنة أربع وسبعين وكان مقداما فى الحرب وكان يقاتل قتال الفارس والراجل، قال خرجنا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إلى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر بن الأكوع عم سلمة ألا تسمعنا من هنيهاتك بهاءين أولاهما مضمومة فنون مفتوحة فتحتية ساكنة وللكشميهني هنياتك بحذف الهاء الثانية وشد التحتية وكان عامر شاعرا؛ وللكشميهني حداء فنزل يحدو ويقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا	ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ما اتقينا	وألقين سكينة علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا	إنا إذا صيح بنا أتينا
وبالصياح عولوا علينا	ونحن عن فضلك ما استغنينا

فقال صلى الله تعالى عليه وسلم من هذا السائق؟ فقالوا عامر بن الأكوع، قال يرحمه الله. ولأحمد غفر لك ربك. قال وما استغفر صلى الله

تعالى عليه وسلم لإنسان يخصه إلا استشهد، قال رجل من القوم وهو عمر كما في مسلم وجبت يا نبي الله لولا أمتعتنا بعامر، الحديث، ويأتي فيه أنه بارز مرحبا فرجع ذباب سيفه على ركبته فمات منه. قال بعض الصحابة إن عامرا أحبط عمله فأخبر سلمة بذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال كذب من قاله وإن له لأجرين وقوله اللهم فيه الخزم كما تقدم، وقوله فداء لك قال المازري هذه اللفظة مشكلة فإنه لا يقال للبارئ سبحانه فديتك لأن ذلك إنما يقال في مكروه يتوقع حلوله بالمفدى فيختار شخص أن يحل ذلك به ويفديه ولا يتصور ذلك إلا في حق من يجوز عليه حلول المكروه، ولعل هذا وقع من غير قصد إلى حقيقة معناه، بل المراد المحبة والتعظيم فخاطب بها من لا يجوز في حقه الفداء إظهارا للمحبة والتعظيم كما يقال قاتله الله ولا يريد بذلك الدعاء عليه بل التعجب، وكقوله عليه السلام تربت يمينك؛ يخاطب عائشة فلم يقصد أصل معناها الذي هو افتقرت حتى لصقت يدك بالتراب بل الانكار والزجر، وقوله ماتقينا بشد الفوقية بعدها قاف للأكثر أي ما تركنا من الأوامر. وللأصيلي والنسفي ما أبقينا بهمزة قطع فموحدة ساكنة أي ما خلفنا من الذنوب، وللقابسي ما لقينا باللام وكسر القاف أي من المناهي، وفي رواية للشيخين ماقتفينا أي اتبعنا من الخطايا وقوله عولوا علينا أي اقصدونا بالدعاء العالي أو اعتمدوا وقوله فجعل عامر يحدو وهذه عادتهم إذا أرادوا تنشيط الإبل في السير ومر أن الرجز لابن رواحة فيحتمل أنه هو وعامر تواردا عليه وقوله وجبت أي الشهادة اهـ من المواهب وشرحها.

وعن أنس أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أتى خيبر ليلا أي قرب منها فناموا دونها ثم ركبوا إليها فصبحوها كما في طريق أخرى عن أنس صبحنا خيبر فلا تنافي بينهما ونزل بواد يقال له الرجيع بينهم وبين غطفان ليلا يمدوهم وكانوا حلفاءهم فذكر أن غطفان خرجوا وقصدوا خيبر ليعينوهم فسمعوا خلفهم حسا في أموالهم وأهليهم فظنوا أن

المسلمين خلفوهم فى ذراريهم فرجعوا وخذلوا أهل خيبر. وفي البخاري فى الأذان وكان صلى الله تعالى عليه وسلم إذا غزى قوما لم يغز بنا حتى يصبح وينظر فإن سمع أذانا كف عنه وإلا أغار، وروى ابن اسحاق انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما أشرف على خيبر قال لأصحابه قفوا ثم قال اللهم رب السماوات وما أظللن ورب الأراضين وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها وأعوذ بك من شر أهلها وشر ما فيها أقدموا باسم الله، وكان يقولها لكل قرية دخلها. وحكى الواقدي أن أهل خيبر لما سمعوا بقصده عليه السلام لهم كانوا يخرجون فى كل يوم عشرة آلاف مقاتل مستعدين صفوفا ثم يقولون محمد يغزونا هيهات هيهات فلا يرون أحدا حتى إذا كان الليلة التي قدم فيها المسلمون ناموا ولم تتحرك لهم دابة ولم يصح لهم ديك حتى طلعت الشمس فخرجوا بالمساحي، وفي رواية أحمد إلى زروعهم بمساحيهم ومكاتلهم والمساحي بمهملتين جمع مسحاة من آلة الحرث وهو من السحو بمعنى الكشف والإزالة، والمكاتل جمع مكتل بكسر الميم وفتح الفوقية وهي القفة الكبيرة التي يحول فيها التراب وغيره. ولما رأت اليهود رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا محمد والله محمد، والخميس ومحمد، خبر هذا محذوفا، أي وفاعل جاء مقدرا والخميس ضبطه عياض بالرفع عطف وبالنصب مفعول معه وأدبروا هرابا، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وخربت بكسر الراء صارت خرابا والمساحة الفناء وأصلها الفضاء بين المنازل والخميس الجيش سمي به لأنه خمسة أقسام المقدمة والساقة وهي مؤخره والقلب والميمنة والميسرة ويقال لهما الجناحان وقوله خربت خيبر إلخ.. يحتمل أنه قال ذلك بطريق الوحي، ويحتمل أنه تفاؤل أنها ستخرب لما رأى المساحي لأنها من السحو أي الإزالة، ولما كثر فيهم الهجوم والغارة فى الصباح سموا الغارة صباحا وإن وقعت

فى وقت آخر كما فى البيضاوي والصباح مستعار من صباح الجيش المثبت لوقت نزول العذاب، وفي رواية للبخاري أنه قال ذلك ثلاثا وفيه استحباب التكبير عند الحرب وتثليثه قال الزرقاني فى شرح المواهب وهذا الحديث أصل فى جواز التمثيل والاستشهاد بالقرآن والاقتباس نص عليه بن عبد البر وابن رشيق كلاهما فى شرح الموطأ وهما مالكيان والنووي فى شرح مسلم كلهم فى شرح هذا الحديث، وكذا صرح بجوازه القاضي عياض والباقلاني من المالكية وحكى الشيخ داود اتفاق المالكية والشافعية على جوازه غير أنهم كرهوه فى الشعر خاصة، وروى الخطيب البغدادي وغيره بالاسناد عن مالك أنه كان يستعمله، قال السيوطي هذه أكبر حجة على من زعم أن مذهب مالك تحريمه وأما مذهبنا فأجمع أيمته على جوازه والأحاديث الصحيحة والآثار عن الصحابة والتابعين تشهد لهم فمن نسب إلى مذهبنا تحريمه فقد أفشى وأبان أنه أجهل الجاهلين انتهى. وهذا منه قاض بغلطه فيما أورده فى عقود الجمان انتهى كلام الزرقاني بلفظه.

قال مغلطاي وغيره وفرق صلى الله تعالى عليه وسلم الرايات فدفع رايته العقاب إلى الحباب بن المنذر وراية لسعد بن عبادة ولواؤه وهو أبيض إلى علي وقد صرح جماعة من اللغويين بترادف الراية واللواء وهو العلم الذي يحمل فى الحرب لكن روى أحمد عن ابن عباس والطبراني عن ابي هريرة قالوا كانت رايته صلى الله تعالى عليه وسلم سوداء ولواؤه أبيض وهو ظاهر فى التغاير فلعل التفرقة بينهما عرفية، قال الحافظ وفي المصباح ولواء الجيش علمه وهو دون الراية وكانت رايته عليه السلام العقاب من برد لعائشة وهي سوداء، وفي البخاري كان عليا رضي الله عنه تخلف عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى خيبر وكان رمدا بكسر الميم وللطبراني أرمد شديد الرمد فقال أنا أتخلف عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فلحق فلما بتنا الليلة التي فتحت فى صبيحتها قال لأعطين الراية غدا أو ليأخذن

الراية غدا رجل يحب الله ورسوله زاد ابن إسحق ليس يقرأ وفي حديث بريدة لا يرجع حتى يفتح الله له وفي رواية سهل بن سعد لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله تعالى علي يده بغير شك. قال سهل فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها ويدوكون بضم الدال المهملة أي باتوا فى اختلاط واختلاف والدوكة بالكاف الإختلاط، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها وفي مسلم أن عمر قال ما أحببت الإمارة إلا يومئذ، قال أين علي بن أبي طالب فقالوا يا رسول الله هو يشتكي عينيه، قال فأرسلوا إليه فأتوا به، ولمسلم عن سلمة فأرسلني إلى علي فجئت به أقوده فبصق صلى الله تعالى عليه وسلم فى عينيه ودعا له فبرئ بوزن ضرب ويجوز كسر الراء حتى كأن لم يكن به وجع، زاد بريدة فما وجعهما حتى مضى لسبيله أي مات. وروى الطبراني انه قال اللهم اذهب عنه الحر والقر أي البرد، قال علي فما اشتكيتهما حتى يومي هذا قال علي يا رسول أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال انفذ على رسلك حتى ننزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم، وهو من ألوان الإبل المحمودة، قيل المراد أن يكون لك فتتصدق بها وقيل تقتنيها وتملكها وكانت مما يتفاخر العرب بها.

قال الحافظ وقع فى رواية البخاري اختصار وهو عند أحمد والنسائي وابن حبان والحاكم عن بريدة قال لما كان يوم خيبر أخذ أبو بكر اللواء فرجع ولم يفتح له فلما كان من الغد أخذه عمر فرجع ولم يفتح له وقتل محمود بن مسلمة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لأدفعن اللواء غدا (الحديث). وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه لما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول:

قد علمت خيبر أني مرحب ... شاك السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهبوا

قال وبرز له عامر بن الأكوع، فقال:

قد علمت خيبر أني عامر شاك السلاح بطل مغامر
قال فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر، فذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع أكحله، فكانت فيها نفسه إلى آخر ما مر فبرز له علي رضي الله عنه، فقال:
أنا الذي سمتني أمي حيدره كليث غابة كريه المنظره
أكيلكم بالسيف كيل السندره
وفي رواية:
أوفيكم بالصاع كيل السندره
فضرب رأس مرحب فقتله. قال الإمام بن أبي جمرة وشاكي السلاح هو الذي ظهرت حدته وشوكته والمغامر بالغين المعجمة هو المباطش يقال غامره إذا باطشه وقاتله، ولم يبالي بالموت، قال النووي قوله مغامرا أي يركب غمرات الموت وشدائده ويلقي نفسه فيها ويخطر بسيفه، هو بكسر الطاء أي يرفعه مرة ويضعه أخرى، وقوله يسفل له بكسر الفاء من التسفيل وهو التصويب، وقال النووي بضم الفاء أي يضربه من أسفله وحيدرة اسم الاسد، وكانت فاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنها سمته أسدا باسم أبيها، فلما قدم أبو طالب سماه عليا، والسندرة مكيال ضخم اهـ كلام ابن أبي جمرة وهو الذي ذكر الروايتين المتقدمتين في البيت والسندرة بفتح السين، قال ابن أبي جمرة وروى البيهقي أن مرحبا خرج وعليه مغفر يماني وحجر مثل البيضة على رأسه، قال فاختلفا ضربتين فبادره علي بضربة نفذ الحجر والمغفر ورأسه ووقع في الأضراس، وما في هذا الحديث من أن عليا هو الذي قتل مرحبا هو الصحيح عند ابن عبد البر وكذا قال ابن الأثير أنه الصحيح، الذي عليه أكثر أهل الحديث وأهل السير، وروى موسى بن عقبة وابن إسحاق أن الذي قتل مرحبا هو محمد بن مسلمة الأنصاري وأنه لما خرج يرتجز أجابه كعب بن مالك:
قد علمت خيبر أني كعب مفرج الغم جريء صلب

حــيث تشب الحـــرب ثم الحـــرب معي حـسام كـالعـقـيق عـضب
نطؤكم حــتى يذل الصـــعب نعطي الجــزا ويبــاهى النهب
بكف مــاض ليس فــيــه عــتب

فقال صلي الله تعالى عليه وسلم من لهذا؟ فقال محمد بن مسلمة أنا له يا رسول الله أنا والله الموتور الثائر قتل أخي بالأمس، قال فقم إليه، اللهم أعنه عليه. فلما دنا أحدهما من صاحبه دخلت بينهما شجرة العشر فجعل كل واحد منهما يلوذ بها وكلما لاذ بها أحدهما اقتطع بسيفه ما دونه حتى برز كل منهما وصارت بينهما كالرجل القائم ما فيها فنن ثم حمل على محمد بن مسلمة فضربه فاتقاه بالمدرقة فوقع سيفه بها فعضت به فأمسكته وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله وذكر ابن إسحاق ان ياسر أخا مرحب خرج بعده يقول هل من مبارز فخرج إليه الزبير فقتله فكان الزبير يقول إذا قيل له والله ما كان سيفك صارما يومئذ يقول والله ما كان بصارم ولكن أكرهته، وقيل ان ابن مسلمة لما بارز مرحبا قطع رجليه، قال له مرحب اجهز علي، فقال لا، ذق الموت كما ذاقه محمود بن مسلمة، فأجهز عليه علي والأول هو الصحيح وكان سيف مرحب مكتوب عليه هذا سيف مرحب من يذقه يعطب، وقوله قتل أخي بالأمس قيل ان مرحبا هو الذي قتل محمود بن مسلمة ألقى عليه رحا من فوق حصن ناعم.

وفي حديث أبي رافع زوج سلمى قابلة إبراهيم ابن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقابلة بني فاطمة كلهم، قال ضرب يهودي عليا فطرح ترسه من يديه فتناول باب حصن وترس به فلما فتح الحصن وفرغ من القتال ألقاه، قال ابو رافع فقام إليه سبعة أنا ثامنهم فجهدنا أن نقلبه فما قلبناه. وصدر القسطلاني فى المواهب بأنه لم تحركه سبعون رجلا إلا بعد جهد، وروى البخاري عن أبي هريرة قال شهدنا خيبر، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لرجل ممن معه يدعي

الإسلام هذا من أهل النار، فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت فيه الجراح فكاد بعض الناس يرتاب فوجد الرجل ألم الجراحة فأهوى بيده إلى كنانته فاستخرج منها سهما فنحر نفسه فاشتد رجل من المسلمين فقال يا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم صدق حديثك، انتحر فلان فقتل نفسه. فقال قم يا فلان فأذن أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، إن الله تعالى يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر.

قوله شهدنا خيبر مجاز عن جنسه من المسلمين فالثابت أنه إنما جاء بعد فتحها وشهد قسم غنائمها بها اتفاقا والرجل المذكور قال الحافظ وقع لجماعة ممن تكلم على البخاري أنه قزمان بضم القاف وسكون الزاي المعجمة الظفري بفتح المعجمة والفاء نسبة إلي بني ظفر بطن من الأنصار المكنى أبى الغيداق بمعجمة مفتوحة فتحتية ساكنة آخره قاف ويعكر عليه ما جزم به ابن الجوزي تبعا للواقدي أن قزمان قتل بأحد وكان تخلف عن المسلمين فعيره النساء فخرج حتى صار في الصف الأول ثم فعل العجائب فلما انكسر المسلمون كسر جفن سيفه وجعل يقول الموت أحسن من الفرار فمر به قتادة بن النعمان فقال هنيئا لك الشهادة فقال والله إني ما قاتلت على دين وإنما قاتلت على حسب قومي ثم أقلقته الجراحة فقتل نفسه. لكن الواقدي لا يحتج به إذا انفرد فكيف إذا خالف، وعن سلمة بن الأكوع ان عليا لما أخذ الراية خرج يهرول هرولة قال وأنا نتبع أثره حتى ركز رأيته في رضم من حجارة تحت الحصن فأطلع إليه يهودي من رأس الحصن فقال من أنت؟ قال أنا علي بن أبي طالب. فقال اليهودي علوتم وما أنزل الله على موسى أو كما قال، فما رجع حتى فتح الله على يديه.

وقاتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أهل خيبر وقاتلوه أشد القتال واستشهد من المسلمين خمسة عشر وعدهم الشامي أربعا وثلاثين فالله أعلم.

وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون بفوقية قبل السين وفتحها على حصنا

حصنا وهي النطاة بنون فطاء مهملة بوزن حصاة وحصن الصعب بفتح الصاد وإسكان العين المهملتين وبالموحدة ابن معاذ، وعن معتب بشد الفوقية المكسورة الأسلمي أن بني سهم من أسلم أتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا يا رسول الله جهدنا وما بأيدينا من شيء فلم نجد عنده شيئا فقال اللهم إنك قد عرفت حالهم وأن ليس بهم قوة وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه فافتح عليهم أعظم حصونها غنا وأكثرها طعاما وودكا ففتح الله عليهم حصن الصعب بن معاذ وما بخيبر حصن كان أكثر طعاما وودكا منه اهـ.

ومنها حصن ناعم بنون فألف فمهملة فميم وهو أول حصونها افتتح وعنده قتل محمود بن مسلمة ثم بعد ذلك بقليل دفع عليه السلام كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق قاتل محمود إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه وقيل ان مرحبا هو الذي قتل محمود بن مسلمة كما مرّ ومنها حصن قلعة الزبير بن العوام لكونه صار في سهمه، وكان اسمه حصن فنة لكونه على رأس جبل ومنها الشق بفتح المعجمة وكسرها والفتح أعرف وبالقاف المشددة ويشتمل على حصون منها حصن أبي وهو أول ما بدئ به من حصون الشق فتقاتلوا قتالا شديدا ثم تحامل المسلمون فدخلوه يقدمهم أبو دجانة وهرب من فيه من المقاتلة إلى حصن النزار بالشق فغلقوه وامتنعوا به أشد الامتناع وزحف صلى الله تعالى عليه وسلم في أصحابه إليهم فقاتلهم فكانوا أشد أهل الشق رميا بالنبل والحجارة، فأخذ صلى الله تعالى عليه وسلم كفا من حصا فحصب به حصنهم فزحف بهم ثم ساخ في الأرض حتى جاء المسلمون فأخذوا أهله باليد، ومنها حصن البراء بفتح الموحدة وكسر الراء المخففة وبالمد ومنها القموص بفتح القاف وضم الميم وسكون الواو فصاد مهملة وقيل بغين فضاد معجمتين هو الذي فتحه علي وهو أعظم حصون الكتيبة بكاف مفتوحة ففوقية وقيل مثلثة مكسورة فتحتية ساكنة فموحدة ويقال بضم الكاف ومنه سبيت صفية، ومنها الوطيح بفتح الواو وكسر

الطاء فتحتية ساكنة فمهملة كما ضبطه ابن الأثير وغيره. قال البكري سمي بالوطيح ابن مازن رجل من ثمود ومنها السلالم بضم السين المهملة وقيل بفتحها وكسر اللام قبل الميم ويقال لها السلاليم على ما مرّ من ضم السين وفتحها وهو حصن بني أبي الحقيق وكان آخر حصونها افتتاحا وأخذ كنز آل أبي الحقيق بالتصغير وكان أولا فى مسك حمار بفتح الميم وسكون السين أي جلده فلما كثر جعلوه فى مسك ثور ثم فى مسك جمل قيل وخص جلد الحمار لأن الأرض لا تأكله، وكانوا قد غيبوه فى خريبة فدل الله رسوله عليه فأخبره بموضعه كما عند البيهقي عن عروة وله عن ابن عمر أن أهل خيبر شرطوا له صلى الله تعالى عليه وسلم أن لا يكتموه شيئا فإن فعلوا فلا ذمة لهم، فأتى بكنانة والربيع ابني أبي الحقيق فقال ما فعل مسك حيي الذي جاء به من بني النضير؟ قالا أذهبته الحروب والنفقات فقال العهد قريب والمال أكثر من ذلك.

وروي أنهما لما كتماه دعى رجلا من الأنصار فأخبره بموضعه وقال إئتيني به، فأتاه به فضرب عنقهما وسبا أهليهما بالنكث الذي نكثاه، ولما قتل كنانة بن الربيع ابن أبي الحقيق زوج صفية بنت حيي تزوجها عليه السلام بعد أن استبرأها وجعل عتقها مهرها وقد كانت صارت لدحية الكلبي لما جاءه فقال اعطني يا رسول الله جارية من السبي فقال اذهب فخذ جارية، فأخذ صفية. فجاء رجل فقال يا رسول الله اعطيت دحية صفية سيدة قريظة والنضير لا تصلح إلا لك؟ قال ادعوه فجاء بها فلما نظر إليها صلى الله تعالى عليه وسلم قال خذ جارية من السبي غيرها كذا فى رواية البخاري.

وفي رواية لمسلم أن صفية وقعت فى سهم دحية وأنه صلى الله تعالى عليه وسلم اشتراها من دحية بسبعة أرؤس والأولى فى طريق الجمع ان المراد بسهمه نصيبه الذي اختاره لنفسه لما أذن له فى أخذ جارية. واطلاق الشراء على ذلك مجاز لأنه لم يملكها إذ اذنه فى أخذ مطلق جارية لم يرد به مثل هذه، وليس فى قوله سبعة أرؤس ما ينافي رواية

البخاري: خذ جارية من السبي غيرها، إذ ليس هنا دلالة على نفي الزيادة.
وذكر الشافعي انه اعطاه أخت زوجها، وإنما أخذها صلى الله تعالى عليه وسلم لأنها بنت ملكهم، وليست ممن توهب لدحية لكثرة من كان فى الصحابة مثل دحية وفوقه وقلة من كان فى السبي مثل صفية فى نفاستها نسبا وجمالا، فلو خصه بها لأمكن تغير خاطر بعضهم، فكان من المصلحة العامة اختصاصه عليه السلام بها فإن فى ذلك رضا الجميع وهي بنت حيي بن اخطب بن سعية بفتح السين وسكون العين المهملتين فتحتية ابن عامر بن عبد بن كعب بن سبطلاوي بن يعقوب ثم من ذرية هارون أخي موسى عليهما السلام، وأمها ضرة بفتح الضاد المعجمة بنت سموال من بني قريظة، وكانت تحت سلام بن مشكم القرظي ثم فارقها فتزوجها كنانة النضيري وقتل عنها يوم خيبر وكانت عروسا، والعروس وصف يستوي فيه الذكر والأنثى ما داما فى تعريسهما أياما، فاصطفاها عليه السلام لنفسه، فخرج حتى بلغ سد الصهباء بفتح السين المهملة وضمها موضع على بريد من خيبر فحلت له أي طهرت من الحيض فبنى بها عليه الصلاة والسلام فصنع حيسا بحاء مهملة مفتوحة فتحتية ساكنة فسين مهملة أي تمرا مخلوطا بسمن وأقط قال الشاعر:
السمن والتمر جميعا والأقط   الحيس إلا أنه لم يختلط
فجعل فى نطع وكان وليمة. والنطع بكسر النون وفتح الطاء المهملة وعليها اقتصر ثعلب وكذا فى الفرع، ويجوز فتح النون وسكون الطاء وفتحهما وكسر النون وسكون الطاء انتهى من المواهب وشرحها.
وفي القاموس الحيس الخلط، وتمر يخلط بسمن وأقط فيعجن شديدا ثم يندر منه نواه وربما جعل فيه سويق انتهى.
وفيه النطع بالفتح والكسر وبالتحريك وكعنب بساط من الأديم ولما بنى بها قال المسلمون هل هي إحدى أمهات المؤمنين أو ما ملكت يمينه؟ فقالوا إن حجبها فهي إحدى أمهات المؤمنين، فلما حجبها علموا أنها من

أمهات المؤمنين. قال الحافظ ولد صفية مائة نبي ومائة ملك، ثم صيرها الله لنبيه.

قال الزرقاني يعني أن في أصولها ذلك. والظاهر أنه من جهة الآباء والأمهات كما قيل في قول ابن الكلبي: كتبت للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحا.

فائدة:

كانت صفية من الصفي بفتح المهملة وكسر الفاء وشد الياء وهو سهم يختاره عليه السلام من الخمس، وقيل كان اسمها قبل السبي زينب، فلما صارت من الصفي سميت صفية. وفي هذه الغزوة حرم لحوم الحمر الأهلية، وقال كعب بن مالك يوم خيبر:

ونحن وردنا خيبرا وفروضه	بكل فتى عاري الأشاجع مزودي
جواد لدى الغيات لا واهن القوى	جريئ على الأعداء في كل مشهد
عظيم رماد القدر في كل شتوة	ضروب بنصل المشرفي المهند
يرى القتل مدحا إن أصاب شهادة	من الله يرجوها وفوزا لأحمد
يذود ويحمي عن ذمار محمد	ويدفع عنه باللسان وباليد
وينصره في كل أمر يريبه	يجود بنفس دون نفس محمد

والفروض ثلم في النهر يستقى منها والله أعلم. والمذود كمنبر الحامي للحقيقة. وفي هذه الغزوة سمت زينب بنت الحارث زوجة سلام بن مشكم الشاة وأهدتها له صلى الله تعالى عليه وسلم، وفي أبي داود أنها أخت مرحب وبه جزم السهيلي وللبيهقي أنها بنت أخي مرحب ، وروي أنها جعلت تسأل أي الشاة أحب إليه عليه السلام فيقولون أحبها الذراع، فعمدت إلي عنز لها فذبحتها وصلتها أي شوتها، ثم عمدت إلى سم بتثليث السين لا يطنئ بضم التحتية وسكون الطاء المهملة ونون بعدها همزة أي لا يلبث أن يقتل من ساعته وهو المعروف بسم ساعة، وقد شاورت يهود في اختيار سم من جملة سموم عينتها بأن سألت أيها أسرع قتلا، فاجتمعوا لها على هذا السم بعينه فسمت الشاة وأكثرت

فى الذراعين والكتف، فوضعت بين يديه ومن حضر من أصحابه، وفيهم بشر بن البراء بن معرور بمهملات الخزرجي الصحابي بن الصحابي، شهد بدرا وما بعدها حتى مات وتناول صلى الله تعالى عليه وسلم الذراع فانتهس بسين مهملة أي أخذ بمقدم أسنانه منها وتناول بشر عظما آخر، فلما ازدرد صلى الله تعالى عليه وسلم لقمته أي ابتلع ما انفصل بريقه منها فلا ينافي رواية ابن إسحاق أنه لم يسغها فلفظها، ازدرد بشر بن البراء ما فى فيه وأكل القوم فى الامتاع أنهم ثلاثة وضعوا أيديهم فى الطعام ولم يصيبوا منه شيئا، وأنه صلى الله تعالى عليه وسلم أمرهم بالحجامة وكأن معناه إن صح أنهم لم يبتلعوا لكنهم وضعوه فى أفواههم، فأثر قليلا فأمرهم بالحجامة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ارفعوا أيديكم فإن هذه الذراع تخبرني أنها مسمومة.

وفيه ان بشر بن البراء مات من أكلته، قيل من ساعته وقيل بعد حول وبه جزم السهيلي. وروى الدمياطي أنه دفعها إلى أولياء بشر فقتلوها ورواه ابن سعد عن الواقدي بأسانيد متعددة، قال الواقدي وهو أثبت، وقال الزهري أسلمت فتركها.

وروى سليمان بن طرخان فى مغازيه انها قالت لما قال لها ما حملك على ذلك؟ قالت: إن كنت نبيا لم يضرك وإن كنت كاذبا أرحت الناس منك وقد استبان لي الآن أنك صادق، وأنا أشهدك ومن حضر أني على دينك وأن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله. قال فانصرف عنها حين أسلمت. وجزم فى الإصابة بأنها صحابية والله تعالى أعلم. انتهى من المواهب وشرحها.

ولما فتحت خيبر كلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الحجاج بن علاط السلمي فقال يا رسول الله إن لي مالا بمكة عند صاحبتي أم شيبة بنت أبي طلحة ومالا متفرقا فى تجار مكة فأذن لي، فأذن له. قال إنه لابد لي أن أقول؛ قال قل؛ قال الحجاج فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجالا يستمعون الأخبار فلما رأوني ولم يكونوا

علموا بإسلامي قالوا الحجاج بن علاط عنده والله خبر أخبرنا يا أبا محمد فإنه قد بلغنا أن القاطع صار إلى خيبر وهي ريف الحجاز، قلت عندي ما يسركم من الخبر هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط وقتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله وأسر محمد وقالوا لا نقتله حتى نبعث به إلى مكة فيقتلونه بين أظهرهم، فصاحوا بمكة فقالوا هذا محمد إن ما تنتظرون به أن يقدم عليكم فيقتل بين أظهركم، قال قلت أعينوني على جمع مالي فإني أريد أن أقدم خيبر فأصيب من فل محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنالك فجمعوا لي مالي كأحب جمع فلما سمع العباس الخبر أقبل حتى وقف إلى جنبي فقال يا حجاج ما هذا الذي جئت به؟ قلت وهل عندك حفظ لما وضعت عندك؟ قال نعم؛ قلت فاستأخر عني حتى ألقاك على خلاء، حتى إذا فرغت وأجمعت الخروج لقيت العباس فقلت احفظ علي حديثي، فإني أخشى الطلب ثلاثا، ثم قل ما شئت فإني والله لقد تركت ابن أخيك عروسا على ابنة ملكهم ولقد افتتح خيبر وصارت له ولأصحابه، ولقد أسلمت وما جئت إلا لآخذ مالي.قال حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له وأخذ عصاه حتى أتى الكعبة فطاف بها فلما رأوه قالوا هذا والله التجلد لحر المصيبة، قال كلا والله لقد افتتح محمد خيبر وترك عروسا على ابنة ملكهم وأحرزوا أموالهم. قالوا من جاءك بهذا الخبر؟ قال الذي جاءكم بما جاءكم به، ولقد دخل عليكم مسلما. قال انفلت عدو الله، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن، ولم ينشبوا أن جاءهم الخبر انتهى المراد من غزوة خيبر.

ثم يلي خيبر فتح واد القرى بضم القاف وفتح الراء مقصور وهو موضع بقرب المدينة. قال الزرقاني غاية ما يفيده كلام الجماعة المعتضد بحديث أبي هريرة أنها أي غزوة واد القرى كانت فى آخر صفر أو أول ربيع الأول لأن خيبر كانت فى المحرم سنة سبع أو فى آخر سنة ست ومدة حصارها بضع عشرة ليلة فلما فتحها خرج إلى الصهباء وأقام بها

حين بنى بصفية ثلاثة أيام بلياليهن ومدة الذهاب والإياب ثمانية أيام فغاية المدة نحو شهر فلا يكون واد القرى فى جمادى يعني بهذا رد ما فى المواهب والله أعلم. وروى مالك ومن طريقه البخاري ومسلم عن أبي هريرة افتتحنا خيبر ثم انصرفنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى واد القرى انتهى.

وفي الكلاعي ولما فرغ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من خيبر انصرف إلى واد القرى فحاصر أهله ليال ثم انصرف راجعا إلى المدينة. قال أبو هريرة لما انصرفنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن خيبر إلى واد القرى نزلناها أصلا مع مغرب الشمس ومع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم غلام أهداه له رفاعة بن زيد الجذامي فوالله انه ليضع رحل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذ أتاه سهم غرب فقتله فقلنا هنيئا له الجنة، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والذي نفس محمد بيده إن شملته الآن لتحرق عليه فى النار كان غلها من فيئ المسلمين يوم خيبر، فسمعها رجل من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأتاه فقال يا رسول الله أصبت شراكين لنعلين لي، فقال يوقد لك مثلهما من النار. انتهى.

قوله سهم غرب قال فى القاموس وأصابه سهم غرب ويحرك وسهم غرب نعتا أي لا يدرى راميه. وفي المواهب أنه عليه السلام أقام بواد القرى أربعة أيام يحاصرهم، وفي الزرقاني قال الواقدي عبأ صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه للقتال وصفهم ودفع لواءه إلي سعد بن عبادة وراية إلي الحباب بن المنذر وراية إلي سهل بن حنيف وراية إلي عباد بن بشر ثم دعاهم إلي الإسلام وأخبرهم أنهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم وحصنوا دماءهم وحسابهم على الله، فبرز رجل منهم فقتله الزبير ثم آخر فقتله الزبير ثم آخر فقتله علي، ثم آخر فقتله أبو دجانة، ثم آخر فقتله أبو دجانة حتى قتل منهم أحد عشر، كلما قتل رجل دعا من بقي إلى الإسلام. ولقد كانت الصلاة تحضر يومئذ فيصلي بأصحابه، ثم يعود

فيدعوهم إلى الله ورسوله، فقاتلهم حتى أمسوا وغدا عليهم، فلم ترتفع الشمس حتى أعطوا ما بأيديهم وفتحها صلى الله تعالى عليه وسلم عنوة وغنمه الله أموالهم وأصابوا أثاثا ومتاعا كثيرا وقسم ما أصاب على أصحابه بواد القرى وترك الأرض والنخيل بأيدي يهود وعاملهم عليها، وأقطع جمرة بالجيم ابن هوذة بفتح الهاء والمعجمة العذري رمية سوط من واد القرى وأصاب مدعما سهم غرب ومدعم بكسر الميم وسكون الدال وفتح العين المهملتين آخره ميم عبد أسود هداه له رفاعة بن زيد أحد بني الضبيب كما في مسلم، وهو بضم المعجمة بصيغة التصغير ولابن اسحاق الجذامي ثم الضبني بضم المعجمة وفتح الموحدة بعدها نون وقيل بفتح المعجمة وكسر الموحدة. وفي رواية للصحيحين فبينما هو يحط رحل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذ جاءه سهم عائر فقال صلى الله تعالى عليه وسلم إن الشملة التي غلها من خيبر تشتعل عليه نارا، والشملة كساء يلتف فيه. وقيل إنما تسمى شملة إذا كان لها هدب وتقييد بعض بالغلط إن ثبت أنه الواقع هنا وإلا فاللغة الإطلاق وقوله سهم عائر بالعين المهملة أي لا يدرى راميه فهو بمعنى سهم غرب كما في الرواية الأولى.

وفي الصحيح عن عبد الله بن عمر وقال كان على ثقل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رجل يقال له كركرة فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هو في النار في عباءة غلها. وكلام عياض يشعر باتحاد قصته مع قصة مدعم، وقصة مدعم كانت بواد القرى ومات بسهم وغل شملة والذي أهداه له صلى الله تعالى عليه وسلم رفاعة بخلاف كركرة فأهداه هوذة بن علي وغل عباءة ولم يمت بسهم فافترقا.

نعم في مسلم عن عمر، لما كان يوم خيبر قالوا فلان شهيد فقال صلى الله تعالى عليه وسلم كلا إني رأيته في النار في بردة غلها، أو عباءة فهذا يمكن تفسيره بكركرة، قاله الزرقاني.

ولما بلغ فتح واد القرى أهل تيماء صالحوه صلى الله تعالى عليه وسلم

على الجزية وصالحه أهل فدك وخيبر على أن لهم نصفها وله عليه السلام نصفها. وتيماء بفتح الفوقية وإسكان التحتية، والمد بلدة بين الشام والمدينة على نحو سبع مراحل من المدينة، ثم أجلاهم عمرو رضي الله تعالى عنه لما أتاه الثبت أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان.

ثم بعد فتح واد القرى غزوة القضاء، كذا ترجم الكلاعي وترجم فى المواهب بعمرة القضاء. قال الزرقاني كذا ترجم البخاري عند الأكثر وللمستملي وحده غزوة القضاء. انتهى.

وترجم ابن أبي جمرة بعمرة القضاء. قال وبعضهم لم يذكرها فى غزوات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، انتهى. ووجهوا كونها غزوة بأن موسي بن عقبة ذكر فى المغازي أنه عليه السلام خرج مستعدا بالسلاح والمقاتلة خشية أن يقع من قريش غدر، فبلغهم ذلك ففزعوا.

وقال ابن الأثير أدخل البخاري عمرة القضاء فى المغازي لكونها مسببة عن غزوة الحديبية، قيل سميت بذلك لأنها قضاء عن العمرة التي صد عنها فى الحديبية واعترض بأن عمرة الحديبية لم تفسد حتى يجب قضاؤها، بل كانت عمرة تامة حكما لثبوت الأجر فيها، ولذا عد الصحابة عمره عليه السلام أربعا، عمرة الحديبية وعمرة القضاء وعمرة من الجعرانة وكلهن فى ذي القعدة وعمرة مع حجته ويأتي ذلك إن شاء الله تعالى.

وقيل لأنه عليه السلام قاضى فى شأنها قريشا أي عاهدهم وصالحهم عليها عام الحديبية ولذا يقال لها عمرة القضية. وهذا هو الظاهر، قال أهل اللغة يقال قاضى فلانا عاهده وتسمى أيضا عمرة القصاص لأنهم صدوه عليه السلام عن العمرة فى ذي القعدة سنة ست فاقتص عليه السلام منهم ودخل مكة فى الشهر الذي صدوه فيه سنة سبع، قاله ابن هشام، ورجحه السهيلي لنزول هذه الآية فيها وهي: {الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص} قال ابن اسحاق لما رجع صلى الله

تعالى عليه وسلم من خيبر إلى المدينة أقام بها شهري ربيع وما بعده إلي شوال يبعث سراياه فيما بين ذلك ثم خرج في ذي القعدة مؤتمرا مكان عمرته التي صد عنها. وفي المواهب وشرحها تواترت الأخبار انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما أهل ذو القعدة سنة سبع أمر أصحابه أن يعتمروا وأن لا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية وخرج معه صلى الله تعالى عليه وسلم من المسلمين ألفان سوى النساء والصبيان واستخلف على المدينة أبا رهم بضم الراء وسكون الهاء كلثوم بن الحصين الغفاري وقال ابن هشام عويف بالفاء مصغرا بن الأضبط بضاد معجمة وطاء مهملة الديلمي ويقال بمثلثة بدل الفاء وقال البلاذري أبا ذر، وساق عليه السلام ستين بدنة وحمل السلاح والبيض والدروع والرماح وقاد مائة فرس فلما بلغ ذو الحليفة قدم الخيل أمامه عليها محمد بن مسلمة وقدم السلاح واستعمل عليه بشيرا كأمير ابن سعد والد النعمان فقيل يا رسول الله حملت السلاح وقد شرطوا أن لا تدخلها إلا بسلاح المسافر السيوف في القرب. فقال عليه السلام أنا لا ندخله عليهم الحرم، ولكن يكون قريبا منا، فإن هاجنا من القوم هيج كان السلاح قريبا منا. وأحرم صلى الله تعالى عليه وسلم من باب المسجد ولبى والمسلمون يلبون معه ومضى ابن مسلمة في الخيل إلى مر الظهران فوجد نفرا من قريش وسألوه عن سبب مجيئه بالخيل فقال هذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يصبح بفتح الصاد وشد الموحدة أي يأتي هذا المنزل غدا إن شاء الله فأتوا قريشا فاخبروهم، ففزعوا وقالوا والله ما أحدثنا حدثا وإنا على كتابنا ومدتنا ففيم يغزونا محمد؟ وبعثوا مكرزا في نفر حتى لقوه ببطن ياجج بتثليث الجيم فقالوا والله ما عرفت صغيرا ولا كبيرا بالغدر وقد شرطت أن لا تدخل إلا بسلاح المسافر، فقال إني لا أدخل عليهم بسلاح، فقال هو الذي تعرف به البر والوفاء، ثم رجع إلى مكة فقال إن محمدا على الشرط الذي شرط لكم ونزل عليه السلام بمر الظهران وقدم السلاح إلي بطن ياجج موضع قال ابن الأثير على ثمانية

أميال من مكة ينظر من به إلى أنصاب الحرم أي أعلام حدوده وخلف عليه السلام أوس بن خولى بفتح المعجمة وفتح الواو ضبطه العسكري واقتصر عليه فى التبصير الخزرجي البدري فى مائتي رجل وخرجت أشراف قريش إلى رؤوس الجبال عداوة لله ولرسوله، ولم يقدروا على الصبر على رؤيته عليه السلام يطوف بالبيت. وفي رواية خرجوا غيظا وحنقا بفتح المهملة والنون وقاف وهو عطف تفسير ونفاسة أي حسدا يقال نفس بالشيء بالكسر حسده عليه. وخرج صلى الله تعالى عليه وسلم راكبا على ناقته القصوى والمسلمون متوشحون السيوف محيطون به مخافة أن يوذيه غلمان المشركين، فدخل من الثنية التي تطلعه على الحجون وابن رواحة آخذ بزمام راحلته يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله
يا رب إني مؤمن بقيله إني رأيت الحق فى قبوله

قوله خلوا أي تنحوا، وسبيله طريقه، وقوله نضربكم بسكون الباء للتخفيف كقراءة أبي عمر {إن الله يامركم} وقوله:

فاليوم اشرب غير مستحقب اثما من الله ولا واغل

وقوله على تنزيله أي النبي مكة:

إن عارضتم ولا نرجع كما رجعنا يوم الحديبية أو على تنزيل القرآن، وإن لم يتقدم له ذكره نحو {حتى توارت بالحجاب}. والهام جمع هامة وهي الرأس ومقيله محل نومه نصف النهار كناية عن محل الراحة أي يزيل الرأس عن العنق، قوله ويذهل الخليل إلخ.. أي لكونه يهلك أحدهما فيذهل الهالك عن الحي والحي عن الهالك، والقيل المقول.

فلما أنشده ابن رواحة قال عمر: يابن رواحة أبين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي حرم الله تقول شعرا؟ فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهي فيهم أسرع من نطح النبل أي فلهي أبلغ فى نكايتهم وإيذائهم وقهرهم من رمي السهام. وفي رواية:

خلوا بني الكفار عن سبيله قد أنزل الرحمن في تنزيله
في صحف تتلى على رسوله بأن خير القتل في سبيله
نحن قتلناكم على تنزيله كما قتلناكم على تأويله

قوله تنزيله أي القرآن، وقوله بأن الباء زائدة، وسبيله الثاني جهاد أعدائه، وفي السابق الطريق المحسوس فلا إيطاء، وقوله على تأويله أي على انكاركم ما أول به كما فهمنا منه، والمعنى نحن نقاتلكم على انكار تأويله كما قتلناكم على انكار تنزيله، مصدر بمعنى اسم المفعول، أي ما نزل عليه، الدال على رسالته وصدقه في كل ما جاء به. وقال ابن هشام ان قوله نحن ضربناكم على تأويله إلخ.. من قول عمار بن ياسر يوم صفين والدليل على ذلك ان المشركين لم يقروا بالتنزيل وإنما يقاتل على التأويل من أقر بالتنزيل، قال ابن كثير وفيه نظر فقد تابع ابن إسحاق عليه موسى بن عقبة وغيره وجاء من غير وجه عن عبد الرزاق قال في الفتح إذا ثبتت الرواية فلا مانع من اطلاق ذلك والتقدير على رأي ابن هشام نحن ضربناكم على تأويله أي حتى تذعنوا إلى ذلك التأويل انتهى المراد من الزرقاني.

قال ابن سعد وغيره ولم يزل رسول صلى الله تعالى عليه وسلم يلبي حتى استلم الركن أي الحجر الأسود بمحجنه بكسر الميم وفتح الجيم عصا معوجة الرأس يلتقط بها الراكب ما سقط منه وطاف على راحلته والمسلمون يطوفون معه مشاة.

وفي الصحيحين أن المشركين قالوا إنه يقدم عليكم وفد وهنتهم بتخفيف الهاء وشدها أي أضعفتهم حمى يثرب. فأمرهم صلى الله تعالى عليه وسلم أن يرملوا بضم الميم أي يسرعوا الأشواط الثلاثة جمع شوط بفتح الشين وهو الجري إلى الغاية والمراد هنا الطواف حول الكعبة، وفي جواز تسمية الطوفة شوطا. وعن الشافعي كراهته، وإنما أمرهم بذلك ليري قريشا قوتهم وأمرهم أن يمشوا بين الركنين اليمانيين حيث لا تراهم قريش إذ كانوا من قبل قعيقعان، فلما رملوا قال المشركون ما

وهنتهم، وأمر صلى الله تعالى عليه وسلم مائتين من أصحابه حين طافوا وسعوا أن يذهبوا إلى أصحابه ببطن يأجج فيقيمون على السلاح ويأتي الآخرون يقضوا نسكهم، ففعلوا وأقام صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة ثلاثا كما اشترطه مع قريش فى الهدنة وتزوج عليه السلام فى سفره هذا ميمونة بنت الحارث زوجها له العباس وأصدقها عنه العباس أربعمائة درهم، وكانت جعلت أمرها إلى العباس. وكانت أختها أم الفضل تحته، قال ابن عباس تزوجها وهو محرم، قال فى المواهب وقد استدرك ذلك على ابن عباس وعد من وهمه، قال سعيد بن المسيب وهل ابن عباس وإن كانت خالته ما تزوجها إلا بعدما حل ووهل بكسر الهاء أي غلط لمخالفته للمروي عنها نفسها وعن أبي رافع وكان الرسول بينهما وعن سليمان بن يسار وكان مولاها فقد اتفقوا كلهم على انه كان حلالا وقال يزيد بن الأصم عن خالته ميمونة تزوجني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن حلالان بسرف ورواه مسلم وهو بفتح السين وكسر الراء وبالفاء ما بين التنعيم وبطن مرو وهو إلى التنعيم أقرب وتوفيت بعد ذلك به. ويزيد هذا يقال ان له رؤية ولم تثبت وهو ابن أخت ميمونة.

غزوة مؤتة كذا ترجمها البخاري وابن إسحاق فى طائفة. وفي بعض الروايات تسميتها غزوة جيش الأمراء ووجه تسميتها غزوة كثرة جيش المسلمين فيها وشدة ما لاقوا فيها من الحرب مع الكفار وسماها القسطلاني وابن أبي جمرة وغيرهما سرية لأنها طائفة من جيشه صلى الله تعالى عليه وسلم بعثها ولم يخرج معها أنظر الزرقاني وفي المواهب وهي بضم الميم وسكون الواو وبغير همز لأكثر الرواة، وبه جزم المبرد وجزم ثعلب والجوهري وابن فارس بالهمز، وحكى غيرهم الوجهين وهي من عمل البلقاء بالشام دون دمشق وكانت فى جماد الأولى سنة ثمان انتهى.

وفي الروض مؤتة مهموزة الواو قرية من أرض البلقاء بالشام وأما

الموتة بلا همز فضرب من الجنون. وفي الحديث أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول فى صلاته أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه، وفسره الراوي فقال نفثه الشعر ونفخه الكبر وهمزه الموتة انتهى، انتهى من الزرقاني.

وسببها أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أرسل الحارث بن عمير الازدي ثم اللهبي بكسر اللام وسكون الهاء بكتاب إلى أمير بصرى من جهة هرقل وهو الحارث بن أبي شمر الغساني فمنعه شرحبيل بضم الشين وفتح الراء وسكون الحاء بن عمرو الغساني كافر معروف من أمراء قيصر وأوثقه فضرب عنقه قال فى المواهب ولم يقتل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رسول غيره. فبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثة ألاف وأمر عليهم زيد بن حارثة وقال ان قتل فجعفر بن أبي طالب أميرهم، فإن قتل فعبد الله بن رواحة، فإن قتل فليرتضي المسلمون لرجل من بينهم يجعلونه عليهم، وروي انه كان ثم يهودي فقال يا أبا القاسم إن كنت نبيا فسميت من سميت قليلا أو كثيرا أصيبوا جميعا لأن أنبياء بني إسرائيل كانوا إذا استعملوا الرجل على القوم ثم قالوا إن أصيب فلان فلو سمى مائة أصيبوا جميعا ثم جعل يقول لزيد أعهد فإنك لا ترجع إلى محمد إن كان نبيا، قال زيد فأشهد انه رسول صادق بار، قالوا وعقد لهم عليه السلام لواء أبيض ودفعه إلي زيد وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير وان يدعوا من هناك إلى الإسلام فإن أجابوا وإلا فأقول لكم استعينوا بالله وقاتلوهم.

وخرج مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع فودعهم ولما ودع ابن رواحة بكى فقالوا ما يبكيك؟ فقال أما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة بكم، ولكني سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقرأ آية {وإن منكم إلا واردها} فلست أدري كيف لي بالصدور بعد الورود. فلما ساروا نادى المسلمون دفع الله عنكم وردكم صالحين غانمين، فقال ابن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
وطعنة بيدي حران مجهزة بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقولوا إذا مروا على جدث أرشده الله من غاز وقد رشدا

وذات فرع بكسر الفاء وسكون الراء وغين معجمة أي واسعة يسيل دمها، والزبد محركة رغوة الدم، قاله الزرقاني. وقوله تنفذ الأحشاء يقال نفذه كنصره خرقه كأنفذه ورشد كفرح ونصر. ولما ودع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عبد الله بن رواحة قال:

أنت الرسول فمن يحرم نوافله والوجه منه فقد أرزى به القدر
فثبت الله ما أتاك من حسن في المرسلين ونصرا كالذي نصروا
إني تفرست فيك الخير نافلة فراسة خالفت فيك الذي نظروا

وقوله نظروا يعني المشركين، قاله الكلاعي، وفي الزرقاني انه حين اهـ إلى قوله فثبت الله قال له صلى الله تعالى عليه وسلم وأنت فثبتك الله يابن رواحة. وحدث زيد بن أرقم قال: كنت يتيما لعبد الله بن رواحة فخرج بي في سفره ذلك مردفي على حقيبة رحله فوالله إنه ليسير ليلة إذ سمعته ينشد أبياته هذه:

إذا أديتني وحملت رحلي مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك فانعمي فخلاك ذم ولا أرجع إلى أهلي وراء
وجاء المسلمون وغادروني لأرض الشام مشتهي الثواء
هنالك لا أبالي طلع بعل ولا نخل أسافلها رواء

قوله خلاك ذم أي فارقك الذم، فلست بأهل له ومشتهي الثواء أي الاقامة، أي لا أريد رجوعا والبعل الذي يشرب بعروقه من رطوبة الأرض؛ قال فلما سمعتهن بكيت فخفقني بالدرة وقال ما عليك يا لكع ان يرزقني الله الشهادة وترجع بين شعبتي الرحل، قوله فخفقني أي ضربني، والدرة بالكسر التي يضرب بها، ثم مضى القوم حتى نزلوا معان بضم الميم على ما صوبه الوقشي وغيره. ونقل مغلطاي فتحها عن البكري ونقل عنه الروض ضمها بعين مهملة فألف فنون وهو جبل بالشام، وبلغ المسلمين أن هرقل نزل مئاب بفتح الميم من أرض البلقاء

فى مائة ألف من الروم وانضم إليهم من لخم وجذام وبهراء وبلي مائة ألف منهم عليهم رجل من بلي يقال له مالك بن رافلة فأقام المسلمون ليلتين على معان لينظروا فى أمرهم وقالوا نكتب إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونخبره الخبر فإما أن يمدنا بالرجال وإما أن يأمرنا بأمر فنمضي له، فشجعهم عبد الله بن رواحة وقال يا قوم والله ان التي تكرهون لا التي خرجتم إياها تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله تعالى به فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنين إما ظهور وإما شهادة، فقال الناس قد والله صدق ابن رواحة. وقال ابن رواحة فى محبسهم ذلك:

جلبنا الخيل من أجإ وفرع ... تغر من الحشيش لها العكوم
حذوناها من الصوان سبتا ... أزل كأن صفحته أديم
فقامت ليلتين على معان ... فأعقب بعد فترتها جموم
فرحنا والجياد مسومات ... تنفس فى مناخرها السموم
فلا وأبي مئاب لنأتينها ... وإن كانت بها عرب وروم
فعبأنا أعنتها فجاءت ... عوابس والغبار لها بريم
بذي لجب كأن البيض فيه ... إذا برزت قوانسها النجوم
فراضية المعيشة طلقتها ... أسنتها فتنكح أو تئيم

وفرع بالضم موضع من أضخم أعراض المدينة، وقوله تغر السهيلي تغر بالراء أي يجمع بعضها إلى بعض والصوان فعال من الصون لأنه يصون حوافرها أي اتخذنا لها نعالا من حديد وجعلها سبتا لها مجازا وأظهر من هذا ان يكون أراد بالصوان يبيس الأرض أي لا سبت لها إلا ذلك ووزنه فعلان من قولهم نخلة صاوية أي يابسة والجموح الراحة والبريم خيط تحتزم به المرأة وقوله فراضية المعيشة أي المعيشة المرضية لأن أهلها راضون كذا رأيته معزوا للسهيلي، وقوله مسومات أي مضمرات حسان أو معلمة فى وجوهها شية من السمت وهي العلامة وعليه فقيل العلامة هي الغرة والتحجيل وقيل الكي والله أعلم.

وفسرت في الآية بهذين وغيرهما كما في الريان للوالد رضي الله تعالى عنه والقوانس جمع قونس وهو أعلى بيضة الحديد وعبأنا هيأنا والسموم الريح الحارة واللجب الصوت والسبت بالكسر جلود البقر أو كل جلد مدبوغ أو بالقرظ انتهى من القاموس.

ثم مضى المسلمون إلى مؤتة فجاءهم من جموع العرب والروم ما لا طاقة لهم به من العدد الزائد على مائتي ألف والعدد بضم العين من السلاح والكراع بضم الكاف وهو جماعة الخيل خاصة والحرير والذهب إظهارا للشدة والقوة، بكثرة الأموال وآلات الحرب وفي هذا فرط شجاعة الصحابة وعدم مبالاتهم بأنفسهم لأنهم باعوها لله إذ أقدام ثلاثة آلاف على أكثر من مائتي ألف أصحاب حروب إنما هو لما وقر في قلوبهم: {إنا لننصر رسلنا} (الآية) {وإن جندنا لهم الغالبون}، فتعبأ المسلمون فجعلوا على ميمنتهم قطبة بن قتادة العذري وعلى الميسرة عناية بن مالك الأنصاري قال في المواهب فقاتل الأمراء الثلاثة يومئذ على أرجلهم، قال الزرقاني قد يشعر تخصيصهم أن من عداهم قاتلوا على حالهم التي كانوا عليها من مشي أو ركوب فحمل اللواء زيد بن حارثة فقاتل وقاتل المسلمون معه حتى قتل طعنا بالرماح، ثم أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب فقاتل على فرسه حتى ألحمه القتال، فنزل عن فرس له شقراء فقاتل حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة كما لابن هشام قال اليعمري أو أربع وثلاثين ولابن عبد البر أن سنه إحدى وأربعون ضربه رجل من الروم ضربة فقطه نصفين. وفي رواية للبخاري أيضا عن ابن عمر ووجدنا في جسده بضعا وتسعين من طعنة ورمية.

وللبخاري أيضا عن ابن عمر فعددت به خمسين بين ضربة بالسيف وطعنة برمح ليس منها شيء في دبره يعني ظهره وجمع بينهما بأن الزيادة باعتبار ما فيه من رمي السهام فإن ذلك لم يذكر في رواية أخرى.

والخمسون ليس منها شيء في دبره أي ظهره والباقي قد يكون في بقية جسده، ولا يستلزم ذلك أنه ولاهم دبره وإنما هو محمول على ان الرمي جاء من جهة قفاه أو جانبه.

وفي رواية لأبي داوود وغيره أن جعفرا عقر فرسه وعقر بفتح العين

المهملة والقاف وبالراء أي ضرب قوائمها وهي قائمة بالسيف وفي رواية فعرقبها، قال ابن اسحاق فكان جعفر أول مسلم عقر في الإسلام قال في الروض ولم يعب ذلك عليه أحد فدل على جوازه إذا خيف أن يأخذها العدو فيقاتل عليها المسلمين فلم يدخل هذا في النهي عن تعذيب البهائم وقتلها عبثا وهذا حديث حسن وفي بقيته انه قتل وهو يقول:

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وباردا شرابها
والروم روم قد دنى عذابها كافرة بعيدة أنسابها
علي إذ لاقيتها ضرابها

وقطعت يده في تلك الوقعة وذلك انه أخذ اللواء بيمينه فقطعت فأخذه بشماله فقطعت فاحتضنه بعضديه ثم قتل فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء أخرجه ابن عبد البر.

قال محمد بن عبد الباقي والمقصود ان الله أكرمه بذلك في مقابلة قطعهما فلا يستلزم عدم رد يديه بل بعد ردهما أعطاه الجناحين وأخرج الطبراني عن عبد الله بن جعفر الشبيه خلقا وخلقا كأبيه قال قال لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هنيئا لك أبوك يطير مع الملائكة في السماء. وروي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال مر بي جعفر الليلة في ملإ من الملائكة وهو مخضب الجناحين بالدم واختلف في أن الجناحين حقيقيان وهو المختار وروي عن البخاري أنه قال يقال لكل ذي ناحيتين جناحان، قال الحافظ لعله أراد بهذا حمل الجناح على المعنوي دون الحسي وجرى عليه السهيلي فقال ليسا كما يسبق الى الوهم كجناحي الطائر وريشه لأن الصورة الآدمية أشرف الصور وأكملها فالمراد بالجناحين صفة ملكية وقوة روحانية اعطيها جعفر، وقد عبر القرآن عن العضض بالجناح توسعا في قوله: {واضمم يدك إلى جناحك} وقد قال العلماء في أجنحة الملائكة أنها صفات ملكية لا تفهم إلا بالمعاينة. فقد ثبت أن لجبريل عليه السلام ست مائة جناح ولا يعهد للطير ثلاثة أجنحة فضلا عن أكثر من ذلك. قال فدل على أنها صفات لا تنضبط كيفيتها ولا ورد ببيانها خبر فنؤمن بها من غير بحث عن

حقيقتها انتهى.
قال الحافظ في الفتح ولا مانع من الحمل على الظاهر، وكون الصورة البشرية أشرف من الصور لا يمنع من حمل الخبر على ظاهره لأن الصورة باقية كما هي وإعطاء الجناحين مضموما إلى عود يديه يصيره في المنظر أتم من حال بقية نوع الإنسان فالأجنحة له كالزينة والحلي لمن تحلى وتزين وروى البيهقي مرسلا أن جناحي جعفر من ياقوت فهو صريح في ثبوتهما له حقيقة وأنه ليس من جنس أجنحة الطير التي هي من ريش فهذا يرد قوله أنها صفة ملكية وجاء في جناحي جبريل أنهما من لؤلؤ أخرجه ابن مندة بفتح الميم وقد قال بعض العلماء أن هذا التأويل لا يليق مثله بالإمام السهيلي بل هو أشبه بكلام الحشوية ولا ينكر الحقيقة إلا من ينكر وجود الملائكة وقال تعالى {أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع} انتهى من الزرقاني.
ولما قتل جعفر أخذ اللواء عبد الله بن رواحة ثم تقدم وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ثم قال:

أقسمت يا نفس لتنزلنه ... لتنزلن أو لتكرهنه
ان أجلب الناس وشدوا الرنه ... ما لي أراك تكرهين الجنه
قد طالما قد كنت مطمئنه ... هل انت إلا نطفة في شنه

وقال أيضا:

يا نفس إلا تقتلي تموتي ... هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت ... إن تفعلي فعلهما هديت
وإن تأخرت فقد شقيت

يعني صاحبيه زيدا وجعفرا.
ثم نزل فأتاه ابن عم له يعرف بعرق من لحم فقال شد بهذا صلبك فإنك قد لقيت أيامك هذه ما لقيت فانتهش منه نهشة ثم سمع الحطمة في ناحية الناس فقال وانت في الدنيا ثم ألقاه من يده فأخذ سيفه فقاتل حتى قتل.
وذكر ابن أبي جمرة أنه قال أي نفس إلى أي شيء تتوقين إلى فلانة فهي طالق وفلان وفلان غلمان له فهم أحرار وإلى معجب حائط له فهو لله ورسوله ثم قاتل حتى قتل رضي الله عنهم أجمعين انتهى.

قال سعيد بن أبي هلال بلغني أنهم دفنوا زيدا وجعفرا وابن رواحة في حفرة واحدة وفي الصحيح وما يسرهم أنهم عندنا أي لما رأووا من فضل الشهادة ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم بفتح الهمزة وسكون القاف وبالراء والميم البلوي البدري حليف بني العجلان بطن من الأنصار فقال يا معشر المسلمين أصطلحوا علي رجل منكم قالوا أنت لها، قال ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية دافع القوم ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس. وفي الصحيح أخذ الراية سيف من سيوف الله تعالى حتى فتح الله علي يديه، وفي رواية ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء وهو أمير نفسه ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم انه سيف من سيوفك فأنت تنصره، فمن يومئذ يسمى سيف الله.

وفي المواهب وشرحها وانكشف الناس فكانت الهزيمة فتبعهم المشركون فقتل من قتل من المسلمين وعدد من قتل منهم اثنا عشر رجلا الأمراء الثلاثة ومسعود بن الأسود وهو من بني عدي بن كعب ووهب بن سعد بن أبي سرح وهو من بني مالك بن حسل وعباد بن قيس الخزرجي والحارث بن النعمان وسراقة بن عمرو النجاريان وأبو كليب وجابر ابنا عمرو بن زيد بن عوف وعمرو وعامر ابنا سعد بن الحارث وزاد ابن الكلبي والبلاذري هويجه الضبي وهو بفتح الهاء وسكون الواو وفتح الموحدة فجيم فهاء تأنيث وروي أنه لما قتل فقد جسده وفي هذا من مزيد عناية الله تعالى بالمسلمين ما لا يخفى إذ عدتهم ثلاثة آلاف وقاتلوا أكثر من مائتي ألف سبعة أيام، ولم يقتل منهم إلا ثلاثة عشر كذا ذكر ابن سعد وغيره أن الهزيمة كانت على المسلمين وقال الحاكم قاتلهم خالد بن الوليد فقتل منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة وكانت الهزيمة على المشركين وهذا ظاهر حديث الصحيح كما مر قريبا، وفيه أيضا عن خالد لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف فما بقي في يدي إلا صفحة يمانية بتخفيف الياء وحكي شدها. وقال ابن اسحاق انحازت كل طائفة عن الأخرى من غير هزيمة، قال اليعمري وهو المختار لكن قال الشامي وافق ابن اسحاق شرذمة لكنه خلاف ظاهر قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ففتح على يديه والأكثرون على أن خالد والمسلمين

قاتلوا المشركين حتى هزموهم، وفي حديث ابي عامر ان خالدا لما حمل اللواء حمل على القوم فهزمهم أسوأ هزيمة حتى وضع المسلمون أسيافهم حيث شاؤوا ونحوه عن الزهري وابن عقبة وابن عائذ وعروة وغيرهم، وقال في الفتح اختلف أهل النقل في المراد بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى فتح الله عليهم هل كان هناك هزيمة للمشركين أو المراد بالفتح انحياز المسلمين حتى رجعوا سالمين انتهى المراد منهما. وقال الامام ابن ابي جمرة اختلف العلماء في عسكر المسلمين هل كانت الهزيمة عليهم أو على المشركين فحكى ابن سعد أنها كانت على المسلمين إلى أن قال وذهب جماعة ان الهزيمة كانت على المشركين وهو الأقرب ورجحه البيهقي.

وعن العطاف بن خالد لما قتل ابن رواحة مساء بات خالد فلما أصبح جعل مقدمته ساقته وساقته مقدمته وميمنته ميسرته وميسرته ميمنته فأنكروا ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيأتهم وقالوا قد جاءهم مدد فرعبوا وانكشفوا منهزمين فقتل منهم مقتلة لم يقتلها قوم، وكذا ذكر موسى بن عقبة. وذكر ابن اسحاق ان قطبة بن قتادة العذري وكان رأس ميمنة المسلمين قتل مالك بن رافلة ويقال رافلة البلوي وهو أمير عرب النصارى فقال يفتخر:

طعنت ابن رافلة بن الأرش برمح مضي فيه ثم انحطم

ثم قال:

وسقنا نساء بني عمه غداة رقوقين سوق الغنم

وفيه التصريح بأنهم سبوا نساءهم وبعد البيت الأول:

ضربت على صيره جيده

فمال كما مال غصن السلم

والصير جانب الشيء وطرفه وضميره للجيد والله أعلم. أي ضربت جيده على جانبه. ولما أصيب القوم قال صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيدا ثم اخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيدا ثم صمت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى تغيرت وجوه الأنصار وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة ما يكرهون ثم قال صلى الله تعالى عليه وسلم، ثم أخذها عبد الله بن

رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيدا ثم قال لقد رفعوا لي في الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازورارا عن سريري صاحبيه فقلت عم هذا؟ فقيل لي مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى وذكر ابن عقبة ان يعلى ابن أمية الحنظلي حليف قريش وأمه منية بضم الميم وسكون النون وفتح التحتية الخفيفة وبها اشتهر وبأبيه معا وقيل هي أم أبيه وهي أم العوام والد الزبير قاله الزرقاني وهو الذي قدم بخبر أهل مؤتة فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان شئت فأخبرني وإن شئت أخبرتك. قال أخبرني فأخبره خبرهم كله فقال والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا فلم تذكره. فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله رفع لي الأرض حتى رأيت معركتهم.

وللطبراني عن ابي اليسر بفتح التحتية والمهملة كعب بن عمر السلمي بفتحتين البدري ان أبا عامر الأشعري هو الذي أخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمصابهم. وقال حسان يبكيهم:

تأوبني ليل بيثرب أعسر … وهم إذا ما نوم الناس مسهر

لذكرى حبيب هجيت لي لوعة … سفوحا وأسباب البكاء التذكر

بلي ان فقدان الحبيب بلية … وكم من كريم يبتلى ثم يصبر

رأيت خيار المسلمين تواردوا … شعوب وخلفا بعدهم يتأخر

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا … بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر

وزيد وعبد الله حين تتابعوا … جميعا وأسباب المنية تخطر

غداة مضوا بالمومنين يقودهم … إلى الموت ميمون النقيبة ازهر

أغر كضوء البدر من آل هاشم … أبي إذا سيم الظلامة مجسر

فطاعن حتى مال غير موسد … بمعترك فيه قنى متكسر

فصار مع المستشهدين ثوابه … جنان وملتف الحدائق أخضر

وكنا نرى في جعفر من محمد … وفاء وأمرا حازما حين يأمر

وما زال في الإسلام من آل هاشم … دعائم عز لا يزلن ومفخر

بهاليل منهم جعفر وابن أمه … علي ومنهم أحمد المتخير

وحمزة والعباس منهم ومنهم … عقير وماء العود من حيث يعصر

بهم تفرج اللواء في كل مأزق … عماس إذا ما ضاق بالناس مصدر

هم أوليـــاء الله أنزل حكمـــه عليهم وفيهم ذو الكتاب المطهر

وشعوب بفتح المعجمة المنية، والمظلمة بكسر اللام وكثمامة ما تظلمه الرجل قاله في القاموس، والبهاليل جمع بهلول بالضم وهو الوضيئ الوجه مع طول، والمأزق المضيق من مضايق الحرب والعماس كسحاب المظلم.

وقال كعب بن مالك:

نام العيون ودمع عينيك يهمل سحا كما وكف الطباب المخضل

في ليلة وردت علي همومها طورا أحن وتارة أتململ

واعتادني حزن فبت كأنني ببنات نعش والسماك موكل

وكأن ما بين الجوانح والحشا مما تأوبني شهاب مدخل

وجدا على النفر الذين تتابعوا يوما بمؤتة اسندوا لم ينقلوا

صلى الإله عليهم من فتية وسقى عظامهم الغمام المسبل

صبروا بمؤتة للإله نفوسهم حذر الردى ومخافة أن ينكل

فمضوا أمام المسلمين كأنهم فنق عليهن الحديد المرفل

إذ يهتدون بجعفر ولوائه قدام أولهم فنعم الأول

حتى تفرجت الصفوف وجعفر حيث التقى وعث الصفوف المجدل

فتغير القمر المنير لفقده والشمس قد كسفت وكادت تأفل

قرم علا بنيانه من هاشم فرعا أشم وسؤدد ما ينقل

قوم بهم عصم الإله عباده وعليهم نزل الكتاب المنزل

إلى أن قال:

بيض الوجوه ترى بطون اكفهم تندى إذا اعتذر الزمان الممحل

وبهديهم رضي الإله لخلقه وبجدهم نصر النبي المرسل

وهمل دمعه كضرب، ونصر فاض، والطباب بكسر الطاء المهملة جمع طبابة وهي سير بين خرزتين في المزادة فإذا كان غير محكم وكف منه الماء والخنين بالمعجمة حنين ببكاء فإذا كان بالمهملة فليس معه بكاء (أنظر الروض) وأسندوا بالنون وروي بهمزة بعد السين من الإسناد وهو الاسراع في السير وصبروا حبسوا والفنق جمع فنيق وهو الفحل والمرفل السابغ الضافي وقوله فتيغر القمر قال السهيلي قوله حق لأنه إن كان عن رسول الله الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجعله قمرا فقد

كان تغير بالحزن لفقد جعفر وان أراد القمر نفسه فإنه حق أيضا لأن المفهوم منه تعظيم المصاب كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم أما أبو الجهم فلا يضع العصا عن عاتقه أراد شدة تأديب الأهل وتأفل بتثليث الفاء أي تغيب ماضيه كضرب ونصر وعلم وقوله وبجدهم روي بالحاء المهملة أيضا أي شجاعتهم وإقدامهم.

ثم بعد مؤتة غزوة فتح مكة زادها الله تعالى تشريفا وتعظيما. قال ابن أبي جمرة وكانت في رمضان سنة ثمان، وكان المسلمون عشرة آلاف وقال الزهري وعروة اثنى عشر ألفا انتهى المراد منه.

وقال في الإكتفاء غزوة الفتح. وأقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد بعثه إلى مؤتة جماد الأخيرة ورجب ثم عدت بنو بكر بن عبد منات بن كنانة على خزاعة انتهى المراد منه.

وقال في المواهب ممزوجا ببعض كلام الزرقاني ثم فتح مكة زادها الله تعالى شرفا وهو كما قال العلامة بن القيم في زاد المعاد في هدي خير العباد الفتح الأعظم الذي أعز الله به دينه ورسوله وجنده وحرمه الأمين واستنقذ به بلده وبيته الذي جعله هدى للعالمين من أيد الكفار والمشركين والإضافة للتشريف وقوله جعله هدى للعالمين أي هاديا لهم لأنه قبلتهم ومتعبدهم وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء ودخل الناس في دينه أفواجا أي جماعات وأشرق به وجه الأرض ضياء وابتهاجا أي سرورا، والاطناب جمع طنب بضمتين وهو حبل الخباء شبه العز بالخباء المتين وأثبت له الأطناب تخييلا والجوزاء يقال انها تعرض في جوز السماء أي وسطها خرج إليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للتين خلتا من رمضان كما رواه أحمد بسند صحيح وهو أصح مما قال الواقدي انه خرج لعشر ليال خلون منه وليس بقوي وروى البيهقي عن الزهري انه صبح مكة لثلاث عشرة ليلة خلت منه وروي عن الزهري أيضا أنه قال لا أدري أخرج في شعبان فاستقبل رمضان أو خرج في رمضان بعدما دخل وعند مسلم أنه دخل مكة لست عشرة ولأحمد لثمان عشرة وجمع بينهما بحمل إحداهما على ما مضى والأخرى على ما بقي. وسبب خروجه نقض العهد الذي وقع في الحديبية وذلك ان الصلح وقع على ان من أحب ان

يدخل في عهده صلى الله تعالى عليه وسلم دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عهد قريش دخل فيه، فدخلت بنو بكر في عقد قريش ودخلت خزاعة في عقده صلى الله تعالى عليه وسلم وكانت خزاعة حلفاء عبد المطلب وكان عليه السلام عارفا بذلك وجاءته خزاعة يومئذ بكتاب عبد المطلب فقرأه عليه أبي بن كعب وهو باسمك اللهم هذا حلف عبد المطلب بن هشام لخزاعة إذا قدم عليه سرواتهم وأهل الرأي غائبهم يقر بما قاضى عليه شاهدهم ان بيننا وبينكم عهود الله وعقوده وما لا ينسى أبدا اليد واحدة والنصر واحد ما أشرف ثبير وثبت حراء وما بل بحر صوفة ولا يزداد فيما بيننا وبينكم إلا تجددا أبد الدهر سرمدا. فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ما أعرفني بحلفكم وأنتم على ما أسلمتم عليه من الحلف وكل حلف كان في الجاهلية فلا يزيده الاسلام إلا شدة ولا حلف في الإسلام انتهى.

والحلف المنهي عنه ما كان على الفتن والقتال والغارات والذي قواه الاسلام ما كان على نصر المظلوم وصلة الأرحام ونصرة الحق وكان بين بني بكر وخزاعة حروب في الجاهلية وذلك أن مالك بن عباد من بن الحضرمي خرج تاجرا فعدا عليه خزاعة فقتلوه وأخذوا ماله وكان حليف للأسود بن رزن بفتح الراء وكسرها فزاي ساكنة وتفتح فنون فعدت بنو بكر على خزاعي فقتلوه حمية للأسود فعدت خزاعة على بني الأسود وهم ذؤيب وسلمى بفتح السين وكلثوم فقتلوهم بعرفة عند انصاب الحرم فبينما هم كذلك بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتشاغلوا عن ذلك فلما كانت الهدنة خرج نوفل بن معاوية وهو يومئذ قائد بني الديل من بني بكر في بني الديل حتى بيت خزاعة على ماء عندهم بأسفل مكة يقال له الوتير بفتح الواو وكسر الفوقية وسكون التحتية آخره راء قال السهيلي وهو في كلام العرب الورد الأبيض سمي به الماء فأصاب منهم رجلا يقال له منبه وكان ضعيف الفؤاد وكان معه رجل يقال له تميم فقال له منبه يا تميم أنج بنفسك فوالله إني لميت قتلوني أو تركوني لقد انبت فؤادي فأفلت تميم وأدركوا منبها فقتلوه واستيقظت خزاعة فاقتتلوا فلما انتهوا الى الحرم قالت بنو بكر يا نوفل إنا قد دخلنا الحرم إلهك إلهك، فقال كلمة عظيمة لا إله له يا بني

بكر، أصيبوا ثأركم وأمدت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل بعضهم معهم ليلا في خفية منهم صفوان بن أمية وعثمان بن شيبة وسهيل بن عمر وحويط بن عبد العزاى ومكرز بن حفص، فلما دخلوا مكة لجأت خزاعة إلى دار بديل بن ورقاء الخزاعي ودخلت رؤساء قريش منازلهم وهم يظنون أنهم لا يعرفون وأن هذا لا يبلغه عليه الصلاة والسلام وأصبحت خزاعة مقتولين علي باب بديل فقال سهيل لنوفل قد رأيت الذي صنعنا بك وبمن قتلت من القوم وقد حصرتهم تريد قتل من بقي وهذا ما لا نطاوعك عليه فاتركهم، فتركهم، وندمت قريش على ما صنعوا وعرفوا أنه نقض للعهد.

فائدة:

الديل بكسر الدال المهملة وسكون الياء كما قاله الكسائي وأبو عبيدة وغيرهما وقال الأصمعي وسيبويه وأبو حاتم وغيرهم هو بضم الدال وكسر الهمزة وإنما فتحت في النسب كما فتحت ميم النمر في النمري ولام سلمة في السلمي فراراً من توال الكسرات وكان عيسى بن عمر ويونس وغيرهما يكسرونها في النسب. قال الأصمعي وهو شاذ وهو الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وقول الشامي بكسر الدال وسكون الهمزة وتسهيل فيه نظر لأن الذين قالوا بكسر الدال إنما قالوا بعدها تحتية لا همزة والذين قالوا همزة إنما قالوا بكسرها والدال مضمومة نقلها العلامة الزرقاني.

ولما انقضى القتال خرج عمرو بفتح العين وقيل بضمها بن سالم الخزاعي في أربعين راكبا من خزاعة فقدموا عليه صلى الله تعالى عليه وسلم يخبرونه بما أصابهم ويستنصرونه فقام صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يجر رداءه ويقول لا نصرت ان لم أنصركم بما أنصر به نفسي. وفي المعجم الكبير عن ميمونة قالت بات عندي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة فسمعته يقول في متوضئه لبيك لبيك لبيك، ثلاثا، نصرت نصرت نصرت ثلاثا، فلما خرج قلت يا رسول الله سمعتك تقول في متوضئك لبيك لبيك لبيك ثلاثا، نصرت نصرت نصرت ثلاثا، كأنك تكلم إنسانا؟! فقال هذا راجز بني كعب يستصرخني

ويزعم ان قريشا أعانت عليهم بني بكر ففي أخباره به قبل قدومه علم من اعلام النبوءة وفي آخر الحديث فأقمنا ثلاثا ثم صلى عليه السلام بالناس صبح اليوم الثالث فسمعت الراجز ينشده:

يا رب إني إلخ.. والرجز المذكور هو قوله:

يا رب إني ناشد محمدا

حلف أبينا وأبيه الأتلدا	قد كنتم ولدا وكنا والدا
ثمت أسلمنا ولم ننزع يدا	فانصر هداك الله نصرا أيدا
ودع عباد الله ياتو مددا	فيهم رسول الله قد تجردا
أبيض مثل البدر يسمو صعدا	إن سيم خسفا وجهه تربدا
في فيلق كالبحر يجري مزبدا	إن قريشا أخلوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا	وجعلوا لي فيك داء رصدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا	وهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا	وقتلونا ركعا وسجدا

يقول قتلونا وقد أسلمنا. فقال صلى الله تعالى عليه وسلم نصرت. ثم عرض عنان من السماء، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب. قاله الكلاعي والعنان بفتح المهملة ونونين بينهما ألف السحاب، قوله ناشد أي طالب ومذكر، وحلف بكسر المهملة وسكون اللام مناصرة، والأتلد أي الأقوم مما بيننا وبينه صلى الله تعالى عليه وسلم وقول الشامي أي القديم لا يناسب أفعل التفضيل وولد بضم الواو وسكون اللام لغة في ولد وذلك ان ولد بني عبد مناف أمهم من خزاعة وكذلك أم قصي وثمت حرف عطف أدخل عليها تاء التأنيث ونصرا أيدا قويا مستمرا. وروي نصر اعتدا بفتح المهملة وكسر الفوقية أي حاضرا مهيئا ومددا بفتحتين جيوشا ينصروننا وقوله فيهم رسول الله أتى به لدفع توهم أنه يبعث سرية وتجرد روي بمهملة أي غضب وبجيم أي شمر وتهيأ لحربهم وسيم مبني للمفعول وخسفا بفتح المعجمة وضمها أي أولى ذلا وتربد تغير وصعدا بضمتين والفيلق كصيقل الجيش وميثاقك: عهدك، والموكدا أي بالكتب والاشهاد ولست بضم التاء وروي بفتح التاء مع التاء في تدعوا وبيتونا أي قصدونا ليلا من غير علم، وهجدا نوما، جمع هاجد. قال السهيلي

وأسلمنا من السلم لأنهم لم يكونوا آمنوا بعد انتهى.
وتأوله بعضهم بأنهم حلفاء الذين يركعون ويسجدون ولا يخفى بعده.
وفي رواية غير زياد هم قتلونا بصعيد هجدا. نتلوا القرآن ركعا وسجدا. وهذا يبطل التأويل انتهى من الزرقاني.
وقوله ان اعتدا بكسر التاء هو بالتحريك أيضا كما في القاموس وكداء كسماء جبل بأعلى مكة وهو الذي دخل منه صلى الله تعالى عليه وسلم مكة يوم الفتح وأما بالضم والقصر فهو جبل بأسفلها وهو الذي دخل منه خالد ومن معه ومده البوصيري ضرورة في قوله وأكدى عند اعطائه القليل كداء، قاله شراحه، ورصده رقبه، والرصد محركة الراصدون، وروى الواقدي انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال كأنكم بأبي سفيان قد جاء يقول جدد العهد وزدني في المدة وهو راجع بسخطه ومشى الحارث بن هشام وعبد الله بن أبي ربيعة إلى أبي سفيان فقالا لئن لن يصلح هذا الأمر لا يروعكم إلا محمد في أصحابه فقال أبو سفيان قد رأت هند بنت عتبة رؤيا كرهتها وخفت من شرها، قالوا وما هي؟ قال رأت دما أقبل من الحجون يسير حتى وقف بالخندمية مريا ثم كان ذلك الدم كأن لم يكن فكرهوا الرؤيا فقال أبو سفيان هذا أمر لم نشهده ولم أغب عنه لا يحمل إلا علي والله ما شورت فيه ولا هويته حين بلغني ليغزوننا محمد إن صدقني ظني وهو صادقي وما بد في أن آتي محمدا فأكلمه. فقالت قريش أصبت فخرج ومعه مولى له على راحلتين وقدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخل على بنته أم حبيبة فذهب ليجلس على فراشه صلى الله تعالى عليه وسلم فطوته عنه وقالت انت رجل مشرك نجس، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، قال والله يا بنية لقد أصابك بعدي شر ثم أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيئا، فذهب إلي أبي بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، قال ما أنا بفاعل. فأتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال أنا أشفع لكم والله لو لم أجد إلا الذر لجالدتكم به ما كان من حلفنا جديدا فأخلقه الله وما كان متينا فقطعه الله وما كان منه مقطوعا فلا وصله الله ثم أتى عليا وعنده فاطمة وعندها حسن غلام يدب بين

يديها فقال يا علي إنك أمس القوم بي رحما وإن قد جئت في حاجة فلا أرجع كما جئت خائبا فاشفع لي فقال علي ويحك يا أبا سفيان والله لقد عزم صلى الله تعالى عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه، فالتفت إلي فاطمة فقال يا بنت محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هل لك ان تأمري بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر. قالت والله ما بلغ بني ان يجير بين الناس وما كان يجير أحد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. فقال لعلي يا أبا حسن إني أرى الأمور قد اشتدت علي فانصحني. قال والله ما أعلم شيئا يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فأجر بين الناس ثم إلحق بأرضك. فقال أو ترى ذلك مغنيا عني شيئا؟ قال لا والله ما أظنه ولكن لا أجد لك غير ذلك. فقام أبو سفيان فقال أيها الناس اني قد أجرت بين الناس ثم ركب بعيره فلما قدم علي قريش قالوا وما وراءك؟ قال جئت محمدا فكلمته فوالله ما رد علي شيئا ثم جئت ابن أبي قحافة فلم أجد فيه خيرا، ثم جئت ابن الخطاب فوجدته أدنى العدو، وفي لفظ أعدى العدو، ثم أتيت عليا فقال أنت سيد بني كنانة فأجر بين الناس، فناديت بالجوار، قالوا هل أجاز ذلك محمد، قال لا. قالوا رضيت بغير رضا وجئت بما لا يغني عنا ولا عنك شيئا، والله ما زاد علي على أن لعب بك. فقال والله ما وجدت غير ذلك.

قال في المواهب فتجهز رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من غير إعلام أحد بذلك، قال الزرقاني أي أولا فلا ينافي ما عند ابن إسحاق وغيره أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، أعلم الناس أنه سائر إلي مكة وأمرهم بالجد والتهيأ وقال اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها، فتجهز الناس وبغته كمنع فاجأه، وقال حسان يحرضهم ويذكر مصاب رجال خزاعة:

عناني ولم أشهد ببطحاء مكة	رجال بني كعب تحز رقابها
بأيدي رجال لم تسل سيوفهم	وقتلى كثير لم تجس ثيابها
ألا ليت شعري هل تنالن نصرتي	سهيل بن عمر وحرها وعقابها
فلا تأمننا يا ابن أم مجالد	اذا احتلبت صرفا واعضل نابها
فلا تجزعوا منها فإن سيوفنا	لها وقعة بالموت يفتح بابها

قوله عناني: عناه الأمر يعنيه ويعنوه أهمه وقوله بأيدي رجال يعني قريشا وابن ام مجالد عكرمة بن أبي جهل، فكتب حاطب بن أبي بلتعة بموحدة مفتوحة ولام ساكنة ففوقية فعين مهملة مفتوحتين عمر بن عمير اللخمي حليف بني أسد اتفقوا على شهوده بدرا كتابا وأرسله إلي مكة يخبر بذلك مع امرأة استأجرها سماها ابن اسحاق سارة والواقدي كنود قيل كانت مولاة للعباس وقيل مولاة عمرو بن هاشم بن المطلب فأطلع الله تعالى نبيه على ذلك فقال عليه السلام لعلي والزبير والمقداد كما أخرجه الشيخان عن علي وللبخاري عن علي أيضا بعثني وأبا مرثد الغنوي والزبير وكلنا فارس قال الحافظ يحتمل ان الثلاثة كانوا معه فذكر أحد الراويين عنه ما لم يذكره الآخر ولم يذكر ابن اسحاق مع علي والزبير أحدا فالذي يظهر أنه كان مع كل منهما آخر تبعا له، فقال عليه السلام انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ بخاءين معجمتين بينهما ألف على بريد من المدينة فإن بها ظعينة أي امرأة في هودج معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين فخذوه منها. قال علي فانطلقنا تعادي بنا خيلنا بحذف إحدى التاءين أي تجري حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة، ولابن اسحاق من مرسل عروة فأدركاها بالخليقة خليقة بني أحمد بقاف وخاء معجمة كسفينة منزل على اثنين وعشرين ميلا من المدينة ولابن عقبة أدركاها ببطن ريم بكسر الراء وسكون التحتية وبالهمز وبالميم واد بالمدينة فيحتمل أن الروضة اسم لمكان يشتمل عليهما وإلا فما في الصحيح أصح. قاله العلامة الزرقاني. قال فقلنا أخرجي بهمزة قطع الكتاب. قالت ما معي كتاب. فأنخناها فالتمسنا فلم نر كتابا، فقلنا ما كذب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بفتحتين؛ وللأصيلي بضم الكاف وكسر المعجمة مخففة، قلنا لتخرجن الكتاب بضم الفوقية وكسر الراء والجيم أو لنلقين الثياب بضم النون وكسر القاف، وللأصيلي بضم الفوقية وحذف التحتية فأخرجته، من عقاصها بكسر المهملة الخيط الذي تعتقص به أطراف الذوائب. وقال المنذري هو لي الشعر بعضه على بعض على الرأس وتدخل أطرافه في أصوله وقيل هو السير الذي تجمع به شعرها على رأسها، فأتينا به أي بالكتاب، رسول الله صلى الله تعالى عليه

وسلم، فإذا فيه من حاطب بن ابي بلتعة الى ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. فقال يا حاطب ما هذا؟ قال يا رسول الله لا تعجل علي. ولابن اسحاق أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت إني كنت امرءا ملصقا بضم الميم وفتح الصاد في قريش أي مضافا لهم أي كنت حليفا وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم فأحببت إذ فاتني ذلك أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي ولم أفعله ارتدادا عن ديني ولا رضى بالكفر بعد الإسلام. فقال صلى الله تعالى عليه وسلم أما إنه قد صدقكم. زاد البخاري في بدر لا تقولوا له إلا خيرا فقال عمر يا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، فدمعت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم.

قوله لعل الله ورسوله إلخ قال النووي هذا الترجي راجع إلي عمر لأن وقوع هذا الأمر محقق عند الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى.

وفي الفتح هي بشارة عظيمة لم تقع لغيرهم وقد قال العلماء الترجي في كلام الله وكلام الرسول للوقوع وعند أحمد وأبي داوود بالجزم بلفظ ان الله اطلع على أهل بدر واتفقوا ان هذه البشارة فيما يتعلق بأحكام الآخرة لا بأحكام الدنيا من إقامة الحدود وغيرها فأنزل الله تعالى في حاطب {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة} إلى قوله: {قد كانت لكم اسوة حسنة في إبراهيم والذين معه} قال في الفتح وإنما قال عمر دعني يا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اضرب عنق هذا المنافق مع تصديق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لحاطب فيما اعتذر به ونهيه أن يقال له إلا خيرا فيما كان عند عمر من الشدة في الدين وبغض المنافقين فظن أن من خالف ما أمر به عليه السلام من اخفاء مسيره عن قريش يستحق القتل لكنه لم يجزم به فلذلك استأذن في قتله ولو جزم به لما استأذن وأطلق عليه منافقا لإظهاره خلاف ما أبطن فلم يرد عمر انه أظهر الإسلام وأخفى الكفر وعذر حاطب ما ذكره من خوفه على أهله وماله فإنه فعل ذلك متأولا أن

لا ضرر فيه كما صرح به في قوله كتبت كتابا لا يضر الله ورسوله واستشكل قوله اعملوا ما شئتم فإن ظاهره الإباحة وهو خلاف عقد الشرع. وأجيب بأن هذا خطاب تشريف وإكرام تضمن أنهم حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السالفة وصاروا بها أهلا لأن يغفر لهم ما يلحقهم من الذنوب بعد هذه الوقعة ان وقع وليس المراد أنهم أنجزت لهم مغفرة الذنوب اللاحقة بل لهم صلاحية أن يغفر لهم ما سيقع. فقد أظهر الله تعالى صدق رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم في ذلك فإنهم لم يزالوا على أعمال أهل الجنة إلى أن فارقوا الدنيا ولو قدر صدور شيء من أحدهم لبادر إلى التوبة ولازم الطريق المثلى يقطع بذلك من أحوالهم من اطلع على سيرهم ولذا لما شرب قدامة بن مظعون من أهلها أيام عمر وحدّه رأى عمر في المنام من يأمره بمصالحة قدامة. وقيل في الجواب ان ذنوبهم تقع إذا وقعت مغفورة وما أحسن قوله:

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع

نقله الزرقاني عن ابن حجر والقسطلاني. ثم مضى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى نزل بمر الظهران في عشرة آلاف أو اثنى عشر ألفا كما مر فسبعت سليم وقيل ألفت وألفت مزينة وفي كل القبائل عددا وأوعب المهاجرون والأنصار ولم يتخلف منهم أحد قاله الكلاعي وكان العباس أسلم قديما فخرج بأهله وعياله مهاجرا ولقي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالجحفة وقيل بذي الحليفة وسار معه إلى الفتح وبعث ثقله إلى المدينة، قال البلاذري وقال له صلى الله تعالى عليه وسلم هجرتك يا عم آخر هجرة كما أن نبوءتي آخر نبوءة. وكان ممن لقيه بالطريق ابن عمه وأخوه من الرضاعة ارضعتهما حليمة: أبو سفيان بن الحارث ومعه ولده جعفر وكان غلاما مدركا وشهد هو وأبوه حنينا وكان أبو سفيان يألف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل البعثة ولا يفارقه فلما بعث عاداه وهجاه وأجابه حسان عنه كثيرا، قال القسطلاني وكان لقاءهما له عليه السلام بالأبواء وأسلما قبل دخوله مكة وقيل لقيه هو وعبد الله بن أبي أمية ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب بين السقيا بضم السين وسكون القاف قرية جامعة والعرج بفتح فسكون قرية جامعة على ثلاثة أميال من المدينة بطريق مكة وبهذا

القول جزم ابن إسحاق وعين المحل فقال لقياه بنقب العقاب فأعرض صلى الله تعالى عليه وسلم عنهما فكلمته أم سلمة فيهما فقالت يا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ابن عمك وابن عمتك وصهرك قال لا حاجة لي بهما أما ابن عمي فهتك عرضي وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال. يعني قوله والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلما إلى السماء فتعرج فيه، وأنا أنظر ثم تأتي بصك وأربعة من الملائكة يشهدون أن الله تعالى أرسلك، فقالت له أم سلمة لا يكن ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك وهذا نهي لهما في الظاهر وهو في الحقيقة سؤال له عليه السلام أن يقبل عليهما وتلطفت في العبارة أدبا أن تخاطبه بصورة نهي، فلما خرج إليهما الخبر بذلك قال أبو سفيان والله ليأذنن أو لأخرجن بابني هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشا وجوعا. فلما بلغ ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم رق لهما ثم إذن لهما فدخلا عليه وأسلما وأنشد أبو سفيان:

لعمرك إني يوم أحمل رايتي لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمدلج الحيران أظلم ليله فهذا أواني حين اهدي واهتدي

(الأبيات).

وقال علي لأبي سفيان إيت رسول صلى الله تعالى عليه وسلم من قبل وجهه فقل له ما قال اخوة يوسف ليوسف، {تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين}، فإنه لا يرضى ان يكون أحد أحسن منه قولا ففعل ذلك أبو سفيان فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم لا تثريب أي لا عتب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الرحمين.

ويقال أن أبا سفيان ما رفع رأسه إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حياء منه منذ أسلم. وقال عند موته لا تبكن علي فإني لم انطق بخطيئة منذ أسلمت. ولما نزل عليه السلام بمر الظهران أمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار لتراها قريش فترعب من كثرتها قال الزرقاني ولم يأمر باقي من معه وهم ألفان بالإيقاد تخفيفا ولم يبلغ قريشا مسيره وهم مغتمون خائفون من غزوه إياهم فبعثوا أبا سفيان وقالوا خذ لنا أمانا من محمد فخرج أبو سفيان وحكيم بن حزام وبديل مصغر بن ورقاء الخزاعي وأسلموا كلهم يوم الفتح حتى أتوا مر الظهران فلما

رأوا العسكر أفزعهم ولابن أبي شيبة فإذا النيران قد أخذت الوادي كله، وفي البخاري فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة فقال أبو سفيان ما هذه النيران والله لكأنها نيران عرفة فقال له بديل بن ورقاء هذه نيران بني عمرو بفتح العين وفي رواية نيران بني كعب يعني بهما خزاعة، وعمر هو ابن لحي كما في الفتح وغيره فقال أبو سفيان عمرو أقل من ذلك أي من أن تكون هذه نيرانها يعني خزاعة فرأوهم ناس من حرس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأخذوهم فقالوا من أنتم؟ فقالوا هذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه. فقال أبو سفيان هل سمعتم بمثل هذا الجيش نزل على أكباد قوم لم يعلموا بهم. وعند ابن اسحاق ان العباس خرج ليلا على بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم قال فوالله إني لأسير عليها إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان وأبو سفيان يقول ما رأيت كالليلة نيرانا ولا عسكرا. فقال بديل هذه خزاعة حمشتها الحرب، فقال أبو سفيان خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها. قال فعرفت صوته، فقلت أبا حنظلة فعرف صوتي، فقال أبا الفضل، قلت نعم. قال ما لك فداك أبي وأمي، قلت ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الناس واصباح قريش والله، قال فما الحيلة فداك أبي وأمي قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاستأمنه لك، فركب خلفي فسرت به كلما مر بنار من نيران المسلمين قالوا من هذا؟ فإذا رأوا بغلته صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا عليها قالوا عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على بغلته حتى مر بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا؟ وقام إلي، فلما رأى أبا سفيان قال أبو سفيان عدو الله، الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ثم خرج يشتد وركضت البغلة فسبقته واقتحمت عن البغلة فدخلت عليه صلى الله تعالى عليه وسلم ودخل عليه عمر فقال يا رسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عهد، فدعني فأضرب عنقه، قلت يا رسول الله إني قد أجرته، فلما أكثر عمر في شأنه قلت مهلا يا عمر فوالله لئن كان من رجال بني عدي بن كعب لما قلت هذا ولكنك قد علمت أنه من رجال بني عبد مناف، فقال

مـهـلا يا عـبـاس فـوالله لإسـلامـك يوم أسلمت كـان أحب إلي مـن إسـلام الخطاب لو أسلم ومـا بـي إلا أنـي قـد عـرفت أن إسـلامك كـان أحب إلـى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من إسلام الخطاب فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اذهب به يا عباس إلى رحلك فإذا أصبحت فأتني به، فذهبت به فلما أصبحت غدوت به إلي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فلما رآه قال ويحك يا أبا سفيان ألم يان لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟ قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وما أكرمك وما أوصلك والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغني شيئًا بعد قال ويحك يا أبا سفيان ألم يان لك أن تعلم أني رسول الله؟ قال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما والله هذه فإن في نفسي منها شيء حتى الآن. فقال له العباس ويحك أسلم قبل ان تضرب عنقك، فشهد شهادة الحق وأسلم. قال العباس قلت يا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئًا قال نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن، فلما سار قال صلى الله تعالى عليه وسلم احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل بفتح الخاء المعجمة وسكون الطاء المهملة أي أنفه، وفي رواية حطم بفتح الحاء المهملة الخيل بفتح المعجمة وسكون التحتية، أي ازدحامها، وحبسه العباس هناك ليرى الجميع فجعلت القبائل تمر كتيبة كتيبة، على أبي سفيان والكتيبة بوزن عظيمة قطعة من الجيش من الكتب بفتح فسكون وهو الجمع قال الواقدي وأول من قدم عليه السلام خالد بن الوليد في سليم وهم ألف أو تسعمائة معهم لواءان يحملهما العباس بن مرداس وخفاف بضم المعجمة بن ندبة بضم النون وراية مع الحجاج بن علاط فقال من هؤلاء؟ فقال خالد بن الوليد، قال الغلام؟ قال نعم. قال ومن معه قال بنو سليم، قال مالي وبني سليم؟ ثم مر على أثره الزبير بن العوام في خمسمائة من المهاجرين وأفتاء العرب فقال من هؤلاء؟ قال الزبير بن العوام، قال ابن أختك؟ قال نعم. فمرت بعدهما كتيبة في ثلاثمائة يحمل رايتهم أبو ذر فقال من هذه؟ قال غفار بكسر الغين المعجمة، قال مالي ولغفار؟ أي ما كانت بيني وبينهم حرب، ثم مرت أسلم بفتح اللام كما في القسطلاني في المناقب في

أربعمائة فقال من هؤلاء؟ قال أسلم، قال ما لي ولأسلم؟ ثم مرت بنو كعب بن عمرو اخوة أسلم في خمسمائة فقال من هؤلاء؟ قال بنو كعب بن عمرو، قال هؤلاء حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم، ثم مرت مزينة فيها مائتا فرس، قال من هؤلاء؟ قال مزينة، قال مالي وما لمزينة قد جاءتني تتقعقع من شواهقها، ثم مرت جهينة في ثمانمائة، قال من هؤلاء؟ قال جهينة، قال ما لي ولجهينة، والله ما كان بيني وبينهم حرب قط، وفي رواية زيادة أشجع وتميم وفزارة وفي البخاري زيادة سعد بن هذيم وهو سعد بن زيد بن ليث بن سود بضم المهملة بن أسلم بضم اللام كما في ابن حجر والزرقاني والقسطلاني بن الحاف بمهملة وفاء ابن قضاعة حتى مر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الكتيبة الخضراء التي لم ير مثلها معه المهاجرون والأنصار مع كل بطن من الأنصار لواء وراية وهم في الحديد لا يرى منهم إلا الحدق ولعمر فيها زجل بصوت عال وهو يقول رويدا يلحق أولكم آخركم، وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد فيها. قال ابن هشام والعرب تكني بالخضرة عن السواد وبه عنها ولعله إيثار للون المحبوب لنفرة النفوس من السواد، وفي البخاري يقال فيها ألفا دارع أي بالتثنية وكان على الأنصار سعد بن عبادة معه الراية فقال يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة أي يوم حرب لا مخلص منه أو يوم قتل يقال لحم فلان إذا قتله اليوم تستحل الكعبة أي يقتل من أهدر دمه ولو تعلق بأستارها وقتال من عارض من أهل مكة وبإزالة ما يزعمون أنه تعظيم لها من أصنام وصور وقد وقع جميع ذلك فقال أبو سفيان يا عباس حبذا يوم الذمار بالمعجمة المكسورة وخفة الميم أي الهلاك تمنى أن تكون له قوة فيحمي قومه قاله عجزا، وقيل معناه هذا يوم الغضب للحرم إن قدر عليه وقيل معناه هذا يوم يلزمك فيه حفظي وحمايتي بقربك للمصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم فسمع مقالة سعد رجل من المهاجرين فقال يا رسول الله ما نأمن أن تكون لسعد في قريش صولة وللواقدي ان عثمان وعبد الرحمن قالا ذلك جميعا، فقال لعلي الحقه وخذ الراية منه وكن أنت تدخل بها وروى الأموي أن أبا سفيان قال له صلى الله تعالى عليه وسلم لما حاذاه أمرت بحذف الاستفهام بقتل قومك؟ قال لا وذكر له ما قال سعد ثم ناشده الله

تعالى والرحم فقال يا أبا سفيان اليوم يوم المرحمة أي الرأفة اليوم يعز الله تعالى قريشا أي بالاسلام وانقاذهم من الضلال وحجزهم عن الوقوع في المهالك.
وأرسل عليه السلام إلى سعد فأخذ الراية منه ودفعها لابنه قيس ورأى عليه السلام ان اللواء لم يخرج عنه إذ صار إلى ابنه. ولابن عساكر ان سعدا لما قال ذلك عارضت امرأة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت يا نبي الهدى إليك لجا إلخ...
فلما سمع الشعر دخلته رأفة فأمر بالراية فأخذت من سعد ودفعت لابنه. وللواقدي أنه أبى أن يسلمها إلا بإمارة منه عليه السلام فأرسل إليه بعمامته. وعند أبي يعلي أنه صلى الله تعالى عليه وسلم دفع الراية إلي الزبير فكان معه لواء المهاجرين ولواء الأنصار والظاهر في الجمع بين هذه الثلاثة كما للحافظ أن عليا أرسل لينزعها ويدخل بها ثم خشي تغيير خاطر سعد فأمر بدفعها إلى ابنه فخشي سعد أن يقع من ابنه شيء يكرهه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فسأله أن يأخذها منه، فأخذها الزبير وعند الواقدي والأموي أن الشعر لضرار بن الخطاب الفهري قال أبو الربيع وهو من أجود شعره قال الحافظ وكان ضرارا أرسل به المرأة ليكون ذلك أبلغ في انعطافه عليه السلام على قريش والشعر المذكور هو:

يا نبي الهدى إليك لجا ... حيي قريش ولات حين لجائي
حين ضاقت عليهم سعة الأر ... ض وعاداهم إله السماء
والتقت حلقة البطان على القو ... م ونودوا بالصيلم الصلعاء
إن سعدا يريد قاصمة الظهـ ... ر بأهل الحجون والبطحاء
خزرجي لو يستطيع من الغيـ ... ـظ رمانا بالنسر والعواء
وغير الصدر لا يهم بشيء ... غير سفك الدما وسبي النساء
قد تلظى على البطاح وجاءت ... عنه هند بالسوءة السوءائي
إذ ينادي بذل حي قريش ... وابن حرب بذا من الشهداء
فلئن أقحم اللواء ونادا ... يا حماة الأدبار أهل اللواء
ثم ثابت إليه من بهم الخز ... رج والأوس أنجم الهيجاء

لتكونن بالبطاح قريش فقعة القاع في أكف الإماء
فانهينه فإنه أسد الأسد لدى الغاب والغ في الدماء
إنه مطرق يريد لنا الأمر سكوتا كالحية الصماء

ولجا بالألف للضرورة وهو بالهمز من باب نفع وتعب كما في المصباح وروي آخره وأنت خير لجاء، وسعة بفتح السين وهو كناية عن شدة كربهم حتى كأن الأرض لم تسعهم، وقوله وعاداهم إلخ.. أي فعل لهم فعل المعادي فسلط عليهم ما لا طاقة لهم به وحلقتا البطان تثنية حلقة والبطان بكسر الموحدة حزام يجعل تحت بطن البعير، كناية عن شدة الأمر، والصيلم بفتح المهملة وسكون التحتية وفتح اللام وميم الداهية وكذا الصلعاء بفتح المهملة وسكون اللام وكأنه بحذف حرف العطف وقاصمة الظهر كاسرته يعني الخصلة المانعة لهم من كل الأمور حتى كأنها كسرت ظهورهم فصاروا لا حراك لهم والنسر بفتح النون نجم والعواء بفتح المهملة وشد الواو والوغر بفتح الواو وكسر المعجمة وبالراء من الوغرة وهو شدة توقد الحر، ويهم بفتح فضم وتلظى تلهب وهند هي بنت عتبة والسوءة السوءاءالخلة القبيحة وأقحم اللواء أرسله في عجلة والأدبار جمع دبر وهو الظهر وثابت بمثلثة فألف فموحدة رجعت وبهم بضم ففتح جمع بهمة للفارس الذي لا يدري من أين يؤتى من شدة بأسه والهيجاء الحرب والفقعة بكسر الفاء فقاف فعين جمع فقاع بكسر الفاء وفتحها وسكون القاف ضرب من الكمأة أبيض رخو يشبه به الرجل الذليل والقاع المكان المستوي والأسد بضم فسكون والغاب أجم الأسد والغ بالمعجمة أنظر الزرقاني.

وفي القاموس ان الفقع بالفتح ويكسر وجمعه كعنبة وفي الجوهري ان المفتوح جمع فقعه كجبأ وجبأة جمع الفقع بالكسر فقعة كقرد وقردة ويشبه به الرجل الذليل لأن الدواب تنجله بأرجلها انتهى.

وروي أن أبا سفيان لما مر به المسلمون قال يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما، فقال إنها النبوءة، فلما جاء قومه صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت شاربه فقالت اقتلوا الحميت الدسم الأحمس قبح من طليعة قوم والحميت بفتح المهملة

وكسر الميم وسكون التحتية ففوقية الزق، نسبته إلى السمن والدسم بدال فسين مكسورة، الكثير الودك، والأحمس بحاء وسين مهملتين الذي لا خير عنده؛ من قولهم عام أحمس أي لا مطر فيه (أنظر الزرقاني) فقال ويحكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم بما لا قبل لكم به فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن. قالوا قاتله الله، فما تغني دارك عنا. قال ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن، فتفرق الناس في دورهم وإلي المسجد.

ولما انتهى عليه السلام إلى ذى طوى وقف على راحلته ووضع رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح حتى ان عثنونه بضم المهملة والنون بينهما مثلثة ساكنة أي لحيته ليكاد يمس رحله، ولما وقف هناك قال أبو قحافة لابنة له وقد كف بصره أظهريني على أبي قبيس فأشرفت به عليه فقال ما ذا ترين قالت أرى سوادا مجتمعا، قال تلك الخيل. قالت وأرى رجلا يسعى بين ذلك السواد مقبلا ومدبرا قال ذلك الوزاع يعني الذي يأمر الخيل، ثم قالت والله انتشر السواد، فقال قد والله أذن، دفعت الخيل فاسرعي إلى بيتي فانحطت به وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته. ولما دخل عليه السلام المسجد أتى أبو بكر بأبيه يقوده، فقال صلى الله عليه وسلم هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه. قال أبو بكر هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه، فأجلسه بين يديه ثم مسح صدره ثم قال أسلم، فأسلم. ورآه صلى الله تعالى عليه وسلم وكأن رأسه ثغامة فقال غيروا من شعره ودخل يومئذ خالد بن الوليد من أسفل مكة من كدى بالضم والقصر وكان على المجنبة اليمنى وهو بضم الميم وفتح الجيم وكسر النون المشددة كما في الزرقاني وكان أبو عبيدة على الحسر بضم الحاء المهملة وتشديد السين المهملة فراء وهم الذين لا دروع لهم وكون أبي عبيدة على الحسر رواه أحمد والنسائي وروى مسلم أن أبا عبيدة كان على البياذقة بفتح الموحدة وخفة التحتية فألف فذال معجمة فقاف فتاء تأنيث أي الرجالة، فارسية معربة، فلما دخل خالد من كدى وجد بها جموعا من بني بكر وناسا من هذيل ومن الأحابيش فقاتلوا خالدا ورموه بالنبل فقاتلهم فانهزموا، أقبح الإنهزام وقتل من بني بكر نحوا من عشرين رجلا ومن هذيل ثلاثة أو أربعة

وعند ابن سعد والواقدي وقتل أربعة وعشرون رجلا من قريش ويحتمل الجمع بأنه من مجاز الحذف أي من حزب قريش حتى انتهى بهم القتل إلى الحزورة بفتح المهملة والواو وبينهما زاي ساكنة ثم راء فهاء تأنيث كانت سوقا بمكة ثم أدخلت في المسجد وهربوا حتى دخلوا الدور وارتفعت طائفة منهم على الجبال، ونظر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى البارقة فقال ما هذه البارقةوقد نهيت عن القتال؟ فقالوا نظن أن خالدا قوتل وبدء بالقتال. قال ابن عقبة وقال صلى الله تعالى عليه وسلم بعد أن اطمأن لخالد، لم قاتلت وقد نهيتك عن القتال؟ فقال هم بدؤونا بالقتال وقد كففت يدي ما استطعت. فقال عليه السلام قضاء الله خير وقتل يومئذ من خيل خالد رجلان شذا عنه سلكا طريقا غير طريقه وهما حبيش بمهملة ثم موحدة ثم تحتية ثم معجمة كما رواه الأكثر وروي انه بمعجمة فنون فتحتية فمهملة والصواب الأول كما في الإصابة وهو مصغر على كلا الضبطين ابن الأشعري بشين معجمة وعين مهملة وهو لقب واسمه خالد بن سعد الخزاعي أخو أم معبد صاحبة قصة الهجرة وثانيهما كرز بضم الكاف وسكون الراء ابن جابر بن حسل بمهملتين بكسر فسكون ابن الأحب بمهملة مفتوحة فموحدة مشددة الفهري وكان من رؤساء المشركين وهو الذي أغار على سرحه عليه السلام في بدر الأولى وأسلم قديما وبعثه صلى الله تعالى عليه وسلم في أثر الرعبينيين وأصيب من خيل خالد أيضا سلمة بن الميلاء الجهني، ولما دخل عليه السلام مكة عهد إلي أمرائه أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم، إلا أنه قد عهد في نفر سماهم أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة منهم عبد الله بن أبي سرح بفتح السين وسكون الراء وبالحاء المهملات ابن الحارث القرشي العامري وكان قد أسلم وكتب الوحي لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ارتد وفر يوم الفتح إلى عثمان بن عفان وكان أخاه من الرضاعة فغيبه حتى أتى به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد أن اطمأن الناس فاستأمن له فزعموا أنه عليه السلام صمت طويلا ثم قال نعم. فلما انصرف عثمان قال لمن حوله لقد صمت ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه. فقال رجل هلا أومأت إلي، فقال إن النبي لا ينبغي أن تكون له خائنة الأعين. وأفاد سبط بن الجوزي أن

الرجل عباد بن بشر وقيل عمرو حسن إسلامه وكانت له ولله الحمد المواقف المحمودة في الفتوح، وهو الذي افتتح إفريقة ومنهم ابن خطل بفتح المعجمة وفتح الطاء المهملة قيل اسمه عبد الله وقيل هلال ورده القسطلاني واسم خطل عبد مناف من بني تميم ابن فهر، ذكر الواقدي ان ابن خطل خرج إلى الخندمة ليقاتل على فرس وبيده قناة فلما رءا خيل الله دخله الرعب حتى ما يستمسك من الرعدة فرجع حتى أتى الكعبة فنزل عن فرسه وطرح سلاحه ودخل تحت استار البيت. فأمر عليه السلام بقتله فقتل وفي المواهب أن أصح ما ورد في تعيين قاتله انه أبو برزة بفتح الموحدة والزاي بينهما راء ساكنة نضلة بنون مفتوحة ومعجمة ساكنة ابن عبيد الأسلمي وقيل قتله الزبير وقيل اشترك فيه أبو برزة وسعيد بن حريث المخزومي وقيل استبق إليه سعيد بن حريث وعمار بن ياسر فسبق إليه سعيد فقتله وإنما أمر عليه السلام بقتله لأنه كان مسلما فبعثه عليه السلام مصدقا وبعث معه رجلا من الأنصار وكان الأنصاري يخدمه فنزل منزلا فأمره أن يصنع له طعاما ونام فاستيغظ ولم يصنع شيئا فعدى عليه فقتله ثم ارتد مشركا. ولأنه كان له أمتان تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. وممن أمر بقتله أيضا قينتان لابن خطل كانتا تغنيان بهجوه عليه السلام والقينة الأمة غنت أم لا وكثيرا ما يطلق على المغنية، وهما فرتنا بفاء مفتوحة وراء ساكنة فمثناة فوقية فنون فألف وقريبة بالقاف والراء والموحدة مصغرا وضبطه الصغاني بفتح القاف وكسر الراء اسلمت إحداهما وقتلت الأخرى. ولغير ابن اسحاق أن فرتنا هي التي أسلمت ومنهم سارة مولاة عمرو بن صيفي بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف وهي التي وجد معها كتاب حاطب بن بلتعة وقيل كانت مولاة للعباس وكان ابن خطل يلقي عليها هجاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تغني به، ومنهم أرنب ذكر الحاكم أنها كانت مولاة لابن خطل فقتلت، ومنهم عكرمة ابن أبي جهل أسلم وحسن إسلامه روي انه هرب ليلقي نفسه في البحر أو يموت تائها في البلاد وكانت امرأته ام حكيم بنت عمه الحارث أسلمت قبله فاستأمنت له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وروي أنه لما رجع معها جعل يطلب جماعها فتابى وتقول

أنت كافر وأنا مسلمة فقال ان أمرا منعك مني لا أمر كبير. فلما وافى مكة قال عليه السلام لأصحابه يأتيكم عكرمة مؤمنا فلا تسبوا أباه فإن سب الميت يؤذي الحي، ومنهم الحويرث بالتصغير بن نقيد بنون وقاف مصغرا بن وهب بن عبد بن قصي كان يعظم القول في النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وينشد هجاءه ولما حمل العباس فاطمة وأم كلثوم ابنتي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نخس الحويرث الجمل بهما فرمى بهما الأرض وشارك هبارا في نخس جمل زينب لما هاجرت وقتله علي ومنهم مقيس بميم فقاف ثم سين مهملة ابن صبابة بمهملة مضمومة وموحدتين الأولى خفيفة الليثي وكان أخوه هشام بن صبابة قد قتله رجل من الأنصار خطأ في غزوة ذي قرد يظنه من العدو فجاء مقيس المدينة مظهرا للإسلام فأخذ الدية فلما وجد غرة من قاتل أخيه عدا عليه فقتله ثم لحق بقريش مشركا فأهدر دمه وقتله نميلة تصغير نملة ابن عبد الله الليثي رجل من قومه فقالت اخت مقيس في ذلك:

لعمري لقد أخزى نميلة رهطه ... وفجع أضياف الشتاء بمقيس
فلله عينا من رأى مثل مقيس ... اذا النفساء أصبحت لم تخرس

ومقيس بكسر الميم وسكون القاف وفتح التحتية وآخره سين مهملة وخرس المرأة صنع لها الخرسة بالضم وهي طعام النفساء، ومنهم هبار بفتح الهاء وتشديد الموحدة بن الأسود بن مطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي ناخس جمل زينب وكان شديد الأذى للمسلمين، أسلم رضي الله تعالى عنه بالجعرانة ومنهم كعب بن زهير وأسلم بعد ذلك ومدح، ومنهم هند بنت عتبة ذكرها الحاكم فيمن أهدر دمه أسلمت فأتته عليه السلام بالأبطح وقالت الحمد لله الذي أظهر الدين الذي اختاره لنفسه لتمسني رحمتك يا محمد إني امرأة مؤمنة بالله مصدقة به ثم كشفت نقابها فقالت أنا هند بنت عتبة. فقال صلى الله تعالى عليه وسلم مرحبا بك. ومنهم وحشي بن حرب أسلم وأتاه عليه السلام، قال فلما رآني، قال وحشي!؟ قلت نعم يا رسول الله! قال أقعد فحدثني كيف قتلت حمزة فحدثته فلما أفرغت قال ويحك غيب وجهك عني، فكنت

أتنكب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حيث كان لئلا يراني حتى قبضه الله؛ ومنهم الحارث بن طلاطل الخزاعي قتله علي ذكره أبو معشر كذا في المواهب وشرحها وذكر غير واحد أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو جمعوا أناسا بالخندمة بالخاء المعجمة ونون جبل في أسفل مكة ليقاتلوا المسلمين فناوشوهم شيئا من القتال فقتل ابن الميلاء من خيل خالد وقتل من المشركين اثنى عشر أو ثلاثة عشر ثم انهزموا، وفي ذلك يقول جماش بن قيس بجيم مكسورة وميم مخففة وشين معجمة يخاطب امرأته حين لامته على الفرار وقد كان يصلح سلاحه ويعدها أن يخدمها بعض المسلمين ويقول:

إن تقبلوا اليوم فما لي عله   هذا سلاح كامل وأله
وذو غرارين سريع السله

ولما فر ولامته قال:

إنك لو شهدت يوم الخندمة   إذ فر صفوان وفر عكرمه
أبو يزيد قائم كالمؤتمه   واستقبلتهم بالسيوف المسلمه
يقطعن كل ساعد وجمجمه   ضربا فلا تسمع إلا غمغمه
لهم نهيت خلفنا وهمهمه   لم تنطقي باللوم أدنى كلمه

والآلة بفتح الهمزة الحربة العريضة النصل والسلاح وجميع أداة الحرب، وذو غرارين تثنية غرار بالكسر وهو حد السيف، والغمغمة أصوات الأبطال عند القتال، والنهيت الزئير والهمهمة تردد الزئير في الصدر، قاله في القاموس وقوله وأبو بقلب الهمزة وأبو يزيد سهيل بن عمرو والمؤتمة كمطفل امرأة لها أيتام وجمعها مئاتم والمؤتمة الأسطوانة قاله في الحلة السيرا ويروى هذا الشعر أي الأخير للمرعاش الهذلي.

وفي البخاري وغيره أنه عليه السلام دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه المغفر وهو بكسر الميم وسكون المعجمة وفتح الفاء زود بنسج من الدروع على قدر الرأس وفي مسلم أنه خطب الناس وعليه عمامة سوداء وكانت الخطبة عند باب الكعبة وجمع بينهما باحتمال أنه أول دخوله على رأسه المغفر ثم أزاله ولبس العمامة، وان العمامة ملفوفة فوق المغفر إشارة للسؤدد أو كانت تحت المغفر، وقاية لرأسه الشريف

من صدا الحديد وفي البخاري عن أسامة انه قال قبل ان يدخل مكة بيوم يا رسول الله أين تنزل غدا في دارك بمكة؟ فقال صلى الله تعالى عليه وسلم وهل ترك لنا عقيل من منزل؟ وكان عقيل وارث أبا طالب هو وطالب ولم يرثه علي ولا جعفر، لأنهما كانا مسلمين وأخرجه الفاكهاني وقال في آخره ويقال ان الدار التي أشار إليها كانت دار هاشم ثم صارت لعبد المطلب فقسمها بين ولده ثم صار له صلى الله تعالى عليه وسلم نصيب إبيه اهـ.

وقوله في دارك بحذف الاستفهام؟ وفي البخاري قال عليه الصلاة والسلام منزلنا إن شاء الله تعالى إذا فتح الله بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر أي في حال كفرهم أن لا يبايعوا بني هاشم ولا يناكحوهم وحصروهم في الشعب يعني بالخيف المحصب، قال الحافظ والخيف ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء.

وفي البخاري عن أم هانئ بنت أبي طالب انه عليه السلام يوم فتح مكة اغتسل في بيتها ثم صلى الضحى ثمان ركعات ثم رجع إلى حيث ضربت خيمته وأجارت ام هانئ حموين لها أي رجلين من أقارب زوجها وكانت عند هبيرة بن أبي وهب المخزومي قالت فدخل علي علي أي ابن أبي طالب فقال والله لأقتلنهما فأغلقت عليهما بيتي ثم جئت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما رآني قال مرحبا وأهلا بأم هانئ فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي فقال صلى الله تعالى عليه وسلم قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ فالرجلان المذكوران الحارث بن هشام وزهير بن أبي أمية وقيل ثانيهما عبد الله بن أبي ربيعة، وأما ما روي من أنهما الحارث وهبيرة زوجها فليس بشيء لأن هبيرة هرب عند الفتح إلى نجران ومات بها مشركا، قاله الحافظ؛ ولما كان الغد من يوم الفتح في عشرين من رمضان قام عليه السلام خطيبا على باب البيت بعدما خرج منه بحمد الله ثم قال أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض فهي حرام بحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما أو يعضد بها شجرة فإن أحد ترخص فيها لقتال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقولوا إن الله تعالى قد أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما حلت لي

ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها الآن كحرمتها بالأمس فاليبلغ الشاهد الغائب ثم قال يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت. قال اذهبوا فأنتم الطلقاء بضم الطاء وفتح اللام وقاف أي الذين أطلقوا فلم يفترقوا ولم يسترقوا والطليق الأسير إذا أطلق والمراد بالساعة التي أحلت له عليه السلام من طلوع الشمس إلى العصر قوله إن الله حرم مكة أي أظهر تحريمها للملائكة وإن لم توجد يومئذ لكن أرضها موجودة اذ هي أول ما وجد من الأرض فتحريمها أمر قديم وشريعة سالفة ولا ينافيه ما في مسلم ان ابراهيم حرم مكة فإن اسناد التحريم إليه من حيث انه بلغه ويسفك بكسر الفاء وقد تضم وهما لغتان والسفك صب الدم ويعضد بفتح التحتية وكسر المعجمة أي يقطع بالمعضد وهو آلة كالفاس قال الحافظ والمأذون له فيه القتال لا قطع الشجر وذكر الواقدي انه قبض مفتاح السقاية من العباس ومفتاح البيت من عثمان، وروى ابن أبي شيبة انه أتى بدلو من زمزم فغسل منها وجهه ما تقع منه قطرة إلا في يد إنسان إن كانت قدر ما يحسوها حساها وإلا مسح جلده والمشركون ينظرون، فقالوا ما رأينا ملكا قط أعظم من اليوم. قال في المواهب وقد أجاد العلامة الشقراطسي حيث يقول في قصيدته المشهورة:

ويوم مكة إذ أشرفت في أمم	تضيق عنها فجاج الوعث والسهل
خوافق ضاق ذرع الخافقين بها	في قاتم من عجاج الخيل والإبل
وجحفل قذف الأرجاء ذي لجب	عرمرم كجناح الليل منسجل
وأنت صلى عليك الله تقدمهم	في بهو إشراق نور منك مكتمل
ينير فوق أغر الوجه منتجب	متوج بعزيز النصر مقتبل
يسمو أمام جنود الله مرتديا	ثوب الوقار لأمر الله ممتثل
خشعت تحت بهاء العز حين سمت	بك المهابة فعل الخاضع الوجل
وقد تباشر أملاك السماء بما	ملكت إذ نلت منه غاية الأمل
والأرض ترجف من زهو ومن فرق	والجو يزهر إشراقا من الجذل
والخيل تختال زهوا في أعنتها	والعيس تنثال رهوا في ثنى الجدل
لولا الذي خطت الأقلام من قدر	وسائق من قضاء غير ذي حول

أهل ثهلان بالتهليل من طرب | وذاب يذبل تهليلا من الذبل
الملك لله هذا عز من عقدت | له النبوءة فوق العرش في الأزل
شعبت صدع قريش بعدما قذفت | بهم شعوب شعاب السهل والقلل
قالوا محمد قد زادت كتائبه | كالأسد تزئر في أنيابها العصل
فويل مكة من اثار وطأته | وويل أم قريش من جوى الهبل
فجدت عفوا بفضل العفو منك ولم | تلمم ولا بأليم اللوم والعذل
أضربت بالصفح صفحا عن طوائلهم | طولا أطال مقيل النوم في المقل
رحمت واشج أرحام أتيح لها | تحت الوشيح نشيج الروع والوجل
عاذوا بظل كريم العفو ذي لطف | مبارك الوجه بالتوفيق مشتمل
أزكى الخليقة أخلاقا وأطهرها | وأكرم الناس صفحا عن ذوي الزلل
زان الخشوع وقارمنه في خفر | أرق من خفر العذراء في كلل
وطفت بالبيت محبورا وطاف به | من كان عنه قبيل الفتح في شغل
وحل أمن ويمن منك في يمن | لما أجابت الى الإيمان عن عجل
وأصبح الدين قد حفت جوانبه | بعزة النصر واستولى على الملل

قوله أشرفت أي علوت عليها وظهرت على أخذها، وتضيق بالتاء والياء، والفجاج جمع فج وهو الطريق الواسع بين جبلين والوعث بفتح الواو وسكون المهملة ومثلثة المكان الواسع الدهس بمهملة فهاء مفتوحتين فمهملة تغيب فيه الأقدام ويشق المشي فيه، والسهل بسكون الهاء وفتحها ضرورة ونسخة بضمتين جمع سهل ما لان من الأرض ولم يبلغ أن يكون وعثا، والإضافة بيانية؛ وخوافق بالجر بدل من أمم بتقدير الضمير أي منها والمراد راياتها من خفقت الراية تخفق بكسر الفاء وضمها أوْ صفة لأمم من خفق الأرض بنعله وخفق في البلاد ذهب، والبرق لمع والطائر طار فوصفها بسرعة السير ولمعان الحديد وصوت وقع الحوافر وبالرفع مبتدأ أي لها خوافق أي رايات أو خبر أي هي يعني الأمم، والذرع الواسع والخافقان المشرق والمغرب؛ وقاتم مغبر وعجاج بفتح المهملة أي غبار؛ والجحفل الجيش الزائد على أربعة آلاف. قال في المحكم إن كان فيه خيل وقذف الأرجاء بفتح القاف والذال المعجمة وبضمها أي متباعد النواحي واللجب بالتحريك كثرة الأصوات وعرمرم بفتح أوله وثانيه أي كثير العدد وشبهه بالليل في سده الأنف واسوداده

لكثرة السلاح، وفي نسخة كزهاء السيل بضم الزاي أي قدره ومنسحل بسين وحاء مهملتين اسم فاعل أي مسرع في سيره وتقدمهم بضم الدال أي تتقدم عليهم أي التقدم المعنوي لأنك الآمر المطاع لا الحسي لأنه قدم الكتائب أمامه؛ والبهو البناء العالي ومكتمل أي تام شبه جسده الشريف بالبناء المرتفع واستعار له اسمه وأضافه الى إشراق النور المحيط به أو استعار البهو للجيش وأراد بالنور ما علاه من البهاء والمعنى وأنت تقدمهم في جيش عظيم كالبناء المرتفع في عدم الوصول إليه وذلك البناء ذو نور مشرق وقوله عقدت بالبناء للمفعول أي أظهرت والأزل بالتحريك القدم والمجرور متعلق بعقدت وفوق العرش حال منه والمراد به مجرد التعظيم لأن النبوءة موجودة حقيقة في الأزل قبل وجود الأشياء فلا عرش وشعبت بفتح المعجمة والمهملة، أصلحت، والصدع الشق وشعوب بفتح المعجمة وضم المهملة علم للمنية لا ينصرف من شعب اذا فرق لأنها تفرق الجماعات فشعب من الأضداد وشعاب بالنصب جمع شعب بالكسر فيهما وقذفت أي رمت والقلل جمع قلة وهي هنا رأس الجبل وقالوا أي أهل مكة وزادت كثرت وتزأر تصوت والعصل بضمتين جمع أعصل وهو الناب الشديد المعوج وويل كلمة يعبر بها عن المكروه والجوى الحزن والهبل الثكل وقوله فجدت عفوا إلخ.. أي سهلا من غير كد في السؤال وقوله بفضل العفو أي ترك العقوبة مع القدرة عليها فمعنى العفو مختلف وتلمم من ألم بالشيء إذا دنا منه أو نال منه يسيرا يعني أنه عليه السلام لم يقابل أهل مكة باللوم فضلا عما فوقه بل صفح عنهم أي ترك عقابهم مع القدرة عليهم فهو بمعنى العفو وطوائلهم جمع طائلة أي عداوة وطولا بالفتح أي تفضلا ومنا وواشج بمعجمة وجيم أي مختلط وإضافته لأرحام من إضافة الصفة للموصوف أي أرحاما مختلطة وأتيح بالبناء للمجهول قدر ونائبه نشيج بفتح النون وكسر المعجمة وبالجيم وهو بكاء يخالطه شهيق والوشج بفتح الواو وكسر المعجمة وبالجيم ما نبت من القنا ملتفا وقيل عامة الرماح والمعنى ان الذين رحمتهم قرابتهم شديدة الاتصال بك فأزلت عنهم البكاء لما اشتد روعهم ووجلهم من سطوة جيشك والروع والوجل مترادفان واللطف بالتحريك وزان من الزينة وفاعله وقار

والخفر محركة شدة الحياء والكلل بكسر الكاف جمع كلة بكسرها أيضا وهو ستر رقيق ومحبورا منعما والمنتجب المتخير من أصل نجيب أي كريم والمقتبل المستقبل الخير على كسر الياء وبفتحها المقابل بالخير من قولهم رجل مقتبل الشباب أي لم ير فيه أثر كبر. وقوله ينير بضم التحتية أي يضيء النور المذكور فوق أغر الوجه أي أبيضه ومتوج لابس للتاج الذي تلبسه الملوك وهو شبه عصابة تزين بالجوهر ويسمو يعلو ومرتديا حال والوقار العظمة والسكينة وترجف بضم الجيم تهتز أي كادت تهتز، قال تعالى: {وبلغت القلوب الحناجر} أي كادت تبلغها إذ لو بلغتها لماتوا والزهو السرور والفرق الفزع فهي تهتز من أجل السرور بهذا الجيش لإزالته ما كان بها من الفساد ومن الفزع من صولته والجو ما تحت السماء ويزهر بفتح الهاء يضيء والجذل الفرح وتختال زهوا أي تتبختر في مشيتها كبرا وعجبا فتغاير معنى الزهو هنا مع ما سبق والأعنة جمع عنان بالكسر وهو سير اللجام والعيس الإبل البيض يخالط بياضها شقرة وتنثال بفتح الفوقية وسكون النون فمثلثة فلام تنصب من كل جهة ورهوا بالراء أي ذات رهو وهو السير السهل وقال الطرابلسي أي ساكنة أو متتابعة انتهى.

وكأن المراد بسكونها أنها انتصبت مطمئنة بلا فزع وثنى بكسر المثلثة وفتح النون والجدل بضمتين جمع جديل وهو الزمام المجدول أي المضفور وثنى الجدل ما انثنى منها أي التوى على أعناق الإبل والزمام ما كان في الأفق وحولُ بكسر ففتح أي تغير وأهل بفتحات واللام ثقيلة أي رفع صوته وثهلان بمثلثة مفتوحة جبل معروف والتهليل قول لا إله إلا الله ويذبل كينصر اسم جبل والذبل الرماح الذوابل وهي التي لم تقطع من منابتها حتى ذبلت أي جفت وإذا قطعت كذلك كانت أجود وأصلب وتهليلا صياحا من أجل الفزع انتهى. وغالب التفسير للزرقاني وبعضه للقسطلاني.

ولما فتح الله مكة على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم قال الأنصار بعضهم لبعض أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته، قال أبو هريرة وجاء الوحي وكان إذا جاء لم يخف علينا فليس أحد من الناس يرفع طرفه إليه فلما قضى الوحي قال يا معشر الأنصار، قالوا

لبيك يا رسول الله قال قلتم أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته قالوا قلنا ذلك يا رسول الله قال فما اسمي إذا؟ كلا إني عبد الله ورسوله هاجرت إلى الله وإليكم المحيا محياكم والممات مماتكم، فأقبلوا إليه يبكون يقولون والله يا رسول الله ما قلنا الذي قلنا إلا الضن بالله وبرسوله. فقال صلى الله تعالى عليه وسلم فإن الله ورسوله يعذرانكم ويصدقانكم . الضن بكسر الضاد المعجمة وشد النون أي البخل والشح به، أي ان يشركنا فيه أحد غيرنا كما ضبطه الشامي ولعله الرواية وإلا ففتحها لغة أيضا ويعذرانكم بكسر الذال يقبلان عذركم وهم فضالة بفتح الفاء ابن عمير بن الملوح بضم الميم وفتح اللام والواو المشددة الليثي أن يقتل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فلما دنى منه قال له عليه السلام أفضالة؟ قال نعم يا رسول الله. قال ماذا كنت تحدث به نفسك؟ قال لا شيء كنت أذكر الله. وضحك عليه السلام ثم قال استغفر الله ثم وضع يده المباركة على صدره، فكان فضالة يقول والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله شيئا أحب إلي منه، قال فضالة فرجعت إلى أهلي فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها فقالت هلم إلى الحديث، فقلت لا. وانبعث يقول:

قالت هلم إلي الحديث فقلت لا ... يابا على الله والإسلام
لو ما رأيت محمدا وقبيله ... بالفتح يوم تكسر الأصنام
لرأيت دين الله أضحى واضحا ... والشرك يغشى وجهه الإظلام

وطاف عليه السلام بالبيت سبعا على القصواء والمسلمون معه ومحمد بن مسلمة آخذ بزمام الناقة وذلك يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان. وقيل يوم الاثنين. قال الزرقاني ولا عاضد له وكان حول البيت ثلاث مائة وستون صنما فكلما مر بصنم أشار إليه بقضيبه، وفي مسلم بسية القوس وهي بكسر المهملة وتخفيف التحتية ما عطف من طرفه وهو يقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا، فيقع الصنم لوجهه وللطبراني فلم يبق وثن استقبله إلا سقط على قفاه مع أنها كانت ثابتة في الأرض قد شد لهم ابليس أقدامها بالرصاص فلما فرغ من طوافه نزل عن راحلته ولابن أبي شيبة عن عمر فما وجدنا مناخا في المسجد حتى أنزل على أيدي الرجال وصح عن ابن عمر قال أقبل

رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عام الفتح على ناقته القصواء وهو يقرأ سورة الفتح يرجع صوته بالقراءة وهو مردف أسامة ومعه بلال وعثمان بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ثم دعى عثمان بن طلحة فقال إئتني بالمفتاح فذهب إلى أمه سلافة بضم السين المهملة وتخفيف اللام وبالفاء بنت سعيد الأنصارية وأسلمت بعد فأبت أن تعطيه المفتاح وعن الواقدي أنها قالت له واللات والعزى لا أدفعه إليك، فقال لا لات ولا عزى قد جاء أمر غير ما كنا فيه والله لتعطينه أو ليخرجن هذا السيف من صلبي، فأعطته إياه فجاء به إليه صلى الله تعالى عليه وسلم ففتح الباب، وعثمان.هذا له صحبة وهجرة ولا ولد له وأبوه طلحة قتل بأحد كافرا ثم دفع المفتاح إلى عثمان وقال خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم. وقال القسطلاني ويقال له أي لعثمان الحجبي بفتح الحاء المهملة والجيم زاد في الفتح ولآل بيته بحجبهم الكعبة ويعرفون الآن بالشيبيين نسبة إلى شيبة بن عثمان بن أبي طلحة وشيبة هذا من مسلمة الفتح وهو ابن عم عثمان بن طلحة المتقدم وعثمان لا ولد له كما مرّ.

خاتمة:

قال أكثر العلماء ان مكة فتحت عنوة واحتجوا بما وقع التصريح به في الأحاديث الصحيحة من الأمر بالقتال ووقوعه من خالد بن الوليد وتصريحه عليه السلام بأنها أحلت له ساعة من نهار ونهيه عن التأسي به في ذلك. وعن الشافعي أنها وقعت صلحا بما وقع من التأمين ولإضافة الدور إلى أهلها ولأنها لم تقسم وأجيب بأن التأمين إنما يكون صلحا إذ كف المؤمن عن القتال وقريش لم تلتزم ذلك بل استعدوا للحرب وقاتلوا فقاتلهم الصحابة حتى هزموهم ودخلوها عنوة وأجيب عن الثاني بأن ترك القسمة لا يستلزم عدم العنوة وقد تفتح البلدة عنوة ويترك لهم دورهم وغنائمهم وقد فتح أكثر البلاد عنوة فلم تقسم وذلك في زمن عمر وعثمان وقد زادت مكة بأمر يمكن أن يدعى اختصاصها به دون بقية

البلاد وهي دار النسك ومتعبد الخلق وقد جعلها الله تعالى حرما سواء العاكف فيه والبادي أنظر فتح الباري والمواهب وشرحها، وأقام صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة بعد فتحها تسع عشرة وروي خمس عشرة ليلة وهو يقصر الصلاة لأنه لم ينو إقامة، قال الكلاعي ومما قيل من الشعر في فتح مكة قول حسان، وذكر ابن هشام أنه قالها قبله:

عفت ذات الأصابع فالجواء ... إلى عذراء منزلها خلاء
ديار من بني الحسحاس قفر ... تعفتها الروامس والسماء
وكانت لا يزال بها أنيس ... خلال مروجها نعم وشاء
فدع هذا ولكن من لطيف ... يؤرقني إذا ذهب العشاء
بشعثاء التي قد تيمته ... فليس لقلبه منها شفاء
كأن سبيئة من بيت راس ... يكون مزاجها عسل وماء
إذا ما الاشربات ذكرن يوما ... فهن لطيب الراح الفداء
نوليها الملامة ان ألمنا ... إذا ما كان مغث أو لحاء
ونشربها فتتركنا ملوكا ... وأسدا ما ينهنهنا اللقاء
عدمنا خيلنا إن لم تروها ... تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الأعنة مصغيات ... على اكتافها الأسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات ... تلطمهن بالخمر النساء
فإما تعرضوا عنا اعتمرنا ... وكان الفتح وانكشف الغطاء
وإلا فاصبروا لجلاد يوم ... يعز الله فيه من يشاء
وجبريل رسول الله فينا ... وروح القدس ليس له كفاء
وقال الله قد أرسلت عبدا ... يقول الحق ان نفع البلاء
شهدت به فقوموا صدقوه ... فقلتم لا نقوم ولا نشاء
وقال الله قد يسرت جندا ... هم الأنصار عرضتها اللقاء
لنا في كل يوم من معد ... سباء أو قتال أو هجاء
فنحكم بالقوافي من هجانا ... ونضرب حين تختلط الدماء
ألا ابلغ أبا سفيان عني ... مغلغلة فقد برح الخفاء
بأن سيوفنا تركتك عبدا ... وعبد الدار سادتها الإماء
هجوت محمدا فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء ... فشركما لخيركما الفداء

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء
فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء
لساني صارم لا عيب فيه وبحري لا تكدره الدلاء

وكذلك ذكر موسى بن عقبة أن حسان قال هذا في مخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلي الفتح وأنه لما دخل مكة نظر إلى النساء يلطمن الخيل بالخمر فالتفت إلى أبي بكر رضي تعالى عنه فتبسم لقول حسان يلطمهن بالخمر النساء، السبيئة ككريمة الخمر وبيت رأس موضع بالشام تنسب إليه الخمر والمغث الخصام وكداء بالفتح والمد من أعلى مكة وهو الذي دخل منه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وكدى بالضم والقصر من أسفلها وهو الذي دخل منه خالد ومن معه، وأما ما في مرسل عروة ان خالدا دخل من كداء بالفتح والمد من أعلاها وأنه عليه السلام دخل من أسفلها من كدى فهو مخالف للأحاديث الصحيحة المسندة في البخاري كما قاله الحافظ وغيره. وقوله الأسل أي الرماح وفي نسخة الأسد جمع أسد وتمطرت الخيل جاءت بعضها يسبق بعضا وأنكر الخليل غير يطلمهن بتقديم الطاء على اللام أي ينفضن بخمرهن ما عليهن من غبار ونحوه وفي القاموس، التطليم ضربك الخبزة بيدك ومنه قول حسان رضي الله تعالى عنه يطلمهن بخمر النساء ورواية يلطمهن أي بتقديم اللام ضعيفة أو مردودة أي تمسح النساء العرق عنهن بالخمر انتهى منه.

ومصغيات أي مميلات رؤوسهن كالمستمع، وعرضتها بالضم أي همتها، ونحكم بضم الكاف نرد ونمنع من حكمت الدابة بالتحريك وهي ما أحاط بحنكي الفرس من اللجام. وقال الشاعر:

أبني حنيفة احكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا

والمعنى انا نفحمهم فتكون قوافينا لهم كالحكمة للدابة، وقوله مغلغلة قال في القاموس ورسالة مغلغلة محمولة من بلد إلى بلد انتهى.

وبرح الخفاء ظهر أو ذهب فسر بهما وقوله ويمدحه أي ومن يمدحه. ومن شعر الفتح قول ابن الزبعرى رضي الله تعالى عنه:

منع الرقاد بلابل وهموم والليل معتلج الرواق بهيم
مما أتاني أن أحمد لامني فيه فبت كأنني محموم

يا خير من حملت على أوصالها عيرانة سرح اليدين غشوم
إني لمعتذر إليك من الذي اسديت إذ أنا في الضلال أهيم
أيام تأمرني بأغسوى خطة سهم وتأمرني بها مخزوم
وأمد أسباب الردى ويقودني أمر الغوات وأمرها مشؤوم
فاليوم آمن بالنبي محمد قلبي ومخطء هذه محروم
مضت العداوة وانقضت أسبابها ودعت أواصر بيننا وحلوم
فاغفر فدى لك والدي كلاهما زللي فإنك راحم مرحوم
وعليك من علم المليك علامة نور أغر وخاتم مختوم
الله يعلم ان أحمد مرسل مستقبل في الصالحين كريم
قرم علا بنيانه من هاشم فرع تمكن في الذرى وأروم

البلابل: الأحزان وكذا الهموم، والرواق ككتاب وغراب قال في القاموس هو من الليل مقدمه وجانبه انتهى.

ومعناه والله تعالى أعلم مكتنز الظلمة والبهيم الأسود والخطة بالضم شبه القصة والأمر والأواصر الأرحام والقرابات والأروم ويضم الأصل ثم بعد الفتح «**غزوة حنين**» بالتصغير كما في التنزيل وهو واد قرب ذي المجاز وهو سوق للعرب على فرسخ من عرفة بناحية كبكب كجعفر جبل وراء الخطيب إذا وقف وقيل ماء بينه وبين مكة ثلاث ليال قرب الطائف سمي باسم حنين بن قاين بن مهاليل وتسمى غزوة هوازن قبيلة كبيرة فيها عدة بطون ينسبون الى هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بمعجمة فمهملة مفتوحتين بن قيس عيلان، وسببها أنه عليه السلام لما فرغ من الفتح تمالأت هوازن وثقيف على حرب المسلمين وأشفقوا أن يغزوهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقالوا ان محمدا لاقى قوما لا يحسنون القتال فسيروا إليه قبل أن يسير إليكم وروى الواقدي أن هوازن أقامت سنة تجمع الجموع وتسير رؤساؤهم في العرب فأجمعت هوازن أمرها وكان رئيسهم مالك بن عوف وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة وأسلم بعد غزوة الطائف وصحب فخرج إليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في اثنى عشر ألفا من المسلمين عشرة آلاف خرج بهم من المدينة وألفين ممن أسلم من أهل مكة قاله في المواهب والآلاف العشرة أربعة آلاف من الأنصار وألف من جهينة وألف من

مزينة إلى آخرها رواه أبو الشيخ قاله الزرقاني، قال الشامي وعلى قول عروة والزهري وابن عقبة يكون جميع من سار بهم أربعة عشر ألفا لأنهم قالوا أنه قدم مكة بإثنى عشر ألفا وأضيف إليهم ألفان من الطلقاء قال شيخنا ولا يتعين بل يجوز أن الألفين الذين لحقوا به بعد خروجه من المدينة رجعوا بعد الفتح وبقي من خرج معه من المدينة وانضم إليهم ألفان من الطلقاء قاله الزرقاني.

ولما خرج استعمل عتاب بفتح المهملة والفوقية المشددة وبالموحدة ابن أسيد بفتح الهمزة وكسر السين المهملة وسكون التحتية ابن أبي العيص بكسر المهملة ابن أمية الأموي بن عبد شمس. وخرج معه ثمانون من المشركين منهم صفوان بن أمية وكان عليه السلام استعار منه مائة درع واستعار من نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ثلاثة آلاف رمح ولما أرسل إلى صفوان يستعيره قال أغصبا يا محمد فقال بل عارية مضمونة حتى نردها إليك واختلفوا في قوله عارية مضمونة هل هو صفة موضحة أو مقيدة فمن قال بالأول قال تضمن إذا تلفت ومن قال مقيدة قال لا إلا بالشرط نقله الزرقاني. وروى الترمذي وغيره عن الحارث بن مالك خرجنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى حنين ونحن حديثو عهد بجاهلية وكانت لكفار قريش ومن سواهم شجرة عظيمة يقال لها ذات أنواط يأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها ويذبحون عندها فرأينا ونحن نسير سدرة خضراء عظيمة فتنادينا من جنبات الطريق يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الله أكبر ثلاثا، قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، قال إنكم قوم تجهلون، لتركبن سنن من كان قبلكم، قال في المواهب فوصل صلى الله تعالى عليه وسلم حنينا ليلة الثلاثاء لعشر ليال خلون من شوال فبعث مالك بن عوف ثلاثة نفر يأتونه بخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأمرهم أن يتفرقوا في العسكر فرجعوا إليهم وقد تفرقت أوصالهم أي مفاصلهم من الرعب، قال الزرقاني فقال ويلكم ما شأنكم؟ قالوا رأينا رجالا بيضا على خيل بلق فوالله ما تماسكنا ان أصابنا ما ترى والله ما نقاتل أهل الأرض ان نقاتل إلا أهل السماء، فإن

أطعتنا رجعت بقومك. فقال أف لكم بل أنتم أجبن أهل العسكر فحبسهم عنده وقال دلوني على رجل شجاع فأجمعوا له على رجل فخرج ثم رجع إليه قد أصابه كنحو ما أصاب من قبله قال ما رأيت؟ قال رأيت رجالا بيضا على خيل بلق ما يطاق النظر إليهم فوالله ما تماسكت أن أصابني ما ترى فلم يثن ذلك مالكا عن وجهه، وروى ابن اسحاق ان هوازن سألت دريد بن الصمة الرياسة عليها فقال وما ذاك وقد عمي بصري وما استمسك على ظهر الفرس ولكن أحضر معكم لأشير عليكم بشرط أن لا أخالف فقالوا لا نخالفك فجاء مالك بن عوف وكان جماع أمرهم إليه فقال لا نخالفك فقال دريد إنك تقاتل رجلا كريما قد أوطأ العرب وخافته العجم وأجلى يهود ويومك هذا الذي تلقى فيه محمدا ما بعده يوم قال مالك إني لأطمع أن ترى ما يسرك فخرج مالك بالظعن والأموال وأقبل دريد فقال لمالك مالي أسمع بكاء الصغير ونهاق الحمير وخوار البقر قال أردت أن أجعل خلف كل انسان أهله وماله يقاتل عنهم فقال دريد راعي ضأن والله ما له وللحرب؟ وقال وهل يرد المنهزم شيئ انها ان كانت لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك فارفع الأموال والنساء والذراري إلى ممتنع بلادهم ثم ألق القوم على متون الخيل فإن كانت لك لحق بك من ورائك وإن كانت عليك أحرزت أهلك ومالك، فقال مالك والله لا أفعل إنك قد كبرت وكبر عقلك، فغضب دريد وقال يا معشر هوازن ما هذا برأيي ان هذا فاضحكم وممكن منكم عدوكم ولاحق بحصن ثقيف وتارككم فانصرفوا واتركوه. فسل مالك سيفه وقال إن لم تطيعوني لأقتلن نفسي، وكره أن يكون لدريد فيها ذكر فقال بعضهم لبعض لئن عصيناه ليقتلن نفسه وهو شاب ونبقى مع دريد وهو شيخ كبير لا قتال معه فاجمعوا رأيكم مع مالك فلما رأى دريد أنهم خالفوه قال:

يا ليتني فيها جذع أخب فيها وأضع
أقود وطفاء الزمع كأنها شاة صدع

وطفاء بفتح الواو وسكون المهملة وبالفاء والمد والزمع بفتح الزاي والميم صفة محمودة في الخيل انتهى كلام الزرقاني.

والصدع محركة من الأوعال والظباء الفتي الشاب القوي قاله في

القاموس ومعنى ليتني فيها جذع أي شاب وأضع أسرع كأوضع ثم إنه عليه السلام وجه عبد الله بن أبي حدرد بمهملات كجعفر الصحابي ابن الصحابي الأسلمي إلى هوازن فأقام فيهم يوما أو يومين وللواقدي أنه أي ابن حدرد سمع مالكا يقول لأصحابه ان محمدا لم يقاتل قوما قبل هذه المرة وإنما كان يلقى قوما لا علم لهم بالحرب فإذا كان السحر فصفوا مواشيكم ونساءكم وابناءكم من ورائكم ثم صفوا واكسروا جفون سيوفكم فتلقونه بعشرين ألف سيف واحملوا حملة رجل واحد واعلموا ان الغلبة لمن حمل أولا. قال محمد بن عبد الباقي قوله بعشرين ألف سيف صواب ويأتي تحقيقه اهـ.

وعند ابن أبي داود عن سهل بن الحنظلية الأنصاري الأوسي ممن بايع تحت الشجرة أنهم ساروا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم حنين فأطنبوا السير أي بالغوا فيه حتى كان عشيته فجاء رجل فارس قال الحافظ هو ابن أبي حدرد فقال اني انطلقت من بين أيديكم حتى بلغت جبل كذا وكذا وإذا أنا بهوازن على بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشائهم اجتمعوا إلى حنين فتبسم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال تلك غنيمة المسلمين غدا إن شاء الله، قوله عن بكرة أبيهم بفتح الموحدة وسكون الكاف قاله ابن الأثير وغيره فهو الرواية هنا وفتح الكاف لغة وهي كلمة يراد بها الكثرة وتوفر العدد وليس هناك بكرة حقيقة وهي التي يستقى عليها فاستعيرت هنا وكان المراد اجتماع بني أب على بكرة أبيهم التي يستقي عليها وظعنهم بضمتين أي نساءهم وأصل الظعينة الراحلة يظعن عليها أي يسار وسميت المرأة بذلك لأنها تظعن مع زوجها حيث ما ظعن ولأنها تحمل على الراحلة فهي من تسمية المحمول باسم الحامل وقيل الظعينة المرأة التي في الهودج ثم قيل للمرأة بلا هودج وللهودج بلا امرأة ظعينة قاله القسطلاني والزرقاني وروى الحاكم وصححه عن أنس لما اجتمع الناس يوم حنين اعجبتهم كثرتهم فقال القوم اليوم والله نقاتل حين اجتمعنا فكره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما قالوا وروي عن ابن اسحاق قال قال رجل يوم حنين لن نغلب اليوم من قلة فشق ذلك على النبي

صلى الله تعالى عليه وسلم لأن ظاهره الافتخار وعند ابن اسحاق أيضا انه عليه السلام قال لن نغلب اليوم من قلة قال الشامي والصحيح ان قائل ذلك غيره صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ركب صلى الله تعالى عليه وسلم بغلته البيضاء وعند ابن سعد وغيره انها دلدل وفيه نظر لأن دلدل أهداها له المقوقس وفي مسلم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة بضم النون وخفة الفاء ومثلثة الجذامي ولبس درعين والمغفر واستقبل الصفوف وبشرهم بالفتح ان صبروا ولما كان ثلث الليل الأخير عبأ مالك بن عوف أصحابه في واد حنين وهو واد أجوف ذو شعاب ومضايق وفرق الناس فيها وأمرهم أن يحملوا على المسلمين حملة واحدة وعبأ صلى الله تعالى عليه وسلم أصحابه ووضع الألوية والرايات في أهلها فاستقبلهم من هوازن ما لم يروا مثله قط من الكثرة لأنهم أكثر من عشرين ألفا وذلك في غبش الصبح بالتحريك أي بقية ظلمته ولابن اسحاق في عماية الصبح بفتح المهملة وخفة الميم أي بقية ظلمته ولا ينافي هذا ما عند أبي داود عن أبي عبد الرحمن بن يزيد انه عليه السلام أتاه حين زالت الشمس قال ثم سرنا يومنا فلقينا العدو لأنه يجمع بينهما بأنهم ساروا بقية اليوم ونزلوا حنينا ليلا والتقوا بغبش الصبح وخرجت الكتائب من مضيق الوادي وكانوا كامنين فيه فحملوا حملة واحدة فانكشفت خيل بني سليم مولية وتبعهم أهل مكة لحدوث عهدهم بالاسلام فقالوا أخذلوه وانهزم الناس قال الحافظ والعذر لمن انهزم من غير المؤلفة ان العدو أكثر من ضعفهم انتهى.

بل في النور أنهم كانوا أضعاف المسلمين وما في البيضاوي والبغوي من أن ثقيفا وهوازن كانوا أربعة آلاف لا ينافيه بأنهم انضم إليهم من العرب ما بلغوا به ذلك. قاله الزرقاني. واقتصر الثعالبي في تفسيره على أن جموع العدو بلغت ثلاثين ألفا نقله الوالد حفظه الله في الريان ولما رأى من معه من المؤلفة ما وقع تكلم رجال بما في قلوبهم فقال أبو سفيان بن حرب وكان إسلامه مدخولا لا تنتهي هزيمتهم دون البحر وصرخ جبلة بن الحنبل وقيل كلدة بن الحنبل وأسلم بعد ألا بطل السحر

اليوم. فقال له أخوه لأمه صفوان بن أمية وهو حينئذ مشرك أسكت فض الله فاك لئن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن وقال شيبة ابن عثمان بن أبي طلحة لما رأيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يوم حنين ذكرت أبي وعمي قتلهما حمزة أي بأحد فقلت اليوم أدرك ثأري في محمد فجئته عن يمينه فإذا أنا بالعباس قائما عليه درع بيضاء قلت عمه لن يخذله فجئته عن يساره فإذا أنا بأبي سفيان بن الحارث فقلت ابن عمه لن يخذله فجئته من خلفه فدنوت منه فرفع إلي شواظ من نار فنكصت على عقبي فالتفت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا شيبة ادنه، فدنوت فوضع يده في صدري فاستخرج الله الشيطان من قلبي فرفعت إليه بصري فلهو أحب إلي من سمعي وبصري فقال لي يا شيبة قاتل الكفار، فقاتلت معه صلى الله تعالى عليه وسلم ولما انهزم المسلمون ثبت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وطفق يركض بغلته قبل العدو وثبت معه عمه العباس وابنه الفضل وعلي بن أبي طالب وابنا عمه أبو سفيان بن الحارث وأخوه ربيعة وابن أبي سفيان واسمه جعفر وأبو بكر وعمر وأسامة بن زيد وأيمن بن أيمن وقتل يومئذ وأبوه عبيد بن زيد بن عمرو بن بلال الخزرجي كذا نسبه سعد وابن منده وذلك أن أم أيمن بركة الحبشية تزوجت في الجاهلية عبيدا بمكة ثم نقلها الي المدينة وولدت له أيمن ثم مات عنها فرجعت الي مكة فتزوجها زيد بن حارثة قاله البلاذري وغيره، نقله الزرقاني وصرح البخاري في ذكر أسامة بن زيد بن حارثة ان أيمن هذا رجل من الأنصار قال في الفتح وأبوه هو عبيد بن عمرو بن بلال من بني الحبلى من الخزرج ويقال انه كان حبشيا من موالي الخزرج تزوج أم أيمن قبل زيد بن حارثة فولدت له أيمن واستشهد يوم حنين أيمن مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نسب إلى امه لشرفها على أبيه، وشهرتها عند أهل البيت النبوي وتزوج زيد ابن حارثة ام أيمن فولدت له أسامة انتهى منه بلفظه.

وعلى أنه خزرجي اختصر القسطلاني في شرح البخاري ولفظه ونسب إلي أمه لأنها كانت أشهر من أبيه عبيد بضم العين ابن عمرو بفتحها ابن هلال الخزرجي الأنصاري ولشرفها بحضانته صلى الله تعالى عليه

وسلم انتهى.

وقوله لابن حجر ويقال انه حبشي هو قول ابن عبد البر والصواب الأول كما في الإصابة نقله الزرقاني. ففي اقتصار اليدالي على أنه حبشي مخالفة لمن رأيت وهو تابع للقسطلاني في المواهب والله تعالى أعلم.
وروى مسلم عن العباس شهدت يوم حنين فلزمته صلى الله تعالى عليه وسلم أنا وأبو سفيان بن الحارث وأنا آخذ بلجام بغلته أكفها مخافة أن تصل إلى العدو وأبو سفيان آخذ بركابه وفي البخاري عن البراء بن عازب وسأله رجل أفررتم عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم حنين فقال لا لكن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يفر كانت هوازن رماة وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام ولقد رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على بغلته البيضاء وإن أبا سفيان بن الحارث آخذ بزمامها وهو يقول:

أنا النبي لا كذب أنا بن عبد المطلب

وللبخاري في الجهاد فنزل أي عن البغلة فاستنصر وفي مسلم فقال اللهم أنزل نصرك وجمع بينما هنا وبين ما مر عن مسلم أن أبا سفيان كان آخذا بزمامها أولا فلما ركضها عليه السلام في نحر العدو خشي العباس فأخذ بلجامها يكفها وأخذ أبو سفيان بالركاب وترك اللجام للعباس إجلالا له لأنه عمه وفي مسلم عن البراء كنا والله إذا احمر البأس نتقي به وان الشجاع منا الذي يحاذيه يعني النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال في المواهب قوله لا كذب فيه إشارة الي أن صفة النبوءة يستحيل معها الكذب وكأنه قال ولست بكاذب فيما أقول حتى انهزم بل أنا متيقن أن ما وعدني به الله تعالى من النصر حق لا يجوز علي الفرار وفي ركوبه عليه السلام للبغلة في موطن الحرب والطعن والضرب مع انها لا تصلح للكر ولا للفر وإنما هي من مراكب الطمأنينة دلالة على نهايته في الشجاعة وثبات القلب والتوكل على الله تعالى

وأن الحرب عنده كالسلم وقوله أنا ابن عبد المطلب إنما انتسب لجده لأن شهرته بجده كانت أكثر من شهرته لأبيه، لأن أباه توفي شابا في حياة عبد المطلب وشهرة جده ظاهرة شائعة وكان سيد قريش وليس هذا بشعر وإن كان متزنا إذ لم يقصد عليه السلام وزنه، وعند ابن أبي شيبة لم يبق معه عليه السلام إلا أربعة نفر ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم علي والعباس بين يديه وأبو سفيان بن الحارث آخذ بالعنان وابن مسعود من الجانب الأيسر وليس يقبل نحوه أحد إلا قتل أي بقتل الملائكة على المتبادر.

وفي الترمذي عن ابن عمر لقد رأيتنا يوم حنين وإن الناس لمولون وما مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مائة رجل وقال الحافظ هذا أكثر ما وقفت عليه في عدد من ثبت. وروى أحمد والحاكم أنه ثبت معه ثمانون رجلا من المهاجرين والأنصار وللنووي أنه ثبت معه إثنى عشر وممن ذكر الزبير بن بكار أنه ثبت معه عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب وشيبة بن عثمان الحجبي وعند الواقدي وغيره أبا دجانة وأبا طلحة وحارثة بن النعمان وسعد بن عبادة وأسيد بن حضير وأبا بشر المازني وأم سليم وغير ذلك.

قال في المواهب وقع في شعر عباس بن عبد المطلب أن الذين ثبتوا كانوا عشرة فقط لقوله:

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة ... وقد فر من قد فر عنه فأقشعوا

وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه ... لما مسه في الله لا يتوجع

وأقشعوا أي انكشفوا، مطاوع قشع متعديا، وعاشرنا أيمن بن عبيد كما في الاستيعاب قاله الزرقاني، وحصل فيمن ثبت خمسة أقوال أربعة دون مائة إثنى عشر ثمانون مائة رواه البيهقي. وفي الزرقاني عن الحافظ أنه قال لعل هذا يعني العشرة التي ذكر العباس هو المثبت ومن زاد على ذلك يكون عجل الرجوع فعد فيمن لم ينهزم، انتهى.

وقبل البيتين المتقدمين:

ألا هل أتى عرسي مكري ومقدمي   بواد حنين والأسنة تشرع

ولما انكشف المسلمون أمر عليه الصلاة والسلام العباس وكان صيتًا قيل كان يسمع صوته من ثمانية أميال فقال يا عباس نادي يا معشر الأنصار يا أصحاب السمرة يعني الشجرة التي بايعوه تحتها بيعة الرضوان يا أصحاب سورة البقرة وخصت بالذكر حين الفرار لتضمنها كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة أو لتضمنها أوفوا بعهدي أوفي بعهدكم، أو ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله، قاله الزرقاني. فلما سمع المسلمون نداء العباس أقبلوا كأنهم الإبل إذا حنت على أولادها حتى نزل صلى الله تعالى عليه وسلم كأنه في حرجة بفتح المهملة والراء وبالجيم شجر ملتف. قال العباس فلرماح الأنصار كانت أخوف عندي على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من رماح الكفار أخرجه البيهقي أي خاف أن يصيبه منها شيء بغير قصد لشدة عطفهم عليه. وفي رواية فأجابوا لبيك لبيك، فيذهب الرجل ليثني بعيره فلا يقدر على ذلك، فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بعيره ويخلي سبيله ويؤم الصوت حتى ينتهي الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأمرهم عليه السلام أن يصدقوا الحملة فاقتتلوا مع الكفار وعند ابن إسحاق حتى إذا اجتمع عليه مائة منهم استقبلوا الناس فاقتتلوا فكانت الدعوى للانصار ثم خلصت أخيرا للخزرج وكانوا صبرا عند الحرب فأشرف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنظر إلى قتالهم فقال الآن حمي الوطيس، والوطيس التنور يخبز فيه يضرب مثلا بعد نطقه به عليه السلام إذ هو أول من نطق به كما صرح به غير واحد من شدة الحرب التي يشبه حرها حره وتناول عليه السلام حصيات من الأرض ثم قال شاهت الوجوه أي قبحت خبر بمعنى الدعاء ورمى بها في وجوه المشركين، زاد مسلم ثم قال انهزموا ورب محمد. فما خلق اللهم منهم إنسانا إلا ملأ عينيه من تلك القبضة بضم القاف الشيء المقبوض وهو المناسب هنا. قال البرهان ويجوز فتحها فما رجع الناس إلا والأسرى عنده صلى الله تعالى عليه وسلم مكتفون وروى البيهقي والطبري وغيرهما عن رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم لم يقوموا لنا حلب شاة فلما لقيناهم جعلنا نسوقهم في آثارهم حتى انتهينا إلى صاحب البغلة البيضاء فإذا هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان، فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا فانهزمنا وركبوا اكتافنا. وفي رواية وكانت إياها أي الهزيمة، وفي سيرة الدمياطي كان سيمى الملائكة يوم حنين عمائم حمر أرخوها بين اكتافهم وفي رواية عمائم خضر فيحتمل ان بعضها حمر وبعضها خضر، وعن جبير بن مطعم رأيت قبل هزيمة القوم أي المشركين والناس يقتتلون مثل البجاد الأسود أقبل من السماء حتى سقط بين القوم، فنظرت فإذا نمل أسود مبثوث قد ملأ الوادي لم أشك أنها الملائكة ولم يكن إلا هزيمة القوم والبجاد بكسر الموحدة والجيم الخفيفة آخره دال مهملة الكساء، وجمعه بجد أراد أن الملائكة لكثرتهم واختلاط بعضهم ببعض صاروا كالبجاد المتصل أجزاؤه بنسجه. وعن شيوخ من الأنصار رأينا يومئذ كالبجد السود هوت من السماء ركاما فإذا نمل مبثوث فإن كنا ننفضه عن ثيابنا فكان نصر الله أيدنا به، ولعل نزولهم في صورة النمل ليظهروا للمسلمين فسألوا عنهم ويتوصلوا بذلك للعلم لأن ذلك من معجزاته عليه السلام، نقله الزرقاني.
وروى أحمد والحاكم والبيهقي برجال ثقاة عن ابن مسعود قال كنت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم حنين فولى الناس وبقيت معه في ثمانين رجلا من المهاجرين والأنصار فقمنا على أقدامنا ولم نولهم الدبر وهم الذين أنزل الله تعالى عليهم السكينة ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على بغلته لم يمض قدما فجادت به صلى الله تعالى عليه وسلم بغلته فمال السرج، فقلت ارتفع رفعك الله، فقال ناولني كفا من تراب فضرب وجوههم وامتلأت أعينهم ترابا وجاء المهاجرون والأنصار سيوفهم بأيمانهم كأنها الشهب فولى المشركون الأدبار والسكينة الطمأنينة وجادت بغلته لعل معناه خرجت عن الاستقامة قاله الزرقاني.

وروى البخاري في التاريخ عن عمرو بن سفيان قال قبض صلى الله تعالى عليه وسلم يوم حنين قبضة من الحصي فرمى بها وجوهنا فما

خيل لنا إلا أن كل حجر وشجر فارس يطلبنا انتهى.
ولما ثبت معه صلى الله تعالى عليه وسلم من ثبت، كان رجل من هوازن على جمل أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح أمام هوازن إذا أدرك طعن برمحه وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه، فبينما هو كذلك إذ أهوى إليه علي بن أبي طالب ورجل من الأنصار فأتى علي من خلفه وضرب عرقوبي الجمل فوقع على عجزه وضرب الأنصاري الرجل ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه، وحدث أنس أن أبا طلحة يوم حنين استلب عشرين رجلا ولما انهزمت هوازن استحر القتل في ثقيف في بني مالك فقتل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم فيهم ذو الخمار ولما قتل أخذها عثمان بن عبد الله بن ربيعة فقاتل بها حتى قتل فقال عليه السلام أبعده الله فإنه كان يبغض قريشا وكانت راية الأحلاف مع قارب ابن الأسود، فلما انهزم الناس هرب هو وقومه من الأحلاف فلم يقتل غير رجلين يقال لأحدهما وهب، وللآخر الجلاح، فلما قتل الجلاح قال عليه السلام قتل اليوم سيد شباب ثقيف، إلا ما كان من أمر هنيدة يعني الحارث بن أوس، ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف، وعسكر بعضهم بأوطاس وتوجه بعضهم نحو نخلة وتبعت خيله صلى الله تعالى عليه وسلم من سلك في نخلة فأدرك ربيعة بن رفيع بالفاء مصغرا دريد بن الصمت فأخذ بخطام جمله وهو يظن أنه امرأة، فإذا هو دريد ولا يعرفه الغلام فقال له دريد ما تريد؟ قال أقتلك. قال ومن أنت؟ قال أنا ربيعة بن رفيع السلمي، ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئا فقال بئس ما سلحتك أمك. خذ سيفي من مؤخر الرحل ثم أضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فإني كذلك كنت أضرب ثم إذا أتيت أمك فاخبرها أنك قتلت دريد بن الصمت، فرب والله يوم قد منعت فيه نساءك، ولما ضربه تكشف فإذا بطون فخذيه مثل القرطاس من ركوب الخيل اعراء فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها، فقالت أما والله لقد اعتق أمهات لك ثلاثا، وقالت عمرة بنت دريد ترثي أباها:

قالوا قتلنا دريدا، قلت قد صدقوا ... فظل دمعي على السربال ينحدر
لولا الذي قهر الأقوام كلهم ... رأت سليم وكعب كيف يأتمروا

اهـ من الاكتفاء. وفي الزرقاني أن ربيعة أدرك دريدا في ست مائة

نفس فقتله فيما جزم به ابن إسحاق. قال وروى البزار بإسناد حسن عن أنس لما انهزم المشركون انحاز دريد في ستمائة نفس على أكمة فرأوا كتيبة فقال حلوهم لي أي صفوهم، فحلوهم، فقال هذه قضاعة ولا بأس عليكم منها.

ثم رأوا كتيبة مثل ذلك، فقال هذه سليم، ثم رأوا فارسا وحده فقال حلوه لي، فقالوا معتجر بعمامة سوداء، فقال هذا الزبير بن العوام وهو قاتلكم ومخرجكم عن مكانكم، فالتفت الزبير فرآهم فمضى إليهم وتبعه جماعة فقتلوا ثلاثمائة وحز رأس دريد بن الصمت فجفلوا بين يديه فيحتمل أن ربيعة كان في جماعة الزبير، فباشر قتله فنسب إلى الزبير مجازا نقله الزرقاني عن الحافظ، قال في المواهب: واستشهد من المسلمين أربعة منهم أيمن ابن أم أيمن وقتل من المشركين أكثر من سبعين، قال الزرقاني أي وقت الحرب فلا ينافي حديث البزار السابق، انتهى.

وبقيتهم يزيد بن زمعة بن الأسود بن مطلب بن أسد، جمح به فرسه، الجناح بلفظ جناح الطائر فقتل وسراقة بن الحارث الأنصاري وأبو عامر الأشعري كما عند ابن إسحاق وعند ابن سعد بدل يزيد بن زمعة، رقيم بضم الراء وفتح القاف ابن ثعلبة بن زيد بن لوذان بضم اللام وسكون الواو وذال معجمة لكن ابن اسحاق ذكره فيمن استشهد بالطائف، انتهى.

وذكر ابن إسحاق أن مالك بن عوف النصري بالصاد المهملة نسبة الى نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن وهو رئيسهم لما وصل إلى ثقيف منهزما وجاءه عليه السلام وفد هوازن فسألهم عنه، فقالوا هو مع ثقيف فقال أخبروه انه إن أتاني مسلما رددت إليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل، فأوتي مالك بذلك فركب مستخفيا فأتاه فرد عليه أهله وماله وأعطاه المائة وأسلم وحسن إسلامه، وقال:

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله ... في الناس كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدي ... ومتى تشأ يخبرك عما في غد
وإذا الكتيبة عودت أنيابها ... بالسمهري وضرب كل مهند

فكأنه ليث على أشباله   وسط الهباءة خادر في مرصد
فاستعمله عليه السلام على من أسلم من قومه وتلك القبائل فكان يقاتل بهم ثقيفا لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه. انتهى المراد من كلامه.
وبعث عليه السلام عبيد بن سليم بالتصغير فيهما ابن حضار بفتح المهملة وشد المعجمة فألف فراء أبا عامر الأشعري وهو عم أبي موسى عبد الله بن قيس حين فرغ من حنين، في طلب من فرّ من هوازن إلى أوطاس بفتح الهمزة وسكون الواو وطاء وسين مهملتين وهو واد في ديار هوازن وهناك عسكروا هم وثقيف ثم التقوا بحنين، قال الحافظ والراجح ان وادي أوطاس غير واد حنين ويوضحه أن ابن إسحاق ذكر أن هوازن لما انهزموا صارت فرقة إلي الطائف وطائفة إلى نخلة وطائفة إلى أوطاس، وكان مع أبي عامر سلمة بن الأكوع الفارس المشهور، فانتهى إليهم أبو عامر فإذا هم مجتمعون، فقاتلوه فقتل منهم أبو عامر نفسه تسعة أخوة مبارزة، بعد أن يدعو كل واحد منهم إلى الإسلام، ويقول اللهم اشهد عليه، ثم برز له العاشر معلما بعمامة صفراء فدعاه إلى الاسلام وقال اللهم اشهد عليه، فقال اللهم لا تشهد علي. فكف عنه أبو عامر فأفلت ثم أسلم وحسن إسلامه.
وكان عليه السلام إذا رآه يقول هذا شريد أبي عامر بالراء، كذا ذكر ابن هشام عن من يثق به وجزم الواقدي بأن العاشر لم يسلم، وأنه الذي قتل أبا عامر وعلى الأول فاختلف فيمن قتل أبا عامر رضي الله عنه.

فقيل رماه ابنا جشم بن معاوية وهما العلاء بفتح المهملة وأوفى فأصاب أحدهما قلبه والآخر ركبته فقتلاه فقتلهما أبو موسى الأشعري، وقيل أن أبا عامر قتله سلمة بن دريد بن الصمت فقتله أبو موسى وخلف أبا عامر أبو موسى في استخلافه، فقاتلهم حتى فتح الله عليه وظفر المسلمون بالسبايا والغنائم وكان في السبي الشيماء بفتح المعجمة وسكون التحتية ويقال فيها الشماء بلا ياء بنت الحارث بن عبد العزى واسمه جدامة بضم الجيم ودال مهملة وميم أو خذافة بضم الحاء المهملة وذال معجمة فألف ففاء أو خذافة بمعجمة مكسورة وذال معجمة أخته عليه السلام من الرضاعة، وكان صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان

قدرتم على بجاد رجل من بني سعد فلا يفلتنكم، وكان أتاه مسلم فقتله وقطعه عضوا عضوا، ثم أحرقه بالنار فظفروا به فساقوه وأهله وساقوا معه الشيماء وأتعبوها بالسير، فقالت تعلمون والله أني أخت صاحبكم فلم يصدقوها فلما انتهوا بها إليه صلى الله تعالى عليه وسلم قالت يا رسول الله إني أختك، قال وما علامة ذلك؟ قالت عضة عضضتنيها وأنا متوركتك، فعرف العلامة فبسط لها رداءه، فأجلسها عليه ورحب بها ودمعت عيناه، وقال لها إن أحببت فعندي محببة مكرمة وإن أحببت أن أمتعك وترجعي إلى قومك فعلت، فقالت بل تمتعني وتردني الي قومي فأسلمت ومتعها عليه السلام وردها إلى قومها وأنزل الله تعالى لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم إلى قوله وذلك جزاء الكافرين، ثم جمعت له صلى الله تعالى عليه وسلم سبايا أهل حنين وأموالهم فأمر بها الى الجعرانة فحبست بها حتى أدركها منصرفه من الطائف ويأتي ذكرها إن شاء الله، وقال العباس بن مرداس السلمي في يوم حنين:

عفى مجدل من أهله فمتالع ... فمطلى أريك قد خلى فالمصانع

ديار لنا يا جمل إذ جل عيشنا ... رخي وصرف الدهر للحي جامع

حبيبية ألوت بها غربةالنوى ... لبين فهل ماض من العيش راجع

فإن تتبعي الكفار غير ملومة ... فإني وزير للنبي وتابع

دعانا إليهم خير وفد علمتهم ... خزيمة والمرار منهم وواسع

فجئنا بألف من سليم عليهم ... لبوس لهم من نسج داوود رائع

يبايعه بالأخشبين وإنما ... يد الله بين الأخشبين نبايع

فجسنا مع المهدي مكة عنوة ... بأسيافنا والنقع كابن وساطع

علانية والخيل يغشى متونها ... حميم وآن من دم الجوف ناقع

ويوم حنين حين سارت هوازن ... إلينا وضاقت بالنفوس الأضالع

صبرنا مع الضحاك لا يستفزنا ... قراع الأعادي منهم والوقائع

أمام رسول الله يخفق فوقنا ... لواء كخذروف السحابة لامع

عشية ضحاك بن سفيان معتص ... بسيف رسول الله والموت كانع

نذود أخانا عن أخينا ولو نرى ... مصالا لكنا الأقربين نتابع

ولكن دين الله دين محمد رضينا به فيه الهدى والشرائع
أقام به بعد الضلالة أمرنا وليس لأمر حمه الله دافع

مجدل كمنبر موضع ومتالع بالضم جبل والمطلى بكسر الميم ويمد المسيل الضيق أو الأرض السهلة وأريك كأمير واد، وغربة بفتح المعجمة وسكون الراء فموحدة فتاء تأنيث البعد، قاله البناني. وجسنا ترددنا خلال دورها، وخذروف السحاب كعصفور البرق اللامع؛ واعتص بالسيف ضرب به ضرب العصى؛ وقوله نذود أخانا إلخ.. يريد ان سليم من قيس كما أن هوازن من قيس أي نقاتل أخواننا من هوازن عن اخواننا من سليم ولو نرى في الدين مصالا مفعلا من الصولة لكنا مع الأقربين يعني هوازن.

وفي البخاري عن أبى موسى الأشعري بعثني يعني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مع أبي عامر فرمى أبو عامر في ركبته رماه جشمي بسهم فأثبته في ركبته قال أبو موسى فقلت له يا عم من رماك فأشار إلي فقال ذلك قاتلي الذي رماني.

فلحقته فلما رآني ولى فأتبعته وجعلت أقول له ألا تستحي، ألا تثبت، فكف فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته فقلت لأبي عامر قتل الله قاتلك، قال فأنزع السهم مني فنزعته منه فنزى منه الماء قال يابن أخي اقرئ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مني السلام وقل له يستغفر لي ثم مات فرجعت فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر ودعى بماء فتوضأ ثم رفع يديه وقال اللهم أغفر لعبيد أبي عامر، ورأيت بياض أبطيه ثم قال اللهم اجعله يوم القيامة في الجنة فوق كثير من خلقك. فقلت ولي فأستغفر، قال اللهم أغفر لعبد الله بن قيس ذنبه وادخله يوم القيامة مدخلا كريما.

ثم بعد حنين «**غزوة الطائف**» وقدمها الناظم فى البيت السابق لأنه لم يقصد ترتيب الغزوات وهو بلد كبير على ثلاث مراحل أو اثنتين من مكة من جهة المشرق، كثير الأعناب والفواكه، قاله فى المواهب.
قال الزرقاني ولك الجمع بأن الثلاث من عمران مكة والاثنتين من آخر ما ينتهي إليها من توابعها المنسوبة إليها انتهى.
سمي بذلك لأنه طاف على الماء فى الطوفان ولأن جبريل طاف بها على البيت، أو لأنها كانت بالشام فنقلها الله إلى الحجاز بدعوة إبراهيم، أو لأن رجلا من الصدف أصاب دما بحضرموت ففر إلى وج وحالف مسعود بن معتب وكان له مال عظيم فقال هل لك ان نبني طوفا عليكم يكون لكم رد من العرب؟ فقالوا نعم. فبناه وهو الحائط المطيف به. قاله فى القاموس.
وقال فى المواهب وقيل إن أصلها أي سبب تسميتها بذلك أن جبريل عليه السلام اقتلع جنة أصحاب الصريم فسار بها إلى مكة فطاف بها حول البيت ثم أنزلها حيث الطائف، وكانت أولا بنوا حي صنعاء، قال الزرقاني وكانت قصة أصحاب الجنة بعد عيسى بزمن يسير ذكر هذا النقاش وغيره. وفى الروض قيل وج هو الطائف، وقيل اسم واد بها ويشهد له قول الشاعر:
أتهـــدي لي الوعـــيـــد ببطن وج كــــــــــأني لا أراك ولا تراني
ويقال بتخفيف الجيم والصواب تشديدها، ويقال وج وأج بالهمز بدل الواو، قاله يعقوب. انتهى.
وعلى التشديد اقتصر القسطلاني وواوه مفتوحة سميت برجل من العمالقة وهو أول من نزلها، قاله فى الفتح، قال الكلاعي ولما قدم فلٌ ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتهم وصنعوا الصنائع للقتال، ولم يشهد حنينا ولا الطائف عروة بن مسعود ولا غيلان بن مسلمة، كانا بجرش يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق؛ ثم سار صلى الله تعالى عليه وسلم إلى الطائف حين فرغ من حنين اهـ المراد منه.

والدبابة مشددة آلة للحرب، يدخل فيها الرجال فيدبون فيها إلى الحصون فينقبونها. وسار عليه السلام إليها فى شوال سنة ثمان، وقدم خالد بن الوليد على مقدمته فى ألف من أصحابه، قال فى المواهب وكانت ثقيف لما انهزموا من أوطاس دخلوا حصنهم بالطائف، ورموه بالتشديد أي أصلحوه، وأغلقوه عليهم بعد أن أدخلوا فيه ما يصلحهم من القوت لسنة وتهيؤوا للقتال؛ انتهى.

فدنى خالد من الحصن فدار به ثم نادى بأعلى صوته ينزل إلى أحدكم أكلمه وهو آمن، أو اجعلوا لي مثل ذلك وأدخل عليكم، فقالوا لا ينزل إليك رجل منا ولا تصل إلينا، إن صاحبكم لم يلق قوما يحسنون قتاله غيرنا.

قال خالد فاسمعوا من قولي، نزل صلى الله تعالى عليه وسلم بأهل الحصون يثرب وخيبر وأنا أحذركم مثل يوم قريظة حصرهم أياما ثم نزلوا على حكمه، فقتل مقاتلهم فى صعيد واحد وسبى الذرية ثم فتح مكة وأوطأ هوازن فى جموعها. قالوا لا نفارق ديننا. وكانت ثقيف أدخلت معها عقيلا وغيرهم من العرب، قال فى المواهب ومرّ صلى الله تعالى عليه وسلم فى طريقه بقبر أبي رغلان وهو أبو ثقيف فاستخرج منه غصنا من ذهب اهـ وكان يتوكأ عليه كما فى الزرقاني.

وروي ابن اسحاق والبيهقي عن ابن عمر أنه عليه السلام قال هذا قبر أبي رغال، وهو أبو ثقيف وكان من ثمود بهذا الحرم يدفع عنه، فلما خرج أصابته النقمة التى أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه اهـ وليس أبو رغال هذا هو دليل ابرهة لما مرّ بالطائف فإن بين مولده عليه السلام وهلاك ثمود ألوفا، وسار عليه السلام حتى نزل قريبا من حصنهم ولا مثل له فى حصون العرب، فرمت ثقيف المسلمين بالنبل رميا شديدا كأنه رجل جراد بكسر الراء وسكون الجيم وهو الجماعة الكثيرة، فأصيب قوم من المسلمين بجراحة، واستشهد منهم اثنى عشر رجلا، منهم عبد الله بن أبي أمية أخو أم سلمة لأبيها، وسعيد بن سعيد

بن العاصي الأموي، وعرفطة بضم المهملة وسكون الراء وضم الفاء وطاء مهملة بن حباب بضم المهملة وخفة الموحدة عند ابن عقبة وابن هشام. ولابن اسحاق انه ابن جناب بجيم ونون الأزدي ومنهم عبد الله بن عامر بن ربيعة حليف بني مخزوم والسائب وعبد الله ابنا الحارث بن قيس السهمي، وجليحة بضم الجيم وفتح اللام وسكون التحتية وحاء مهملة بن عبد الله ومن الأنصار ثابت بن الجزع بفتح الجيم والمعجمة ومهملة السلمي والحارث بن سهل والمنذر بن عبد الله ورقيم بن ثابت ذكره هنا ابن إسحاق وذكره ابن سعد في شهداء حنين ويزيد بن زمعة بن الأسود الأسدي ذكره ابن سعد هنا، وأما ابن اسحاق فعده في شهداء حنين وهو الذى تقدم. ورمى عبد الله بن أبي بكر الصديق يومئذ بسهم فاندمل جرحه ثم نقض بعد ذلك فمات في خلافة أبيه رضي الله عنهم أجمعين، وعده ابن اسحاق وأتباعه في الاثنى عشر وأسقط منهم يزيد بن زمعة، كما مر، لكن عبد الله ليس بشهيد لبقائه بعد الحرب مدة طويلة كما قاله المالكية، والشافعية، وارتفع عليه السلام بعد قتل هؤلاءإلى موضع مسجد الطائف اليوم الذى بناه عمرو بن أمية بن وهب بن معتب لما أسلمت ثقيف، وكانت فيه سارية فيما يزعمون لا تطلع عليها الشمس يوما من الدهر إلا سمع لها نقيض أكثر من عشر مرات بنون وقاف وتحتية ومعجمة أي صوت، وكان معه من نسائه أم سلمة وزينب وضرب لهما قبتين وكان يصلي بين القبتين في مدة حصارهم كلها، وهي ثمانية عشر أو خمسة عشر يوما؛ وروي بضعا وعشرين. وروى مسلم عن أنس أنهم حاصروهم أربعين ليلة اهـ.

ونصب عليهم المنجنيق بفتح الميم وتكسر وميمه أصلية والنون زائدة ولذا حذفت في الجمع وهو معرب وهو أول منجنيق رمي به في الإسلام، وكان قدم به الطفيل الدوسي لما رجع من سرية ذي الكفين. وذكر ابن إسحاق ان المسلمين دخلوا في دبابة وهي من جلود البقر يوم الشدخة فيما شدخ فيه من الناس ثم زحفوا بها إلى جدار الحصن ليحفروه،

فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد المحماة بالنار فأحرقت الدبابة، فخرج المسلمون من تحتها وقد أصيب منهم من أصيب؛ فأمر صلى الله تعالى عليه وسلم بقطع أعنابهم، ونخيلهم وتحريقها فقطعها المسلمون قطعا ذريعا ثم سألوه أن يدعها لله وللرحم، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم إني أدعها لله وللرحم، أي لأن أمه آمنة أمها برة بنت عبد العزى بن قصي، وأم برة هذه أم حبيب بنت أسعد وأمها برة بنت عوف وأمها قلابة بنت الحارث وأم قلابة هند بنت يربوع من ثقيف، قاله ابن قتيبة، قاله الشيخ محمد بن عبد الباقي، ثم نادى مناديه عليه السلام أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر، قال الدمياطي فخرج منهم بضعة عشر رجلا، المنبعث وكان اسمه المضجع، فسماه عليه السلام المنبعث عبد عثمان بن عامر والأزرق عبد كلدة بفتح فسكون ويحنس بضم التحتية وفتح المهملة، والنون المشددة والسين المهملة، النبال عبد يسار بن مالك وأسلم بعد، فرد إليه ولاءه، وابراهيم بن جابر عبد خرشة بفتح المعجمتين والراء بينهما ويسار عبد عثمان بن عبد الله، ونافع عبد غيلان بن سلمة فلما أسلم غيلان رد عليه الصلاة والسلام إليه ولاءه، ونافع بن مسروح ومرزوق غلام لعثمان بن عبد الله، والأزرق أبو عتبة وأبو بكرة، عبد الحارث بن كلدة بفتحتين قاله الزرقاني.

ولما أسلمت ثقيف تكلمت أشرافهم منهم الحارث بن كلدة فى أولئك العبيد ليردوهم إلى الرق فقال عليه السلام أولئك عتقاء الله لا سبيل إليهم، لكنه رد ولاء بعضهم إلى ساداتهم، ثم ان خولة بنت حكيم السلمية زوجة عثمان بن مظعون قالت يا رسول الله اعطني إن فتح الله عليك الطائف حلي بادية بنت غيلان، أو حلي الفارعة بنت عقيل، وكانتا من أحلى نساء ثقيف، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم وإن كان لم يؤذن لنا فى ثقيف. وأمر عمر بن الخطاب أن يؤذن بالرحيل، فأذن بالرحيل، فضج الناس من ذلك فقالوا نرحل ولم يفتح علينا الطائف، فقال عليه السلام فاغدوا على القتال، فغدوا فأصاب المسلمين جراحات ولم يفتح

لهم فقالوا يا رسول الله احرقتنا نبال ثقيف فادعو الله عليهم فقال اللهم اهد ثقيفا وإئت بهم وفى رواية زيادة مسلمين قال صلى الله تعالى عليه وسلم إنا قافلون إن شاء الله تعالى فسروا بذلك وأذعنوا وجعلوا يرحلون ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يضحك، وفقئت يومئذ عين أبي سفيان بن حرب، وذكر ابن سعد أنه أتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال له وهي فى يده هذه عيني أصيبت فى سبيل الله، فقال إيهما أحب إليك عين فى الجنة أي عين ماء لا الباصرة أو أدعو الله أن يردها عليك. قال بل عين فى الجنة ورمى بها.

وروى القزويني أن أبا جهل لطم فاطمة فشكت إلى أبيها صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لها ايت أبا سفيان فأتته فأخبرته فأخذ بيدها حتى وقف على أبي جهل، فقال الطميه كما لطمك، ففعلت، فجاءت إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبرته فرفع يديه وقال اللهم لا تنسها لأبي سفيان.

قال ابن عباس ما شككت أن إسلامه إلا لدعوة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذكره السيوطي وشهد أبو سفيان اليرموك، تحت راية ابنه يزيد فقاتل وفقئت عينه الأخرى، رضي الله تعالى عنه. وقد أجاب الله تعالى دعاءه لثقيف، فجاؤوا مسلمين سنة تسع، ولما انصرف عليه السلام من الطائف، نزل بالجعرانة بكسر الجيم وسكون العين وقد تكسر وتشدد الراء وكان حين خرج من حنين قد أمر بجمع الغنائم إليها وحبسها بها حتى قدم فقسم الغنائم بها، بعد ان استأنى بقسمها بضع عشرة ليلة كما فى الصحيح، ينتظر قدوم هوازن مسلمين، وقدم عليه هوازن مسلمين فسألوه أن يرد عليهم سبيهم وأموالهم فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان معي من ترون، وقد استأنينا بكم حتى ظننت أنكم لا تقدمون وقد قسمت السبي فاختارو إما السبي وإما المال، فاختاروا السبي وكلم عليه السلام الناس فى رد سبيهم عليهم فردوهم كلهم إلا عيينة بن حصن فأبى أن يرد عجوزا عنده قال هذه أم الحي لعلهم أن

يغلوا فداءها؛ ثم ردها بست قلائص على ما لابن إسحاق. وروي البيهقي عن الامام الشافعي انه ردها بلا شيء. وذكر بن سعد أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كسى كل واحد من السبي قبطية؛ وقال ابن عقبة كساهم ثياب المعقد بضم الميم وفتح العين وشد القاف، ضرب من برود هجر، وفى الاكتفاء أن عيينة لما امتنع من رد العجوز قال زهير بن صرد والله ما فوها ببارد، ولا ثديها بناهد، ولا بطنها بوالد ولا زوجها بواجد ولا درها بماكد أي ولا لبنها بعزيز فردها بست فرائض حين قال له ذلك.
وأعطى صلى الله تعالى عليه وسلم المؤلفةقلوبهم وكانوا أشرافا يتألفهم ويتألف قومهم فأعطى أبا سفيان بن حرب وابنه معاوية وحكيم بن حزام والحارث بن الحارث بن كلدة والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى وصفوان بن أمية وكل هؤلاء من أشراف قريش والأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري ومالك بن عوف النصري أعطى كل واحد من هؤلاء المسلمين من قريش وغيرهم، مائة بعير وأعطي دون المائة رجالا من قريش منهم مخرمة بن نوفل وعمير بن وهب وأعطي سعيد بن يربوع المخزومي وعدي بن قيس السهمي خمسين خمسين، وأعطى عباس بن مرداس أباعير فسخطها وقال يخاطب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم:

وكانت نهابا تلافيتها	بكرى على المهر فى الأجرع
وإيقاظي القوم ان يرقدوا	إذا هجع الناس لم أهجع
فأصبح نهبي ونهب العبيد	بين عيينة والأقرع
وقد كنت فى الحرب ذا تدرء	فلم يعط شيئا ولم أمنع
وما كان حصن ولا حابس	يفوقان مرداس فى مجمع
وما كنت دون امرء منهما	ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اقطعوا عني لسانه. فأعطوه حتى رضي، فكان ذلك قطع لسانه. انتهى من الاكتفاء.
وزاد الزرقاني ممن أعطاه مائة أسيد بفتح فكسر بن جارية بجيم

وتحتية الثقفي، وفيه أنه أعطي العباس بن مرداس دون مائة فلما قال الأبيات أتم المائة له، وعزاه لمسلم وغيره وزاد الزقاني أيضا ممن أعطاه مائة يزيد بن أبي سفيان، وقال إنه أعطاه معها أربعين أوقية، وكذا أخوه معاوية وكذا أبوهما، وأعطى النضير بمعجمة مصغرا ابن الحارث مائة بعير أيضا.

وفي مسلم أنه أعطى لصفوان مائة من النعم، ثم مائة ثم مائة، وقال الواقدي يقال ان صفوان طاف معه صلى الله تعالى عليه وسلم يتصفح الغنائم إذ مرّ بشعب مملوء ابلا وغنما فأعجبه وجعل ينظر إليه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم أعجبك هذا الشعب يا أبا وهب؟ قال نعم. قال هو لك بما فيه. فقال صفوان أشهد أنك رسول الله، ما طابت بهذا نفس أحد قط إلا نبي انتهى المراد منه.

ولما أعطى هذه العطايا قال ناس من الأنصار يغفر الله لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم وحدث بذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من أدم بفتح الهزمة والدال جلد مدبوغ ولم يدع معهم غيرهم ثم قال لهم أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم إلى رحالكم؟ بالمهملة أي بيوتكم؟ فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به. ثم قالوا يا رسول الله قد رضينا.

وروي أنهم بكوا حتى أخضلوا لحاهم. وفي البخاري عن جبير بن مطعم بينما أنا مع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه الناس مقفله بفتح الميم وسكون القاف وفتح الفاء أي زمن رجوعه من حنين علقت بفتح العين وكسر اللام الخفيفة فقاف، برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أي لزمته الأعراب حتى اضطروه إلى سمرة فقال الحافظ شجرة طويلة متفرقة الرأس قليلة الظل صغيرة الورق والشوك صلبة الخشب، ويقال هي شجرة الطلح، فخطفت رداءه فوقف عليه السلام وقال

اعطوني ردائي، فلو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا، وفى المواهب أن السبي ستة آلاف رأس من النساء والأطفال والإبل أربعة وعشرون ألف بعير وان الغنم أكثر من أربعين ألفا، والفضة أربعة آلاف أوقية قال الزرقاني ولم يذكر عدد البقر، والحمير مع أنهما كانا معهم أيضا.

ولنذكر قصة قدوم هوازن عليه، عليه الصلاة والسلام

وكان وفد هوازن أول الوفود والوفد الجماعة المختارة للقدوم فى لقاء العظماء قاله النووي وأقره في المواهب، قال الزرقاني وكأنه استعمال عرفي وإلا ففى اللغة القادم مطلقا، ذكر ابن عقبة أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما انصرف من الطائف ووصل إلى الجعرانة فى الليلة الخامسة من ذي القعدة وفيها سبي هوازن قدم عليه وفد هوازن مسلمين وفيه تسعة من أشرافهم فبايعوا، ثم قالوا يا رسول الله إن فيمن أصبتم الأمهات والأخوات والعمات والخالات لك فقال سأطلب لكم وقد وقعت المقاسم فأي الأمرين أحب إليكم؟ السبي أم المال؟ قالوا أخيرتنا يا رسول الله بين الحسب والمال، فالحسب أحب إلينا. ولا نتكلم فى شاة ولا بعير. فقال أما الذى لبني هاشم فهو لكم، وسوف أكلم لكم المسلمين فكلموهم وأظهروا إسلامكم. وفى رواية غيره وقالوا إنا إخوانكم فى الدين، وإنا نستشفع برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى المسلمين فتكلم خطباءهم فأبلغوا فيه ورغبوا المسلمين فى رد سبيهم ثم قام صلى الله تعالى عليه وسلم حين فرغ وشفع لهم وحض المسلمين وفي رواية أنهم قالوا له إنا أهل وعشيرة فقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك فامنن علينا من الله عليك.

وقام خطيبهم وهو زهير بالتصغير بن صرد السعدي الجشمي أبو جرول ويقال أبو صرد فقال يا رسول الله إن اللواتي فى الحظائر جمع حظيرة

وهي السرب الذى يصنع للإبل والغنم يكفها، وكان السبي فى حظائر مثلها، خالاتك وعماتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك وأنت خير مكفول، ولو أنا ملحنا أي أرضعنا والملح الرضاع للحارث بن أبي شمر أو للنعمان بن المنذر ثم نزل منا بمثل الذى نزلت رجونا عطفه، وأنت خير المكفولين، ثم أنشأ يقول:

أمنن علينا رسول الله فى كرم ... فإنك المرء نرجوه وندخر
أمنن علي ببيضة قد عاقها قدر ... مشتت شملها فى دهرها غير
أبقت لنا الدهر هتافا على حزن ... على قلوبهم الغماء والغمر
إن لم تداركهم نعماء تنشرها ... يا أرحم الناس حلما حين تختبر
أمنن على نسوة قد كنت ترضعها ... إذ فوك يملاؤه من محضها الدرر
إذ أنت طفل صغير كنت ترضعها ... وإذ يزينك ما تأتي وما تذر
لا تجعلنا كمن شالت نعامته ... واستبق منا فإنا معشر زهر
إنا لنشكر للنعماء إذ كفرت ... وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
فألبس العفو من قد كنت ترضعه ... من أمهاتك ان العفو مشتهر
يا خير من مرحت كمت الجياد به ... عند الهياج إذا ما استوقد الشرر
إنا نؤمل عفوا منك تلبسه ... هاد البرية إذ تعفو وتنتصر
فاعفو عفى الله عن ما أنت راهبه ... يوم القيامة إذ يهدى لك الظفر

قال: فلما سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا الشعر، قال: ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وقالت قريش ما كان لنا فهو لله ولرسوله، وقالت الأنصار ما كان لنا فهو لله ولرسوله وقال الاقرع بن حابس أما أنا وبنو تميم فلا؛ وقال عيينة أما أنا وبنو فزارة فلا. قال العباس بن مرداس وبنو سليم فلا. فقالت بنو سليم بلي؛ ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، فقال لهم عباس وهنتموني، فقال عليه السلام أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل انسان ست فرائض من أول سبي أصيبه فردوا إليهم أبناءهم ونساءهم، وقوله رسول الله منادي وفى سببية وقوله فإنك المرء ال لاستغراق أفراد الجنس أي المرء الجامع للصفات المحمودة المتفرقة فى

الرجال وندخر أي لما يعرض لنا من الأهوال وقوله بيضة أي أهل وعشيرة وغير بكسر المعجمة وفتح التحتية أي تغير وانتقال من صلاح لفساد، والغماء الحزن والغمر بفتح المعجمة وفتح الميم الحقد وهتافا إلخ أي صوتا مشتملا على حزن وإن لم تداركه جوابه محذوف أي هلكوا أو هو شرط فى ابقيت، فلا حذف ومحضها بفتح الميم أي لبنها الخالص والدرر بكسر المهملة وفتح الراء الدرر، والدرر بكسر الراء كثرة اللبن وسيلانه جمع درة، ويزينك بفتح الياء وشالت نعامته ارتفعت والنعامة باطن القدم أي هلك، واستبق مفعوله محذوف أي ثناءا يدوم وزهر بضمتين وكفرت بالبناء للمفعول، وقوله مشتهر أي مشتهر حسنه بين الناس، ومرحت كفرح نشطت، وكمت بضم الكاف وسكون الميم جمع كميت، والهياج القتال واستوقد بالبناء للمفعول، وتلبسه بضم الفوقية وكسر الموحدة وهادي منادي، أي هادي البرية، وفى نسخة هذي إشارة للنسوة وقوله فاعفوا بالإشباع والظفر: الفوز. قاله الزرقاني.

وها أنا أذكر ما وعدت بذكره إن شاء الله تعالى: وهي غزوة سليم ثم غزوة بنى قينقاع، ثم غزوة السويق، ثم غزوة غطفان، ثم غزوة بحران؛ وهذه الخمس بعد بدر وقبل أحد.

أما «**غزوة بنى سليم**» فهي أولها، وجزم ابن إسحاق بأنها بعد بدر، بسبعة أيام وتعرف بغزوة قرقرة الكدر ويقال قرارة الكدر ويقال قراقر وقرقرة بفتح القافين وحكى البكري ضمهما والمعروف فتحهما وبعد كل قاف راء، أولاهما ساكنة ثم هاء تأنيث. وفى الصحاح قراقر على فعالل بضم القاف اسم ماء ومنه غزوة قراقر، قاله محمد بن عبد الباقي.

وفي المواهب وفى أول شوال وقيل فى نصف المحرم سنة ثلاث خرج عليه الصلاة والسلام فى مائتي رجل يريد بنى سليم فبلغ ماء يقال له الكدر، وتعرف بغزوة ذي قرقرة، وهي أرض ملساء والكدر طير فى ألوانها كدرة، عرف بها ذلك الموضع، فأقام بها عليه السلام ثلاثا، وقيل

عـشـرا، فلـم يلق أحـدا. قـال الـزرقـانـي والـكدر بـضـم الـكاف وسكون الـدال وسـبـبـهـا أنـه عليـه الـصـلاة والـسـلام بلـغـه أن بـهـذا الموضـع جـمـعـا مـن بـنـي سليم بـضـم الـسـين وفـتـح الـلام وغـطـفـان وذكـر ابـن إسـحـاق والجـمـاعـة أنـه أرسل نـفـرا مـن أصـحـابـه فـي أعلـى الـوادي واسـتـقـبلهم صلى الـلـه تـعـالى عليـه وسلم فـي بـطـن الـوادي فـوجـد رعـاء بـالـكسـر جـمـع راع فـيـهـم غـلام يـقـال لـه يـسـار بـتـحـتـيـة ومـهـمـلـة فسـألـه عـن الـنـاس فـقـال لا عـلـم لـي بـهـم إنمـا أورد الخمس وهذا يـوم ربـعـي والـنـاس قـد ارتـفـعـوا فـي المـيـاه ونـحـن عـزاب فـي الـنـعـم.

وانـصـرف صلى الـلـه تـعـالى عليـه وسلم وقـد ظـفـر بـالـنـعـم فـانـحـدر بـهـا إلى المدينـة واقـتـسـمـوا غـنـائـمـهـم وكـانـت خـمـسـمـائـة بـعـيـر بـصـرار وهـو بـكـسـر الـصـاد المـهـمـلـة فـراء مـهـمـلـة مـخـفـفـة فـألـف فـراء ثـانـيـة مـوضـع قـريـب مـن المدينـة وقـيـل بـئـر قـديـمـة عـلـى ثـلاثـة أمـيـال مـنـهـا مـن طـريـق الـعـراق، فـأخـرج خمسه وقسم أربـعـة أخماسه على المسلمين فأصاب كل رجل منهم بكران، وصار يسار فـي سهمه صلى الـلـه تـعـالى عليـه وسلم فأعتقه وخمس بكسر المعجمة من إظمـاء الإبـل أن تـرعـى ثـلاثـة أيـام وتـرد الـيـوم الـرابـع وأخـمـس الـرجل وردت إبـلـه انـتـهـى.

وكـانـت غـيـبـتـه عليـه الـسـلام عـن المدينـة خـمـسـة عـشـر ليـلـة واسـتـخـلـف عـلـى المدينـة سـبـاع بـن عـرفـطـة وقـيـل بـن أم مـكـتـوم وحـمـل الـلـواء عـلـي بـن أبـي طـالـب رضـي الـلـه تـعـالى عـنـه وذكـرهـا ابـن سـعـد بـعـد غـزوة الـسـويـق وسـبـاء بـكـسـر الـسـين المـهـمـلـة فـمـوحـدة فـألـف فـمـهـمـلـة، وعـرفـطـة بـمـهـمـلـة مـضـمـومـة فـراء سـاكـنـة فـفـاء مـضـمـومـة فـطـاء مـهـمـلـة غـفـاري، ويـقـال كـنـانـي وصـحـابـي شـهـيـر، واسـتـعـمـلـه عليـه الـسـلام عليـهـا أيـضـا عـام خـيـبـر، وابـن أم مـكـتـوم اسـمـه عـمـرو عـنـد الأكـثـر وقـيـل عـبـد الـلـه وهـو ابـن قـيـس بـن زائـدة الـقـرشـي الـعـامـري وأمـه عـاتـكـة بـنـت عـبـد الـلـه المخـزومـيـة؛ قـال الـزرقـانـي ولـم تـسـلـم. وجـمـع بـين الـقـولـين بـأنـه اسـتـخـلـف سـبـاعـا لـلـحـكـم وابـن أم مـكـتـوم لـلـصـلاة عـلـى عـادتـه انـتـهـى.

ثم بعد غزوة بنى سليم على ما فى المواهب، **«غزوة بنى قينقاع»** بتثليث النون والضم أشهر كما قاله القسطلاني وهم بطن من اليهود، رهط عبد الله بن سلام، رضي الله عنه، قيل كانوا أشجع اليهود وأكثرهم مالا وأشدهم بغيا، وكانت طوائف اليهود الثلاثة قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع صالحهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن لا يحاربوه وأن لا يألبوا عليه وقيل أن لا ينصروه ممن دهمهم من عدوه فنقض الثلاثة العهد، فأمكن الله منهم رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فقتل قريظة وأجلى الآخرين. وأول من نقض منهم بنو قينقاع ثم النضير ثم قريظة، ولما أصاب المسلمون قريشا يوم بدر جمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يهود فى سوق بنى قينقاع، فقال يا معشر يهود احذروا من الله تعالى مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسلموا فقد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك فى كتبكم، وعهد الله إليكم، فقالوا يا محمد إنك تري أنا مثل قومك لا يغرك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة، والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس. قال ابن عباس ما أنزل هؤلاء الآية إلا فيهم [قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم} إلى قوله تعالي: {إن فى ذلك لعبرة لأولي الأبصار}.

وكان من أمر قينقاع أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته بسوق بنى قينقاع فجلست الى صائغ يهودي، قال البرهان والظاهر أنه من قينقاع، فراودها عن كشف قناعها، فأبت فعمد الصائغ بفتح الميم وتكسر إلى طرف ثوبها من ورائها فعقده إلى ورائها وخله بشوكة فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا منها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون ووقع الشر بين المسلمين وبني قينقاع، فسار إليهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى نصف شوال بعد أن استخلف على المدينة أبا لبابة بشير بفتح الموحدة أو

رفاعة بن عبد المنذر الأنصاري الأوسي فتحصنوا فحاصرهم أشد الحصار خمس عشرة ليلة إلى هلال ذي القعدة بفتح القاف وكسرها وكان اللواء بيد حمزة بن عبد المطلب وكان أبيض فقذف الله في قلوبهم الرعب فنزلوا على حكم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ان له أموالهم وأن لهم النساء والذرية، فأمر عليه السلام المنذر بن قدامة الأوسي البدري بتكتيفهم أي بشد أيديهم خلف أكتافهم، فكتفوا فمر بهم رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول فأراد أن يطلقهم فقال له المنذر أتطلق قوما أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بربطهم؟ والله لا يفعله أحد إلا ضربت عنقه.

وكلم ابن أبي فيهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وألح عليه فقال يا محمد أحسن في موالي، فأعرض عنه فأدخل يده في جيب درع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من خلفه وكان يقال لها ذات الفضول، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويحك أرسلني، وغضب عليه السلام حتى رأوا لوجهه ظللا، جمع ظلة وهي السحابة كناية عن تغير وجهه، ثم قال ويحك أرسلني، قال والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربعمائة حاسر بمهملتين أي لا درع معه وثلاث مائة دارع وقد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة إني والله امرء أخشى الدوائر. فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هم لك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم.

وتركهم من القتل وأمر أن يجلوا من المدينة فيلحقوا بأذرعات، قال ابن سعد وولي إخراجهم عبادة بن الصامت وقيل محمد بن مسلمة، فما كان أقل بقاءهم فيها قيل، لم يدر عليهم الحول وأخذ من حصنهم سلاحا وآلة كثيرة، وكانت بنو قينقاع حلفاء لعبادة بن الصامت، وعبد الله بن أبي، فتبرء عبادة من حلفهم وفيه وفي ابن أبي أنزل الله: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء} (إلى قوله) {فإن حزب الله هم الغالبون} انظر الزرقاني.

«**ثم غزوة السويق**» فالسويق قمح أو شعير يغلى ثم يطحن، فيتزود به ملتوتا بماء أو سمن أو عسل، أو وحده بالسين، قال ابن دريد وبنو العنبر يقولونه بالصاد، وكانت في ذي الحجة، بفتح الحاء وكسرها لخمس خلون على رأس اثنين وعشرين شهرا من الهجرة، كما لابن سعد، وقال ابن اسحاق في صفر، وعن ابن اسحاق أيضا إنما كان خروجه في ذي الحجة، وذكر بعضهم أنها في سنة ثلاث وعليه فيصح كونها في صفر وسميت بذلك لأنه كان أكثر زاد المشركين، فكانوا يلقونه للتخفيف، وغنمه المسلمون واستخلف أبا لبابة على المدينة وسببها أن أبا سفيان بن حرب لما رجع بالعير من بدر إلى قريش ورجع فل قريش بفتح الفاء وشد اللام أي منهزموهم نذر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة أي لا يمس النساء وأن لا يمس الطيب حتى يغزو محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ليأخذ ثأر المشركين الذين قتلوا ببدر، فخرج في مائتي راكب من قريش ليبر يمينه حتى أتي العريض بضم المهملة وفتح الراء وسكون الياء التحتية وفي النور أنه واد بالمدينة وفي الكلاعي فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة على بريد أو نحوه من المدينة، ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير تحت الليل، فأتى حيي بن أخطب فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له وخافه وانصرف إلى سلام بن مشكم وكان سيد بني النضير في زمانه وصاحب كنزهم فاستأذنه فآذن له، فقراه وسقاه، وفطن له من خبر الناس ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه فبعث رجالا منهم فأتوا ناحية العريض فحرقوا أصوار نخل وقتلوا رجلا من الأنصار وحليفا له ثم انصرفوا راجعين، ونذر بهم الناس فخرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في طلبهم حتى بلغ قرقرة الكدر ثم انصرف وقد فاته أبو سفيان وأصحابه وطرحوا من أزوادهم يتخففون منها للنجاء وكان أكثر ما طرحوه السويق. فقال المسلمون حين رجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: يا رسول الله أتطمع أن تكون لنا غزوة؟ قال نعم.

وفي المواهب خرج عليه الصلاة والسلام فى طلبهم فى مائتين من المهاجرين والأنصار وجعل أبو سفيان وأصحابه يلقون جروب السويق وهي عامة أزوادهم يتخففون للهرب ويأخذها المسلمون ولذا سميت غزوة السويق، ولم يلحقه عليه الصلاة والسلام.

وكانت غيبته عن المدينة خمسة أيام أي بيومي الدخول والخروج كما فى الزرقاني.

وأورد ابن هشام وأبو الربيع هذه الغزوة قبل قينقاع وعند بعض أهل السير أنها فى سنة ثلاث كما مر، وقناة بفتح القاف وخفة النون واد بالمدينة وسلام بتشديد اللام وتخفيفه ومشكم كمنبر وقراه أضاف، وسقاه أي الخمر، كما قال أبو سفيان.

سقاني فرواني كميتا مدامة   على ظمإ مني سلام ابن مشكم

والجرب جمع جراب ككتاب، وإلى هذه الغزوة أشار الشيخ البدوي بقوله:

وغزوة السويق فى اثر أبي	سفيان إذ حرق نخل يثرب
وغال نفسين وكان آلى	لا يقرب النساء أو ينالا
وكان يلقي جرب السويق	مخافة اللحوق فى الطريق
فسميت بذاك ثم بعدها	قرقرة الكدر لقوم عندها

وقوله يثرب قال الخازن فى قوله تعالى حكاية عن المنافقين: {يا أهل يثرب} يعنى يا أهل المدينة وقيل يثرب اسم الأرض، ومدينة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فى ناحية منها سميت باسم رجل من العماليق كان قد نزلها، وفى بعض الأخبار أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نهى أن تسمى المدينة يثرب، فقال هي طابة، كأنه كره هذه اللفظة لما فيها من التثريب وهو التقريع والتوبيخ اهـ. وفى الذهب الإبريز عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من قال للمدينة يثرب فاليستغفر الله إنها طابة ثلاث مرات، نقله فى الريان.

فائدة:

ذكر القسطلاني فى شرح البخاري ان للمدينة ثمانية وعشرين إسما وانها إن علقت على المحموم شفي بإذن الله تعالى. وقد كنت نظمتها قبل فأوردت نظمها هنا للتبرك وهو:

مدينة طيبة وطيبة	وطائب وحرم وطابة
محفوظة مرزوقة ومؤمنه	حبيبة مدخل صدق حسنه
دار السلامة ودار السنه	مختارة جعلتهن جنه
بدار الأبرار وبالشافية	ودار الأخيار وبالمسكينة
بيت الرسول حرم الرسول	رب أنلني قاصي المأمول
ودار الإيمان ودار الهجرة	أكالة القرى بها اقبل توبتي
بدار فتح قبة الإسلام	وبالمباركة هب مرام
وبالمقدسة فامحق العدا	فهذه أسماء دار أحمد
صلى عليه فالق الإصباح	ما حسر الليل عن الصباح
إن علقت قالوا على المحمومي	شفي بإذن الملك القيوم

وذكر غيره من أسمائها المحبة، والمحبوبة، والمرحومة، والجابرة، والمجبورة، والقاصمة، والعذراء وغير ذلك.

وقد ذكر القاضي فى المشارق بمكة ستة عشر إسما وقد كنت نظمتها وذكرتها هنا تتميما للفائدة وهي:

أسماء خير الأرض بعد الحسنه	مثوى إمام الرسل خذها حسنه
عمن سواه فى العلوم فاقا	وأشرق الغرب به إشراقا
حين بدت مشارق الأنوار	به فحاز أحسن الفخار
سيدنا القاضي أبو الفضل العلم	عياض ذو التبريز فى العلم الأعم
أم القرى والعرش والبساسه	والرأس والقادس والنساسه
كسوتى المقدسة ثم مكة	حاطمة ثم صلاح بكه
وأم رجم معها البيت العتيق	فاعلة من بس أو نس تليق
بها توسلنا الى الرحمن	في نيل ما نبغي من الأماني

وفي القاموس النس : السوق واليبس، ثم قال والناسة والنساسة: مكة، سميت بذلك لقلة الملك بها إذ ذاك، أو لأن من بغى فيها ساقته أي أخرج

منها.
ثم يلي ذلك على ما فى المواهب «**غزوة غطفان**»، قبيلة من مضر وعطفان بن سعد بن قيس عيلان وتسمى أيضا غزوة ذي أمر، قال القسطلاني فى المواهب بفتح الهمزة والميم، زاد شارحه وشد الراء موضع من ديار غطفان، قاله ابن الأثير وغيره.
وأفاد قول البكري فى معجمه أفعل من المرارة أنه ممنوع الصرف انتهى.
وفي نظم البدوي المجلسي وبعدها ذو إمّر وغطفان كلاهما تدعا به وتستبان ولم يتعرض شارحه لضبطه ولم يذكر فى القاموس هذا الموضع، وإنما فيه إمرة كامعة بلد وجبل اهـ.
ولعل البيت فذو أمر بعدها وغطفان وتسمى أيضا غزوة أنمار فلها ثلاثة أسماء وهي بناحية نجد وكانت لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، على رأس خمسة وعشرين شهر من الهجرة، وسببها أن جمعا من بنى ثعلبة بن سعد بن قيس بن ذبيان بن بغيض بفتح الموحدة وكسر المعجمة وإسكان التحتية وضاد معجمة ابن ريث براء مفتوحة وتحتية ساكنة ومثلثة ابن غطفان، قاله الزرقاني وجمعا من بنى محارب بن خصفة بفتح الخاء المعجمة وفتح الصاد المهملة ابن قيس عيلان وغطفان ومحارب أبنا عم تجمعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، جمعهم دعثور بضم الدال المهملة وضم المثلثة ابن الحارث المحاربي وسماه الخطيب غورث بفتح الغين المعجمة وحكي اهمالها وبعضهم ضم أوله وواوه ساكنة وراؤه مفتوحة وآخره مثلثة ويقال غويرث بالتصغير، بمعجمة أو مهملة، وسماه غيره غورك، بكاف بدل المثلثة مع اعجام أوله واهماله، وظاهر كلام ابن بشكوال ان دعثورا غير غورث، وفى الإصابة قصة دعثور تشبه قصة غورث المخرجة فى الصحيح فيحتمل التعدد، أو أحدهما إسم والآخر لقب.
وكان غورث شجاعا فدعى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

المسلمين للخروج وخرج فى أربعمائة وخمسين فارسا أي شجاعا أو تناوبوا ما معهم من الأفراس، فلا ينافي قول ابن سعد ومعهم أفراس، قال البرهان ولا أعلم عدتها فلما سمع المشركون بقدوم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى بلادهم هربوا فى رؤوس الجبال، فلما كان المسلمون بذي القصة وهو بفتح القاف والصاد المهملة الثقيلة موضع على أربعة وعشرين ميلا من المدينة أصابوا رجلا من بنى ثعلبة يقال له حبان بكسر الحاء، قال البرهان ولا أعلم له ترجمة فى الصحاب اهـ.

والصواب ما فى الشامية أنه جبار بالجيم وشد الموحدة، وبعد الألف راء، فقد ذكره ابن فتحون وصاحب الإصابة فى حرف الجيم، فقالا جبار الثعلبي، أسره الصحابة فى غزوة ذي أمر، فأدخلوه على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره من خبرهم، وقال لن يلاقوك سمعوا بمسيرك وهربوا فى رؤوس الجبال، وأنا سائر معك فدعاه إلى الإسلام فأسلم وضمه إلى بلال ليعلمه الشرائع وأصاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه مطر فنزع ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجففهما واضجع تحتها والمشركون ينظرون إليه، وقد اشتغل المسلمون فى شؤونهم فقالوا لدعثور لشجاعته قد انفرد محمد فعليك به؛ ولما رآه قال قتلني الله إن لم أقتل محمدا. فأقبل ومعه سيف حتى أقام على رأسه عليه الصلاة والسلام فقال من يمنعك مني الآن؟ فقال له النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الله. فدفع جبريل فى صدره فوقع على ظهره، فوقع السيف من يده فأخذه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال من يمنعك مني؟ قال لا أحد يمنعني منك، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. وأعطاه صلى الله تعالى عليه وسلم سيفه، فقال أما والله لأنت خير مني، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم أنا أحق بذلك منك.

ثم أتى قومه فقالوا ما لك ويلك؟ فقال نظرت إلى رجل طويل أبيض قد دفع فى صدري فوقعت لظهري، فعرفت أنه ملك وشهدت بأن محمدا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انتهى. لا أكثر عليه جمعا.

فدعاهم إلى الإسلام فاهتدى به خلق كثير وأنزل تعالى على ما ذكره الواقدي وابن سعد وغيرهما: {يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم} (الآية)، ثم رجع صلى الله تعالى عليه وسلم إلى المدينة ولم يلق كيدا وكانت غيبته إحدى عشرة ليلة، وقيل خمس عشرة وقال قتادة ومجاهد وغيرهما نزلت في بني النضير لما ذهب إليهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فهموا أن يطرحوا عليه صخرة يقتلونه بها، فأخبره جبريل فقام من ذلك المكان ورجع إلى المدينة.

وقيل قصة السيف، ونزول الآية كانا في غزوة ذات الرقاع وقال بعضهم الصواب أنهما قصتان في غزوتين، وقد مرّ الخلاف في اسم الرجل هل دعثور أو غورث أو هما اثنان والله تعالى أعلم.

ثم بعد ما مرّ «**غزوة بحران**» بضم الموحدة وفتحها وسكون المهملة، فراء فألف فنون، موضع من ناحية الفرع بفتحتين كما قيده السهيلي وتسمي غزوة بني سليم قاله في المواهب، وقال الزرقاني عن البرهان الذي في الروض أنه بضمتين من ناحية المدينة، ويقال هي أول قرية مارت إسماعيل وأمه التمر بمكة وسببها انه عليه الصلاة والسلام بلغه أن جمعا من سليم ببحران وخرج لست خلون من جمادى الأولى في ثلاث مائة رجل واستعمل عبد الله بن أم مكتوم على المدينة حتى إذا كان دون بحران بليلة، لقي رجلا من بني سليم فأخبره أن القوم افترقوا فحبسه مع رجل وسار حتى ورد بحران فوجدهم قد تفرقوا فرجع ولم يجد أحدا، ولم يلق كيدا، وكانت غيبته عشر ليال، ولابن اسحاق ان خروجه صلي الله عليه وسلم في هذه الغزوة كان إلى قريش، فسار حتى بلغ بحران، معدنا بالحجاز، من ناحية الفرع، فأقام به شهر ربيع الآخر، وجمادى الأولى ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيدا، وللشيخ البدوي:

وبعدها غزوة بحران إلي ... ام القرى أو لسليم الجهلا

«**غـزوة تبـوك**» وهي آخر غزواته صلى الله تعالى عليه وسلم وهي قبل حجة الوداع بلا خلاف، وكانت في رجب سنة تسع، قال ابن عائذ وكانت بعد الطائف بستة أشهر ولا يخالف هذا كونها في رجب إذا حذفنا الكسور لأنه عليه الصلاة والسلام دخل المدينة في ذي الحجة رجوعه من الطائف قاله الزرقاني. وفي المواهب وذكر البخاري لها بعد حجة الوداع لعله خطأ من النساخ اهـ.

وتبوك بفتح الفوقية وضم الموحدة مخففة بغير صرف للأكثر وتصرف على إرادة الموضع، مكان بينه وبين المدينة من جهة الشام أربع عشرة مرحلة، وبينه وبين دمشق إحدى عشرة مرحلة. وقول المواهب وهو نصف طريق المدينة إلى دمشق مراده على التقريب بدليل ما مرّ من كلام الفتح. ووقعت تسميتها بذلك في الأحاديث الصحيحة ففي مسلم والموطإ عن معاذ أنهم خرجوا معه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال إنكم ستأتون غدا إن شاء الله تعالى عين تبوك، فمن جاء فلا يمس من مائها شيئا (الحديث)، وهذا يدل على قدم تسمية المكان بذلك. وقيل سميت بذلك لقوله عليه الصلاة والسلام للرجلين اللذين سبقاه إلى العين ما زلتما تبوكانها منذ اليوم. قال ابن قتيبة فبذلك سميت العين تبوك. والبوك كالنقش والحفر وهي غزوة العسرة أي الشدة أي لأن الخروج إليها كان في حرّ شديد، ليالي الخريف وجدب كثير مع قلة الظهر والنفقة، ولذا لم يور صلى الله تعالى عليه وسلم فيها كعادته في غيرها من الغزوات. فلم يغز غزوة إلا ورى بغيرها إلا في هذه فجلى للمسلمين أمرهم فيها ليتأهبوا أهبة السفر البعيد في الحر الشديد والقحط، وتسمى بالفاضحة، لافتضاح المنافقين فيها لما نزل فيهم نحو {وقالوا لا تنفروا في الحرّ}، {ومنهم من يقول إئذن لي}، {ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب}، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم} إلى غير ذلك.

وكان خروجه إليها صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الخميس؛ وفي

البخاري قلما كان إذا خرج لسفر إلا يوم الخميس، زاد النسائي جهادا وغيره، فى أزيد من ثلاثين ألفا. وعند ابن أبي زرعة سبعين ألفا، وجمع الشامي بينهما بأن من قال ثلاثين لم يعد التابع، ومن قال سبعين عد التابع والمتبوع.

وأقل ما قيل فيه إنه ثلاثون ألفا، قاله الزرقاني. وقال ابن الخازن ذكر بعض العلماء أنه صلى الله تعالى عليه وسلم سار إلى تبوك فى سبعين ألفا ما بين راكب وماش، قال الحسن العشرة منهم يخرجون على بعير واحد، يعتقبونه وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير، وكان النفر منهم يخرجون وما معهم إلا التمرات اليسيرة بينهم، فإذا بلغ الجوع من أحدهم أخذ التمرة حتى يجد طعمها ثم يعطيها صاحبه ثم يشرب عليها جرعة من الماء حتى تاتي على آخرهم ولا يبقى من التمرة إلا النواة. نقله الشيخ الوالد حفظه الله تعالى فى الريان.

وفي المواهب وكانت الخيل عشرة آلاف، قاله الزرقاني، عقبه رواه الواقدي، وقيل بزيادة ألفين وعليه حمل فى الفتح ما فى بعض طرق مسلم، والمسلمون يزيدون علي عشرة آلاف، قال تحمل على إرادة الفرسان انتهى.

وسببها أنه بلغه أن الروم تجمعت مع هرقل بالشام وأجلبت معهم لخم وجذام وغسان وعامرة وغيرهم من متنصرة العرب، وجاءت مقدمتهم إلى البلقاء ولم يكن لذلك حقيقة فأمر أصحابه بالتأهب وقال وهو فى جهازه للجد ابن قيس هل لك فى جلاد بنى الأصفر؟ قال أو لا تأذن لي ولا تفتني، فلقد عرف قومي أنه ما من رجل أشد عجبا بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بنى الأصفر أن لا أصبر. فأعرض عليه الصلاة والسلام عنه، وقال أذنت لك فنزل فيه {ومنهم من يقول إئذن لي ولا تفتني} أي إن كان يخاف الفتنة وليس ذلك به، فما سقط فيه من الفتنة أكبر بتخلفه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. ثم خرج عليه السلام قال المناوي فعسكر بثنية الوداع ومعه زيادة على ثلاثين

ألفا، إلى أن قال وجمع بأن الثلاثين هم المتبوعون والأربعين هم الأتباع فالجملة سبعون ألفا، ومعه عشرة آلاف فرس، وضرب ابن أبي علي حدة العسكر أسفل منه وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين فلما سار المصطفى تخلف ابن أبي فيمن تخلف من أهل الريب وقالوا يغزو محمد بني الأصفر مع جهد الحال والحر والبلد البعيد، ثم سار ودفع لواءه الأعظم إلى أبي بكر ورايته العظمى إلى الزبير وخلف عليا على أهله، فقال المنافقون ما خلفه إلا استثقالا، فأتاه وأخبره، فقال كذبوا، لكن خلفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.

ولما مر عليه السلام بالحجر سجى ثوبه واستحث راحلته ثم قال لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون خوفا من أن يصيبكم ما أصابهم وقال لا تشربوا من ماء بئر ولا يتوضأ منه، وما من عجين عجنتموه فأطعموه الناضح، ولا تأكلوا منه، فأصبح الناس لا ماء معهم، فعطشوا فجعلوا ينحرون إبلهم ليعصروا أكراشها ويشربوا ماءها، فقال أبو بكر قد عودك الله في الدعاء فادعو؛ فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعهما حتى أرسل الله سحابة فأمطرت حتى ارتووا وحملوا. فقال رجل من الأنصار لآخر من قومه يتهم بالنفاق، ترى ما دعى به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأمطرنا، فقال إنما مطرنا بنوء كذا، فأنزل الله: {وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون} ثم ضلت القصواء وخرج الصحابة في طلبها، فقال بعض المنافقين أليس يزعم أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته، فأطلعه الله تعالى عليها، فقال عليه السلام إن رجلا قال كذا وكذا.. وإني لا أعلم إلا ما علمني الله وقد دلني الله عليها فهي في الوادي في شعب كذا حبستها شجرة بزمامها فوجدوها كذلك.

ولما انتهى إلى تبوك أتاه صاحب إيلة وأعطاه الجزية، وأتاه أهل جرباء وأذرح فأعطوها وكتب لهم كتابا بالأمان، وبعث خالد بن الوليد إلى

أكيدر دومة فوجده يصيد البقر ليلا، هو وأخوه حسان فى نفر من قومه فأخذه خالد وأتى به البي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد أن قتل أخاه حسان فصالح أكيدر وأعطى الجزية اهـ المراد من كلام المناوي.

وقد مرّ بعث خالد هذا فى البعوث، وفى المواهب ولما مرّ صلى الله تعالى عليه وسلم بالحجر بكسر الحاء وسكون الجيم بديار ثمود قال لا تشربوا من مائها شيئا ولا يخرجن أحدكم منكم إلا ومعه صاحبه، ففعل الناس إلا رجلين من بنى ساعدة خرج أحدهما لحاجة والآخر فى طلب بعيره، فأما الذى خرج لحاجته فخنق على مذهبه، وأما الذى خرج فى طلب بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته بجيلي طي فأخبر بذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ألم أنهكم ثم دعى للذي خنق على مذهبه فشفي وأما الآخر فأهدته طيء لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين قدم المدينة.

قوله: ولا يخرجن أحد منكم أي الليلة كما عند ابن اسحاق وذلك لحكمة علمها ولعلها ان الجن لا تقدم علي اثنين، وقد روى الإمام فى الموطإ مرفوعا: إن الشيطان يهم بالواحد الباجي أي باغتياله، ويحتمل أنه يهم بصرفه عن الحق، وقوله لحاجة أي لتغوط، وخنق بمعجة مبني للمفعول أي صرع ومذهبه بفتح الميم والهاء بينهما معجمة ساكنة هو الموضع الذى يتغوط فيه، وقوله دعا للذي بلام الجر وفى نسخة دعا الذى أي طلبه فحضر والأولى أظهر. قاله الشيخ محمد بن عبد الباقي.

وفي مسلم والموطإ عن معاذ أنهم وردوا عين تبوك وهي تبض بشيء من ماء وأنهم غرفوا منها قليلا قليلا، حتى اجتمع فى شن، ثم غسل صلى الله تعالى عليه وسلم به وجهه ويديه ومضمض ثم أعاده فيها فتفجرت بماء كثير، فاستقى الناس ثم قال يا معاذ يوشك أن طالت بك حياة أن ترى ما ها هنا ملئى جنانا وتبض بفتح الفوقية وكسر الموحدة وضاد معجمة أي تقطر وتسيل هكذا، رواه ابن مسلمة وابن القاسم ورواه يحيى وطائفة بالمهملة أي تبرق قاله الباجي، قاله الزرقاني؛ ولما انتهى

عليه السلام إلى تبوك أتاه صاحب أيلة بفتح الهمزة وهو يُحنة بضم التحتية وفتح المهملة والنون المشددة فتاء تأنيث ابن رؤبة النصراني فصالحه وأعطاه الجزية وأتاه أهل جربى بجيم مفتوحة فراي ساكنة فموحدة تقصر وتمد وأهل أذرح بهمزة مفتوحة وذال معجمة ساكنة وراء مهملة مضمومة وحاء مهملة قيل هي فلسطين، وهما بلدان بالشام بينهما ثلاثة أميال، قال في القاموس وغلط من قال بينهما ثلاثة أيام وإنما الوهم من رواة الحديث من اسقاط زيادة ذكرها الدارقطني، وهي ما بين ناحيتي حوضى كما بين المدينة وجربى وإذرح قاله محمد بن عبد الباقي. ولما أتوه أعطوه الجزية أي التزموها كما فعل يحنة، ووجد عليه السلام هرقل بحمص دار ملكه لم يتحرك ووجد ما أخبر به من تعبئته لأصحابه ودنوه من الشام باطلا، ولم يهم بذلك فكتب له كتابا يدعوه إلى الإسلام فقارب الإجابة ولم يجب ثم انصرف عليه السلام بعد أن قام بتبوك بضع عشرة ليلة وقال الدمياطي عشرين ليلة يصلي بها ركعتين ولم يلق كيدا، أي حربا. وذكر الواقدي أنه شاور أصحابه في التقدم، فقال عمر ان كنت أمرت بالمسير فسر، فقال لو أمرت بالمسير لم استشركم فيه، فقال يا رسول الله إن للروم جموعا كثيرة وليس بها مسلم، وقد دنونا وأفزعهم دنوك فلو رجعت هذه السنة حتى ترى أو يحدث الله أمرا انتهى.

ولما أراد عليه السلام الخروج إلى تبوك أرسل إلى أهل مكة وإلى قبائل العرب يستنفرهم فجاء البكاؤون يستحملونه أي يطلبون منه ما يركبون وكلهم معسر لا يحب التخلف عن الغزو معه، فقال لا أجد ما أحملكم عليه. ومنهم سالم بن عمير الأوسي وعلبة بن زيد الأنصاري من بنى عمر وابن عوف وعبد الرحمن بن كعب المازري من بنى مازر بن النجار وحرمي بن عمر من بنى مازن أيضا ومنهم هرم بن عبد الله بن رفاعة الأنصاري والعرباض ابن سارية السلمي وعبد الله بن مغفل ومعقل بن يسار المزنيان، وبنو مقرن المزني وهم النعمان وسويد

ومعقل وعقيل وعبد الرحمن وسنان وهند، كما فى المواهب ومقرن، بضم الميم وفتح القاف وكسر الراء الثقيلة، قال الواقدي وابن نمير بنوه سبعة كلهم صحب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، قال ابو عمر ليس ذلك لأحد من العرب غيرهم، قال الحافظ وقد ذكر هو فى ترجمة هند بن حارثة الأسلمي ما ينقض ذلك، فأخرج الطبراني أن ولد مقرن كانوا عشرة نزل فيهم {ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر}، قاله الزرقاني؛ وروي أن عثمان بن عفان حمل فى جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرسا فقال ابن هشام حدثني من أثق به أن عثمان أنفق ألف دينار غير الإبل والزاد، وما يتعلق بذلك، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم، اللهم ارض عن عثمان فإني عنه راض. وذكر بعضهم أن عثمان جهز ثلث الجيش حتى كان يقال ما بقيت لهم حاجة. قال الزرقاني وأقل ما قيل إنهم ثلاثون ألفا فيكون جهز عشرة آلاف. وروي أنه عليه السلام قال لا يضر عثمان ما فعل بعدها. وروي أنه قال له غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن إلى يوم القيامة، ما يبالي ما عمل بعدها.

ولما خرج عليه الصلاة والسلام تخلف نفر من المسلمين من غير شك ولا ارتياب فى أمره صلى الله تعالى عليه وسلم، منهم كعب بن مالك الأنصاري ثم السلمي بفتحتين، قال فى حديث تخلفه تجهز رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمون فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم اقض شيئا، فأقول فى نفسي أنا قادر عليه فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجد، وأصبح صلى الله تعالى عليه وسلم والمسلمون معه ولم أقض شيئا، فقلت أتجهز بعده بيوم أو بيومين ثم ألحقهم ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئا. فلم يزل بي حتى أسرعوا وهممت أن أرتحل فأدركهم، وليتني فعلت، فلم يقدر لي ذلك.

ومنهم مرارة بضم الميم وراءين الأولى خفيفة بن الربيع الأوسي ثم العمري بفتح العين وسكون الميم نسبة إلى بني عمرو بن عوف بن

مالك الأوسي وهلال بن أمية الأوسي ثم الواقفي بقاف ثم فاء نسبة إلى بني واقف بن أمرإ القيس بن مالك بن الأوس وسبب تخلف مرارة أنه كان له حائط حين زها، فقال في نفسه قد غزوت قبله فلو أقمت عامي هذا، فلما تذكر ذنبه قال اللهم إني أشهدك أني قد تصدقت به في سبيلك، وسبب تخلف هلال أنه كان له أهل تفرقوا ثم اجتمعوا فقال لو أقمت هذا العام عندهم، فلما تذكر قال اللهم لك علي أن لا أرجع إلى أهل ولا مال. وفي هؤلاء الثلاثة نزل {وعلى الثلاثة الذين خلفوا}، وتخلف أبو ذر لأن بعيره كان أعجف، فقال أعلفه أياما ثم ألحق به عليه السلام، فعلفه أياما ثم خرج فلم ير به حركة فحمل متاعه على ظهره وسار، قال أبو ذر فطلعت عليه نصف النهار وقد أخذ مني العطش، أي وكان عليه الصلاة والسلام نزل في بعض الطريق، وعند بن اسحاق فنظر ناظر من المسلمين فقال يا رسول الله إن هذا لرجل يمشي على الطريق وحده، فقال عليه السلام: كن أبا ذر، فلما تأمله القوم قالوا يا رسول الله هو والله أبو ذر. فقال رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده، فكان كذلك، فمات بالربذة ولم يكن معه إلا امرأته وغلامه فأوصاهما أن أغسلاني وكفناني ثم ضعاني على قارعة الطريق فأول ركب يمر بكم فقولا هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فأعينونا على دفنه. فلما مات فعلا به ذلك.

وأقبل ابن مسعود في رهط من أهل العراق فلم يرعهم إلا الجنازة على قارعة الطريق، وقد كادت الإبل تطؤها فقال لهم الغلام هذا أبو ذر فأعينونا على دفنه، فاستهل ابن مسعود يبكي ويقول صدق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ثم حدثهم ابن مسعود بالحديث. وتخلف أبو خيثمة سعد بن خيثمة فقال تخلفت عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخلت حائطا فرأيت عريشا قد رش بالماء ورأيت زوجتي فقلت ما هذا بانصاف، رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في السموم والحر وأنا في الظل والنعيم، فقمت إلى ناضح لي وتمرات

وخرجت فلما طلعت على العسكر فرآني الناس قال صلى الله تعالى عليه وسلم كن أبا خيثمة، فجئت فدعى لي.

وقوله كن أبا خيثمة وكن أبا ذر معناه الدعاء، كما تقول أسلم، أي سلمك الله، أي اللهم اجعله أبا ذر، وقيل معناه أنت أبو ذر، أنت أبو خيثمة أنظر الزرقاني. قال في المواهب لما دنى صلى الله تعالى عليه وسلم من المدينة خرج الناس لتلقيه فخرج النساء والصبيان والولائد يقلن:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

قال الزرقاني وبعدهما:

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

وقال القسطلاني وقد وهم بعض الرواة وقال: إنما كان هذا الشعر عند مقدمه المدينة وهو وهم ظاهر لأن ثنيات الوداع إنما هي من ناحية الشام لا يراها القادم من مكة إلى المدينة، ولا يراها إلا إذا توجه إلى الشام كما قدمت ذلك انتهى.

وقوله بعض الرواة هو عبد الله بن محمد المعروف بابن عائشة، وقوله كما قدمت ذلك أي في الهجرة قاله الزرقاني، وفي البخاري لما رجع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من غزوة تبوك فدنى من المدينة قال إن بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم حبسهم العذر وهذا يؤيد معنى ما روي: نية المؤمن خير من عمله، فإن نية هؤلاء خير من أعمالهم، فإنها بلغت بهم مبلغ أولئك العاملين بأبدانهم وهم على فرشهم في بيوتهم، والمسابقة إلى الدرجات العلا بالنيات والهمم لا بمجرد الأعمال، قاله في المواهب وقوله واديا قال البيضاوي هو كل منفرج ينفرج فيه السيل اسم فاعل من ودى إذا سال وشاع بمعنى الأرض، وقوله معكم أي بالنيات، ولأحمد وأبي داود لقد تركتم بالمدينة أقواما ما سرتم من سير ولا أنفقتم من نفقة ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم فيه، ولابن حبان وأبي عوانة الا اشركوكم في الأجر

والمراد بالعذر ما هو أعم من المرض، قال المهلب يشهد لهذا الحديث قوله تعالى: {لا يستوي القاعدون} (الآية) فإنه فاضل بين المجاهدين والقاعدين ثم استثنى أولى الضرر من القاعدين فكأنه ألحقهم بالفاضلين وقوله نية المؤمن إلخ.. رواه الطبراني والديلمي مرفوعا بهذا اللفظ ورواه البيهقي وغيره بلفظ أبلغ وكلها ضعيفة لكن بمجموعها يتقوى كما أفاده السخاوي. وقوله فإن نية هؤلاء خير إلخ. أي فشاركوهم فى الثواب، وزادوا راحة الأبدان، وقصد المصنف بهذا ما عساه يقال غاية ما أفاده الحديث المشاركة أما الزيادة المستفادة من أفعل التفضيل فلا ثم لضعفه جعله مؤيدا بحديث الصحيح انتهى.

ومن الزرقاني ولما رجع عليه السلام من تبوك نزل بذي أوان بفتح الهمزة وكسرها لغة بلفظ الأوان أي الحين، بلد بينها وبين المدينة ساعة من نهار فجاءه خبر مسجد الضرار من السماء فدعا مالك ابن الدخشم بضم الدال المهملة والشين المعجمة بينهما خاء معجمة ساكنة ويقال الدخيشم بالتصغير ويقال بنون بدل الميم مكبرا ومصغرا الأوسي البدري، ومعن ابن عدي العجلاني البلوي حليف الأنصار شهد أحدا، فقال عليه الصلاة والسلام انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فأهدماه وحرقاه، فانطلقا يشتدان حتى دخلاه وفيه أهله فحرقاه وهدماه وذلك بعدما أنزل فيه: {الذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا} (الآية).

قال عامة أهل التفسير الذين اتخذوه كانوا اثنى عشر منهم خذام بخاء مكسورة وذال معجمتين بن خالد وثعلبة بن حاطب ومعتب ابن قشير وعباد بن حنيف وبحزج بموحدة مفتوحة فمهملة ساكنة فزاي مفتوحة فجيم، بنوه يضارون به بنى عمرو بن عوف أهل مسجد قباء الذى أسسه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما قدم المدينة وصلى فيه ورأى ذلك ناس من بنى غنم بفتح المعجمة وسكون النون ابن عوف فقالوا فى طائفة من المنافقين نبني نحن أيضا مسجدا كما بنوا فنقيل فيه فلا نحضر خلف محمد، فقال لهم أبو عامر الفاسق قبل خروجه الي الشام

ابنوا مسجدكم واستمدوا فيه بما استطعتم من سلاح وقوة فإني ذاهب إلى قيصر فآتي بجند من الروم فأخرج محمدا وأصحابه، فكانوا يرصدون قدومه وقد خرج محاربا لله ورسوله ولما بنوه لأغراضهم الفاسدة المضارة والكفر والإرصاد أرادوا أن يصلي فيه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ليروج لهم ما أرادوه من الفساد والكفر أتاه جماعة منهم وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا يا رسول الله بنينا مسجدا لذي العلة للمرضى والحاجة والليلة المطرة، ونحن نحب أن تصلي فيه وتدعو لنا بالبركة كما قال تعالى: {وليحلفن ان أردنا إلا الحسنى} أي هذه الأمور التى أظهروها والله يشهد انهم لكاذبون.
وروي انه عليه السلام قال لبحزج ويلك ما أردت فقال والله ما أردت إلا الحسنى فنزلت الآية، ولما أتوه وهو يتجهز فقالوا له ذلك، قال عليه السلام إني على جناح سفر وإذا قدمنا إن شاء الله تعالى صلينا فيه فنزلت هذه الآية. وفى حديث عند البيهقي فأنزل الله تعالى: {لا تقم فيه أبدا} إلى قوله: {والله لا يهدي القوم الظالمين}. وقد قدمنا فى الهجرة الخلاف فى المراد بالمسجد الذى أسس على التقوى وأن الصحيح أنه مسجد قباء وفى صحيح مسلم أنه المسجد النبوي ولا منافاة فكل منهما أسس على التقوى (أنظر المواهب وشرحها). ولما أشرف صلى الله تعالى عليه وسلم على المدينة قال هذه طابة، فلما رأى أحدا قال هذا جبل يحبنا ونحبه.

فائدة:

قال في النشر: قرأ نافع وأبو جعفر وأبو عامر: الذين اتخذوا بغير واو قبل الذين، وقرأ الباقون بالواو انتهى.
وقال الثعالبي على أن قوله وآخرون مرجون لأمر الله فى المنافقين يكون الذين اتخذوا باسقاط واو العطف بدلا من آخرون أو خبر مبتدإ محذوف تقديره هم الذين اهـ

وقال ابن جزي قرأ الذين بغير واو صفة لقوله وآخرون، أو على تقديرهم الذين، وهذه القراءة جارية على قول من قال فى المرجين هم أهل مسجد الضرار، وقرئ بالواو عطفا على آخرون وهذه القراءة جارية على قول من قال فى المرجين انهم الثلاثة الذين خلفوا نقله الشيخ الوالد حفظه الله تعالى فى الريان وقال الزرقاني ومعتب بن قشير بقاف ومعجمة مصغر ترجم له فى القسم الأول من الإصابة، ثم قال وقيل كان منافقا وقيل انه تاب وذكره ابن اسحاق فيمن شهد بدرا انتهي.

وفي الزرقاني قبل هذا أنه عليه السلام لما قدم المدينة وهدم مسجد الضرار عرضه على عاصم بن عدي ليتخذه دارا، فقال ما كنت أتخذه وقد أنزل الله فيه ما أنزل، ولكن اعطه ثابت بن أقرن، فإنه لا منزل له فأعطاه، فلم يولد فى ذلك البيت مولود قط ولا حمام ولا دجاج، وروى ابن المنذر عن ابن جبير وابن جريج وقتادة قالوا ذكر لنا أنه حفر فى موضعه بقعة فأبصروا الدخان يخرج منها اهـ

وقال الناظم:

(وضعفها البعوث دون ميـــن)

يعني ان البعوث التى أرسلها عليه الصلاة والسلام إلى جهاد الكفار ولم يخرج فيها بنفسه الشريفة ضعف الغزوات التى خرج فيها عليه السلام أي قدرها مرتين فهي خمسون لأن الغزوات قد مر له أنها خمس وعشرون، وقوله ضعفها بكسر الضاد المعجمة والضمير المضاف إليه للغزوات، والمين: الكذب، والبعوث: جمع بعث، وهو فى الاصطلاح من أرسله صلى الله تعالى عليه وسلم لقتال العدو ولم يحضر معه بنفسه ويسمى أيضا عندهم سرية كما فى المواهب وشرحها وسيرة العراقي وشرحها والغزوات جمع غزوة والمغازي جمع مغزى وأصل الغزو القصد، ومغزى الكلام مقصده، والغالب اطلاق الغزوة علي كل عسكر حضره صلى الله تعالي عليه وسلم بنفسه الكريمة وقد تطلق علي ما هو أعم من ذلك، فقد تطلق علي ما وقع من قصده عليه السلام للكفار بنفسه أو

بجيش يرسله إليهم فيشمل البعوث ولذا ترجم كثير منهم بكتاب المغازي ثم يذكر مع الغزوات البعوث أنظر الزرقاني وغيره.
وحكمة قعوده صلى الله تعالى عليه وسلم عن بعوثه الرفق بالمسلمين كما أفاد ذلك فى قوله عليه الصلاة والسلام والذى نفسي بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو فى سبيل الله أبدا ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة فيتبعوني ويشق أن يقعدوا بعدي. والذى نفسي بيده لوددت أن أغزو فى سبيل الله فأقتل، ثم أحيى ثم أقتل، ثم أحيى ثم أقتل، ثم أحيى ثم أقتل، رواه مالك والشيخان عن أحمد عن أبي هريرة بتكرير ثم ست مرات. والسرية بوزن عطية والسارية أيضا، سموا بذلك لأنهم يكونوا خلاصة العسكر وخيارهم كما فى النهاية. قال فى الفتح وهي قطعة من الجيش تخرج منه وتعود إليه وهي من مائة إلى خمس مائة فإن زاد فمنسر بالنون فمهملة، فإن زاد على ثمانمائة سمي جيشا فإن زاد على أربعة آلاف سمي جحفلا، انتهى.
وظاهره أن ما دون المائة لا يسمى سرية وهو مخالف لقوله نفسه فى المقدمة، قال ابن السكيت السرية ما بين الخمسة إلى الثلاث مائة وقوله منسر بوزن مجلس ومنبر قاله الزرقاني، وفى المواهب أن سراياه سبع وأربعون، قال الزرقاني كما رواه ابن سعد وبه جزم أول الاستيعاب فيما قاله الشامي، والذى فى النور عن ابن عبد البر أنها خمس وثلاثون وقال ابن اسحاق فى رواية البكائي انها ثمان وثلاثون وفى الفتح عن ابن اسحاق ست وثلاثون والواقدي ثمان وأربعون وابن الجوزي ست وخمسون، انتهى المراد منه.
وقال المناوي فى شرحه للعراقي البعوث جمع بعث، وهو كما فى المصباح وغيره الجيش تسمية بالمصدر والسرية بفتح المهملة وكسر الراء وشد التحتية القطعة من الجيش، سموا به لأنهم خلاصة العسكر؛ والسري الشيء النفيس. وفى فتح الباري السرية التى تخرج فى الليل والسارية بالنهار، سميت سرية لأنها تخفي ذهابها وهي قطعة من

الجيش تخرج منه وتعود إليه اهـ المراد منه.

قال العراقي:

عـدتهـا من بعث أو سـريـة ستـون فـالأول بعث حـمـزة
لنحـو سيف البحـر من ناحيـة العـيص لم يقـتـتلوا بالجـملة

يعني أن أول بعوثه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر بكسر المهملة أي ساحله من ناحية العيص بكسر العين المهملة وسكون التحتية وصاد مهملة موضع ببلاد بني سليم وقيل بأرض جهينة والتقوا واصطفوا للقتال فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني وكان مسالما للفريقين فانصرفوا ولم يقتتلوا بعثه في ثلاثين من المهاجرين يتعرض عيرا لقريش وعقد له لواء أبيض وحمله أبو مرثد فكان أول من غزى في سبيل الله وأول من عقدت له راية في الإسلام وذلك في رمضان على رأس سبعة أشهر وقيل في ربيع الأول وقيل في جمادى ولم يعرف لمجدي إسلام قاله المناوي . وقوله فحجز بفتح الحاء والجيم وبالزاي أي فصل، ومجدي بفتح الميم وسكون الجيم وكسر الدال آخره ياء مشددة واسم أبي مرثد كناز بفتح الكاف وشد النون فألف فزاي ابن الحصين بمهملتين مصغرا الغنوي بفتح المعجمة والنون نسبة إلى غني ابن يعصر حليف حمزة واللواء هو العلم الذي يحمل في الحرب يعرف به موضع أمير الجيش وفي الفتح اللواء الراية وكان الأصل أن يمسكها رئيس الجيش ثم صارت تحمل على رأسه.وقال ابن العربي اللواء غير الراية، فاللواء ما يعقد في طرف الرمح ويلوى عليه والراية ما يعقد فيه ويترك حتى تصفقه الرياح، وقيل اللواء علامة لمحل الأمير والراية يتولاها صاحب الحرب، والعير المذكورة ثلاثمائة راكب فيها أبو جهل اللعين، وقوله على رأس سبعة أشهر أي تقريبا فلا ينافي أن قدومه عليه السلام لاثنتي عشرة ليلة خلت من

ربيع وقوله وقيل فى ربيع أي سنة اثنتين أنظر الزرقاني. ثم بعد بعث حمزة سرية عبيدة المطلبي وصدر فى الإكتفاء بأنها قبل سرية حمزة ثم سرية سعد بن أبي وقاص ثم سرية عبد الله بن جحش ثم بعث عمير الخطمي لقتل عصماء بنت مروان ثم بعث سالم بن عمير الأنصاري إلى قتل أبي عفك اليهودي، ثم بعث محمد بن مسلمة لقتل كعب بن الأشرف، ثم بعث زيد بن حارثة إلى القردة، ثم بعث أبي سلمة بن عبد الأسد لطلب طليحة بن خويلد وأخيه الأسديين، وأسلم طليحة بعد ثم بعث عبد الله بن أنيس الجهني الأنصاري لقتل سفيان بن خالد الهذلي، ثم بعث عاصم بن ثابت إلى الرجيع، ثم بعث المنذر بن عمرو ومعه القراء إلى بئر معونة، وقدمه عبد الرحيم العراقي على بعث الرجيع ثم بعث محمد بن مسلمة للقرطاء ثم بعث عكاشة إلى غمر مرزوق ماء لبني أسد، ثم بعث محمد بن مسلمة إلى ذي القصة موضع يريد بنى ثعلبة، فبعث أبي عبيدة بن الجراح إليهم، فبعث زيد بن حارثة إلى الجموم، ثم بعث زيد أيضا إلى العيص ثم بعثة رابعة إلى الطرق، فبعثه خامسة إلى حسمى، فبعثه سادسة إلى واد القرى ثم بعث عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل ثم بعث علي بن أبي طالب إلى فدك يريد بنى سعد بن بكر، ثم سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة، ثم سرية عبد الله بن عتيك الى أبي رافع سلام بن أبي الحقيق ثم سرية عبد الله بن رواحة إلى أسير بن رزام، ثم بعث كرز بن جابر إلى العرينيين، ثم بعث عمرو بن أمية إلى قتل أبي سفيان بن حرب، ثم بعث ابان بن سعيد الأموي إلى نجد على ما ذكر العراقي، وقال انه بعد فتح خيبر، لكن قال المناوي فى شرحه قال الحافظ بن حجر ولا أعرف هذه السرية انتهى ولم يذكره فى المواهب.

ثم سرية عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الي تربة، ثم سرية أبي بكر رضي الله تعالى عنه الي بنى كلاب، فبعث بشير بن سعد الأنصراي لفدك، فبعث غالب بن عبد الله الليثي إلى الميفعة فبعث

بشير بن سعد إلى يمن وجبار فسرية الأخرم بن أبي العوجاء السلمي الي بنى سليم فسرية غالب بن عبد الله إلى بنى الملوح، فبعث غالب ثالثة إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد بفدك فسرية شجاع بن وهب الأسدي إلى بنى عامر فبعث كعب بن عمير الغفاري إلى ذات إطلاح ثم سرية عمرو بن العاصي إلى ذات السلاسل فبعث أبي عبيدة إلى سيف البحر، وتعرف بسرية الخبط، فسرية أبي قتادة إلى نجد فسريته أيضا إلى اضم، فبعث خالد لهدم العزى فسرية عمرو بن العاصي لهدم سواع فبعث سعد بن زيد الأشهلي إلى مناة فبعث خالد إلى بنى جذيمة قبيلة من بنى عبد القيس، فبعث طفيل الدويسي إلى هدم ذي الكفين صنم فسرية قيس بن سعد بن عبادة إلى صداء فبعث الضحاك بن سفيان الكلابي إلى قومه فبعث عيينة بن حصن إلى بنى تميم ثم بعث الوليد بن عقبة إلى بنى المصطلق ثم سرية عبد الله بن عوسجدة إلى بنى عمرو بن حارثة بن عمرو ثم بعث قطبة بن عامر الخزرجي إلى خثعم فبعث علقمة بن مجزز بضم الميم وفتح الجيم ومعجمتين الأولى مكسورة ثقيلة وحكي فتحها والأولى أصوب المدلجي الي طائفة من الحبشة ثم سرية علي إلى هدم صنم طيء واسمه الفلس بضم الفاء وسكون اللام آخره سين مهملة كذا فى المواهب وضبطه بعضهم بالفتح وسكون اللام ثم بعث عكاشة إلى الجباب بكسر الجيم فسرية خالد إلى أكيدر دومة الجندل فبعث خالد أيضا إلى بنى عبد المدان فبعث علي إلى اليمن ثم بعث بنى عبس لما وفدوا عليه عليه السلام وهم تسعة نفر فبعثهم سرية إلى عير لقريش وآخر من بعثه عليه السلام أسامة بن زيد بعثه إلى أبنى بهمزة فموحدة فنون فألف مقصورة بوزن حبلى بناحية البلقاء من الشام.

ولنذكر كلاما مختصرا فى البعوث إن شاء الله تعالى.

أما بعث حمزة فقد مرّ، وأما سرية عبيدة ففى المواهب التصدير بأنها بعد بعث حمزة وكانت إلى بطن رابغ فى شوال على رأس ثمانية

أشهر من الهجرة فى ستين راكبا أو ثمانين من المهاجرين وليس فيهم من الأنصار أحد وعقد له لواء أبيض حمله مصطح كمنبر بن أثاثة بضم الهمزة وتفتح كما فى القاموس وخفة المثلثتين ابن عباد بن المطلب بن عبد مناف واسم مصطح عوف، ولقبه مصطح، فخرج عبيدة بمن معه حتى لقي جمعا عظيما من المشركين عليهم أبو سفيان كما قال الواقدي أنه الثبت، أو عكرمة بن أبي جهل أو مكرز بكسر الميم وسكون الكاف وفتح الراء فزاي ووجد بخط ابن عبدة أنه بفتح الميم وقال ابن خليل بضم الميم وكسر الراء، والمعتمد الأول، وهو ابن حفص بن الأخيف العامري ولم يكن بينهم قتال، إلا أن سعد بن أبي وقاص رمي يومئذ بسهم فكان أول من رمى بسهم فى سبيل الله أي جنسه فلا ينافي قول الواقدي أنه نشر كنانته فتقدم أصحابه وقد تترسوا عنه، فرمى بما فى كنانته وهو عشرون سهما ما منها سهم إلا جرح إنسانا أو دابة ثم انصرف القوم عن القوم وفرّ الي المسلمين من المشركين المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان وكانا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار قاله الزرقاني، وللعراقي بعد ذكره لبعث حمزة

فبعثه عبيدة بن الحارث — لرابع أو قبل ذا أو ثالث
بأنه شيع كلا منهما — معا لذاك أشكل ذا وأبهما
وكان رمي بينهم لم يعدو — أول من رمى بسهم سعد

قال المناوي عقب قوله أو ثالث، أي وقيل قول ثالث بأنه أي المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم شيع كلا منهما، ولارسالهما معا أشكل ذا على بعض الناس وأبهم بضم الهمزة، قال القسطلاني هذا مشكل بقولهم أن بعث حمزة كان على رأس سبعة أشهر لكن يحتمل أن يكون المصطفى عليه السلام عقد رايتهما معا ثم تأخر خروج عبيدة لرأس الثمانية لأمر اقتضاه اهـ

قال فى الاكتفاء ويقال إن أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال فى غزوة عبيدة هذه:

أمن طيف سلمى بالبطاح الدمائث ... أرقت وأمر فى العشيرة حادث
ترى من لؤي فرقة لا يصدها ... عن الكفر تذكير ولا بعث باعث
رسول أتاهم صادق فتكذبوا ... عليه وقالوا لست فينا بماكث
إذا ما دعوناهم إلى الحق أدبروا ... وهروا هرير المجحرات اللواهث
فإن يرجعوا عن غيهم وضلالهم ... فما طيبات الحل مثل الخبائث
وإن يركبوا طغيانهم وعقوقهم ... فليس عذاب الله عنهم بلابث

إلى أن قال:

ونحن أناس من ذؤابة غالب ... لنا العز منها فى الفروع الأثائث
فأولي برب الراقصات عشية ... حراجيج تخدي فى السريح الرثائث
كأدم ظباء حول مكة عكف ... يردن حياض البير ذات النبائث
لئن لم يفيقوا عاجلا عن ضلالهم ... ولست إذا اليت يوما بحانث
لتبتدرنهم غارة ذات مصدق ... تحرم أطهار النساء الطوامث

المجحرات الداخلات فى الجحر بالضم يعنى هر واهرير الكلاب الداخلة فى الجحر تلهث عطشا أو تعبا وأولي أحلف والحراجيج الطوال وتخدي تسرع والسريح شبه النعل تلبسه أخفاف الإبل، والرثائث البوالي، والنبائث جمع نبيثة وهي تراب البئر، والطوامث الحيض.

تنبيه:

ذكر غير واحد أن الراجح أن هاتين السريتين قبل ودان ولذا اقتصر عليه فى المواهب وأوردهما فى الاكتفاء بعد غزوة الأبواء أنظر الزرقاني.

ثم سرية سعد بن مالك الزهري آخر العشرة موتا، بعثه عليه السلام الى الخرار بخاء معجمة مفتوحة وراءين مهملتين الأولى ثقيلة كما فى الصغاني والمجد، والنور والمناوي، فما فى نسخة محرفة من الشامي من

أنه بتشديد الزاي الأولى لا يلتفت إليه وهو ماء لبني زهير أو واد بالحجاز يصب على الجحفة وذلك فى ذي القعدة بكسر القاف وفتحها على رأس تسعة أشهر وجعلها ابن عبد البر بعد بدر فى السنة الثانية وعقد له لواء أبيض حمله المقداد بن عمرو بن ثعلبة الكندي البدري المعروف بابن الأسود لأنه تبناه فى عشرين من الهاجرين يعترضون عيرا لقريش، فخرجوا علي أقدامهم يكمنون بالنهار ويمشون بالليل فصبحوا الخرار صبح خامسة فوجدوا العير قد مرت بالأمس فرجعوا ولم يلقوا كيدا أنظر المناوي، ومحمد بن عبد الباقي، وللعراقي بعد ما تقدم، فبعثه سعد إلى الخرار للعير فأتت رجعوا للدار يعنى المدينة ثم بعد بدر الأولى سرية أمير المؤمنين عبد الله بن جحش، ابن رياب براء مكسورة فتحتية آخره موحدة الأسدي البدري المستشهد فى أحد وذلك فى رجب على رأس سبعة عشر شهرا من الهجرة وهم ثمانية أو اثنى عشر من المهاجرين وليس فيهم من الأنصار أحد، روى البغوي عن سعد بن أبي وقاص بعثنا صلى الله تعالى عليه وسلم فى سرية وقال لأبعثن عليكم رجلا أصبركم علي الجوع والعطش فبعث علينا عبد الله بن جحش فكان أول أمير فى الإسلام وقال اليعمري سمي فى هذه السرية أمير المؤمنين وقال غيره سماه صلى الله تعالى عليه وسلم أمير المؤمنين، بعثهم إلى نخلة على ليلة من مكة والطائف وهي على لفظ واحدة، النخل، وهي موضع وهو الذى ينسب إليه بطن نخلة وهي التى اجتمع الجن بها وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين، فلما سارهما فتح الكتاب فإذا فيه: فإذا نظرت فى كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة فترصد بها قريشا، وتعلم لنا من أخبارهم ولا تستكره أحدا على الخروج معك، فقال سمعا وطاعة وأخبر أصحابه أنه نهاه أن يستكره أحدا منهم فلم يتخلف أحد منهم يعتقب كل اثنين منهم على بعير وسلك على الحجاز حتى إذا كان ببحران بفتح الموحدة وضمها أضل سعد بن مالك وعتبة بن غزوان جملهما الذى كانا يعتقبان عليه فتخلفا

فى طلبه ومضى عبد الله فى أصحابه حتى نزل بنخلة يرصد قريشا فمرت عير لهم تحمل زبيبا وأدما بفتح الهمزة والدال أي جلودا فيها عمرو بن الحضرمي واسمه عبد الله بن عباد أو ابن غمار وعم هذا وعامر والعلاء وأختهم الصعبة أسلمت هي والعلاء والصعبة هي أم طلحة بن عبيد الله وفى العير أيضا عثمان بن نوفل بن عبد الله المخزوميان والحكم بن كيسان فنزلوا قربهم فهابوهم فحلق عكاشة رأسه وقيل واقد وأشرف عليهم فلما رأوه أمنوا وقالوا عمار بضم العين وشد الميم أي معتمرون لا بأس عليكم منهم فقيدوا ركابهم وسرحوها وصنعوا طعاما فتشاور المسلمون وقالوا نحن فى آخر يوم من رجب، إن قتلناهم هتكنا حرمة الشهر الحرام وإن تركناهم الليلة دخلوا حرم مكة، فأجمعوا على قتلهم، فقتلوا عمرو بن الحضرمي رماه واقد بن عبد الله بسهم فقتله وأسروا عثمان بن عبد الله بن المغيرة والحكم بن كيسان وأسلم عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واستاقوا العير فكانت أول غنيمة فى الإسلام، فقسمها ابن جحش وعزل الخمس قبل أن يفرض فقدموا المدينة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام، فأخر الأسيرين والغنيمة حتى رجع من بدر فقسمها مع غنائمها وتكلمت قريش أن محمدا سفك الدماء وأخذ المال فى الشهر الحرام فأنزل الله تعالى {يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه} (الآية)، ففرج الله عن المسلمين ما كانوا فيه وفى ذلك يقول عبد الله بن جحش:

تعدون قتلى فى الحرام عظيمة ... وأعظم منه لو يرى الرشد راشدا
صدودكم عما يقول محمد ... وكفر به والله راء وشاهد
وإخراجكم من مسجد الله أهله ... لئلا يرى لله فى البيت ساجد
فإنا وإن عيرتمونا بقتله ... وأرجف بالإسلام باغ وحاسد
سقينا من ابن الحضرمي رماحنا ... بنخلة لما أوقد الحرب واقد
دما وابن عبد الله عثمان بيننا ... ينازعه غل من الحقد عاند

قوله وأعظم منه أي وأشد منه، أي من القتل الواقع منا فيه، مبتدأ وخبره صدودكم، والجملة بينهما اعتراضية وجواب لو محذوف أي لعلم ان فعلكم أعظم وسقينا خبران ومفعوله الثاني قوله دما وغل بالضم طوق من حديد يجعل في العنق وأما بكسرها فالحقد كما في المصباح أنظر الزرقاني.

وبعثت قريش إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في فداء الأسيرين عثمان والحكم بن كيسان مولى أبي جهل فقال عليه الصلاة والسلام لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا يعني سعدا وعتبة إنا نخشاكم عليهما فإن قتلتموهما قتلنا صاحبيكم، فقدم سعد وعتبة بعدهم بأيام ففداهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كل واحد بأربعين أوقية فأما الحكم فأسلم واستشهد ببئر معونة ذكره ابن اسحاق وابن عقبة، وروى الهيثم أنه تزوج آمنة بنت عفان أخت عثمان، وأما عثمان بن عبد الله فلحق بمكة ومات بها كافرا.

وللعراقي بعدما قدمته عنه:

بعث ابن جحش بعده أو أول	بنخلة فغنموا وقتلوا
في سلخ شهر رجب إنسانا	وأنزل الله به قرآنا
أي يسألونك أزالت كربا	وبأمير المؤمنين لقبا

وقوله أو أول أي وقيل أن بعث ابن جحش هو أول البعوث، قوله في سلخ شهر رجب أي آخره، وقوله به أي فيه، ثم بعد بعث بن جحش بعثه عليه السلام عمير بن عدي الأوسي ثم الخطمي بفتح المعجمة وسكون المهملة نسبة إلى جده خطمة بن جشم بن مالك بن الأوس، قيل إنه أول من أسلم من بني خطمة وكان أعمى بعثه إلى عصماء بفتح العين وسكون الصاد المهملتين والمد بنت مروان اليهودية زوجة يزيد بن زيد الخطمي الصحابي وكانت توذي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخل عليها ليلا وحولها نفر من ولدها نيام وهو أعمى كما مرّ فجسها بيده ونحى عنها ولدا لها كانت ترضعه فوضع سيفه على صدرها حتى

أنفذه من ظهرها ثم صلى الصبح معه صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة وأخبره بذلك، فقال عليه الصلاة والسلام لا ينتطح فيها عنزان، فكانت هذه الكلمة أول ما سمعت منه صلى الله تعالى عليه وسلم، فهي من كلامه الوجيز البليغ الذى لم يسبق إليه عليه الصلاة والسلام أي لا يعارض فيها معارض ولا يطلب بديتها.

ولابن اسحاق انه لما رجع إلى قومه وجد بنيها وهم خمسة رجال فى جماعة يدفنونها فقال أنا قتلتها فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون فوالذي نفسي بيده لو قلتم بأجمعكم ما قالت لضربتكم بسيفي هذا حتى أموت أو أقتلكم فأهدرها صلى الله تعالى عليه وسلم ولم ينتطح فيها عنزان وسماه البصير لكمال إيمانه وقوة قلبه، وقال من أحب أن ينظر إلى رجل كان فى نصرة الله ورسوله فلنيظر إلى عمير بن عدي، فقال عمر أنظروا إلى هذا الأعمى الذى يرى وسمي ابن دريد بن عدي هذا غشميرا بمعجمتين قبل الميم، وقال فعليل من الغشمرة وهي أخذ الشيء بالغلبة، قال فى الإصابة صحفه ابن دريد وإنما هو عمير لا شك فيه، ولا ريب أنظر الزرقاني وللعراقي:

فبعثه عميرا الخطميا لقتل عصما هجت النبيا

قال المناوي فى شرحه وكان لخمس ليال بقين من رمضان على رأس تسعة أشهر من الهجرة، ثم بعده بعث سالم بن عمير بن ثابت الأوسي العقبي البدري أحد بنى عمرو بن عوف وكان من البكائين بعثه عليه الصلاة والسلام إلى قتل أبي عفك بفتح المهملة والفاء الخفيفة فكان يقال رجل أعفك أي أحمق وهو يهودي كان فى بنى عامرو بن عوف وكان قد بلغ مائة وعشرين سنة وكان يحرض علي النبي صلى الله عليه وسلم ويهجوه، فقال عليه السلام من لي بهذا الخبيث فقال سالم علي نذر إن لم أقتل أبا عفك أو أموت دونه، فأمهل يطلب له غرة بكسر المعجمة وشد الراء المهملة أي غفلة حتى كانت ليلة صائفة أي حارة نام أبو عفك بفناء منزله وعلم سالم به فأقبل إليه ووضع سيفه علي كبده ثم اعتمد عليه

حتى خش، أي دخل فى الفراش فصاح عدو الله أبو عفك فثار إليه أي اجتمع إليه ناس ممن هم علي قوله وأدخلوه منزله وقبروه وكان ذلك فى رأس شوال رأس عشرين شهرا من الهجرة. وقالت أمامة بضم الهمزة المريدية بضم الميم وكسر الراء وقيل بفتحها نسبة إلى مريد بطن من بلي الصحابية فى ذلك:

تكذب دين الله والمرأ أحمدا ... لعمري الذى أمناك ان بيس ما يمني
حباك حنيف آخر الليل طعنة ... أبا عفك خذها على كبر السن

ولعمري الذى أمناك أي وحياتي الذى أنشأك وحباك بموحدة أعطاك، وحنيف مسلم، قاله الزرقاني وللعراقي:

فبعث سالم إلى أبي عفك ... قتله آذى النبي وأفك

بفتح الهمزة والفاء أي كذب على المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم فيما قال. ثم بعد ذلك سرية محمد بن مسلمة بفتح الميم الأوسي، ثم الأشهلي شهد بدرا والمشاهد كلها، بعثه عليه الصلاة والسلام ومعه أربعة من الأوس أبو نائلة بنون وبعد الألف تحتية كما فى الفتح وللقسطلاني وبعد الألف همزة سلكان بكسر السين المهملة وسكون اللام ابن سلامة بن وقش بسكون القاف وفتحها الأوسي ثم الأشهلي أيضا شهد أحدا وغيرها وعباد بفتح المهملة وشد الموحدة ابن بشر بكسر الموحدة وسكون المعجمة الأشهلي أيضا البدري والحارث بن أوس ابن معاذ ابن أخي سعد بن معاذ وأبو عبس بمهملتين بينهما موحدة ابن جبر بفتح الجيم وسكون الموحدة الأوسي الحارثي البدري وسبب بعثتهم أنه عليه السلام لما بعث زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة إلى من بالمدينة بخبر بدر بشيرين قال كعب بن الأشرف وكان من طيء ثم من بنى نبهان أمه من بنى النضير أترون أن محمدا قتل هؤلاء الذين يسمي هذان الرجلان والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء لبطن الأرض خير لي من ظهرها، فلما تيقن عدو الله الخبر خرج إلى مكة فجعل يحرض علي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويبكي أصحاب القليب ويهجو رسول الله صلى

الله تعالى عليه وسلم فيهجوه هو حسان، ثم رجع إلى المدينة فشبب أي تغزل بنساء المسلمين وآذاهم فقال عليه الصلاة والسلام من لنا بابن الأشرف وفى رواية من لكعب بن الأشرف أي من ينتدب لقتله فقد استعلن لعداوتنا وهجائنا، فقد خرج إلى المشركين فجمعهم لقتالنا وقد أخبرني الله بذلك، فقال محمد بن مسلمة أنا لك به يا رسول الله، أنا أقتله قال فافعل إن قدرت علي ذلك. وفى رواية أنه عليه السلام أمر سعد بن معاذ أن يبعث رهطا ليقتلوه ففعل. وفى رواية أنه عليه الصلاة والسلام قال له إن كنت فاعلا فلا تعجل حتى تشاور سعد بن معاذ، فشاوره فقال له توجه إليه واشكوا الحاجة وسله أن يسلفكم طعاما.

ولابن إسحاق أنه مكث ثلاثا لا يأكل ولا يشرب إلا ما تعلق به نفسه فذكر ذلك له صلى الله تعالى عليه وسلم فدعاه فقال له لم تركت الطعام والشراب؟ قال يا رسول الله قلت لك قولا لا أدري هل أفين لك به أم لا. قال إنما عليك الجهد.

ولما اجتمع القوم المذكورون علي قتله أتوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا يا رسول الله لابد لنا أن نقول قولا غير مطابق للواقع يسر كعبا لنتوصل به للتمكن من قتله، قال قولوا ما بدى لكم فأنتم فى حل من ذلك. ومشى معهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى بقيع الغرقد وقال انطلقوا علي اسم الله، اللهم أعنهم.

ثم رجع عليه السلام إلى بيته وأقبلوا حتى انتهوا الي حصنه وكان حديث عهد بعرس فهتف به أبو نائلة وكان أخاه من الرضاعة فوثب فى ملحفته فأخذت امرأته بناحيتها فقالت إنك امرء تحارب وإن أصحاب الحروب لا ينزلون فى مثل هذه الساعة. قال انه أبو نائلة لو وجدني نائما ما أيقظني، فقالت والله إني لأعرف فى صوته الشر.

وفي البخاري أسمع صوته كأنه يقطر منه الدم، قال إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة، إن الكريم إذا دعي إلى طعنة لأجاب اهـ. فنزل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه وقالوا هل لك يابن الأشرف أن

تمشي إلى شعب العجوز فنتحدث به بقية ليلتنا فقال إن شئتم فخرجوا يتماشون ثم إن أبا نائلة شام يده بمعجمة وميم مخففة أدخلها في فود رأسه ثم شم يده، فقال ما رأيت كالليلة طيبا أعطر ثم عاد لمثلها حتى اطمأن، ثم عاد بمثلها فأخذ بفود رأسه فقال أضربوا عدو الله.

وفي البخاري أن ابن مسلمة قال لأصحابه إذا ما جاء كعب فإني نائل بشعره أي آخذ به فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فاضربوه، فنزل إليهم ينفح منه ريح الطيب، فقال ما رأيت كاليوم ريحا، فقال عندي أعطر نساء العرب، فقال ابن مسلمة أتأذن لي أن أشم رأسك ؟ قال نعم. فشمه ثم أشم أصحابه، وفي رواية فقال ابن مسلمة إن هذا الرجل قد سألنا صدقة ونحن ما نجد ما ناكل وإني قد أتيتك أستسلفك، قال كعب وأيضا والله لتملنه، وفي رواية وأحب أن تسلفنا طعاما، قال وأين طعامكم؟ قالوا أنفقناه على هذا الرجل وعلى أصحابه. قال ألم يان لكم أن تعرفوا أنما أنتم عليه من الباطل اهـ؟ قال نعم، ارهنوني، قالوا أي شيء تريد ؟ قال ارهنوني نساءكم؛ قالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب، وأي امرأة تمتنع منك لجمالك؟ فقال فارهنوني ابناءكم. قالوا كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا ولكنا نرهنك اللامة، يعني السلاح، وإنما قالوا له ذلك لئلا ينكر عليهم مجيئهم بالسلاح.

وفي روية ان أبا نائلة جاءه فقال له ويحك يابن الأشرف إني قد جئتك لحاجة أريد أن أذكرها لك فاكتم عني. قال افعل. قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء، عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وقطعت عنا السبل حتى جاع العيال، فقال كعب: أما والله لقد كنت أخبرك أن الأمر سيصير إلى ما أقول. فقال إني أردت أن تبيعنا طعاما ونرهنك، وإن معي أصحابي على مثل رأيي وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم ونرهنك من الحلقة ما فيه وفاء فقال إن في الحلقة لوفاء، وأومأ الدمياطي إلى ترجيحه. قال الحافظ ويحتمل أن كلا منهما كلمه في ذلك لأن أبا نائلة

أخوه من الرضاعة وابن مسلمة ابن أخيه. وفى رواية الواقدي وكان كعب يدهن بالمسك المفتت والعنبر حتى يتلبد فى صدغيه اهـ. فضربوه فاختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيئا. قال ابن مسلمة فذكرت مغولا فى سيفي فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار فوضعته فى ثنته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته، فوقع عدو الله والمغول بكسر الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الواو شبه سيف قصير تغطيه الثياب أو حديدة دقيقة لها حد ماض وثنته بضم المثلثة وشد النون المفتوحة سرته. وإنما قتلوه علي هذا الوجه لأنه نقض عهده صلى الله عليه وسلم وهجاه، وكان عاهده أن لا يعين عليه أحدا ثم جاء مع أهل الحرب معينا عليه، قاله المازري. قال عياض وقيل لأن محمد بن مسلمة لن يصرح له بالأمان وإنما كلمه فى أمر البيع واشتكى إليه ولا يحل لأحد أن يقول أن قتله كان غدرا، وقد قال ذلك إنسان فى مجلس علي كرم الله وجهه فأمر به فضربت عنقه، وروي أنهم لما قتلوه حملوا رأسه فى مخلاة إلى المدينة وأصاب الحارث بن أوس ذباب سيف من أسياف الصحابة فجرح فى رأسه أو رجله ونزفه الدم فاحتملوه إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، فتفل عليه السلام على جرحه فلم يوذه، فقال عباد بن بشر فى ذلك شعرا:

صرخت به فلم يعرض لصوتي	وأوفى طالعا من رأس خدر
فعدت له فقال من المنادي	فقلت أخوك عباد بن بشر
وهذي درعنا رهنا فخذها	لشهر إن وفى أو نصف شهر
فقال معاشر سغبوا وجاعوا	وما عدموا الغنى من غير فقر
فأقبل نحونا يهوي سريعا	وقال لنا لقد جئتم لأمر
وفي أيماننا بيض حداد	مجربة بها الكفار نفر
فعانقه ابن مسلمة المردى	به الكفار كالليث الهزبر
وشد بسيفه صلتا عليه	فقطره أبو عبس بن جبر
وكان الله سادسنا فأبنا	بأنعم نعمة وأعز نصر
وجاء برأسه نفر كرام	هم ناهيك من صدق وبر

قوله فقطره بالقاف أي صرعه صرعة شديدة، ولما انتهوا إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأخبروه بقتله قال لهم أفلحت الوجوه. فقالوا وجهك يا رسول الله. وروي ووجهك بواوين وحذفها أمس بالأدب، لأنها تثبت فلاح وجهه مع وجوههم. ورموا برأسه بين يديه فحمد الله تعالى على قتله، فأصبحت اليهود مذعورين ولم ينطقوا وخافوا أن يبيتوا.

وللعراقي:

فمبعثه محمد بن مسلمه	في فرقة لقتل كعب الملامه
جاؤا برأسه فأذرموه	قال لهم أفلحت الوجوه

ثم سرية زيد بن حارثة الى القردة بالقاف المفتوحة وسكون الراء وقيل بالفاء أي المفتوحة وكسر الراء اسم ماء من مياه نجد قاله فى المواهب، وسببها أن قريشا لما كان من وقعة بدر ما كان خافوا طريقهم التى كانوا يسلكون إلى الشام فسلكوا طريق العراق فخرج منهم تجار بكسر التاء وتخفيف الجيم وبضم الفوقية وشد الجيم، فيهم أبو سفيان واستأجروا فرات بضم الفاء بن حيان بفتح المهملة وشد التحتية الرفعي البكري حليف بنى سهم دليلا لهم، ومعهم فضة كثيرة قال ابن اسحاق هي عظم تجارتهم قال الزرقاني بضم فسكون أي أكثر فبعث إليهم عليه الصلاة السلام زيدا في مائة راكب فلقيهم بالقردة فأصاب العير فأتى بها وأعجزه الرجال فخمسها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فبلغت قيمة الخمس عشرين ألف درهم. وعند مغلطاي خمسة وعشرين ألف درهم وقدموا بالدليل فرات بن حيان أسيرا فأسلم وأرسله عليه السلام بعد ذلك إلى ثمامة بن أثال فى شأن مسيلمة ومر عليه السلام به وهو مع أبي هريرة والرحال بن عفوة فقال ضرس أحدكم فى النار مثل أحد فمازال فرات وأبو هريرة خائفين حتى بلغهما ردة رحال وإيمانه بمسيلمة فخرا ساجدين، وهذه السرية، قال ابن سعد هي أول سرية خرج فيها زيد أميرا، قال وكان بعثه لهلال جمادى الآخرة على رأس

ثمانية وعشرين شهرا من الهجرة يعترض عيرا لقريش فيها صفوان بن أمية الجمحي وحويطب بن عبد العزى القرشي العامري وعبد الله بن أبي ربيعة انتهى. وأسلموا بعد كلهم.

وفي المناوي ومعهم مال كثير منه فضة نحو ثلاثين ألف درهم وثلاثمائة مثقال ذهبا، وذكر ابن إسحاق هذه السرية قبل قتل ابن الأشرف وكان قتله بأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة. وللعراقي بعدما تقدم:

فبعثه زيدا إلى القردة ماء بنجد بقريب غمزة
فحصلوا مائة ألف مغنما وأسروا فرات ثم أسلما

قال المناوي في شرحه بعد قوله القردة بفتح الراء والقاف على الأشهر وضبطه الدمياطي بفاء مفتوحة وراء ساكنة وغمزة قال بفتح الغين المعجمة وميم ساكنة موضع بين نجد وتهامة من طريق الكوفة. وقال حسان بن ثابت في غزوة بدر الأخيرة يؤنب قريشا في أخذهم تلك الطريق:

دعوا فلجات الشام قد حال دونها جلاد كأفواه المخاض الأوارك
بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم وأنصاره حقا وأيدي الملائك
إذا سلكت للغور من بطن عالج فقولا لها ليس الطريق هنالك
أقمن على الرس النزوع ثمانيا بأرعن جرار عظيم المبارك
بكل كميت جوزه نصف خلقه وقب طوال مشرفات الحوارك
ترى العرفج العامي تذرى أصوله مناسم أخفاف المطي الرواتك
فإن تلف في تطوافنا والتماسنا فرات بن حيان يكن رهن هالك
وإن تلف قيس بن امرئ القيس بعده نزد في سواد لونه لون حالك

ومنها كما في فتح الودود :

وأبلغ أبا سفيان عني رسالة فإنك من غر الرجال الصعالك

الفلجات بالجيم جمع فلج وهو الماء يجرى ورواه أبو حنيفة بالحاء وقال الفلجة المزرعة والمخاض واحدتها خلفة من غير لفظها وقد قيل في

الواحدة ماخض وعندى ان المخاض فى الحقيقة ليس بجمع وإنما هو مصدر ولذلك وصف به الجمع، وفى التنزيل فأجاءها المخاض كذا رأيته معزوا للسهيلي. والأوارك الأكلة للأراك فتفتح أفواهها لذلك والرس البئر المطوية بالحجارة والنزوع كصبور القريبة القعر وجيش أرعن عظيم له فضول والكميت الأحمر، والقب الضوامر والحارك أعلى الكاهل، والعامي الذى مر عليه عام، والرواتك المسرعات، والرتك سير النعام، وفرات مر قريبا ضبطه ونسبه.

ثم سرية أبى سلمة بن عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة إلى قطن بفتح القاف والطاء المهملة وبالنون جبل بناحية فيد بفتح الفاء وسكون التيحتية وبالدال المهملة ماء لبنى أسد بن خزيمة ومعه مائة وخمسون من المهاجرين والأنصار وسببها أن الوليد بن زبير الطائي أخبره صلى الله تعالى عليه وسلم أنه مرّ بطليحة وسلمة ابني خويلد الأسدي وهما يدعوان قومهما ومن أطاعهما لحربه عليه السلام فنهاهم قيس بن الحارث فلم ينتهوا، فبعث إليهم أبا سلمة وعقد له لواء وقال سر حتى تنزل بأرض بنى أسد، فأغر عليهم. فأسرع أبو سلمة السير حتى انتهي إلى أدنا قطن فأغار علي سرح لهم مع رعاء لهم مماليك ثلاثة وأفلت سائرهم فجاؤهم وأخبروهم الخبر فتفرقوا فى كل وجه وهرب طليحة وأخوه ولم يدركهما أبو سلمة فرجع ولم يلق حربا، وللعراقي رحمه الله تعالى:

فبعده بعث ابن عبد الأسد ... بقطن لولدي خويلد
طليحة مع أخيه سلمه ... قد جمعا حرب نبي المرحمه
فلم يصل حتى تفرق الملا ... وغنموا شاء لهم وإبلا

وطليحة أسلم بعد ذلك وارتد بعد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وادعى النبوءة ثم اسلم إسلاما صحيحا ولم يغمض عليه فى إسلامه بعد ذلك. وجزم الشامي بأن أخاه سلمة لم يسلم، وقال ابن عبد البر أن

مسعود بن عروة قتل فى هذه السرية. وقوله حرب منصوب بنزع الخافض أي جمع الناس إلى حرب، وقوله إبلا أي كثيرة كما فى المناوي. ومدة غيبة تلك السرية عشرة أيام والله تعالى أعلم قاله الزرقاني.

ثم يلي ما مر بعث عبد الله بن أنيس بضم أوله وفتح النون وسكون التحتية ابن أسعد الجهني الأنصاري، قاله الزرقاني. بعثه وحده يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة إلى قتل سفيان بن خالد بن نبيح بضم النون وفتح الموحدة وسكون التحتية وحاء مهملة الهذلي ثم اللحياني قاله ابن سعد وتبعه اليعمري والعراقي وقال ابن اسحاق خالد بن سفيان بن نبيح لأنه بلغه عليه السلام أنه يجمع الجموع لحربه فقال لعبد الله ائته فاقتله، فقال صفه لى حتى أعرفه، قال إذا رأيته هبته وفرقت ووجدت له قشعريرة وذكرت الشيطان قال عبد الله وكنت لا أهاب الرجال، فقلت يا رسول الله ما فرقت من شيء قط قال آية ما بينك وبينه ذلك، واستأذنته أن أقول، فقال قل ما بدا لك فقال انتسب لخزاعة قال فأخذت سيفى ولم أزده عليه وخرجت اعتزى إلى خزاعة فلما وصل إليه بعرنة بضم العين المهملة وفتح الراء والنون فتاء تأنيث موضع بقرب عرفة موقف الحاج لقيه يمشي ووراءه الأحابيش قال فهبته وعرفته بنعته صلى الله تعالى عليه وسلم وقد دخل وقت العصر فصليت وأنا أمشي أومئ برأسى إيماء فلما دنوت منه، قال فمن الرجل؟ قلت من بنى خزاعة سمعت بجمعك لمحمد وجئت لأن أكون معك، قال أجل إنى لفى الجمع فمشيت معه وحدثته فاستحلى حديثي وقلت عجبا لما أحدث محمد من هذا الدين، فارق الاباء وسفه أحلامهم، قال انه لم يلق أحدا يشبهني وهو يتوكأ على عصى تهد الأرض حتى انتهى إلى خبائه وتفرق عنه أصحابه إلى منازل قريبة منه وهم يطيفون به، فقال هلم يا أخا خزاعة، فجلست معه حتى إذا نام الناس اغتررته واحتز عبد الله رأسه ثم دخل غارا فى الجبل وضرب العنكبوت عليه، فجاء الطلب فلم يجدوا شيئا فخرج

يسير الليل ويكمن النهار حتى أتى المدينة فرمى برأسه بين يدي المصطفي صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال أفلح الوجه، أي فاز، فقال أفلح وجهك يا رسول الله. فدفع إليه عصى، فقال تخصر بها فى الجنة، فإن المتخصرين فى الجنة قليل فكانت عنده فلما حضرته الوفاة وصى بأن تدرج فى كفنه فجعلوها بين جلده وكفنه وكانت غيبته ثمان عشرة ليلة.

وللحافظ العراقي:

يليه بعث ابن أنيس العامد	لقتل سفيان هو ابن خالد
ابن نبيح كان صوب عرنه	يجمع للنبي فلما أمكنه

أي فلما هدأ الناس وناموا قاله المناوي.

احتز رأسه فلما احضره	دعا له وخصه بمخصره

وهي بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة فصاد مهملة ما يمسكه الإنسان من نحو عصى قاله المناوي وفى الزرقاي التخصر الاتكاء على قضيب ونحوه وقال عبد الله فى ذلك :

تركت ابن ثور كالحوار وحوله	نوائح تفرى كل جيب مقدد
تناولته والظعن خلفى وخلفه	بأبيض من ماء الحديد مهند
عجوم أمام الدارعين كأنه	شهاب غضى من ملهب متوقد
أقول له والسيف يعجم رأسه	أنا ابن أنيس فارسا غير قعدد
فقلت له خذها بضربة ماجد	حنيف على دين النبي محمد
وكنت إذا هم النبي بكافر	سبقت إليه باللسان وباليد

والظعن جمع ظعينة وقد مر أنها تقال للمرأة وإن لم تكن راكبة وهذا التفسير هو الذى يلائم ما مر عن الزرقاني، والمناوي وفى الكلاعي انه وجده فى ظعن يرتاد لهن منزلا وانه قال وتركت ظعائنه منكبات وتفرى تشق والمقدد المقطع والقعدد الجبان وعجمه كنصره: عضه، أولاكه وحنيف مسلم.

ثم بعد بعث عبد الله بن أنيس على ما للقسطلاني فى المواهب بعث الرجيع بفتح الراء وكسر الجيم وهو اسم ماء لهذيل بين مكة وعسفان

كانت الوقعة قريبا منه فسميت به وهو سرية عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح بالقاف واللام، قيس بن عصمة بن النعمان الأوسي من السابقين، روى الحسن بن سفيان انه لما كانت ليلة العقبة أو ليلة بدر قال صلى الله تعالى عليه وسلم لمن معه كيف تقاتلون؟ فقام عاصم بن ثابت وقال إذا كان القوم قريبا من مائتي ذراع كان الرمي وإذا دنوا حتى تنالهم الرماح كانت المداعبة حتى تقصف فإذا انقصفت وضعناها وأخذنا السيوف وكانت المجالدة، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هكذا أنزلت الحرب من قاتل فليقاتل كما يقاتل عاصم، وشهد عاصم العقبة وبدرا وأحدا واستشهد بعد أحد في هذه السرية كما يأتي وكانت في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة، فهي في السنة الرابعة كما قاله ابن سعد، ولابن اسحاق أنها في أواخر سنة ثلاث انظر الزرقاني، والمداعبة هنا المدافعة بالرماح وتقصف تكسر وسماها بعضهم سرية مرثد بن أبي مرثد الغنوي وبه صدر الحافظ العراقي وفي هذه السرية وقعت قصة عضل والقارة وعضل بفتح العين المهملة وفتح الضاد المعجمة بعدها لام هو ابن الديش بفتح الدال المهملة وكسرها ثم تحتية ساكنة ثم شين معجمة كما قاله البرهان وشيخه المجد في القاموس وفي السبل بسين مهملة ابن محكم بطن من بني الهون بضم الهاء وسكون الواو ابن خزيمة بن مدركة القارة بفتح القاف وتخفيف الراء فتاء تانيث بطن من الهون أيضا ينسبون إلى الديش المذكور، والقارة أكمة سوداء فيها حجارة كانوا نزلوها فسموا بها ويضرب بهم المثل في إصابة الرمي قال الشاعر:

قد انصف القارة من راماها، انظر المواهب وشرحها.

وسبب قصة أصحاب الرجيع أنه لما قتل ابن نبيح الهذلي ثم اللحياني مشت بنو لحيان من هذيل إلى عضل والقارة فجعلوا لهم إبلا على أن يكلموا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن يخرج إليهم نفرا من أصحابه فقدم سبعة نفر منهم مقرين بالإسلام فقالوا يا رسول الله إن

فينا إسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا، فبعث معهم ستة من أصحابه وهم مرثد بن أبى مرثد وأمره عليهم، وخالد بن البكرى وعاصم بن ثابت وخبيب بضم الخاء المعجمة بن عدي وزيد بن الدثنة بفتح الدال المهملة والمثلثة وشد النون فتاء تأنيث الأنصاري البياضي وعبد الله بن طارق البلوي وكلهم بدريون وكون الأمير عليهم مرثدا قاله ابن اسحاق وفى الصحيح وأمر عليهم عاصما وهو الصحيح كما قاله السهيلي وغيره فخرجوا معهم حتى أتوا الرجيع غدروا بهم فاستغاثوا عليهم هذيلا فلم يرعهم وهم فى رحالهم إلا الرجال بأيديهم السيوف فأخذوا أسيافهم ليقاتلوهم فقالوا لهم إنا والله لا نريد قتلكم ولكنا نريد أن نصيب معكم من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لا نقتلكم. فأما مرثد الغنوي حليف حمزة وخالد بن البكير بضم الموحدة وفتح الكاف البلوي حليف بنى عدي وعاصم بن ثابت الأوسي فقالوا والله لا نقبل من مشرك عهدا وقاتلوا حتى قتلوا رضي الله عنهم.

وقال عاصم قبل قتله:

ما علتى وأنا جلد بازل	والقوس فيها وتر عنابل
نزل عن صفحتها المعابل	الموت حق والحياة باطل
وكل ما حم الإله نازل	بالمرء والمرء إليه ءائل
إن لم أقاتلكم فإنى جاهل	

العنابل كعلابط الغليظ والمعابل بالموحدة بعد الألف جمع معبلة كمكنسة انتهى وهي نصب نصل السهم العريض الطويل وحم قدر، وأما زيد وخبيب الأوسي وعبد الله بن طارق فلانوا ورقوا فلما استمكنوا منهم اطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها فقال عبد الله بن طارق هذا أول الغدر والله لا أصحبكم ان لى بهؤلاء أسوة يريد القتلى فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فابتاع خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف وهم عقبة وأبو سروعة وأخوهما لامهما حجير بضم الحاء المهملة وفتح الجيم وسكون التحتية فراء مهملة ابن اهاب ككتاب

التميمي حليف بني نوفل وقد اسلم الثلاثة بعد وصحبوا ولله الحمد، وفى البخاري ان خبيبا هو الذى قتل الحارث أباهم يوم بدر فلبث خبيب عندهم أسيرا حتى عزموا على قتله فاستعار من بعض بنات الحارث موسى ليستنجد بها فغفلت عن ابن لها صغير فأقبل إليه الصبي فأجلسه عنده فخشيت المرأة أن يقتله ففزعت فزعة عرفها خبيب فقال ما كنت لأغدر، قالت والله ما رأيت أسيرا خيرا من خبيب كان يتهجد بالقرآن فإذا سمعه النساء بكين والله لقد وجدته ياكل قطفا بكسر القاف أي عنقودا من عنب مثل رأس الرجل وإنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة وما كان ذلك إلا رزقا رزقه الله تعالى خبيبا.

فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه فى الحل قال اتركونى أصلى ركعتين فتركوه فركع ركعتين وقال اللهم احصهم عددا بقطع الهمزة أي استأصلهم بحيث لا يبقى من عددهم أحد ولا تبق منهم أحدا واقتلهم بددا بفتح الموحدة والدال المهملة مصدر بمعنى التبدد يعنى متفرقين، ومن رواه بكسر الموحدة فهو جمع بدة وهي القطعة من الشيء، فلم يحل الحول ومنهم أحد حي كما فى مرسل بريدة، قال السهيلي أصابت دعوته من سبق فى علم الله أن يموت كافرا ومن أسلم منهم، فلم يعنه خبيبب وحاشاه أن يكره إيمانهم ومن قتل منهم بعد الدعوة فإنما قتلوا بها بددا غير مجتمعين كاجتماعهم فى أحد فنفذت الدعوة على صورتها فيمن أراد خبيبا انتهى.

وعن معاوية بن أبى سفيان قال كنت مع أبى فجعل يلقينى إلى الأرض خوفا من دعوة خبيب وكانوا يقولون ان الرجل إذا دعي عليه واضطجع زلت عنه الدعوة، وروي ان خبيبا قال اللهم إني لا أجد من يبلغ رسولك منى السلام فبلغه، فجاء جبريل فأخبره الخبر فزعموا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال وعليك السلام.

وفي الصحيح ان الذى قتل خبيبا أبو سروعة عقبة بن الحارث وهو بكسر السين وفتحها والراء ساكنة وقال جماعة من أهل السير والنسب

أبو سروعة أخو عقبة وهو الذى تقدم، وقال العسكري من زعم أنهما واحد فقد وهم وفى الإصابة أبو سروعة هو عقبة عند الأكثر وقيل أخوه وأسلم يوم الفتح ولابن اسحاق بإسناد صحيح عن عقبة بن الحارث ما أنا قتلت خبيبا أنا كنت أصغر من ذلك ولكن أبا ميسرة العبدري أخذ الحربة فجعلها فى يدى ثم أخذ بيدى وبالحربة ثم طعنه بها حتى قتله، ولما أرادوا قتله أنشأ يقول:

لقد جمع الأحزاب حولى وألبوا ... قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وكلهم مبدى العداوة جاهد ... علي لأنى فى وثاق مضيع
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم ... وقربت من جذع طويل ممنع
إلى الله أشكو غربتى ثم كربتى ... وما أرصد الأحزاب لى عند مصرعى
فذا العرش صبرني على ما يراد بى ... فقد بضعوا لحمى وقد ياس مطمع
ولست أبالى حين أقتل مسلما ... على أي جنب كان فى الله مضجع
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع
فقد خيرونى الكفر والموت دونه ... وقد هملت عيناي من غير مجزع
وما بى حذار الموت إنى لميت ... ولكن حذارى جحم نار ملفع
فلست بمبد للعدو تخشعا ... ولا جزعا إنى إلى الله مرجعى

وألبوا بشد اللام حضوا ولا يفسر بجمعوا كما فى النور ليغاير ما قبله وما بعده، والمصرع المطرح على الأرض، وذات الإله وجه الله وابتغاء رضاه وثوابه والأوصال الأعضاء جمع وصل، والشلو بكسر الشين المعجمة وسكون اللام الجسد والممزع المقطع المفرق والجحم بفتح الجيم الاضطرام والتلفع التلهب وروي انهم لما وضعوا فيه السلاح وهو مصلوب ناشدوه أتحب أن محمدا مكانك؟ قال لا والله ما أحب أن يفدينى بشوكة فى قدمه.

وأما زيد بن الدثنة فاتبعه صفوان بن أمية فبعث به مولى له اسمه نسطاس بكسر النون إلى التنعيم ليقتله فقتله وروى ابن اسحاق ان أبا سفيان بن حرب قال لزيد لما قدم ليتقل أنشدك بفتح الهمزة وضم الشين أي أسألك بالله أتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه

وأنك فى أهلك فقال والله ما أحب أن محمدا الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإنى جالس فى أهلى.

فقال أبو سفيان ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا. وأسلم نسطاس بعد وحسن إسلامه. وقال حسان يبكى خبيبا:

يا عين جودي بدمع منك منسكب	وابكي خبيبا مع الفتيان لم يؤب
صقرا توسط فى الأنصار منصبه	سمح السجية محضا غير مؤتشب
قد هاج عيني على علاة عبرتها	إذ قيل نص على جذع من الخشب
يا أيها الراكب الغادى لطيته	ابلغ إليك وعيدا ليس بالكذب
بني جهينة أن الحرب قد لقحت	محلوبها الصاب إذ يهدى لمحتلب
فيها أسود بنى النجار تقدمهم	شهب الأسنة فى معصوصب لجب

ونص بالبناء للفعول رفع والطية كالنية زنة ومعنى والصاب شجر مر، والمعصوصب المجتمع الشديد وجيش لجب بكسر الجيم له لجبة وصياح ومؤتشب بالفتح غير صريح فى نسبه، انظر القاموس.

وبعثت قريش عاصم بن ثابت من ياتيهم بشيء منه لأنه كان قتل عقبة بن معيط بعد انصرافهم من بدر بمحل يقال له عرق الظبية قتله صبرا بأمر من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وروى ابن اسحاق انه لما قتل أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بضم السين وخفة اللام وبالفاء وصحفها ابن الأثير فأبدلها ميما بنت سعد بن شهيد بضم المعجمة وفتح الهاء الأنصارية الأوسية أسلمت فى الفتح وهي أم مسافع بضم الميم وكسر الفاء وجلاس بضم الجيم وخفة اللام وسين مهملة ابنا طلحة العبدري وكان عاصم قتلهما يوم أحد وكانت قد نذرت حين قتل عاصم ابنها يوم أحد لأن قدرت على رأس عاصم لتشربن الخمر فى قحفه وهو بكسر القاف وسكون الحاء المهملة وبالفاء ما انفلق من الجمجمة وجعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة فمنعه منهم الدبر وهو بفتح الدال وتكسر وسكون الباء جماعة النحل. وللبخاري فبعث الله عليهم مثل

الظلة من الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا منه علي شيء. ولابن اسحاق وكان قد اعطى الله عهدا ان لا يمس مشركا ولا يمسه مشرك أي بمصافحة ونحوها مما يشعر بالميل إليهم فلا ينافى انه يقتلهم بسيف أو رمح.

ثم بعد بعث الرجيع على ما فى المواهب والاكتفاء سرية المنذر بن عمرو بفتح العين حبيش بن حارثة بن لوذان الخزرجي العقبي البدري إلى بئر معونة بفتح الميم وضم المهملة وسكون الواو وهي بين أرض بني عامر وحرة بني سليم كلا البلدين منها قريب وهي إلى حرة بني سليم أقرب كما فى الكلاعي وكانت فى صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد وقدمها الحافظ العراقي على بعث الرجيع وسببها أنه قدم أبو براء بفتح الموحدة وبالراء والمد ، ملاعب الأسنة واسمه عامر بن مالك بن جعفر العامري الكلابي على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فعرض عليه الإسلام فلم يسلم ولم يبعد، بل قال يا محمد أنا أرى أمرك هذا حسنا شريفا وقومي خلفي فلو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد لرجوت أن يستجيبوا لك فقال عليه الصلاة والسلام إني أخشى أهل نجد عليهم، قال أنا جار لهم فابعثهم. فبعث عليه الصلاة والسلام المنذر بن عمرو وبعث معه القراء وهم سبعون كما فى البخاري ومسلم من طرق واقتصر عليه العراقي وقال السهيلي هو الصحيح وقيل أربعون ويمكن الجمع بأن الأربعين كانوا رؤساء والثلاثون تبع وكانوا يجمعون الحطب بالنهار ويصلون بالليل ويشترون بالحطب الطعام لأهل الصفة وكانوا من الأنصار وفي رواية أنه أي أبا براء أهدى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فرسين وراحلتين فقال عليه الصلاة والسلام لا أقبل هدية مشرك، وفي رواية إني نهيت عن زبد المشركين بفتح الزاي المعجمة وسكون الموحدة وبالدال المهملة الرفد والعطاء قال السهيلي ولم يقل عن هديتهم لأنه إنما كره ملاينتهم أو مداهنتهم إذا كانوا حربا له لأن الزبد مشتق من الزبد

كما أن المداهنة مشتقة من الدهن، فعاد المعنى إلى معنى اللين، نقله العلامة الزرقاني.

ولما وصل المنذر ومن معه من معونة بعثوا حرام بن ملحان بكسر الميم أشهر من فتحها أخو أم سليم بكتابه صلى الله تعالى عليه وسلم إلى عدو الله عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر الكلابي وهو ابن أخ براء ومات كافرا بإجماع أهل النقل.

وأما قول المستغفري أنه صحابي فغلط كما قاله البرهان، وقال الحافظ هو خطأ صريح وليس هو عامر بن الطفيل الأسلمي الصحابي.

فلما أوتى عدو الله بكتاب المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم لم ينظر فى كتابه وعدا على حرام فقتله وفى الصحيح فجعل يحدثهم فأومؤا إلى رجل فأتاه من خلفه فطعنه بالرمح قال الله أكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عليهم بنى عامر قومه فلم يجيبوه وقالوا لن نخفر بضم أوله أبا براء وقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل بنى سليم عصية بضم العين المهملة وفتح الصاد المهملة وشد التحتية وتاء تأنيث ورعلا بكسر فسكون ابن عوف بالفاء بن مالك بن امرئ القيس بن نهية بن سليم وذكوان، وهذه الثلاثة بدل من قوله قبائل وذكوان بفتح المعجمة وسكون الكاف بطن ينسبون لذكوان بن ثعلبة بن سليم فأجابوه إلى ذلك فخرجوا حتى غشوا القوم فأحاطوا بهم فى رحالهم فلما رأوهم أخذوا سيوفهم وقاتلوهم حتى قتلوا من عند آخرهم رضي الله تعالى عنهم.

الأكعب بن زيد الأنصاري البخاري البدري فإنهم تركوه وبه رمق لظنهم موته فارتث من بين القتلا فعاش حتى استشهد فى الخندق قتله ضرار بن الخطاب أو قتله سهم غرب لا يدرى راميه وعمرو بن أمية الضمري بفتح فسكون كان فى سرح القوم هو ورجل من الأنصار قيل اسمه المنذر بن محمد بن عقبة فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر فقالا والله إن لهذا الطير لشأنا، فأقبلا لينظرا فإذا القوم

فى دمائهم والخيل التى أصابتهم واقفة فقال الأنصاري لعمرو ما ترى؟ قال نرى أن نلحق برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونخبره الخبر، قال الأنصاري لكنى ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو وما كنت لتخبرنى عنه الرجال ثم قاتل القوم حتى قتل وأسروا عمرو بن أمية فلما أخبرهم أنه من مضر أطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه، فلما بلغ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خبرهم قال هذا عمل أبي براء قد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك أبا براء فمات عقب ذلك أسفا على ما صنع ابن أخيه عامر بن الطفيل؛ قال الزرقاني اختلف فى اسلام ابى براء وذكره جماعة من الصحابة فى الصحيح وقال الذهبي الصحيح انه لم يسلم، وقال فى الإصابة ليس فى شيء من الأخبار ما يدل علي إسلامه ولقب ملاعب الأسنة جمع سنان وهو نصل الرمح يوم سوبان وهو يوم كان بين قيس وتميم وجبلة اسم لهضبة عالية لأن أخاه طفيلا الذى يقال له فارس قرزل اسلمه ذلك اليوم وفر، فقال الشاعر:

فررت وأسلمت ابن امك عامرا ... يلاعب أطراف الوشيج المزعزع

فسمي ملاعب الرماح وملاعب الأسنة وهو عم لبيد بن ربيعة بن مالك انتهى من السهيلي انظر الزرقاني.

قوله ارتث أي حمل من المعركة رثيثا أي جريحا وبه رمق، قاله فى القاموس، وقتل يومئذ عامر بن فهيرة فلم يوجد جسده رضي الله عنه ودفنته الملائكة قاله فى المواهب. قال الزرقاني عقبه كما رواه ابن المبارك عن عروة وفى الصحيح عنه لما أسر عمر وقال له عامر بن الطفيل من هذا؟ فقال هذا عامر بن فهيرة، فقال لقد رأيته بعدما قتل رفع إلى السماء حتى أنى لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ثم وضع، قال البيهقي يحتمل أنه رفع ثم وضع ثم فقد بعد ذلك. وفى رواية ابن المبارك وكان الذى قتله رجل من بنى كلاب جبار بن سلمان ذكر أنه لما طعنه قال فزت والله فقلت فى نفسي ما قوله فزت. فأتيت الضحاك بن

سفيان فسألته فقال بالجنة فأسلمت انتهى.
وجبار بالجيم والموحدة مثقل، وسلمى بضم المهملة وقيل بفتحها وسكون اللام والقصر. وعن أنس ما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجد أي حزن على أحد ما وجد على أهل بئر معونة انتهى.
ولعل حكمته أنه لم يرسلهم لقتال إنما هم مبلغون رسالته وقد جرت عادة العرب قديما بأن الرسل لا تقتل.
وفي الصحيحين عن أنس دعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة، ثلاثين صباحا. وفى البخاري فدعا صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم شهرا فى صلاة الغداة بعد القراءة وذلك بدء القنوت. وفى مسلم دعا رسول الله صلى الله تعالي عليه وسلم على الذين قتلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحا يدعو على رعل ولحيان أي بكسر اللام وفتحها ابن هذيل ابن مدركة وزعم الهمداني أنهم من بقايا جرهم دخلوا فى هذيل فنسبوا إليهم وعصية عصت الله ورسوله كذا وقع فى هذه الرواية وهو يوهم أن بنى لحيان ممن أصاب القراء يوم بئر معونة وليس كذلك وإنما أصاب هؤلاء رعل وذكوان وعصية، ومن صحبهم من سليم، وأما بنو لحيان فهم الذين أصابوا بعث الرجيع وإنما أتى الخبر إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عنهم كلهم فى وقت واحد فدعا على الذين أصابوا أصحابه فى الموضعين دعاء واحدا والله أعلم، قاله فى المواهب وذكر صاحب شرف المصطفى أنه لما أصيب أهل بئر معونة جاءت الحمي إليه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لها اذهبى إلى رعل وذكوان وعصية عصت الله ورسوله، فأتتهم فقتلت منهم سبعمائة رجل بكل رجل من المسلمين عشرة، نقله الزرقاني وقال القسطلاني سياق ترجمة البخاري أي بقوله باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة وحديث عضل والقارة وعاص بن ثابت وخبيب وأصحابه يوهم أن بعث الرجيع وبئر معونة شيء واحد وليس كذلك لأن بعث الرجيع كانت سرية عاصم وخبيب وأصحابهما وهي مع

عضل والقارة وبئر معونة كانت سرية القراء وهي مع رعل وذكوان.
انتهى المراد منه.
وروى البخاري أنه قتل من الأنصار يوم أحد سبعون ويوم بئر معونة سبعون ويوم اليمامة سبعون في قتال مسيلمة، قاله الزرقاني؛
وللحافظ العراقي بعد ذكره لبعث عبد الله بن أنيس:

فبعثه المنذر والقرا إلى	بير معونة فطابوا نزلا
فاستشهدت سبعون الأكعبا	هو بن زيد كان رتئا صعبا
ووجد النبي حزنا حتى	قنت شهرا في صلاة بحتا
يدعو على القاتل حتى أنزلا	ليس لك (الآية) ربنا علا

قوله المنذر هو ابن عمرو لانه أمير السرية ونزلا بضم النون والزاي تمييز محول عن الفاعل أي طاب نزلهم وهو ما يقدم للضيف عند نزوله، ورتئا بضم الراء وسكون المثناة، فوق، ثم همزة أي شديد القوة، والصعب الشجاع الباسل، وقوله وجد أي حزن، وبحتا بفتح الموحدة وسكون الحاء المهملة ثم مثناة فوقية أي خالصا، وربنا فاعل أنزل ولم يستثن عمرو بن أمية مع أنه لم يقتل وإنما أسر ثم أطلق كما مرّ وأنزل قرآن فيمن قتل ببير معونة ثم رفع.

بلغوا عنا قومنا	أنا لقينا ربنا
فرضي عنا	ورضينا عنه

وللعراقي بعدما مرّ:

فبعثه إلى الرجيع مرثدا	أو عاصم بن ثابت وأسندا
هذا البخاري وفيه خانا	بسبعة منهم بنو لحيانا
وأسروا زيدا خبيبا بيعا	وقتلوا ابن طارق صريعا
ثم الذى ابتاع خبيبا قتله	كذا بزيد مشتريه فعله
وقصدت هذيل رأس عاصم	حمته دبر ثم سيل عاصم

وقوله خان أي غدر وقوله بسبعة كذا في رواية وفي أخرى ستة وقوله ثم سيل عاصم أي مانع له من الأخذ وذلك أنهم قالوا الدبر يذهب ليلا

فناخذه فأرسل الله سيلا فاحتمله فلم يقعوا منه على خبر وكان نذر أن لا يمس مشركا فأبر الله قسمه قاله المناوي. وقوله خبيبا بحذف حرف العطف وكذا قوله بيعا يقدر له واو وقوله صريعا أي وتركوه صريعا في مر الظهران وقبره بها قاله المناوي أيضا، ثم بعد ما مرّ بعث محمد بن مسلمة للقرطاء بضم القاف وسكون الراء وبالطاء المهملة والمد وهم بطون من بني بكر بن كلاب من قيس عيلان وهم قرط بضم فسكون وقريط بفتح الراء كزبير وقريط بكسرها كأمير بنو عبد بغير إضافة كما ضبطه البرهان وتبعه الشامي فمن قال بفتح القاف كأنه اشتبه عليه أو سبقه القلم، وكذا من ضبطه بضم القاف وفتح الراء، وفي القاموس القروط بالضم بطون بني كلاب وهم اخوة قرط كقفل وقريط كزبير وقريط كأمير انتهى من العلامة الزرقاني.

وفي شرح المناوي للعراقي انه بضم القاف وفتح الراء وإعجام الظاء قال جامعه والأول هو الصواب ولم يذكره في القاموس إلا في باب الطاء المهملة والله تعالى أعلم. فبعثه عليه السلام في ثلاثين راكبا خيلا وإبلا لعشر خلون من المحرم سنة ست على رأس أي أول تسعة وخمسين شهرا من الهجرة الي القرطاء وهم ينزلون بناحية ضرية بفتح المعجمة وكسر الراء المهملة وشد التحتية فتاء تأنيث بالبكرات بفتح الموحدة وهي جبال شمخ وضرية قرية بينها وبين المدينة سبع ليال، وممن بعث معه عباد بن بشر وسلامة بن وقش والحارث بن خزمة بفتح المعجمة وسكون الزاي وقيل بفتحها وأمره أن يسير الليل ويكمن النهار وأن يشن الغارة عليهم بفتح التحتية وضم المعجمة وبضم التحتية وكسر الشين ونون أي يفرق الخيل المغيرة، قاله الزرقاي، فقتل منهم عشرة وهرب سائرهم فاستاق مائة وخمسين بعيرا وثلاثة آلاف شاة فعدلوا الجزور بعشرة من الغنم قاله ابن سعد، وقدم المدينة لليلة بقيت من المحرم ومعه ثمامة بضم المثلثة ابن أثال بضم الهمزة وخفة المثلثة فألف فلام، مصروف بن النعمان الحنفي أسيرا فربطوه بأمره عليه الصلاة والسلام

بسارية من سوار المسجد. وفي الصحيحين عن أبي هريرة بعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة فربطوه بسارية من سوار المسجد فخرج إليه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ما ذا عندك يا ثمامة، قال عندي خير يا محمد؛ ان تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم علي شاكر فإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فترك حتى كان الغدو قال ما عندك يا ثمامة؟ قال ما قلت لك، فتركه حتى كان بعد الغد، فقال ما عندك يا ثمامة؟ قال عندي ما قلت لك.

قال أطلقوا ثمامة، فانطلق الي نجل بنون فجيم ساكنة فلام أي ماء سائل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فأسلم، وقال يا محمد والله ما كان على وجه الأرض وجه أبغض إلى من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلى من دينك فأصبح دينك أحب الأديان كلها إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلى من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، قال الحافظ أي بخير الدنيا والآخرة؟ أو بالجنة؟ وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل صبوت؟ قال لا. ولكن أسلمت ووالله لا تاتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى ياذن فيها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقال رجل من بني حنيفة في شأن عمرته هذه:

ومنا الذى لبى بمكة معلنا برغم أبى سفيان في الأشهر الحرم

ثم خرج ثمامة رضي الله تعالى عنه الي اليمامة فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئا فكتب إليه أن يخلي بينهم وبين الحمل. وفي رواية النسائي والحاكم عن ابن عباس فجاء أبو سفيان إليه صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا محمد أنشدك الله والرحم قد أكلنا العلهز والدم والعلهز بكسر العين المهملة والهاء بينهما لام ساكنة وبزاء آخره الوبر وكأنهم كتبوا له أولا ثم لم يكتفوا بالكتابة لشدة ما هم فيه من القحط، فخرج أبو سفيان

فانظر إلى هذا الحلم العظيم والرحمة الشاملة قوله لا والله قال الحافظ فيه حذف أي لا أرجع إلى دينكم ولا أرفق بكم فاترك الميرة تأتيكم، وفى بعض نسخ المواهب المصحفة لا تأتيكم ولا وجود لها فى الصحيحين انظر الزرقاني.

فائدة:

كان ثمامة من فضلاء الصحابة ونفع الله به الإسلام كثيرا وقام بعد وفاة المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم مقاما حميدا حين ارتدت أهل اليمامة مع مسيلمة فقال {بسم الله الرحمن الرحيم، حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول}، أين هذا من هذيان مسيلمة فأطاعه منهم ثلاثة آلاف وانحازوا إلى المسلمين. وللعراقي:

فبعثه محمد بن مسلمه للقرطا أصاب منهم مغنمه
شاء لهم ونعما أصابوا بعضهم وبعضهم هراب
لم يعرضوا للظعن أمر رامه أميرهم وأسروا ثمامه

قوله ونعما أي إبلا، قال المناوي وبقرا، والغنم ثلاثة آلاف والنعم مائة وخمسون، والظعن النساء جمع ظعينة سميت به لأنها تظعن مع زوجها حيث ظعن، انتهى كلامه، ويعرضوا بفتح التحتية وكسر الراء كما فى الدماميني.

ثم يلي ما مرّ سرية الغمر بالغين المعجمة المفتوحة قاله في المواهب. قال الزرقاني وهو الصواب المذكور فى العيون وغيرها وفى نسخة مكسورة، انتهى كلامه. وقال المناوي بغين معجمة مكسورة وقيل مفتوحة انتهى. وميمه ساكنة ويقال له غمر مرزوق بصيغة اسم المفعول وزيادة ابن قبل مرزوق وهم وهو ماء لبنى أسد على ليلتين من فيد بفتح الفاء وسكون التحتية فدال مهملة ويقال لها سرية عكاشة بضم المهملة وشد الكاف وتخفف ابن محصن كمنبر الأسدي لأنه أميرها

عند ابن سعد، وقال ابن عائذ أميرها ثابت بن أقرم ومعه عكاشة فيمكن أنهما اشتركا بعثه في أربعين رجلا فخرج يغذ بضم التحتية وكسر المعجمة وبالذال المعجمة أي يسرع السير فنذر به القوم بفتح النون وكسر الذال كفرح أي علموا فهربوا فنزلوا على بلادهم فوجدوا ديارهم خلوفا بضم الخاء المعجمة واللام وتقدير مضاف أي أصحاب ديارهم، غيبا فبعث شجاع بن وهب طليعة فرأى أثر النعم قريبا فتحملوا فأصابوا رجلا منهم فأمنوه فدلهم علي نعم لبني عم له فأغاروا على مائتي بعير فأرسلوا الرجل وقدموا بالإبل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يلقوا كيدا أي حربا. وللحافظ العراقي فبعثه عكاشة بن محصن:

لغمر مرزوق موبه لبني أسد علي يومين أي من فيد
فهربوا وما لقوا من كيد

وكانت هذه السرية في ربيع الأول سنة ست من الهجرة بعد غزوة الغابة وقيل في أول ربيع الآخر ثم بعد هذه السرية بعث محمد بن مسلمة الأوسي الأشهلي إلى ذي القصة بالقاف والصاد المهملة المشددة المفتوحين موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا قاله في المواهب، قال المناوي سمي بذلك لقصة في أرضه أي جص، وقيل على بريد من المدينة وقيل على خمسة أميال بعثه عليه الصلاة والسلام ومعه عشرة منهم أبو نائلة والحارث ابن أوس إلى بني ثعلبة بطن من ريث بفتح الراء وسكون التحتية ابن غطفان وبني عوال قاله ابن سعد وعوال بعين مهملة مضمومة فواو مخففة حي من بني عبد الله بن غطفان؛ وفي الشامية إلى بني معوية بفتح الميم والعين المهملة وكسر الواو وسكون التحتية وتاء تانيث، وقوله العين أي وبالعين، وليس مراده أنها مفتوحة، ففي القاموس معوية بفتح فسكون ابن امرئ القيس بن ثعلبة قاله الزرقاني، فوردوا على القوم ليلا فأحدق بهم القوم وهم مائة فما شعر المسلمون إلا بالنبل خالطهم فوثب محمد بن

مسلمة فصاح فى أصحاب: السلاح. فوثبوا فتراموا بالنبل ساعة من الليل ثم حملت الأعراب عليهم بالرماح فقتلوهم إلا محمد بن مسلمة فوقع جريحا وقتل من القوم رجل، وجردوهم من ثيابهم فمر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة فحمله إلى المدينة جريحا وللعراقي:

فبعثه أيضا الى ذى القصة محمدا إلى بنى ثعلبة
فى عشرة فأحدق الأعراب بهم وكانوا مائة أصابوا
كلهم قتلى سوى ابن مسلمه جرح جرحا سالما ما أسلمه

قوله وكانوا مائة يعنى بنى ثعلبة، وقوله سالما حال، قال المناوي وقوله ما أسلمه حشو كمل به الوزن انتهى.

ويليه بعث أبى عبيدة بن الجراح فى أربعين رجلا لليلتين بقيتا من ربيع الآخر إلى بنى ثعلبة أيضا حين صلوا المغرب فمشوا ليلتهم حتى وافوا ذا القصة مع الصبح فأغاروا عليهم فأصابوا رجلا واحدا منهم فأسلم وتركوه واستاقوا نعما لهم وشاء وهرب القوم فى الجبال وكانت غيبة هذه السرية ليلتين. وللعراقي:

فبعثه لهم أبا عبيده لم يجد القوم وحادوا حيده
لكن أصابوا رجلا فأسلما وغنموا شاء لهم ونعما

وقوله لهم أي لبنى ثعلبة المذكورين فى البيت قبله.

ثم سرية زيد بن حارثة إلى بنى سليم بضم المهملة وفتح اللام بالجموح بفتح الجيم وضم الميم مخففة ويقال له الجموح بحاء مهملة بدل الميم الأخيرة بلد بأرض بنى سليم على أربعة برد من المدينة عن يسار بطن نخل فى آخر يوم من ربيع الآخر فأصابوا امرأة من مزينة يقال لها حليمة فأسروها فدلتهم على محلة بفتح الميم والمهملة وشد اللام أي منزل من منازل بنى سليم فأصابوا نعما وشاء وأسروا جماعة فيهم زوج حليمة المزنية، فوهب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للمزنية نفسها وزوجها، قاله فى المواهب وقال الزرقاني قال البرهان لا أعلم لها إسلاما ولا صحبة وليس فى الصحابيات حليمة إلا المرضعة على

الخلاف فى إسلامها، وذكر ابن الجوزي المرضعة وحليمة بنت عروة بن مسعود وذكر بنت مسعود أيضا الذهبي وسلمه فى الإصابة انتهى.

وللعراقي:

فبعث زيد لبني سليم وهم ببطن نخل بالجموم
وقد أصابوا نعما وشاءا وأسروا ما الله منهم شاء

قوله ببطن نخل عن يسار بطن نخل كما قال شارحه، وغيره قال الزرقاني ولم يبين المصنف يعنى القسطلاني كغيره عدة الإبل والغنم والأسرى.

ثم سرية زيد أيضا المتلو اسمه فى مساجد المسلمين إلى العيص بكسر المهملة وإسكان التحتية فصاد مهملة موضع قرب البحر قاله ابن الأثير، قال فى المواهب على أربع ليال من المدينة قال الزرقاني وقد ينافيه قول الصغاني تبعا لابن سعد عرض من أعراض المدينة وهو بكسر العين وإسكان الراء المهملتين وضاد معجمة كل واد فيه شجر كذا فى النور بأن ما فى هذه المسافة أي التى هي أربع ليال لا ينسب لها بعثه عليه الصلاة والسلام فى جمادى الأولى سنة ست ومعه سبعون ومائة راكب، هذا هو الصواب كما قال ابن سعد وشيخه وسلمه اليعمري والبرهان والشامي لا ما فى المواهب من أنهم سبعون انظر الزرقاني. وعلى الأول اقتصر المناوي يتعرض عيرا لقريش أقبلت من الشام فأخذها وأخذ ما فيها وأخذ فضة كثيرة لصفوان بن أمية وأسر منهم ناسا فيهم أبو العاصي واسمه لقيط أو الزبير أو هشيم أو مهشم بكسر فسكون ففتح أو بضم ففتح فتثقيل أو ياسر بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس وأمه هالة أخت خديجة وقدم بهم المدينة فاستجار أبو العاصي بزينب زوجته بنت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأجارته ونادت فى الناس بأعلى صوتها لما كبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى صلاة الصبح أيها الناس إني قد أجرت أبا العاصي فلما صلى المصطفى عليه الصلاة والسلام من الصلاة أقبل على الناس فقال

أيها الناس، هل سمعتم ما سمعت قالوا نعم؛ قال والذى نفس محمد بيده ما علمت بشيء وقد أجرت من أجرت، ثم دخل صلى الله تعالى عليه وسلم منزله فدخلت عليه زينب فسألته أن يرد عليه ما أخذ منه، فقبل وقال لها أكرمي مثواه، ولا يخلصن إليك فإنك لا تحلين له.
وروى البيهقي أن زينب قالت له عليه السلام إن أبا العاصي إن قرب فابن عم وإن بعد فأبو ولد وإني قد أجرته. قال ابن إسحاق وحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث إلى السرية الذين أصابوا مال أبى العاصي فقال لهم ان هذا الرجل منا حيث قد علمتم وقد أصبتم له مالا فإن تحسنوا وتردوا عليه الذى له فإنا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فيء الله الذى أفاء عليكم الله فأنتم أحق به، فقالوا يا رسول الله بل نرده عليه حتى إن الرجل ليأتي بالدلو والرجل بالأداوة حتي ردوا عليه ماله بأسره لا يفقد منه شيئا ثم ذهب إلى مكة فأدى إلى كل ذي مال ماله ثم قال هل بقي لأحد منكم عندى مال لم يأخذه؟ قالوا لا. قال هل أوفيت ذمتى؟ قالوا اللهم نعم فجزاك الله خيرا فقد وجدناك وفيا كريما. قال فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله. والله ما منعنى من الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا أنى إنما أردت أن آكل أموالكم فلما ردها الله إليكم وفرغت منها أسلمت. ثم خرج وقدم المدينة. وأخرج الحاكم بسند صحيح أن زينب هاجرت وأبو العاصي على دينه فخرج إلى الشام فى تجارة فلما كان قرب المدينة أراد بعض المسلمين الخروج إليه ليأخذوا ما معه ويقتلوه، فبلغ ذلك زينب فقالت يا رسول الله أليس عقد المسلمين وعهدهم واحدا؟ قال نعم. قالت فاشهد أنى قد أجرت أبا العاصي. فلما رأى ذلك الصحابة خرجوا إليه بغير سلاح فقالوا له إنك فى شرف قريش وأنت ابن عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهل لك أن تسلم فتغنم ما معك من أموال أهل مكة فقال بيس ما أمرتموني به؛ ان افتتح ديني بغدر، فمضى إلى مكة وأسلم عندهم ثم هاجر. وذكر ابن عقبة ان الذى أخذ هذه العير أبو

جندل وأبو بصير بفتح الموحدة وأن أسره كان على يد أبى بصير بعد الحديبية واستظهره البرهان وصوبه ابن القيم، قال الشامي ويؤيده قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يخلص إليك أي لا يطأك، فإنك لا تحلين له لأن تحريم المومنات على المشركين إنما نزل بعد الحديبية انتهى.
وعلى هذا القول فالأخذ للعير ليس من السرايا، انظر الزرقاني.
وقال في المواهب وردها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بالنكاح الأول قيل بعد سنتين وقيل بعد ست سنين وقيل بعد انقضاء العدة وفى حديث عمرو بن شعيب ردها بنكاح جديد سنة سبع انتهى. وقال السهيلي هذا الحديث يعنى حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده هو الذى عليه العمل وإن كان حديث ابن العباس أصح اسنادا يعنى الأول لكن لم يقل به أحد من الفقهاء فيما علمت لأن الإسلام فرق بينهما انتهى. وقد قال الترمذي سمعت عبد بن حميد يقول حديث ابن عباس أجود اسنادا والعمل على حديث عمرو بن شعيب قال السهيلي ومن جمع بين الحديثين قال معنى حديث ابن عباس ردها على مثل النكاح الأول في الصداق والحباء فلم تحدث زيادة على ذلك من شرط ولا غيره نقله الزرقاني. وللعراقي:

فبعثه للعيص حتى أخذوا	عير قريش كلها ونفذوا
وفضة كثيرة وأسرا	ممن مع العير أتوا والصهرا
صهر النبي زوج زنيب استجار	بها أجارته وأهل أن يجار

ومعنى نفذوا أي أتوا بها الى المدينة، وقوله فضة عطف على قوله عيرا.
ثم سرية زيد رابعة إلى الطرف بفتح الطاء وكسر الراء المهملتين ففاء. قال في القاموس ككتف عين على ستة وثلاثين ميلا من المدينة وهو قريب من مراض بميم فراء مهملة آخره ضاد معجمة، كسحاب، وهو موضع أو واد كما في القاموس، بعثه عليه السلام في جمادى الأخيرة سنة ست في خمسة عشر رجلا إلى بني ثعلبة فأصاب نعما وشاء وهربت الأعراب لأنهم خافوا أن يكون عليه الصلاة والسلام سار إليهم

وهذه مقدمته وأصبح زيد بالنعم فى المدينة وهو عشرون بعيرا ولم يلق كيدا قاله فى المواهب وشرحها وكانت غيبته أربع ليال وكان شعار المسلمين أمت أمت أمر بالإمامة تفاؤل مع حصول الغرض من الشعار جعلوا هذه الكلمة علامة يتعارفون بها فى ظلمة الليل. وللعراقي:

فبعثه رابعة إلى الطرف ماء قريب من مراض فانصرف
إلى بنى ثعلبة أصابوا نعمهم وهرب الاعراب

والضمير فى بعثه لزيد ثم سرية زيد خامسة إلي حسمى بكسر الحاء وسكون السين المهملتين مقصور موضع وراء واد القرى بضم القاف وفتح الراء الجوهري اسم أرض بالبادية غليظة لا خير فيها، ينزلها جذام ويقال آخر ما نضب من ماء الطوفان حسمي فبقيت منه بقية الى اليوم انتهى.

وذكر أن الماء فى الطوفان أقام به بعد نضوبه ثمانين سنة وسببها أنه لما أقبل دحية بفتح الدال وكسرها ابن خليفة الكلبي من عند هرقل لما أرسله صلى الله تعالى عليه وسلم إليه يدعوه إلى الإسلام وقد أجاره، وكساه ومعه تجارة له فلقيه الهنيد بضم الهاء وفتح النون وسكون التحتية ابن عارض وابنه عارض بن الهنيد فى ناس من جذام بجيم مضمومة فذال معجمة قبيلة من معد أو اليمن بجبال حسمى قاله الزرقاني؛ وفى القاموس وجذام، كغراب، قبيلة بجبال حسمى من معد انتهى؛ فقطع الهنيد ومن معه الطريق على دحية فأصابوا كل شيء كان معه ولم يتركوا له إلا سمل ثوب وهو بفتح المهملة والميم الثوب الخلق فسمع بذلك نفر من بنى الضبيب بضم الضاد المعجمة وفتح الموحدة وسكون التحتية رهط رفاعة بن زيد الجذامي ممن كان أسلم فاستنقذوا لدحية متاعه وقدم دحية على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره بذلك فبعث زيد بن حارثة فى خمسمائة رجل ورد معه دحية فكانوا يسرون بالليل ويكمنون بالنهار بضم الميم وفتحها فهجموا مع الصبح على القوم فأكثروا فيهم القتل كما فى الزرقاني وقتلوا الهنيد

وابنه وأخذوا ألف بعير وخمسة آلاف شاة كما قاله ابن سعد واليعمري وغيرهما، فما فى المواهب فيه سقط بلا شك، قاله الزرقاني. وأخذوا مائة من النساء والصبيان فرحل رفاعة بن زيد فى نفر من قومه إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد كان وفد عليه فى هدنة الحديبية فأسلم وأهدى له مدعما وكتب له المصطفى كتابا هو:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد رسول الله إلى رفاعة بن زيد، بعثته إلى قومه عامة ومن دخل فيهم يدعوهم إلى الله وإلى رسوله، فمن أقبل ففى حزب الله وحزب رسوله، ومن أدبر فله أمان شهرين.

فلما قدم على قومه أسلموافلم يلبث ان جاء دحية من عند قيصر فلما قدم رفاعة دفع الكتاب إليه عليه السلام وبعث صلى الله تعالى عليه وسلم عليا إلى زيد بأمره أن يخلي بينهم وبين حرمهم بضم الحاء وفتح الراء جمع حرمة وهي الأهل، وأموالهم، فقال علي ان زيدا لن يطيعني. قال فخذ سيفى هذا فلما أتى علي زيدا فأخبره بذلك قال زيد علامة من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أي أطلب علامة، فقال علي هذا سيفه، فعرفه زيد فرده علهيم. وفى رواية وكانوا ينزعون المرأة من تحت فخذ الرجل. انتهى.

والظاهر أنهم كانوا يطؤون الجواري بلا استبراء لأن وجوبه إنما كان فى سبي هوازن والله تعالى أعلم، قاله محمد بن عبد الباقي.

وللعراقي:

فبعثه خامسة لحسمى	إلى جذام فأتاهم هجما
صبحا على القوم أصابوا العارضا	وأبه هنيدا المعارضا
فى قومه لدحية الكلبي	فقطعوا طريقه بالقي
وكان زيد معه خمسمائه	فأخذوا الأنعام والسبي فئه
مائة النساء والصبيانا	فجاء زيد من جذام كانا
معه كتاب المصطفى إذ اسلما	له وللقوم فسأل المغنما
أموالهم مع حريمهم فرد	كلا إليهم وافيا بما عهد

قوله العارض بمهملة فضاد معجمة وقوله وأبه على لغة النقص كقوله بأبه اقتدى عدى في الكرم إلخ... والقي بكسر القاف وشد التحتية الأرض الخالية وقوله والسبي عطف على الأنعام، وقوله فسأل أي سأل رفاعة المصطفى أن يرد إليهم المغنم، وقوله زيد الصحيح أنه رفاعة بن زيد كما قال اليعمري والبرهان وغيرهما وذكرهما ابن عبد البر والذهبي وغيرهما.

ثم سرية زيد سادسة إلى واد القرى وهو موضع قريب من المدينة به قرى كثيرة في رجب سنة ست لقي به بني فزارة فقتل من المسلمين قتلى وارتث زيد أي حمل من المعركة رثيثا أي جريحا، وبه رمق وللعراقي:

فبعثه أيضا له مؤمرا   سادسة لوجهة واد القرى

به أصيب المسلمون قتلى   وارتث زيد من خليط القتلى

قوله لوجهة بكسر الواو منونا أي لجهة وفسرها بقوله واد القرى بضم القاف. وفي حديث كعب بن مالك انه ارتث أيضا يوم أحد والرث والرثيث الثوب الخلق الذى فيه بقية، وقوله خليط القتلا أي القتلا المختلطين فلما قدم زيد أقسم أن لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بني فزارة في جيش بواد القرى وسيجئ ذلك بعد سريتين قاله المناوي.

ثم بعث عبد الرحمن في سبعمائة في شعبان سنة ست إلى كلب بدومة بضم الدال المهملة وفتحها وأنكر ابن دريد الفتح فواو ساكنة ويقال دوماء بالمد الجندل بفتح الجيم والدال وهي من بلاد الشام بينها وبين دمشق خمس ليال دعاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأقعده بين يديه وعممه بيده الكريمة فأرسلها من خلفه قدر شبر كما في المناوي وكانت سوداء ثم أمر بلالا أن يدفع إليه اللواء فدفعه إليه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم نفسه ثم قال خذه يابن عوف اغزوا جميعا في سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا فهذا عهد الله وسرية نبيه، وقال فإن استجابوا

لك فتزوج ابنة ملكهم.

فسار حتى قدم دومة الجندل فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام وقد كانوا أبوا أول ما قدم أن لا يعطوا إلا السيف فأسلم في اليوم الثالث رئيسهم الأصبغ بفتح الهمزة وسكون المهملة وفتح الموحدة فغين معجمة ابن عمرو بن ثعلبة وكان نصرانيا وأسلم معه كثير من قومه وأقام من أقام على إعطاء الجزية وتزوج عبد الرحمن تماضر بضم الفوقية وكسر الضاد المعجمة بنت الأسبغي قال الواقدي وهي أول كلبية نكحها قرشي، فقدم بها المدينة ففازت بشرف الصحبة، وولدت له بعد ذلك أبا سلمة بن عبد الرحمن قال الواقدي ولم تلد له غيره انظر الزرقاني.

وللحافظ العراقي نفعنا الله به:

بعث ابن عوف بعده لكلب	بدومة الجندل فاز الكلبي
أميرهم أصبغ بالاسلام	ومعه ناس من الأقوام
وأمر النبي أن يصاهرا	نكح ذاك بنت ذا تماضرا

قوله نكح ذاك أي عبد الرحمن بنت ذا أي الأصبغ، قال الزرقاني وذكره في الشبل.

عقب هذه السرية سرية زيد إلى مدين ومعه ضميرة مولى علي بن أبي طالب وأخ له فأصاب سبيا من أهل منيا وهي السواحل وفيها جمّاع من الناس فبيعوا ففرق بينهم، فخرج صلى الله تعالى عليه وسلم وهم يبكون فقال ما لهم؟ فقيل فرق بينهم. فقال لا تبيعوهم إلا جميعا. قال ابن هشام أراد الأمهات والأولاد انتهى. ولم يذكر هذه السرية في المواهب وكذا العراقي لم يذكرها هنا، بل ذكرها بعد سرية ابن عوف، سرية علي بن أبي طالب في مائة رجل في شعبان سنة ست إلى بني سعد بن بكر بن عوف لما بلغه أنهم ساعون في أن يمدوا يهود خيبر فسار علي الليل وكمن النهار حتى مشى إلى الغميم بغين معجمة فميم مكسورة فميم ماء بين فدك وخيبر فوجدوا به رجلا فقالوا من أنت؟ قال باغ، أي طالب لشيء ضل عني، فقالوا هل لك علم بما وراءك من جمع

بني سعد؟ قال لا علم لي به. فشددوا عليه فأقر أنه عين لهم بعثوه إلى خيبر يعرض على يهودها نصرهم على أن يجعلوا لهم من تمرهم كما جعلوا لغيرهم ويقدمون عليهم فدلهم عليهم فأغاروا عليهم، وأخذوا خمسمائة بعير وألف شاة وهربت بنو سعد بالظعن ورأسهم وبر بفتح الواو وسكون الموحدة فراء، ابن عليم بضم العين المهملة وقدموا المدينة ولم يلقوا كيدا، وعزل علي صفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقوحا تدعى الحفيدة بفتح الحاء المهملة وكسر الفاء فدال مهملة فتاء تأنيث وهي السريعة السير قاله الزرقاني. وللعراقي بعد ذكره لبعث ابن عوف:

فبعثه لفدك عليا	إلى بني سعد بن بكر أحيا
الليل سيرا وكمن نهارا	حتى أتاهم غفلة أغارا
فهربوا إذ جاءهم بالظعن	واستاق أنعامهم وونى

قوله كمن بسكون النون للوزن والظعن بضم الظاء النساء وونى بفتح الواو وكسر النون اسم فاعل من الونى وهو الضعف قاله المناوي.

ثم سرية زيد في رمضان سنة ست إلى أم قرفة بكسر القاف وسكون الراء وبالفاء وتاء تأنيث بنت ربيعة ابن بدر الفزارية وكانت ملكة رئيسة وهي زوجة مالك بن حذيفة بن بدر وفيها جرى المثل أمنع من أم قرفة، لأنها كانت يعلق في بيتها خمسون سيفا لخمسين رجل كلها لها محرم. كنيت بابنها قرفة وقتله النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيما ذكر الواقدي وذكر أن سائر بنيها وهم تسعة قتلوا مع طليحة يوم بزاخة في الردة، وسبب هذه السرية كما مر عن ابن اسحاق أن زيدا لما لقي بني فزارة في سريته المتقدمة التي أصيب فيها أصحابه وارتث زيد من بين القتلى حلف أن لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بني فزارة.

وذكر ابن سعد أن سببها أن زيدا خرج في تجارة إلى الشام ومعه بضائع لأصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فلقيه ناس من فزارة

من بني بدر فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما معهم وجمع بينهما بتعدد السبب بأن يكون زيد كما صح ذهب للتجارة فنهبوه فرجع فأخبره صلى الله تعالى عليه وسلم فبعثه إليهم فى جيش وقال لهم اكمنوا النهار وسيروا الليل فكمن هو وأصحاب النهار والفعل كنصر وسمع وساروا الليل وعلم بهم بنو فزارة وجعلوا ناظورا ينظر قدر مسافة يوم حين يصبحون على جبل مشرف وجه الطريق الذى يرون أنهم ياتون منه فيقول لا بأس عليكم فإذا كان الليل أشرف على ذلك الجبل فينظر مسيرة ليلة فيقول ناموا لا باس عليكم، فلما كان الصحابة على نحو ليلة أخطأ دليلهم الطريق وهو من بني فزارة فسار فى أخرى حتى أحسوا فعاينوا الحاضر من بنى فزارة فحمد وأخطأهم ثم صبحهم زيد وأصحابه وأحاطوا بالحاضر أي بمن حضر من فزارة فقتلوهم وأخذوا أم قرفة وابنتها جارية بنت مالك بن حذيفة وعمد قيس بن المحسر قال اليعمري بفتح السين المهملة وقد تكسر وقيل بتقديم السين على الحاء زاد فى الإصابة وقيل ابن مسحل بكسر الميم وسكون السين وفتح الحاء المهملتين فلام وهو صحابي كناني ليثي إلى أم قرفة وهي عجوز كبيرة وكانت تسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وربط رجليها بحبلين ثم ربطا إلى بعيرين ثم زجرهما فذهبا فقطعاها وقدم زيد فقرع باب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقام إليه عريانا يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله وسأله فأخبره بما ظفره الله تعالى به هكذا ذكر هذه السرية ابن اسحاق وابن سعد والواقدي وابن عائذ وغيرهم وإن أميرها زيد بن الحارثة وفى صحيح مسلم وأبي داوود عن سلمة بن الأكوع بعث صلى الله تعالى عليه وسلم أبا بكر إلى بنى فزارة وخرجت معه حتى إذا صلينا الصبح أمرنا فشننا الغارة فوردنا الماء فقتل أبو بكر أي جيشه من قتل ورأيت طائفة منهم الذرارى فخشيت أن يسبقونى إلى الجبل فأدركتهم ورميت بسهم بينهم وبين الجبل فلما رأوا السهم وقفوا وفيهم امرأة وهي أم قرفة عليها قشع من

أدم معها ابنتها من أحسن العرب، فجئت بهم أسوقهم إلى أبى بكر فنحلني أبو بكر ابنتها فلم أكشف لها ثوبا فقدمنا المدينة فلقيني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا سلمة هب لي المرأة لله أبوك، فقلت هي لك يا رسول الله فبعث بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى مكة ففدى بها أسارى من المسلمين كانوا فى أيدى المشركين قال السهلي وهذه الرواية أحسن وأصح من رواية ابن اسحاق كونه وهبها لخاله حزن بمكة.

ويقال مثله فى كون أميرها الصديق قال الشامي ويحتمل أنهما سريتين انتهى المراد من كلام محمد بن عبد الباقي.

وللعراقي:

فبعثه زيدا لأم قرفه سابعةوقوله بعسفه
وصح فى مسلم الطريق بأنها أميرها الصديق

قوله سابعة أي غزوة سابعة وقوله بعسفة أي بعنف وشدة، واسم أم قرفة فاطمة بنت ربيعة بن زيد وهذا بناء أن زيدا كان أمير السرية وسياتى فى رواية مسلم أن أميرها الصديق فقوله صح أي ولكن صح فى مسلم الطريق عن أنس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه بأن أميرها أي هذه السرية أبو بكر الصديق، انظر المناوي.

انتهى والحمد لله الجزء الأول من كتاب
« نزهة الأفكار في شرح قرة الأبصار »
وآخره سيرة زيد لأم قرفة ويليه الجزء الثاني ،
وأوله سيرة عبد الله بن عتيك ليقتل أبا رافع اليهودي سلام بن أبي الحقيق

فهرست الجزء الأول من شرح الإمام الجليل المجدد
عبد القادر بن محمد بن محمد سالم على نظم الشيخ عبد العزيز اللمطي
«قرة الأبصار في سيرة النبي المختار»

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

نزهة الأفكار في شرح قرة الأبصار

تأليف

الشيخ الإمام المجدد عبد القادر بن محمد بن محمد سالم
المجلسي الشنقيطي المالكي الأشعري
المتوفى ١٣٣٧ هـ

شرح به النظم المسمى قرة الأبصار في سيرة النبي المختار
للشيخ عبد العزيز اللمطي المالكي الأشعري

حققه وصححه جماعة من ذوي المؤلف

الجزء الأول

قام بنشره وطبـــاعته على نفقته السيد الفاضل الشريف
اعزيزي بن المامي السباعي